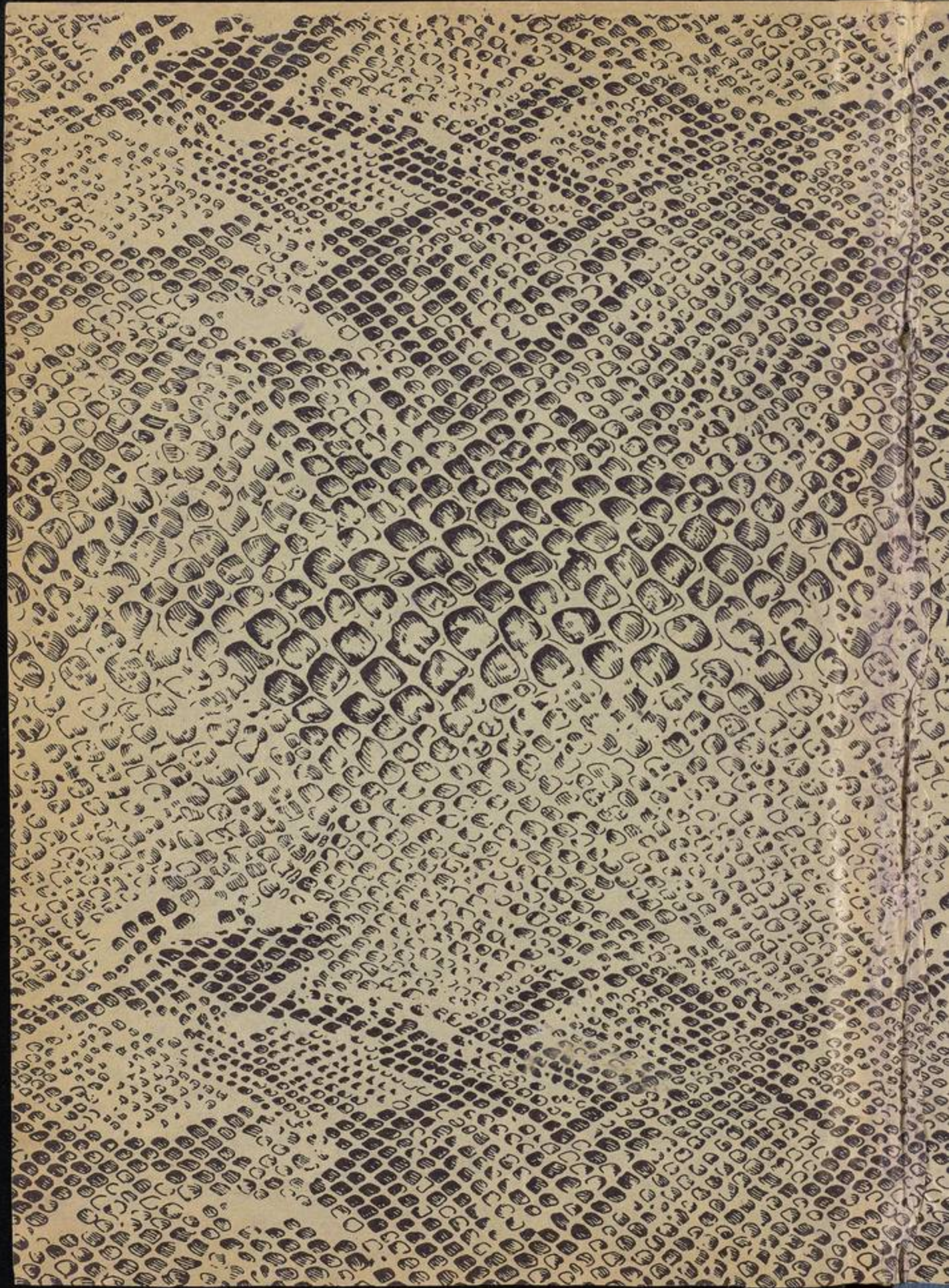
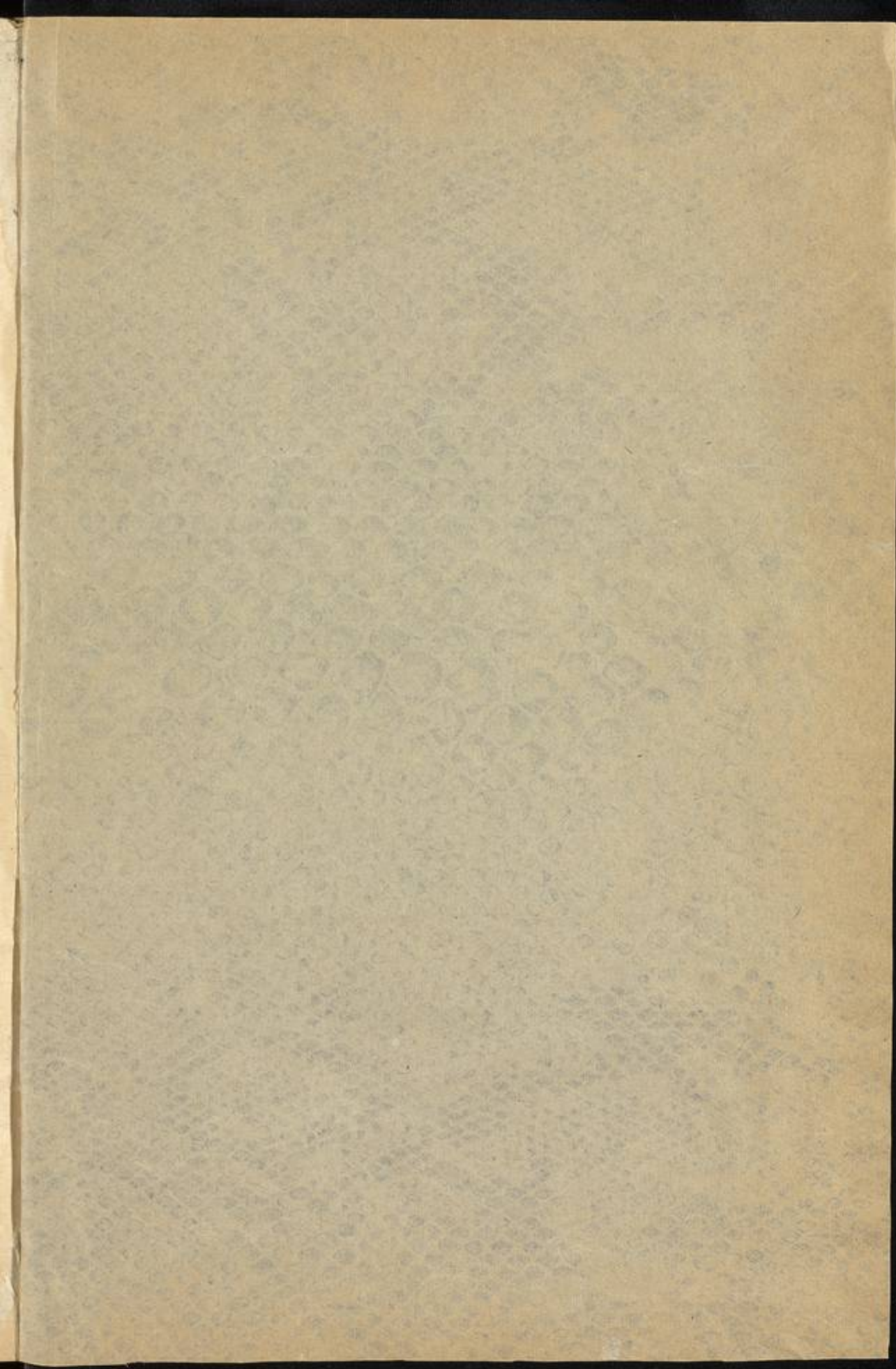


Columbia University  
in the City of New York

THE LIBRARIES







يوسف علي الشحات  
مكرر في ١٠ ١٩٤٤

وزارة المعارف العمومية

# نَفْسِي الْقُرْآنُ الْجَلِيلُ

المستقى بدارك التنزيل وحقائق التأويل

تأليف

الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي  
عليه سبحانه الرحمة والرضوان آمين

قال في كشف الظنون :

(مدارك التنزيل ، وحقائق التأويل) للإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد  
النسفي المتوفى سنة ٧٠١ وقيل عشر وسبعمائة . أوله الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة  
الأوهام الخ . وهو كتاب وسط في التأويلات ، جامع لوجوه الإعراب والقراءات ،  
متضمن لدقائق علم البديع والإشارات ؛ موضح بأقاويل أهل السنة والجماعة ، خال  
عن أباطيل أهل البدع والضلالة ؛ ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المختل (٥٨١)

## المجلد الثالث

حق الطبع محفوظ للوزارة

القاهرة  
طبع بالطبعة الأميرية بمولانا

١٩٤٢

893.7K84

DN5

v. 3

رتب هذا المجلد ورقمه وصححه وضبطه لغة وقراءات

الشيخان

محمود أحمد البطاراوى بك شرف الدين محمود خطاب

المفتش بالوزارة

الأستاذ بدار العلوم سابقا

v. 3

## سورة الروم مكية

هي ستون أو تسع وخمسون آية ، والاختلاف في بضع سنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ ﴿١﴾ غَلَبَتْ أَرْوَمَ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴿٤﴾  
سَيَّغْلِبُونَ ﴿٥﴾ فِي بُضْعِ سِنِينَ ﴿٥﴾

(١) أي غلبت فارس الروم .

(٢) أي في أقرب أرض العرب ، لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم . والمعنى  
غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام . أو أراد أرضهم على إجابة اللام متاب  
المضاف إليه أي في أدنى أرضهم إلى عدوهم .

(٣) أي الروم .

(٤) أي غلبة فارس إياهم ، وقرئ بسكون اللام . فالغلب والغلب مصدران .  
وقد أضيف المصدر إلى المفعول .

(٥) (سيغلبون) فارس . ولا وقف عليه لتعلق (في بضع سنين) به . وهو ما بين الثلاث  
إلى العشر . قيل احتربت فارس والروم بين أذرعاء وبصرى فغلبت فارس الروم . والملك  
يومئذ كسرى أبرويز فبلغ الخبر مكة . فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لأن  
فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب . وفرح المشركون وشتوا وقالوا "أتم والنصارى  
أهل كتاب ونحن وفارس أميون . وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم" فتزلت .  
فقال لهم أبو بكر : "والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين" . فقال له أبي بن خلف :

لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ  
يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴿٦﴾

”كذبت“. فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين . فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عليه السلام ”زد في الخطر وأبعد في الأجل“. فغلاها مائة قلوص إلى تسع سنين . ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وظهرت الروم على فارس يوم الحديدية أو يوم بدر ، فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى ، فقال عليه السلام ”تصدق به“. وهذه آية بيّنة على صحة نبوته وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب . وكان ذلك قبل تحريم القمار . عن قتادة . ومن مذهب أبى حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار . وقد احتجنا على صحة ذلك بهذه القصة .

(١) أى من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء . أو حين غلبوا وحين يغلبون . كأنه قيل . من قبل كونهم غالبين — وهو وقت كونهم مغلوبين — ومن بعد كونهم مغلوبين — وهو وقت كونهم غالبين . يعنى أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرأ ليس إلا بأمر الله وقضائه (وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

(٢) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له ، وغيط من شمت بهم من كفار مكة . وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم . والباء يتصل بـ (يفرح) فيوقف على (الله) لا على (المؤمنون) .

(٣) الغالب على أعدائه .

(٤) العاطف على أوليائه .

(٥) مصدر مؤكّد لأن قوله (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) وعد من الله للمؤمنين . فقوله (وعد الله) بمنزلة وعد الله المؤمنين وعدا .

(٦) (لا يخلف الله وعده) بنصر الروم على فارس .



وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(١)</sup> يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ <sup>(٢)</sup>  
 الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ <sup>(٥)</sup>  
 مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا <sup>(٦)</sup> إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى <sup>(٧)</sup>

(١) (لا يعلمون) ذلك .

(٢) بدل من (لا يعلمون) . وفيه بيان أنه لافرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا .

(٣) يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا . فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها . وباطنها أنها مجاز إلى الآخرة يترود منها إليها بالطاعة وبالأمال الصالحة . وتنكير الظاهر يفيد أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها .

(٤) (هم) الثانية مبتدأ . و(غافلون) خبره . والجملة خبر(هم) الأولى . وفيه بيان أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها .

(٥) يحتمل أن يكون ظرفا . كأنه قيل (أولم) يشبهوا التفكر في أنفسهم أى في قلوبهم الفارغة من الفكر . والتفكر لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكر كقوله اعتقده في قلبك . وأن يكون صلة للتفكر نحو تفكر في الأمر وأجال فيه فكره . ومعناه على هذا (أولم يتفكروا في أنفسهم) التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى وقت تجازى فيه على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها، حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة في التدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت .

(٦) متعلق بالقول المحذوف . معناه (أولم يتفكروا) فيقولوا هذا القول . وقيل معناه فيعلموا لأن في الكلام دليلا عليه .

(٧) أى ما خلقها باطلا وعبثا بغير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة . إنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهى إليه . وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب . ألا ترى إلى قوله (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثا .

وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> أُولَئِكَ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ  
 فَيَنْظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ <sup>(٤)</sup>  
 وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ <sup>(٨)</sup> فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ <sup>(٩)</sup>  
 وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ <sup>(١٠)</sup> ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَشَاءُوا السُّوَاءَ <sup>(١٢)</sup>

(١) بالبعث والجزاء .

(٢) للاحدون . وقال الزجاج أى لكافرون بقاء ربهم .

(٣) هو تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم  
 العاتية . ثم وصف حالهم فقال ( كانوا أشد منهم قوة ) .

(٤) وحرثوها .

(٥) أى المدمرون .

(٦) صفة مصدر محذوف .

(٧) ما مصدرية أى من عمارة أهل مكة .

(٨) وتقف عليها لحق الحذف . أى فلم يؤمنوا فأهلكوا .

(٩) فما كان تدميره إياهم ظلما لهم .

(١٠) ولكنهم ظلّموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم .

(١١) بالنصب شامى وكوفى .

(١٢) تأنيت الأسوأ وهو الأقيح كما أنّ الحسنى تأنيت الأحسن . ومحلها رفع على أنها اسم  
 (كان) عند من نصب (عاقبة) على الخبر، ونصب عند من رفعها . والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا  
 ثم كانت عاقبتهم السوأى — إلا أنه وضع المظهر وهو (الذين أساءوا) موضع المضمّر — أى  
 العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى النار التى أعدت للكافرين .

أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ<sup>(١)</sup> اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ<sup>(٢)</sup> ثُمَّ يَعْبُدُ<sup>(٣)</sup>  
 ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ<sup>(٤)</sup> وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ<sup>(٥)</sup> وَلَمْ<sup>(٦)</sup>  
 يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ<sup>(٧)</sup> وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ<sup>(٨)</sup> وَيَوْمَ تَقُومُ  
 السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ<sup>(٩)</sup> فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ  
 فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ<sup>(١٠)</sup> وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ<sup>(١١)</sup>  
<sup>(١٢)</sup>

(١) ل (أن كذبوا) أو ب (أن) . وهو يدل على أن معنى (أساءوا) كفروا . يعني ثم كان

حاقبة الكافرين النار لتكذيبهم آيات الله واستهزائهم بها .

(٢) ينشئهم .

(٣) يحييهم بعد الموت .

(٤) وبالياء أبو عمرو وسهل .

(٥) يبئس ويختير . يقال ناظرته فأبلس إذا لم ينبس ويئس من أن يحتج .

(٦) المشركون .

(٧) من الذين عبدوهم من دون الله .

(٨) كتب في المصحف بواو قبل الألف كما كتب (علموا بنى إسرائيل) — وكذلك

كتبت (السواى) بالألف قبل الياء — إثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها .

(٩) أى يكفرون بأهلهم ويحسدونها ، أو (وكانوا) فى الدنيا (كافرين) بسببهم .

(١٠) الضمير فى (يتفرقون) للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه .

(١١) أى بستان . وهى الجنة . والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه .

(١٢) يسرون . يقال حبره إذا سره سرورا تهلأ له وجهه وظهر فيه أثره . ثم اختلف فيه

لاحتمال وجوه المسائر ف قيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع فى الجنة .

(١٣) أى البعث .

فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ <sup>(١)</sup> فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ  
تُصْبِحُونَ <sup>(٤)</sup> وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ <sup>(٧)</sup>  
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا <sup>(١١)</sup>

(١) مقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله (وما هم بخارجين منها) .

(٢) لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجى من الوعيد، فقال :  
(فسبحان الله). والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيهه به الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه  
الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة. أو الصلاة. فقيل لابن عباس: هل تجد الصلوات  
الخمسة في القرآن؟ فقال نعم، وتلا هذه الآية. وهو نصب على المصدر. والمعنى زهوه عما لا يليق به  
أو صلوا لله .

(٣) صلاة المغرب والعشاء .

(٤) صلاة الفجر .

(٥) اعتراض . وقوله (وعشيًّا) متصل بقوله (حين تمسون) . ومعناه أن على المميزين  
كلهم من أهل السموات والأرض أن يمدوه . و(في السموات) حال من (الحمد) .

(٦) صلاة العصر . وهو معطوف على (حين تمسون) .

(٧) صلاة الظهر . أظهر أى دخل في وقت الظهيرة. والقول الأكثر أن الصلوات الخمس  
فرضت بمكة .

(٨) الطائر من البيضة أو الإنسان من النطفة أو المؤمن من الكافر .

(٩) أى البيضة من الطائر أو النطفة من الإنسان أو الكافر من المؤمن. و(الميت) بالتخفيف  
فيهما مكى وشامى وأبو عمرو وأبو بكر وحماد ، وبالتشديد غيرهم .

(١٠) (ويحيى الأرض) بالنبات .

(١١) يلبسها .

وَكَذَلِكَ نُخْرِجُونَ<sup>(١)</sup> وَمِنْ آيَاتِهِ<sup>(٢)</sup> أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ<sup>(٤)</sup>  
تَنْتَشِرُونَ<sup>(٥)</sup> وَمِنْ آيَاتِهِ<sup>(٣)</sup> أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا  
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً<sup>(٦)</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ<sup>(٧)</sup>

(١) (تُخْرِجُونَ) حمزة وعليّ وخلف . أى ومثل ذلك الإخراج (تخرجون) من قبوركم .  
والكاف في محل النصب بتخرجون . والمعنى أن الإبداء والإعادة يتساويان في قدرة من هو  
قادر على إخراج الميت من الحى وعكسه . روى ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال " من قرأ (فسبحان الله حين تمسون) إلى الثلاث وآخر سورة (والصافات) دبر  
كل صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الأمطار وورق الأشجار وتراب  
الأرض . فإذا مات أجرى له بكل حرف عشر حسنات في قبره " . قال عليه السلام " من قرأ  
حين يصبح (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) إلى قوله (وكذلك تخرجون) أدرك  
مافاته في يومه . ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته " .

(٢) ومن علامات ربوبيته وقدرته .

(٣) أى أباكم .

(٤) أى آدم وذريته .

(٥) تتصرفون فيما فيه معاشكم ، و (إذا) للفاجأة . وتقديره (ثم) فاجأتم وقت كونكم بشرا  
منتشرين في الأرض .

(٦) أى حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام . والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال .  
أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر . وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من  
الإلف والسكون ، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر . يقال سكن إليه إذا مال إليه .

(٧) أى (جعل بينكم) التواد والتراحم بسبب الزواج . وعن الحسن المودّة كناية عن الجماع ،  
والرحمة عن الولد . وقيل المودّة للشابة ، والرحمة للعجوز . وقيل المودّة والرحمة من الله ،  
والفرك من الشيطان ، أى بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة .

(٨) (إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون أنّ قوام الدنيا بوجود التناسل .

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ السِّنِّكُمْ وَالْوَلَدِكُمْ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ<sup>(٢)</sup> وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
 وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ<sup>(٣)</sup>  
 وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً<sup>(٤)</sup>

(١) أى اللغات أو أجناس النطق وأشكاله .

(٢) كالسواد والبياض وغيرهما . ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو تشاكت  
 واتفقت لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت المصالح . وفى ذلك آية بيّنة حيث ولدوا من أب  
 واحد وهم على الكثرة التى لا يعلمها إلا الله متفاوتون .

(٣) للعالمين) جمع عالم . وبكسر اللام حفص جمع عالم . ويشهد للكسر قوله تعالى  
 (وما يعقلها إلا العالمون) .

(٤) هذا من باب اللف . وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغائكم من فضله بالليل والنهار .  
 إلا أنه فصل بين القرنين الأولين بالقرنين الآخرين . أو المراد منامكم فى الزمانين وابتغائكم  
 فيهما . والجمهور على الأول لتكرره فى القرآن . وأسد المعانى ما دلّ عليه القرآن .

(٥) أى يسمعون سماع تدبر بأذان واعية .

(٦) فى (يريكُم) وجهان إضماران كما فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه ، وإنزال الفعل منزلة  
 المصدر . وبهما فسر المثل "تسمع بالمعبدى خير من أن تراه" أى أن تسمع أو سماعك .

(٧) (خوفا) من الصاعقة أو من الإخلاف (وطمعا) فى الغيث . أو (خوفا) للسافر  
 (وطمعا) للحاضر . وهما منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه  
 مقامه — أى إرادة خوف وإرادة طمع ؛ أو على الحال أى خائفين وطامعين .

(٨) وبالتخفيف مكي وبصرى .

(٩) مطرا .

فِيحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾  
 وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةَ  
 مَنِ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 كُلُّ لَهٍ قَنِينُونَ ﴿٣﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴿٤﴾

(١) يتفكرون بعقولهم .

(٢) تثبت بلا عمد .

(٣) أى بإفامته وتدييره وحكمته .

(٤) (ثم إذا دعاكم) للبعث (دعوة من الأرض إذا أتم تخرجون) من قبوركم . هذا كقوله (يربكم) فى إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى . كأنه قال (ومن آياته) قيام السموات والأرض واستمساكها بغير عمد ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة : يأهل القبور اخرجوا . والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف . وإتما عطف هذا على قيام السموات والأرض بتم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول يأهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) . و (إذا) الأولى للشرط والثانية للفاجأة وهى تنوب مناب الفاء فى جواب الشرط . و (من الأرض) متعلق بالفعل لا بالمصدر . وقولك دعوته من مكان كذا يجوز أن يكون مكانك ويجوز أن يكون مكان صاحبك .

(٥) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه أو مقرنون بالعبودية .

(٦) أى ينشئهم .

(٧) (ثم يعيده) للبعث .

(٨) أى البعث أيسر (عليه) عندكم ، لأن الإعادة عندكم أسهل من الإنشاء . فلم انكرتم

وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾  
 ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ  
 فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ تَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴿١٠١﴾

الإعادة؟ وأخرت الصلة في قوله (وهو أهون عليه) وقدمت في قوله (وهو على هين) لقصد الاختصاص هناك وأما هنا فلا معنى للاختصاص. وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما الأهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله أكبر أى كبير. والإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء. أو (هو أهون) على الخلق من الإنشاء. لأن قيامهم بصيحة واحدة أسهل من كونهم نظفا ثم علقا ثم مضغا إلى تكيل خلقهم.

(١١) أى (وله) الوصف الأعلى الذى ليس لغيره وقد عرف به ووصف (في السموات والأرض) على السنة الخلائق وألسنة الدلائل. وهو أنه القادر الذى لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات. ويدل عليه قوله (وهو العزيز) أى القاهر لكل مقدور (الحكيم) الذى يجرى كل فعل على قضايا حكيمة وعلمه. وعن ابن عباس رضى الله عنهما المثل الأعلى (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير). وعن مجاهد هو قول لا إله إلا الله. ومعناه (وله) الوصف الأرفع الذى هو الوصف بالوحدانية. وبعضه قوله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) فهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه. و(من) للابتداء. كأنه قال: أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهى أنفسكم. (هل لكم) معاشر الأحرار (مما ملكت أيما نكم) عبيدكم - و(من) للتبويض - (من شركاء)؟ (من) مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفي. ومعناه هل ترضون لأنفسكم - وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر، وعبيدكم كعبيدكم - أن يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الأموال وغيرها (فأتم) معاشر الأحرار والعبيد في ذلك الرزق (سواء) من غير تفصلة بين حرّ وعبد، يحكم مما يليكم تحكمكم



كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ <sup>(١)</sup> بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا <sup>(٢)</sup> أَهْوَاءَهُمْ  
 بِغَيْرِ عِلْمٍ <sup>(٣)</sup> فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ <sup>(٤)</sup> وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ <sup>(٥)</sup>  
 فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>

(تخافونهم) حال من ضمير الفاعل في (سواء). أي متساوون خائفنا بعضكم بعضا مشاركتة في المال.  
 والمعنى تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تمضون فيها حكما دون إذنهم خوفا من لأمة  
 تلحقكم من جهتهم (تخيفتكم أنفسكم) يعني كما يخاف بعض الأحرار بعضا فيما هو مشترك  
 بينهم. فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد  
 أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء.

(١) موضع الكاف نصب أي مثل هذا التفصيل (نفصل الآيات) نبيتها لأن التمثيل مما  
 يكشف المعاني ويوضحها (لقوم يعقلون) يتدبرون في ضرب الأمثال.

(٢) لما لم يترجروا أضرب عنهم فقال (بل اتبع الذين ظلموا) أنفسهم بما أشركوا  
 كما قال الله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم).

(٣) أي اتبعوا (أهواءهم) جاهلين.

(٤) أي أضله الله تعالى.

(٥) (وما لهم من ناصرين) من العذاب.

(٦) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا. وهو تمثيل لإقباله على  
 الدين واستقامته عليه واهتمامه بأسبابه. فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه، وسدد إليه نظره  
 وقوم له وجهه.

(٧) حال من المأمور أو من الدين.

فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ<sup>(٣)</sup>  
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(٤)</sup> مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ<sup>(٥)</sup> وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ<sup>(٦)</sup>

(١) أى الزموا (فطرة الله) والفطرة الخلقة . ألا ترى إلى قوله (لا تبديل لخلق الله) . فالمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد والإسلام غير فائين عنه ولا منكين له لكونه مجاوباً للعقل مساوفاً للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر . ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن والإنس . ومنه قوله عليه السلام "كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بى غيرى" ، وقوله عليه السلام "كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه" . وقال الزجاج معناه أن الله تعالى فطر الخلق على الإيمان به ، على ما جاء فى الحديث "إن الله عز وجل أخرج من صلب آدم كالنذر وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم" فقال (وإذ أخذ ربك) إلى قوله (فالوا بلى) . وكل مولود هو من تلك الذرية التى شهدت بأن الله تعالى خالقها . فعنى (فطرة الله) دين الله .

(٢) أى خلق .

(٣) (لا تبديل لخلق الله) أى ما ينبغى أن تبدل تلك الفطرة أو تغير . وقال الزجاج : معناه لا تبديل لدين الله . ويدل عليه ما بعده وهو قوله (ذلك الدين القيم) أى المستقيم .

(٤) (لا يعلمون) حتمية ذلك .

(٥) راجعين إليه . وهو حال من الضمير فى الزموا — وقوله (واتقوه) ، وأقيموا ، ولا تكونوا) معطوف على هذا المضممر . أو من قوله (فأقم وجهك) لأن الأمر له عليه السلام أمر لأتمته فكانه قال فأقيموا وجوهكم (منيبين إليه) . أو التقدير كونوا (منيبين) . دليله قوله (ولا تكونوا) .

(٦) أى أدوها فى أوقاتها .

وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ <sup>(١)</sup> مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا  
 شِيَعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ <sup>(٢)</sup> وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا  
 رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقْنَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ <sup>(٣)</sup>  
 لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ <sup>(٤)</sup> أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا  
 فَهُوَ يَتَكَلَّمُ <sup>(٥)</sup>

(١) ممن يشرك به غيره في العبادة .

(٢) بدل من (المشركين) بإعادة الجاز .

(٣) جعلوا أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم . (فارقوا) حمزة وعلى . وهي قراءة علي رضي الله عنه . أى تركوا دين الإسلام .

(٤) فرقا كل واحدة تشايح إمامها الذى أضلها .

(٥) (كل حزب) منهم فرح بمذهبه مسرور بحسب باطله حقا .

(٦) شدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك .

(٧) أى خلاصا من الشدة .

(٨) (يشركون) فى العبادة .

(٩) (ليكفروا) — هذه لام كي . وقيل لام الأمر للوعيد — (بما آتيناهم) من النعم

(فتمتعوا) بكفركم قليلا — أمر وعيد — (فسوف تعلمون) وبال تمتعكم .

(١٠) حجة .

(١١) وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكنا وهذا مما نطق به القرآن . ومعناه الشهادة .

كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحة .

بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ <sup>(١)</sup> وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً <sup>(٢)</sup> فَرِحُوا بِهَا <sup>(٣)</sup>  
 وَإِنْ تَصِبَّهُمْ سَيْئَةٌ <sup>(٤)</sup> بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ <sup>(٥)</sup> إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ <sup>(٦)</sup> أَوْ لَمْ يَرَوْا  
 أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ <sup>(٧)</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
 يُؤْمِنُونَ <sup>(٨)</sup> فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ <sup>(٩)</sup> ذَلِكَ

(١) ما مصدرية أى بكونهم بالله (يشركون) . أو موصولة ويرجع الضمير إليها أى فهو يتكلم بالأمر الذى بسببه يشركون .

أو معنى الآية (أم أنزلنا عليهم) ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون .

(٢) أى نعمة من مطر أو سعة أو صحة .

(٣) بطروا بسببها .

(٤) أى بلاء من جذب أو ضيق أو مرض .

(٥) بسبب شؤم معاصيهم .

(٦) (إذا هم يقنطون) من الرحمة . و(إذا) لمفاجأة جواب الشرط نابت عن الفاء لتأخيها فى التعقيب .

(٧) أنكروا عليهم بأنهم قد علموا بأنه القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون إليه تائبين عن المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمته .

(٨) لما ذكر أن السيئة أصابهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك فقال (آت ذى القربى) أعط قريبك (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) نصيبهما من الصدقة المسماة لهما . وفيه دليل وجوب النفقة للحارم كما هو مذهبنا .

(٩) أى إيتاء حقوقهم .

خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ <sup>(١)</sup> وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ وَمَا آتَيْتُمُ  
 مِنْ رَبًّا لِيَرْبُؤَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا عِنْدَ اللَّهِ <sup>(٢)</sup> وَمَا آتَيْتُمُ مِنْ زَكَاةٍ  
 تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ  
 ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ  
 مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾

(١) أى ذاته أى يقصدون بمعروفهم إياه خالصا .

(٢) يريد وما أعطيتم أكلة الربا (من ربا ليربوا) فى أموالهم ، فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه .  
 وقيل هو من الربا الحلال ، أى وما تعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر منها (فلا يربوا عند الله)  
 لأنكم لم تريدوا بذلك وجه الله (أتيتم من ربا) بلا مد مكى . أى وما غشيتموه من إعطاء ربا .  
 (ليربوا) مدنى . أى لتريدوا فى أموالهم .

(٣) (وما آتيتم من) صدقة تبغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء  
 ولا سمعة ، (فأولئك هم) ذوو الإضعاف من الحسنات . ونظير المضعف المقوى والموسر لذى  
 القوة واليسار . وقوله (فأولئك هم المضعفون) التفات حسن لأنه يفيد التعميم كأنه قيل : من فعل هذا  
 فسبيله سبيل المخاطبين والمعنى (المضعفون) به لأنه لا بد له من ضمير يرجع إلى (ما) الموصولة .  
 وقال الزجاج فى قوله (فأولئك هم المضعفون) أى فأهلها (هم المضعفون) أى هم الذين  
 يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها .

(٤) أشار إلى عجز آلهتهم فقال (الله الذى خلقكم) — مبتدأ وخبر — أى هو المختص  
 بالخلق والرزق والإيمانة والإحياء (هل من شركائكم) أى أصنامكم التى زعمتم أنهم شركاء لله  
 (من يفعل من ذلكم) أى من الخلق والرزق والإيمانة والإحياء (من شىء) أى شيئا من  
 تلك الأفعال . فلم يجيبوا عجزا . فقال استبعادا : (سبحانه وتعالى عما يشركون) . و(من)  
 الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيدها لتعجز شركائهم وتجهيل عبيدهم .

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي  
 عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ  
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ  
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ ﴿٣﴾  
 مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٤﴾

(١) (ظهر الفساد في البر والبحر) — نحو الفحط وقلة الأمطار والريع في الزراعات والربح  
 في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات من كل شيء —  
 بسبب معاصيهم وشركهم — كقوله (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) —  
 (ليذيقهم) وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة — وبالنون عن قبل —  
 (لعلهم يرجعون) عما هم عليه من المعاصي . ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله .  
 (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم  
 بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم .

(٢) البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج .

(٣) هو مصدر بمعنى الرد .

(٤) يتعلّق بـ (يأتى) . والمعنى (من قبل أن يأتى) من الله يوم لا يردّه أحد كقوله تعالى  
 (فلا يستطيعون ردها) . أو بـ (مرّد) على معنى لا يردّه هو بعد أن يجيء به ولا ردّ له من جهته .

(٥) يتصدعون أى يتفرقون .

(٦) أشار إلى غناه عنهم فقال (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره (ومن عمل  
 صالحا فلا لنفسهم يمهّدون) أى يسوّون لأنفسهم ما يسوّيه لنفسه الذى يمهّد لنفسه فراشه

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ <sup>(٢)</sup> إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
 الْكَافِرِينَ <sup>(٣)</sup> وَمِنْ ءَايَاتِهِ <sup>(٤)</sup> أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ  
 رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ <sup>(٥)</sup>

ويوطئه لثلا يصيبه في مضجعه ما ينقص عليه مرقدته من نتوء وغيره . والمعنى أنه يمهدهم  
 الجنة بسبب أعمالهم فأضيف إليهم . وتقديم الظرف في الموضوعين للدلالة على أن ضرر  
 الكفر لا يعود إلا على الكافر ، ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تجاوزه .

(١) (ليجزى) متعلق بـ (يمهدون) وتعليل له . وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)  
 وترك الضمير إلى الصريح ، لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن .

(٢) أى عطائه .

(٣) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس .

(٤) أى ومن آيات قدرته .

(٥) (الرياح) هى الجنوب والشمال والصبيا . وهى رياح الرحمة . وأما الدبور فريح  
 العذاب . ومنه قوله عليه السلام "اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا" . وقد عدد الفوائد  
 فى إرسائها فقال (مبشرات) أى أرسلها للبخارة بالغيث ، (وليذيقكم من رحمته) ولإذافة الرحمة  
 وهى نزول المطر ، وحصول الخصب الذى يتبعه ، والروح الذى مع هبوب الريح ، وزكاء  
 الأرض ، وغير ذلك — (وليذيقكم) معطوف على (مبشرات) على المعنى . كأنه قيل ليبشركم  
 وليذيقكم ، (ولتجرى الفلك) فى البحر عند هبوبها (بأمره) أى بتدبيره أو بتكوينه كقوله  
 (إنما أمره إذا أراد شيئا) الآية ، (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر ، (ولعلكم تشكرون)  
 ولتشكروا نعمة الله فيها .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ بِغَاءِ وَهُمْ بِالْبَيْتِ فَاتَّقَمْنَا  
 مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ <sup>(١)</sup> اللَّهُ الَّذِي  
 يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ  
 كِسْفًا فَرَىٰ الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ <sup>(٢)</sup> فَإِذَا أَصَابَ بِهِ <sup>(٣)</sup> مِنْ يَسَاءٍ  
 مِنْ عِبَادِهِ <sup>(٤)</sup> إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ <sup>(٥)</sup>

(١) (بغاء وهم بالبيئات) أى فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم . ويدل على هذا الإيضاح قوله  
 (فانتقمنا من الذين أجمعوا) — أى كفروا — بالإهلاك فى الدنيا، (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)  
 أى وكان نصر المؤمنين حقاً علينا بإنجائهم مع الرسل .

وقد يوقف على (حقاً) . ومعناه (وكان) الانتقام منهم (حقاً) . ثم تبدئ (علينا نصر  
 المؤمنين) . والأول أصح .  
 (٢) (الريح) مكى .

(٣) (فيسطه) أى السحاب (فى السماء) أى فى سمت السماء وشقها — كقوله (وفرعها  
 فى السماء) — و(كيف يشاء) من ناحية الشمال أو الجنوب أو الدبور أو الصبا (ويجعله كسفا)  
 قطعاً جمع كسفة أى يجعله منبسطة يأخذ وجه السماء مرة، ويجعله قطعاً متفرقة غير منبسطة  
 مرة — (كسفا) يزيد وابن ذكوان — (فترى الودق) المطر (يخرج) فى التارتين جميعاً  
 (من خلاله) وسطه .

(٤) بالودق .

(٥) يريد إصابة بلادهم وأراضيهم .

(٦) يفرحون .



وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْسِلِينَ ﴿١﴾ فَانظُرْ  
إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ  
لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا  
فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٣﴾

(١) (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر - (من قبله) كرر للتأكيد كقوله (فكان حاقبتما أنهما في النار خالدين فيها) . ومعنى التوكيد فيها الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تناول فاستحکم بأسهم فكان الاستبشار على قدر اعتمادهم بذلك - (لمبلسين) آيسين .

(٢) شامى وكوفى غير أبى بكر . وغيرهم (أثر) .

(٣) أى المطر .

(٤) (كيف يحيى الأرض) بالنبات وأنواع الثمار .

(٥) أى الله .

(٦) يعنى أن ذلك القادر الذى يحيى الأرض بعد موتها هو الذى يحيى الناس بعد موتهم .  
فهذا استدلال بإحياء الموات على إحياء الأموات .

(٧) أى (وهو على كل شيء) من المقدورات قادر . وهذا من جملة المقدورات بدليل الإتياء .

(٨) أى الدبور .

(٩) (فأروه) أى أثر رحمة الله - لأن رحمة الله هى الغيث وأثرها النبات . ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه . لأن معنى آثار الرحمة النبات . واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ما ينبت - (مصفراً) بعد اخضراره . وقال (مصفراً) لأن تلك صفرة حادثة . وقيل (فأروا السحاب مصفراً) لأن السحاب الأصفر لا يمطر . واللام فى (لئن) موطئة للقسم

فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الْأَصْمَّ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ <sup>(٢)</sup>  
 وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ <sup>(٤)</sup> إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا  
 فَهُمْ مُسْلِمُونَ <sup>(٥)</sup> اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ <sup>(٦)</sup> ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً <sup>(٧)</sup>

دخلت على حرف الشرط . وسد مسد جوابى القسم والشرط (لظلوا) ومعناه ليظنن (من بعده) أى من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار (يكفرون) . ذمهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين . فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا . فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله . فهم فى جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله ، فقنطوا ؛ وأن يشكروا نعمته ويمجدوه عليها ، وفرحوا ؛ وأن يصبروا على بلائه ، فكفروا .

(١) أى موتى القلوب أو هؤلاء فى حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك .

(٢) (ولا يسمع الصم) — مكي — (الدعاء إذا ولوا مدبرين) . فإن قلت : الأصم لا يسمع مقبلا أو مدبرا . فما فائدة هذا التخصيص ؟ قلت هو إذا كان مقبلا يفهم بالرمز والإشارة . فإذا ولى لا يسمع ولا يفهم بالإشارة .

(٣) أى عمى القلوب . (وما أنت تهدى العمى) — حمزة — أى لا يمكنك أن تهدى الأعمى إلى طريق قد ضل عنه بإشارة منك له إليه .

(٤) ما تسمع .

(٥) متقادون لأوامر الله تعالى .

(٦) من النطف كقوله (من ماء مهين) .

(٧) معنى حال الشباب وبلوغ الأشد .

ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ <sup>(٣)</sup>  
 وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ <sup>(٤)</sup> مَا لَيْسُوا بِغَيْرِ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا <sup>(٥)</sup>  
 يُؤْفَكُونَ <sup>(٦)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ <sup>(٧)</sup>

(١) يعنى حال الشيخوخة والهرم .

(٢) من ضعف وقوة وشباب وشيبة .

(٣) (وهو العليم) بأحوالهم (القدير) على تغييرهم . وهذا الترديد في الأحوال أبين دليل على الصانع العليم القدير .

فتح الضاد في الكل عاصم وحمزة، وضمّ غيرهما وهو اختيار حفص . وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روى عن ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ضعف) فأقرأني (من ضعف) .

(٤) أى القيامة . سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، أو لأنها تقع بغتة كما تقول "في ساعة" لمن تستعجله . وجرت عليها كالتنجيم للثريا .

(٥) يخلف الكافرون . ولا وقف عليه ، لأن (مالبثوا) جواب القسم .

(٦) (مالبثوا) في القبور أو في الدنيا (غير ساعة) . استقلوا مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا لهول يوم القيامة وطول مقامهم في شدائدها ، أو ينسون ، أو يكذبون .

(٧) أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق إلى الكذب في الدنيا ويقولون (ما هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) .

(٨) هم الأنبياء والملائكة والمؤمنون .

لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ  
 كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ  
 يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ  
 بِبَيِّنَاتٍ لَيَقُولُنَّ آذِينَ كَفَرُوا وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ ﴿٧﴾

(١) (لقد لبثتم) فى علم الله المثبت فى اللوح ، أو فى حكم الله وقضائه (إلى يوم البعث) .  
 ودوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة . ثم وصلوا ذلك بتقريعههم على إنكار  
 البعث بقولهم (فهذا يوم البعث) . والفاء لجواب شرط يدل على الكلام تقديره إن كنتم منكرين  
 البعث (فهذا يوم البعث) الذى أنكرتموه .

(٢) (ولكنكم كنتم) فى الدنيا (لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه .

(٣) بالياء ، كوفى .

(٤) كفروا .

(٥) عذرهم .

(٦) أى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة . من قولك "استعبنى فلان فأعنته" أى استرضانى  
 فأرضيته .

(٧) أى ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة  
 عجيبه الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصصنا لهم وما يقال لهم وما لا ينفع من  
 اعتذارهم ولا يسمع من استعابهم . ولكنهم لقسوة قلوبهم إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا  
 جئتنا بزور وباطل .

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(١)</sup> فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ <sup>(٢)</sup>  
وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ <sup>(٣)</sup>

(١) أى مثل ذلك الطبع - وهو الختم - يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله منهم اختيار الضلال حتى يسموا المحققين مبطلين . وهم أعرق خلق الله فى تلك الصفة .

(٢) (فاصبر) على أذاهم أو عداوتهم (إن وعد الله) بنهرتك على أعدائك وإظهار دين الإسلام على كل دين (حق) لا بد من إنجازه والوفاء به .

(٣) أى لا يجهلئك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفة والعجلة فى الدعاء عليهم بالعذاب . أو لا يجهلئك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون . فانهم ضلال شاكون لا يستبدع منهم ذلك . (ولا يستخفئك) بسكون النون عن يعقوب . والله الموفق للصواب .

## سورة لقمان مكيّة

وهى ثلاث أو أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ <sup>(١)</sup> هُدًى وَرَحْمَةً  
 لِلْمُحْسِنِينَ <sup>(٢)</sup> الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ  
 يُوقِنُونَ <sup>(٣)</sup> أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ <sup>(٤)</sup> وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ <sup>(٥)</sup>

(١) ذى الحكمة . أو وصف بصفة الله عز وجل على الإسناد المجازى .

(٢) (هدى ورحمة) حالان من الآيات . والعامل معنى الإشارة فى (تلك) . حمزة بالرفع على أن (تلك) مبتدأ و (آيات الكتاب) خبره و (هدى) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف . أى هو أو هى (هدى ورحمة للمحسنين) للذين يعملون الحسنات المذكورة فى قوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) . ونظيره قول أوس .

الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع

أو للذين يعملون جميع ما يحسن . ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاثة لفضلها .

(٣) مبتدأ وخبر .

(٤) صفة لهدى .

(٥) عطف عليه .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا  
هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ <sup>(٧)</sup> وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا <sup>(٨)</sup>

(١) نزلت في النضر بن الحرث . وكان يشتري أخبار الأ كاسرة من فارس ويقول إن  
تجدد يقص طرفا من قصة عاد وثمود . فانا أحدثكم بأحاديث الأ كاسرة . فيميلون إلى حديثه  
ويتركون استماع القرآن . واللهو كل باطل الهوى عن الخير وعمّا يعنى . وهو الحديث نحو السمر  
بالأساطير التي لا أصل لها والغناء . وكان ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما يخلفان أنه  
الغناء . وقيل : الغناء مفسدة للقلب منغدة للسال مسخطة للرب . وعن النبي صلى الله عليه وسلم  
”ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر  
على هذا المنكب فلا يزالان يضر بانه بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت“ . والاشتراء من  
الشراء كما روى عن النضر ، أو من قوله (اشترؤا الكفر بالإيمان) أى استبدلوه منه واختاروه  
عليه . أى يختارون حديث الباطل على حديث الحق . وإضافة اللهو إلى الحديث للتبيين بمعنى من  
لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث . والمراد بالحديث الحديث المنكر  
كما جاء فى الحديث ”الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش“ .  
أو للتبعيض كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذى هو اللهو منه .

(٢) أى ليصد الناس عن الدخول فى الإسلام واستماع القرآن . (ليضل) مكى وأبو عمرو  
أى ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ويزيد فيه .

(٣) عن دين الإسلام والقرآن .

(٤) أى جهلا منه بما عليه من الوزر به .

(٥) أى السبيل . بالنصب ، كوفى غير أبى بكر ، عطف على (ليضل) . ومن رفع عطفه  
على (يشتري) .

(٦) بسكون الزاى والهمزة ، حمزة . وبضم الزاى بلا همز ، حفص . وغيرهم بضم  
الزاى والهمزة .

(٧) أى يهينهم - (من) لإيهامه يقع على الواحد والجمع - أى النضر وأمثاله .

(٨) أعرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن الإصغاء إلى القرآن .

كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعَهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرَأَ فَبَشَّرَهُ بِعَذَابِ الْإِيمِ (١) إِنَّ  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٢) خَالِدِينَ  
 فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا (٣) وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا (٥) وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَى أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ (٦) وَبَثَّ  
 فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ (٧)

(١) يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها . وهو حال من (مستكبرا) . والأصل كأنه .  
 والضمير ضمير الشأن .

(٢) مثقلا . وهو حال من (لم يسمعها) . (أذنيه) نافع .

(٣) لا وقف على (لهم جنات النعيم) . لأن (خالدين فيها) حال من الضمير في (لهم) .

(٤) مصدران مؤكدان . الأول مؤكد لنفسه . والثاني مؤكد لغيره . إذ (لهم جنات النعيم)  
 في معنى وعدهم الله جنات النعيم . فأكد معنى الوعد بالوعد . و (حقا) يدل على معنى الثبات .  
 فأكد به معنى الوعد . ومؤكدهما (لهم جنات النعيم) .

(٥) (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شئ فيهن أعداءه بالعذاب المهين ، (الحكيم) بما يفعل  
 فيثيب أوليائه بالنعيم المقيم .

(٦) جمع عماد .

(٧) الضمير للسماوات . وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله (بغير عمد) .  
 كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح ترانى . ولا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة .  
 أو في محل الجزاء لعمد أى بغير عمد مرئية . يعنى أنه عمدها بعمد لا ترى . وهى إمساكها  
 بقدرته .

(٨) جبالات ثوابت .

(٩) لئلا تضطرب بكم

(١٠) ونشر .

(١١) صنف .



(١) كَرِيمٌ ﴿١﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ  
الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ  
(٢) (٣) (٤) (٥)

(١) حسن .

(٢) (هذا) - إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته - (خالق الله) أى مخلوقه (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) يعنى آلهتهم . بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله فأروني ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة .

(٣) أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالثورط في ضلال ليس بعده ضلال .

(٤) هو لقمان بن باعوراء، ابن أخت أيوب أو ابن خالته . وقيل كان من أولاد آزر . وعاش ألف سنة . وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم . وكان يفتى قبل مبعث داود عليه السلام . فلما بعث قطع الفتوى . فقيل له . فقال : ألا أكتفى إذا كُفيت ؟ وقيل كان خياطاً . وقيل نجاراً . وقيل راعياً . وقيل كان قاضياً في بني إسرائيل . وقال عكرمة والشعبي كان نبياً . والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً . وقيل خير بين النبوة والحكمة . وهى الإصابة في القول والعمل . وقيل تتلمذ لألف نبي . وتتلمذ له ألف نبي .

(٥) (أن) مفسرة . والمعنى أى (اشكر الله) لأن إيتاء الحكمة في معنى القول . وقد نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما ، وعبادة الله والشكر له ، حيث فسّر إيتاء الحكمة بالحث على الشكر . وقيل لا يكون الرجل حكيماً حتى يكون حكيماً في قوله وفعله ومعاشرته وصحبته . وقال السري السقطي - الشكر ألا نعصى الله بنعمه . وقال الجنيد : ألا نرى معه شريكاً في نعمه . وقيل : هو الإقرار بالعجز عن الشكر . والحاصل أن شكر القلب المعرفة ، وشكر اللسان الحمد ، وشكر الأركان الطاعة . ورؤية العجز في السكّ ، دليل قبول الكل .

وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١) وَإِذْ قَالَ  
 لِقَوْمِنُ لِابْنِهِ (٢) وَهُوَ يَعِظُهُ (٣) يَبْنِي (٤) لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (٥)  
 وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ  
 لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ (٦) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ (٧)

(١) لأن منفعته تعود إليه فهو يريد المزيد .

(٢) (ومن كفر) النعمة (فإن الله غنى) غير محتاج إلى الشكر (حميد) حقيق بأن يحمده وإن لم يحمده أحد .

(٣) أى (و) اذكر (إذ) .

(٤) أنعم أو أشكم .

(٥) بالإسكان ، مكى . (يا بنى) ، حفص بفتح في كل القرآن

(٦) لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا وهى منه ومن لا نعمة له أصلا .

(٧) أى (حملته) تهن (وهنا على وهن) أى تضعف ضعفا فوق ضعف ، أى يتزايد ضعفها ويتضاعف . لأن الحمل كلما ازداد أو عظم ازدادت ثقلا وضعفا .

(٨) أى فطامه عن الرضاع لتمام عامين .

(٩) هو تفسير (ووصينا) أى وصيناه بشكرنا وبشكر والديه . وقوله (حملته أمه وهنا على وهن وفضاله في عامين) اعتراض بين المفسر والمفسر ، لأنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم وتعانيه من المشاق في حملها وفضاله هذه المدة الطويلة تذكيرا بحقوقها العظيم مقردا . وعن ابن عيينة : "من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما" .

(١٠) أى مصيرك إلى وحسابك على .

(١١) أراد بنى العلم به نفيه . أى لا تشرك بى ما ليس بشىء ، يريد الأصنام .

فَلَا تُطْعَمُهُمَا<sup>(١)</sup> وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا<sup>(٢)</sup> وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ  
إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ<sup>(٤)</sup> فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(٥)</sup> ﴿١٠﴾ يَبْنِي  
إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ نَخْرَدٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي  
السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ<sup>(٦)</sup> إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ<sup>(٧)</sup> ﴿١١﴾

(١) فلا تطعمهما في الشرك .

(٢) صفة مصدر محذوف . أى صحابا (معروفا) حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة .

(٣) أى (واتبع سبيل) المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا . وقال ابن عطاء : "صاحب من ترى عليه أنوار خدمتي" .

(٤) أى مرجعك ومرجعهما .

(٥) فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما .

وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك . يعنى إنا وصيناك بالديه وأمرناه ألا يطيعهما في الشرك ، وإن جهدا كل الجهد ، لقبه .

(٦) (مثقال) بالرفع ، مدنى . والضمير للقصة . وأنت المثقال لإضافته إلى الحبة كما قال :

\* كما شرفت صدر القناة من الدم \* وكان تامة . والباقون بالنصب . والضمير للهنة من الإساءة والإحسان . أى إن كانت مثلا في الصغر كحبة نردل ، فكانت مع صغرها فى أخفى موضع وأحرزه بكوف الصخرة ، أو حيث كانت فى العالم العلوى أو السفلى — والأكثر على أنها التى عليها الأرض وهى السجين يكتب فيها أعمال الفجار . وليست من الأرض — (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها .

(٧) (إن الله لطيف) بتوصل علمه إلى كل خفى (خير) عالم بكنهه . أو (لطيف)

باستخراجها (خير) بمستقرها .

يَبْنِي أقيم الصَّلَاةَ وَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ<sup>(٢)</sup> وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ<sup>(٣)</sup>  
 فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ<sup>(٤)</sup> وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ<sup>(٥)</sup>  
<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>

(١) (على ما أصابك) من الأذى إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر .  
 أو (على ما أصابك) من المحن ، فإنها تورث المنح .

(٢) (إن ذلك) الذى وصيتك به مما عزمه الله من الأمور أى قطعه قطع إيجاب وإلزام  
 أى أمر به أمرا حتما . وهو من تسمية المفعول بالمصدر . وأصله من معزومات الأمور  
 أى مقطوعاتها ومفروضاتها . وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأمورا بها فى سائر الأيام .

(٣) أى ولا تعرض عنهم تكبرا . (تصاعر) ، أبو عمرو ونافع وحجة وعلى . وهو بمعنى  
 (تصعر) . والصعر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه . والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا  
 ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون .

(٤) أى تمشح (مرحا) . أو أوقع المصدر موقع الحال أى مرحا . أو (ولا تمش) لأجل  
 المرح والأثر .

(٥) متكبر .

(٦) من يعدد مناقبه تطاولا .

(٧) القصد التوسط بين العلو والتقصير أى اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لاتدب  
 ديب المياوتين ولا تثب وثوب الشطار . قال عليه السلام "سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن"  
 وأما قول عائشة فى عمر رضى الله عنه : "كان إذا مشى أسرع" ، فإتما أرادت السرعة المرتفعة  
 عن ديب المياوت . وعن ابن مسعود رضى الله عنه "كانوا ينهون عن خيب اليهود وديب  
 النصرارى ولكن مشيا بين ذلك" وقيل : معناه وانظر موضع قدميك متواضعا .

وَأَغْضَضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ <sup>(٢)</sup> أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ  
 سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ <sup>(٣)</sup>  
 وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ <sup>(٤)</sup>

(١) وانقص منه أى اخفض صوتك .

(٢) أى (إن) أوحشها (لصوت الحمير) لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار .  
 وعن الثورى صباح كل شيء تسبيح إلا الحمار فإنه يصبح لرؤية الشيطان . ولذلك سماه الله  
 منكرا . وفي تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيه على أن رفع الصوت  
 في غاية الكراهة . يؤيده ما روى أنه عليه السلام كان يعجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت  
 ويكره أن يكون مجهور الصوت . وإنما وحد صوت الحمير ولم يجمع لأنه لم يرد أن يذكر صوت  
 كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع ، بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت  
 وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده .

(٣) يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك .

(٤) يعنى البحار والأنهار والمعادن والدواب وغير ذلك .

(٥) وأتم .

(٦) مدنى وأبو عمرو وسهل وحفص . (نعمته\*) غيرهم . والنعمة كل نفع قصد به الإحسان .

(٧) (ظاهرة) بالمشاهدة (وباطنة) ما لا يعلم إلا بدليل . ثم قيل الظاهرة البصر والسمع  
 واللسان وسائر الجوارح الظاهرة ، والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك . ويروى  
 في دعاء موسى عليه السلام : إلهى دأنى على أخفى نعمتك على عبادك . فقال أخفى نعمتى عليهم  
 النفس . وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع ، وانخلق واخلق ، ونيل العطايا وصرف  
 البلايا ، وقبول الخلق ورضا الرب . وقال ابن عباس : الظاهرة ماسوى من خلقك ، والباطنة  
 ما ستر من عيوبك .

(٨) نزلت في النضر بن الحرث . وقد مر في الحجج .

(\*) نعمة .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا  
 أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ <sup>(١)</sup> وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَىٰ  
 اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَىٰ اللَّهِ عَنُقَةُ الْأُمُورِ <sup>(٢)</sup>  
 وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ <sup>(٣)</sup> وَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ  
 عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ <sup>(٤)</sup> نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ <sup>(٥)</sup>

(١) معناه (أ) يتبعونهم (ولو كان الشيطان يدعوهم) أى فى حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب .

(٢) عدى هنا بلى وفى (بلى من أسلم وجهه لله) باللام . فمعناه مع اللام أنه جعل وجهه — وهو ذاته ونفسه — سالما لله أى خالصا . ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه . والمراد التوكل عليه والتفويض إليه .

(٣) (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن) فيما يعمل (فقد) تمسك وتعلق (بالعروة) هى ما يعلق به الشيء (الوثقى) تأنيث الأوثق . مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاقق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من جبل متين مأمون انقطاعه .

(٤) أى هى صائرة إليه فيجازى عليها .

(٥) (ومن كفر) ولم يسلم وجهه لله (فلا يحزنك كفره) من حزن (يحزنك) نافع من أحرز . أى لا يهمنك كفر من كفر .

(٦) فتعاقبهم على أعمالهم .

(٧) (إن الله) يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه .

(٨) (نمتتهم) زمانا (قليلا) بديانهم (ثم نضطرهم) ناجئهم (إلى عذاب غليظ) شديد . شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطراب المضطر إلى الشيء . والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة . والمراد الشدة والنقل على المعذب .

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣﴾ وَلَوْ أَنَّكَ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ  
 أَقْلَمُ وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴿٤﴾

(١) إزاءهم على إقرارهم بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وألا يعبد معه غيره .

(٢) (لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم . وإذا نبهوا عليه لم يتنبهوا .

(٣) (الغني) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحق للحمد وإن لم يحمده .

(٤) قال المشركون إن هذا - أي الوحي - كلام سينفذ . فأعلم الله أن كلامه لا ينفذ . (والبحر) بالنصب ، أبو عمرو ويعقوب ، عطفاً على اسم أن وهو (ما) . والرفع على محل (أن) ومعمولها . أي ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر . أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً . وقرئ (يمده) . وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد . لكن أغنى عن ذكر المداد قوله (يمده) لأنه من قولك مدد الدواء وأمدتها . جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواء وجعل الأبحر السبعة مملوءة مداداً فهي تصب فيه مدادها أبداً صباً لا ينقطع . والمعنى : ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر ، وكُتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله ، لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد . كقوله ( قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي) . فإن قلت زعمت أن قوله (والبحر يمده) حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال . قلت هو كقولك جئت وال جيش مصطفى وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكها حكم الظروف . وإتما ذكر شجرة على التوحيد لأنه أريد تفصيل الشجر وتخصيصها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا وقد برت أقلاماً . وأوتر الكلمات وهي جمع قلة على الكلم وهي جمع كثرة لأن معناه أن كلماته لا تنفد بكتبتها البحار ، فكيف بكلمه ؟

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ <sup>(١)</sup> مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً <sup>(٢)</sup>  
 إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ <sup>(٣)</sup> أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ <sup>(٤)</sup>  
 النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَيَخْتَرُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ <sup>(٥)</sup>  
 اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ <sup>(٦)</sup> ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ <sup>(٧)</sup>  
 مِنْ دُونِهِ الْبَطَلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ <sup>(٨)</sup>

(١) (إن الله عزيز) لا يعجزه شيء (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شيء فلا تنفد كتاباته وحكمه .

(٢) (ما خلقكم ولا بعثكم) إلا تخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة، تخذف للعلم به . أى سواء فى قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن .

(٣) (إن الله سميع) لقول المشركين إنه لا بعث (بصير) بأعمالهم فيجازيهم .

(٤) يدخل ظلمة الليل فى ضوء النهار إذا أقبل الليل .

(٥) (ويختار الشمس والقمر) لمنافع العباد .

(٦) أى كل واحد من الشمس والقمر (يجرى) فى نلكه ويقطعه (إلى أجل مسمى) إلى يوم القيامة . أو إلى وقت معلوم — الشمس إلى آخر السنة ، والقمر إلى آخر الشهر .  
(٧) وبالياء عيآش .

دَلَّ أيضًا — بتعاقب الليل والنهار، وزيادتهما ونقصانهما، وجرى الزيرين فى فلكيهما على تقدير وحساب ، وبإحاطته بجميع أعمال الخلق — على عظم قدرته وكمال حكمته .

(٨) (يدعون) بالياء عراقى غير أبى بكر . أى ذلك الوصف الذى وصف به — من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى يدعونه من دون الله — إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الإلهية وأن من دونه باطل الإلهية وأنه (هو العلى) الشأن (الكبير) السلطان .



أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّ  
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَاطِلٌ دَعَا اللَّهَ  
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا  
 إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝

(١) وقرئ (الفلك) . وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل .

(٢) بإحسانه ورحمته . أو بالريح لأن الريح من نعم الله .

(٣) ليريكم من) عجائب قدرته في البحر إذا ركبتموها .

(٤) صبار) على بلائه (شكور) لنعائه . وهما صفتا المؤمن . فالإيمان نصفان نصفه

شكر ونصفه صبر . فكأنه قال (إن في ذلك لآيات لكل) مؤمن .

(٥) أى الكفار .

(٦) الموج يرتفع فيعود مثل الظل . والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرها .

(٧) أى باق على الإيمان والإخلاص الذى كان منه ولم يعد إلى الكفر . أو (مقتصد)

في الإخلاص الذى كان عليه في البحر . يعنى أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى

لأحد قط . والمقتصد قليل نادر .

(٨) أى بحقيقتها .

(٩) غدار . والختر أقيح الغدر .

(١٠) كفور) لربه .

يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ<sup>(١)</sup>  
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا<sup>(٢)</sup> إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرَنَكُمْ<sup>(٣)</sup>  
أَحْيَاؤُةَ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ<sup>(٤)</sup> إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ<sup>(٥)</sup>  
وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ<sup>(٦)</sup> وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا<sup>(٧)</sup>  
<sup>(٨)</sup>

(١) لا يقضى عنه شيئا . والمعنى (لا يجزى) فيه حذف .

(٢) وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه . لأن الجملة الإسمية أكد من الجملة الفعلية . وقد انضم إلى ذلك قوله (هو) ، وقوله (مولود) . والسبب في ذلك أن الخطاب للمؤمنين . وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر . فأريد حسم أطاعهم أن ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة . ومعنى التأكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لأجداده . إذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك ، كذا في الكشاف .

(٣) (إن وعده الله) بالبعث والحساب والجزاء (حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بزيتها فإن نعمتها دانية ، ولذتها فانية .

(٤) الشيطان أو الدنيا أو الأمل .

(٥) أى وقت قيامها .

(٦) بالتشديد شامى ومدنى وعاصم . وهو عطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل تقديره (إن الله) يثبت (عنده علم الساعة وينزل الغيث) فى إبانته من غير تقديم ولا تأخير .

(٧) (ويعلم ما فى الأرحام) أذكر أم أنثى وتأم أم ناقص .

(٨) (وما تدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر . وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا ، وعازمة على شر فعملت خيرا .

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ <sup>(١)</sup> إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ <sup>(٢)</sup>

(١) أى (وما تدرى نفس) أين تموت . وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها فترمى بها مراعى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها . روى أن ملك الموت مرّ على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه . فقال الرجل من هذا ؟ قال له ملك الموت . قال كأنه يريدنى . وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل . ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى إليه تعجبا منه لآتى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك . وجعل العلم لله والدراية للعبيد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة . والمعنى أنها لاتعرف وإن أعملت حيلها ما يختص بها . ولا شىء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته . فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان ما عداهما أبعد . وأما المنجم الذى يخبر بوقت الغيث والموت فإنه يقول بالقياس والنظر فى الطالع . وما يدرك بالدليل لا يكون غيبا . على أنه مجرد الظن والظن غير العلم . وعن النبي صلى الله عليه وسلم "مفاتيح الغيب خمس" وتلا هذه الآية . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب" . ورأى المنصور فى منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدّة عمره . فأشار بأصابعه الخمس فعبّرها المعبرون بخمس سنوات وبخمس أيام . فقال أبو حنيفة رضى الله عنه هو إشارة إلى هذه الآية فإنّ هذه العلوم الخمسة لا يعلمها إلا الله .

(٢) (إن الله عليم) بالغيوب (خبير) بما كان ويكون . وعن الزهريّ رضى الله عنه :  
"أكثرنا قراءة سورة لقمان فإنّ فيها أعاجيب" . والله أعلم .

## سورة السجدة مكية

وهى ثلاثون آية مدنى وكوفى وتسع وعشرون آية بصرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ  
أَفْتَرَتْهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴿٣﴾

(١) (الْم) - على أنها اسم السورة - مبتدأ وخبره (تنزيل الكتاب). وإن جعلتها تعديدا للحروف ارتفع (تنزيل) بأنه خبر مبتدأ محذوف . أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) . أو يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) و(لا ريب فيه) اعتراض لا محل له . والضمير فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أى في كونه منزلا من رب العالمين لأنه معجز للبشر ومثله أبعده شئ من الريب . ثم أضرب عن ذلك إلى قوله (أم يقولون افتراه) - أى اختلقه محمد - لأن (أم) هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة . معناه بل يقولون افتراه ، إنكارا لقولهم وتعجيبا منهم لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه . ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه (الحق من ربك) ولم يفتره محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا تعنتا وجهلا .

(٢) أى العرب .

(٣) (ما) للنفي . والجملة صفة لـ (قوما) .

لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا  
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ <sup>(٢)</sup> مِن وَّلِيٍّ  
 وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تُتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ  
 يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ <sup>(٤)</sup> أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ  
 عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ <sup>(٧)</sup>

(١) على الترتيبي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان (لعله يتذكر) على الترتيبي

من موسى وهرون .

(٢) استولى عليه بإحدائه .

(٣) من دون الله .

(٤) أى إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم وليا أى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم .

(٥) تتعظون بمواعظ الله .

(٦) أى (يدبر) أمر الدنيا (من السماء إلى الأرض) إلى أن تقوم الساعة (ثم يعرج إليه)

ذلك الأمر كله أى يصير إليه ليحكم فيه (في يوم) — وهو يوم القيامة — (كان مقداره ألف سنة مما تعدون) من أيام الدنيا . ولا تمسك للشبهة بقوله (إليه) فى إثبات الجهة لأن معناه إلى حيث يرضاه أو أمره ، كما لا تشبث لهم بقوله : (إنى ذاهب إلى ربى) . (إنى مهاجر إلى ربى) . (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله) .

(٧) أى ذلك الموصوف بما مرّ (عالم) ما غاب عن الخلق وما شاهدوه (العزير) الغالب

أمره (الرحيم) البالغ لطفه وتيسيره . وقيل لا وقف عليه لأن (الذى) صفته .

(٨) أى حسنه لأن كل شىء مرتب على ما اقتضته الحكمة .

خَلَقَهُ <sup>(١)</sup> وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ <sup>(٢)</sup> مِنْ طِينٍ <sup>(٣)</sup> ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ <sup>(٤)</sup> مِنْ  
 سُلَالَةٍ <sup>(٥)</sup> مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ <sup>(٦)</sup> ثُمَّ سَوَّاهُ <sup>(٧)</sup> وَنَفَخَ فِيهِ <sup>(٨)</sup> مِنْ رُوحِهِ <sup>(٩)</sup> وَجَعَلَ لَكُمُ  
 السَّمْعَ <sup>(١٠)</sup> وَالْأَبْصَرَ <sup>(١١)</sup> وَالْأَفْئِدَةَ <sup>(١٢)</sup> قَلِيلًا <sup>(١٣)</sup> مَا تَشْكُرُونَ <sup>(١٤)</sup> وَقَالُوا <sup>(١٥)</sup> إِذَا ضَلَلْنَا  
 فِي الْأَرْضِ <sup>(١٦)</sup> أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ <sup>(١٧)</sup> جَدِيدٍ <sup>(١٨)</sup> بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ <sup>(١٩)</sup> كَافِرُونَ <sup>(٢٠)</sup>

(١) كوفي ونافع وسهل على الوصف أى كل شىء خلقه فتمد أحسن. (خلقته) غيرهم على  
 البديل أى أحسن خلق كل شىء .

(٢) آدم .

(٣) ذريته .

(٤) من نطفة .

(٥) أى منى . بدل من (سلالة) .

(٦) ضعيف حقير .

(٧) قومه كقوله ( فى أحسن تقويم ) .

(٨) أدخل .

(٩) الإضافة للاختصاص كأنه قال ونفخ فيه من الشىء الذى اختص هو به وبعبارة .

(١٠) ( وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ) لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا .

(١١) أى تشكرون قليلا .

(١٢) القائل أبى بن خلف . ولرضاهم أسند إليهم .

(١٣) ضللنا أى صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لانتميز منه كما يضل الماء فى اللبن .

أو غبنا فى الأرض بالدفن فيها . وقرأ على ( ضللنا ) بكسر اللام يقال ضلّ يضلّ وضلّ يضلّ .

وانتصب الظرف فى ( أنذا ضللنا ) بما يدلّ عليه ( أننا لفي خلق جديد ) وهو نبعث .

(١٤) جاحدون . لما ذكر كفرهم بالبعث أضرب عنه إلى ما هو أبلغ وهو أنهم كافرون

بجميع ما يكون فى العاقبة لا بالبعث وحده .

قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ <sup>(١)</sup>  
 وَلَوْ تَرَىٰ <sup>(٢)</sup> إِذِ الْمُرْجُومُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا  
 فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى <sup>(٥)</sup>  
<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup>

(١) أى (يتوفاكم ملك الموت الذى وُكِّلَ بقبض أرواحكم) (ثم) (ترجعون (إلى ربكم) بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء . وهذا معنى لقاء الله . والتوفى استيفاء النفس وهى الروح كَمَا أى يقبض أرواحكم أجمعين . من قولك توفيت حقَّ من فلان إذا أخذته وإفيا كَمَا من غير نقصان . وعن مجاهد "حَوِيَّتْ لملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء" . وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الأمر لذلك كله وهو الخالق لأفعال المخلوقات . وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله (توفته رسلنا) وقوله (الله يتوفى الأنفس حين موتها) .

(٢) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد . ولو امتناعية . والجواب محذوف أى لرأيت أمراً عظيماً .

(٣) هم الذين قالوا (أنذا ضللنا فى الأرض) . ولو وإذ للضى . وإتما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود . ولا يقدر ل (ترى) ما يتناوله ، كأنه قيل (ولو) تكون منك الرؤية . و(إذ) ظرف له .

(٤) (ناكسوا رؤوسهم) من الذل والحياء والندم .

(٥) (عند) حساب (ربهم) . ويوقف عليه لحق الحذف ، إذ التقدير يقولون (ربنا أبصرنا) صدق وعدك ووعيدك (وسمعنا) منك تصديق رسلك . أو تكأ عمياً وصماً فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا) . إلى الدنيا .

(٦) أى الإيمان والطاعة .

(٧) (إننا موقنون) بالبعث والحساب الآن .

(٨) (ولو شئنا لآتيننا كل نفس هداها) فى الدنيا . أى لو شئنا أعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذى لو كان منهم اختيار ذلك لاهدوا لكن لم نعطهم ذلك اللطف لعلنا منهم

وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ <sup>(١)</sup>  
 فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ <sup>(٤)</sup>  
 بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(٥)</sup> إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُزُوا <sup>(٦)</sup>  
 وَسَجَدُوا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ <sup>(٩)</sup> تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ <sup>(١٠)</sup>

اختيار الكفر وإيثاره وهو حجة على المعتزلة. فإن عندهم شاء الله أن يعطى كل نفس ما به اهتدت. وقد أعطاهما. لكنهما لم تهتد. وهم أولوا الآية بمشئة الجبر. وهو تأويل فاسد لما عرف في تبصر الأدلة.

(١) (ولكن) وجب (القول منى) بما علمت أنه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم. وهو ما علم منهم أنهم يختارون الرد والتكذيب. وفي تخصيص الإنس والجن إشارة إلى أنه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم.

(٢) (فذوقوا) العذاب بما تركتم من عمل لقاء (يومكم هذا) وهو الإيمان به.

(٣) تركاكم في العذاب كالمسئى.

(٤) أى العذاب الدائم الذى لا انقطاع له.

(٥) (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصى.

(٦) أى وعظوا بها.

(٧) سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الإسلام.

(٨) ونزهوا الله عما لا يليق به وأثنوا عليه حامدين له.

(٩) (وهم لا يستكبرون) عن الإيمان والسجود له.

(١٠) ترتفع وتنحى عن الفرش ومضاجع النوم. قال سهل: وهب لقوم هبة وهو أن أذن لهم

في مناجاته وجملهم من أهل وسيلته. ثم مدحهم عليه. فقال (تتجافى جنوبهم عن المضاجع).



يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ<sup>(٣)</sup> فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ<sup>(٤)</sup>  
لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً<sup>(٥)</sup> بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(٥)</sup> أَفَمَنْ أَتَقَنَ<sup>(٦)</sup> كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ  
فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ<sup>(٦)</sup> أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى<sup>(٧)</sup>

(١) داعين (ربهم) عابدين له .

(٢) مفعول له . أى لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم فى رحمته . وهم المتتجدون . وعن  
النبي صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها " قيام العبد من الليل " . وعن ابن عطاء " أبت جنوهم  
أن تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القرية " . يعنى صلاة الليل . وعن أنس " كان أناس  
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الأخيرة  
فنزلت فيهم " . وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها .

(٣) (ومما رزقناهم ينفقون) فى طاعة الله تعالى .

(٤) (ما) بمعنى الذى . (أخفى) على حكاية النفس<sup>(\*)</sup> ، حمزة ويعقوب .

(٥) أى لا يعلم أحد ما أعد لهؤلاء من الكرامة (جزاء) مصدر . أى جوزوا (جزاء) بما كانوا  
يعملون . عن الحسن رضى الله عنه " أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت  
ولا أذن سمعت " . وفيه دليل على أن المراد الصلاة فى جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا .

(٦) بين أن من كان فى نور الطاعة والإيمان لا يستوى مع من هو فى ظلمة الكفر والعصيان  
بقوله (أفمن أتقن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) . أى كافرا وهما يمولان على لفظ (من) ،  
وقوله (لا يستون) على المعنى بدليل قوله (أما الذين آمنوا) الآيتين .

(٧) هى نوع من الجنان تأوى إليها أرواح الشهداء . وقيل هى عن يمين العرش .

(\*) قوله على حكاية النفس أى بأن يقرأ (أخفى) بصيغة المضارع .

تَزَلُّوا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كَمَا أَرَادُوا  
 أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا أَعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ  
 بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٢﴾ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ  
 الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ  
 عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴿٥﴾

(١) عطاء بأعمالهم . والنزل عطاء النازل ثم صار عاقبا .

(٢) أى ملجؤهم ومنزلهم .

(٣) أى يقول لهم خزنة النار .

(٤) وهذا دليل على أن المراد بالفاسق الكافر إذ التكذيب يقابل الإيمان .

(٥) أى ( ولنذيقنهم من ) عذاب الدنيا من الأسر وما منحوا به من السنة سبع سنين  
 (دون) عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة — وعن الداراني  
 العذاب الأدنى الخلدان والعذاب الأكبر الخلود فى التيران وقيل العذاب الأدنى عذاب القبر—  
 لعل المعذبين بالعذاب الأدنى يتوبون عن الكفر .

(٦) (ومن أظلم ممن) وعظ (آيات ربه) — بالقرآن — فتولى عنها ولم يتدبر فيها .  
 و(ثم) للاستبعاد . أى أن الإعراض عن مثل هذه الآيات فى وضوحها وإنارتها وإرشادها  
 إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد فى العقل كما تقول لصاحبك  
 وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعاداً لتركه الانتهاز .

(٧) ولم يقل منه لأنه إذا جملة كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بانتقام منهم فقد  
 دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام . ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة .

(٨) التوراة .

فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ<sup>(١)</sup> وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ<sup>(٢)</sup> وَجَعَلْنَا<sup>(٣)</sup>  
 مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا<sup>(٤)</sup> وَكَانُوا بِشَايِئِنَا يُوقِنُونَ<sup>(٥)</sup> إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
 يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ<sup>(٦)</sup> أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرْهُهُمْ<sup>(٧)</sup> أَاهْلِكَا<sup>(٨)</sup>

(١) شك .

(٢) من لقاء موسى الكتاب . أو من لقاءك موسى ليلة المعراج ، أو يوم القيامة ، أو لقاء موسى ربه في الآخرة . كذا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى ( هدى ) لقومه .

(٤) بهمزتين كوفي وشامي .

(٥) (يهدون) الناس ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه (بأمرنا) إياهم بذلك حين صبروا على الحق بطاعة الله . أو عن المعاصي (لما صبروا) . حمزة وعلى أي لصبرهم عن الدنيا . وفيه دليل على أن الصبر ثمرته إمامة الناس .

(٦) (وكانوا بآياتنا) — التوراة — يعلمون علما لا يخالجه شك .

(٧) (إن ربك هو) يقضى بين الأنبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركين (يوم القيامة) فيما كانوا فيه يختلفون) فيظهر المحق من المبطل .

(٨) الواو للعطف على معطوف عليه منوى من جنس المعطوف . أي (أ) لم يدع (ولم يهد) يبين — والفاعل الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب (نهد) — لأهل مكة .

(٩) لا يجوز أن يكون (كم) فاعل (يهد) ، لأن (كم) للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله . ومحلّه نصب بقوله (أهلكنا) .

مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ  
 الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾  
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ  
 لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩﴾

(١) كعاد وثمود وقوم لوط .

(٢) أى أهل مكة يميزون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم .

(٣) (أفلا يسمعون) المواعظ فيتعظوا .

(٤) نجرى المطر والأنهار .

(٥) أى الأرض التى جزز نباتها أى قطع إما لعدم الماء أو لأنه رعى . ولا يقال للتى  
 لا تثبت كالسباخ جزز بدليل قوله (فخرج به زرعا) .

(٦) (فخرج) بالماء (زرعا تأكل منه) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأفسهم)  
 من حبه .

(٧) (أفلا يبصرون) بأعينهم فيستدلوا على إحياء الموتى .

(٨) (الفتح) النصر أو الفصل بالحكومة من قوله (ربنا افتح بيننا) . وكان المسلمون  
 يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين . أو يفتح بيننا وبينهم . فإذا سمع المشركون ذلك ،  
 قالوا (متى هذا الفتح) أى فى أى وقت يكون (إن كنتم صادقين) فى أنه كائن .

(٩) أى يوم القيامة — وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ، ويوم نصرهم عليهم .  
 أو يوم بدر . أو يوم فتح مكة — (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) .

فَاعْرِضْ عَنْهُمْ<sup>(١)</sup> وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٤٧﴾

وهذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهرا . ولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أجبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقبل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأنى بكم وقد حصلت في ذلك اليوم وأمتهم فلا ينفعكم الإيمان أو استنظرتهم في إدراك العذاب فلم تنظروا . ومن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر فهو يريد المقتولين منهم فإنهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند الغرق .

(١) (وانتظر) النصره وهلاكهم (إنهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم . وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ (الم تنزيل) السجدة و(تبارك الذي بيده الملك) . وقال من قرأ (الم تنزيل) في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سورة (الم تنزيل) هي المانعة تمنع من عذاب القبر . والله أعلم .

## سورة الأحزاب مدنية

وهى ثلاث وسبعون آية (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ <sup>(٢)</sup> اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ <sup>(٣)</sup> إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا  
<sup>(٤)</sup> حَكِيمًا

(١) قال أبى بن كعب رضى الله عنه لزر: كم تعدون سورة الأحزاب؟ قال ثلاثا وسبعين: قال فوالذى يحلف به أبى إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول. ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة (نكالا من الله والله عزيز حكيم). أراد أبى أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن. وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتها الداجن فن تأليفات الملاحدة والروافض.

(٢) وبالهمزة نافع، أى يأيتها المخبر عنا المأمون على أسرارنا المبالغ خطابنا إلى أحببنا. وإتسا لم يقل يا محمد كما قال (يا آدم) (يا موسى) تشرىفا له وتنويها بفضله. وتصريحه باسمه فى قوله (محمد رسول الله) ونحوه لتعليم الناس بأنه رسول الله.

(٣) أثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لا يدرك مداه.

(٤) ولا تساعدهم على شىء واحترس منهم فإنهم أعداء الله والمؤمنين. وروى أن أباسفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعور السامى قدموا المدينة بعد قتال أحد فترلوا على عبد الله بن أبى وأعطاهم النبى الأمان على أن يكلموه. فقالوا ارفض ذكر آلهتنا وقل إنهما تنفع وتشفع. ووازرهم المنافقون على ذلك. فهم المسلمون بقتلهم. فنزلت. أى (اتق الله) فى نقض العهد (ولا تطع الكافرين) من أهل مكة (والمنافقين) من أهل المدينة فيما طلبوا (إن الله كان عليما). بحيث أعمالهم (حكيمًا) فى تأخير الأمر بقتالهم.

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾  
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ  
 قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ  
 أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴿٤﴾

(١) (واتبع ما يوحى إليك من ربك) في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين (إن الله) الذي يوحى إليك لم يزل عالما بأعمالهم وأعمالكم . وقيل إنما جمع لأن المراد بقوله (اتبع) هو وأصحابه . وبالياء أبو عمرو أى بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم .

(٢) أسند أمرك إليه وكله إلى تدييره .

(٣) حافظا موكولا إليه كل أمر . وقال الزجاج لفظه وإن كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلا .

(٤) أى ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنتوة ودعوة في رجل . والمعنى أنه تعالى كما لم يجعل لإنسان قلبين — لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليه ، وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك يؤدى إلى أتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظاننا موقنا شاكًا في حالة واحدة — لم يحكم أيضا أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل وزوج له ، لأن الأتم مخدومة والمرأة خادمة وبينهما منافاة ، وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لأن البنتوة أصالة في النسب والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل . وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا فاشتره حكيم ابن حزام لعنته خديجة . فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فطلبه أبوه وعهده فغير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه . وكانوا يقولون زيد بن محمد ، فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه . فأنزل الله هذه الآية . وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد فلبان قلب معكم

ذَلِكَ قَوْلِكُمْ بِأَقْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿١﴾  
 أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ  
 فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴿٢﴾

وقلب مع أصحابه . وقيل كان أبو معمر أحفظ العرب فقبل له ذو القليلين فأكذب الله قولهم  
 وضربه مثلا في الظهر والتبني . والتنكير في (رجل) وإدخال (من) الاستغرافية على (قلبين)  
 وذكر الجوف ، للتأكيد . (اللائى) بياء بعد الهمزة حيث كان كوفي وشامى . (اللاء) نافع  
 ويعقوب وسهل . وهى جمع التى . (تظَاهرون) عاصم من ظاهر إذا قال لامرأته أنت على  
 كظهر أمى . (تظَاهرون) على وحزمة وخلف . (تظَاهرون) شامى من اظاهر بمعنى تظاهر .  
 غيرهم (تظَاهرون) من اظهر بمعنى تظهر . وعدى بمن لتضمنه معنى البعد لأنه كان طلاقا  
 فى الجاهلية ونظيره الى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدى بمن . وإلا ، فالى فى أصله  
 الذى هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه . والدعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولدا .  
 وقيل كان الرجل فى الجاهلية إذا أعجبه ولد الرجل ضممه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر  
 من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان بن فلان . وجمع على أفعلاء شاذًا — لأن بابه  
 ما كان منه بمعنى فاعل كتنى وأتقياء وشقى وأشقياء ولا يكون ذلك فى نحو رمى وسمى —  
 للتشبيه اللفظى .

(١) أى أن قولكم للزوجة هى أم وللدعى هو ابن قول تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له  
 إذ الابن يكون بالولادة وكذا الأم (والله يقول الحق) أى ما حق ظاهره وباطنه (وهو يهدى السبيل)  
 أى سبيل الحق . ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ما هو سبيل الحق و بين أن دعاءهم لأبائهم  
 هو أدخل الأمرين فى القسط والعدل وهو قوله (أدعوهم لأبائهم هو أقسط) أعدل (عند الله) .  
 ثم أنظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة الطليية ثم فصل الخبرية عنها ووصل  
 بينها ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالطليية .

(٢) فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم إليهم ، فهم إخوانكم فى الدين وأولياؤكم فى الدين  
 فقولوا هذا أئى وهذا مولاي وبأئى وبأولاي يريد الأخوة فى الدين والولاية فيه .



وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ<sup>(١)</sup>  
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا<sup>(٢)</sup> النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ<sup>(٣)</sup>  
 أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَئِذَا أَتَا الْأَرْحَامَ بِبَعْضِ<sup>(٤)</sup> أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ<sup>(٥)</sup>

(١) أى لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهى ولكن الإثم عليكم فيما تعمدتموه بعد النهى ، أو لا إثم عليكم إذا قلم لولد غيركم يا بنى على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلمتموه متعمدين . و (ما) فى موضع الجر عطف على (ما) الأولى . ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطأ التبتى وعمده . وإذا وجد التبتى فان كان المتبتى مجهول النسب وأصغر سناً منه ثبت نسبه منه ، وعق إن كان عبدا له . وإن كان أكبر سناً منه لم يثبت النسب وعق عند أبى حنيفة رضى الله عنه . وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبتى ، وعق إن كان عبدا .  
 (٢) لا يؤخذكم بالخطأ ويقبل التوبة من المتعمد .

(٣) أى أحق بهم فى كل شىء من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمها . فعليهم أن يبذلوا دونه ويجعلوها فداءه . أو هو أولى بهم أى أرفق بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله (بالمؤمنين رءوف رحيم) . وفى قراءة ابن مسعود (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وهو أب لهم . وقال مجاهد كل نبي أبو أمته . ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم فى الدين .

(٤) (وأزواجه أمهاتهم) فى تحريم نكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فى وراء ذلك كالإرث ونحوه كالأجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم إلى بناتهن .

(٥) وذوو القربات (بعضهم أولى ببعض) فى التوارث . وكان المسلمون فى صدر الإسلام يتوارثون بالولاية فى الدين وبالهجرة لا بالقرابة . ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة .

فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ  
 أُولِيَاءَكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٤﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا  
 مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى  
 ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٥﴾ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴿٦﴾

(١) فى حكمه وقضائه أو فى اللوح المحفوظ أو فيما فرض الله .

(٢) يجوز أن يكون بيانا لأولى الأرحام: أى الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الأجانب، وأن يكون لابتداء الغاية: أى أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين من الأنصار بحق الولاية فى الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة .

(٣) الاستثناء من خلاف الجنس: أى لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفا جائز . وهو أن توصوا لمن أحببتم من هؤلاء بشىء، فيكون ذلك بالوصية لا بالميراث . وعدى (تفعلوا) بلى لأنه فى معنى تسدوا . والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين .

(٤) أى التوارث بالأرحام كان مسطورا فى اللوح .

(٥) (و) إذ كرحين (أخذنا من النبيين ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم (ومنك) خصوصا . وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لأن هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لأنهم أولو العزم وأصحاب الشرائع . فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء قدم عليهم . ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه .

(٦) (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وثيقا—وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف إليه — وإثما فعلنا ذلك (ليسأل) الله (الصادقين) أى الأنبياء (عن صدقهم) عما قالوه لقومهم . أو (يسأل) المصدقين للأنبياء عن تصديقهم . لأن من قال للصادق صدقت كان صادقا فى قوله . أو (يسأل) الأنبياء ما الذى أجابتهم أمهم . وهو كقوله (يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا أجبتكم) .

وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا <sup>(١)</sup> يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا <sup>(٢)</sup> وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا <sup>(٣)</sup>

(١) (وأعد للكاقرين) بالرسل (عذابا أليما) . وهو عطف على (أخذنا) لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إنابة المؤمنين (وأعد للكاقرين عذابا أليما) . أو على ما دل عليه (ليسأل الصادقين) كأنه قال فأثاب المؤمنين (وأعد للكاقرين) .

(٢) أى ما أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب . وهو يوم الخندق . وكان بعد حرب أحد بسنة .

(٣) أى الأحزاب . وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير .

(٤) أى الصبا . قال عليه السلام (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) .

(٥) وهم الملائكة . وكانوا ألفا . بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فأخضرتهم وأسفت التراب فى وجوههم . وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فانهزموا من غير قتال . وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقبالهم ، ضرب الخندق على المدينة بإشارة سلمان . ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم . وأمر بالذراى والذسوان فرفعوا فى الآطام . واشتد الخوف . وكانت قريش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبوسفيان . وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن . وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامى بالنبل والمخارة حتى أنزل الله النصر .

(٦) أى (وكان الله) بعملكم أيها المؤمنون من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبى صلى الله عليه وسلم (بصيرا) . وبالباء أبو عمرو أى بما يعمل الكفار من البغى والسعى فى إطفاء نور الله .

إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ  
 وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴿٦﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ  
 الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٨﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ﴿٩﴾

(١) بدل من (إذ جاءكم) .

(٢) أى من أعلى الوادى من قبل المشرق . بنوعطفان .

(٣) من أسفل الوادى من قبل المغرب . قريش .

(٤) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة . أو عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى  
 صدوها لشدة الروع .

(٥) الحنجرة رأس الغلصمة وهى منتهى الحلقوم . والحلقوم مدخل الطعام والشراب .  
 قالوا إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس  
 الحنجرة . وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة . روى أن المسلمين  
 قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال "نعم .  
 قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا" .

(٦) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والأقدام والضعاف القلوب الذين هم على  
 حرف، والمنافقون . فظن الأقولون بالله أنه يتليهم يخافوا الزلل وضعف الاحتمال . وأما الآخرون  
 فظنوا بالله ما حكى عنهم . قرأ أبو عمرو وحمة (الظنون) بغير ألف فى الوصل والوقف . وهو  
 القياس . وبالألف فهما مدنى وشامى وأبو بكر إجراء للوصل مجرى الوقف . وبالألف  
 فى الوقف مكى وعلى وحفص ومثله الرسول والسبيلا . زادوها فى الفاصلة كما زادها فى القافية  
 من قال : ألقى اللوم عانل والعتابا • وهن كلمهن فى الإمام بالألف .

(٧) امتحنوا بالصبر على الإيمان .

(٨) وحركوا بالخوف تحريكا بليغا .

(٩) عطف على الأول .

وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ<sup>(١)</sup> مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا<sup>(٢)</sup> وَإِذْ قَالَتْ  
 طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا<sup>(٣)</sup> وَيَسْتَشِذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ  
 النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ<sup>(٤)</sup> وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا<sup>(٥)</sup>

(١) قيل هو وصف المنافقين بالواو كقوله :

إلى الملك القرم وابن الهمام \* وليث الكتبية في المزدحم

وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشبه عليهم .

(٢) روى أن معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال : بعدنا عهد فتح فارس والروم  
 وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا . ما هذا إلا وعد غرور .

(٣) من المنافقين وهم عبد الله بن أبي وأصحابه .

(٤) هم أهل المدينة .

(٥) وبضم الميم حفص . أى لا فرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون .

(٦) (فارجعوا) عن الإيمان إلى الكفر . أو من عسكر رسول الله إلى المدينة .

(٧) أى بنو حارثة .

(٨) أى ذات عورة .

(٩) العورة الخلل . والعورة ذات العورة . وهى قراءة ابن عباس يقال عور المكان عورا  
 إذا بدا منه خلل يخاف منه العدو والسارق . ويجوز أن يكون (عورة) تخفيف عورة . اعتذروا  
 أن بيوتهم عرضة للعدو والسارق لأنها غير محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه . فأكذبهم  
 الله بأنهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون الفرار من القتال .

وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا  
 يَسِيرًا ﴿١﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ  
 اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿٢﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ  
 وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ  
 (١) (٢) (٣)

(١) (ولو دخلت عليهم) المدينة أو بيوتهم — من قولك دخلت على فلان داره —  
 من جوانبها . أى ولو دخلت هذه العساكر المنتحزة التي يفرون خوفا منها مدينتهم أو بيوتهم  
 من نواحيها كلها وانتالت على أهلهم وأولادهم ناهبين ساين (ثم سألوا) عند ذلك الفرع (الفتنة)  
 أى الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين (لأتوها) لأعطوها . (لأتوها) بلا مدح مجازى  
 أى لجأوها وفعلوها (وما تلبثوا) بإجابتها (إلا يسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير  
 توقف . أو ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم (إلا يسيرا) فإن الله يهلكهم . والمعنى أنهم يتعللون  
 بإعوار بيوتهم لينتروا عن نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافقة الأحزاب  
 الذين ملئوهم هولاً ورعباً . وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض  
 عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لاسرعوا إليه وما تعللوا بشيء . وما ذلك إلا لمتقتهم  
 الإسلام وحبهم الكفر .

(٢) أى بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم إلى الأحزاب .

(٣) (لا يؤلُّون الأدبر) منهزمين .

(٤) مطلوباً مقتضى حتى يوفى به .

(٥) أى إن كل من حضر أجاكم لم ينفعكم الفرار وإن لم يحضر وفرتم لم تتموا فى الدنيا  
 إلا قليلاً وهو مدة أعماركم وذلك قليل . وعن بعض الروايات أنه مر بجائط مائل فأسرع  
 فقلت له هذه الآية فقال : ذلك القليل نطلب .

(٦) أى مما أراد الله إزاله بكم .

إِنَّ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا<sup>(١)</sup> أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً<sup>(٢)</sup> وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا  
 نَصِيرًا<sup>(٣)</sup> قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ<sup>(٤)</sup> مِنَكُمْ وَالْقَائِلِينَ<sup>(٥)</sup> لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ<sup>(٦)</sup>  
 الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(٧)</sup> أَشْحَتًا<sup>(٨)</sup> عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ<sup>(٩)</sup>  
 تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ

(١) (إن أراد بكم سوءاً) في أنفسكم من قتل أو غيره .

(٢) أى إطالة عمر في عافية وسلامة . أى من يمنع الله من أن يرحمكم إن أراد بكم رحمة  
 لما في العصمة من معنى المنع .

(٣) ناصراً .

(٤) أى من يعوق عن نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يمنع . وهم المنافقون .

(٥) (والقائلين لإخوانهم) في الظاهر من المسلمين .

(٦) أى قربوا أنفسكم إلينا ودعوا مجداً . وهى لغة أهل الججاز فإنهم يستون فيه بين الواحد  
 والجماعة . وأما تميم فيقولون هلم يارجل وهلموا يارجال . وهو صوت سمي به فعل متعدي نحو  
 أحضر وقرب .

(٧) أى الحرب .

(٨) إلا إتيانا قليلاً أى يحضرون ساعة رياء ويقفون قليلاً مقدار ما يرى شهوؤهم ثم  
 ينصرفون .

(٩) جمع شحيح وهو البخيل . نصب على الحال من الضمير في (يأتون) . أى يأتون  
 الحرب بخلاء (عليكم) بالظفر والغنيمة (فإذا جاء الخوف) من قبل العدو أو منه عليه السلام  
 (رأيتهم ينظرون إليك) فى تلك الحالة (تدور أعينهم) يمينا وشمالا كما ينظر المغشى عليه  
 من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولو اذابك .

فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسْنَةِ حَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْكُمْ  
 لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٦﴾ يَحْسَبُونَ  
 الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ  
 يَسْأَلُونَ عَنِ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١﴾

(١) (فإذا) زال ذلك الخوف وأمنوا وحيزت الغنائم خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم  
 بالكلام . خطيب مسلوق فصيح ورجل مسلوق مبالغ في الكلام ، أى يقولون وفروا قسمتنا فإننا قد  
 شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكنانا غلبتم عدوكم .

(٢) أى خاطبوكم أشحة على المال والغنيمة . و (أشحة) حال من فاعل (سلقوكم) .

(٣) (لم يؤمنوا) فى الحقيقة بل باللسنة .

(٤) أبطل بإضمارهم الكفر ما أظهروه من الأعمال .

(٥) إحباط أعمالهم .

(٦) هينا .

(٧) أى لجنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع أنهم قد انصرفوا .

(٨) (وإن يأت الأحزاب) كرتة ثانية .

(٩) البادون جمع البادى . أى يمتنى المناقون لجنهم أنهم خارجون من المدينة إلى البادية  
 حاصلون بين الأعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا مما فيه الخوف من القتال .

(١٠) (يسألون) كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعمّا جرى عليكم .

(١١) (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال (ما قاتلوا إلا قليلا) رياء وسمعة .



لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
 الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا <sup>(٢)</sup> وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا  
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ <sup>(٤)</sup> وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ <sup>(٥)</sup> وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا <sup>(٥)</sup>

(١) (أسوة) بالضم حيث كان، عاصم. أى أنه فى نفسه (أسوة حسنة) — أى قدوة. وهو  
 المؤتىس به أى المقتدى به — كما تقول فى البيضة عشرون منّا حديداً، أى هى فى نفسها هذا  
 المبلغ من الحديد. أو فيه خصلة من حقها أن يؤتىس بها حيث قاتل بنفسه.

(٢) أى يخاف الله ويخاف اليوم الآخر. أو يأمل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر. قالوا  
 (لمن) بدل من (لكم). وفيه ضعف. لأنه لا يجوز البدل من ضمير المخاطب. وقيل يتعلق  
 بحسنة. أى (أسوة حسنة) كائنة (لمن كان).

(٣) أى (وذكر الله كثيراً) فى الخوف والرجاء والشدة والرخاء.

(٤) وعدمه الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله (أم حسبكم أن تدخلوا الجنة  
 ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) إلى قوله (قريب). فلما جاء الأحزاب واضطربوا ورعبوا  
 الرعب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وعلموا أن الغلبة والنصرة  
 قد وجبت لهم. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه  
 إن الأحزاب سائرون إليكم فى آخر تسع ليال أو عشر. فلما رأوهم قد أقبلوا للبعاد قالوا ذلك  
 و (هذا) إشارة إلى الخطب والبلاء.

(٥) (وما زادهم) ما رأوا من اجتماع الأحزاب عليهم ومجيئهم (إلا إيماناً) بالله وبمواعيده  
 (وتسليماً) لقضائه وقدره.

مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ <sup>(٢)</sup>  
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ <sup>(٣)</sup> وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا <sup>(٤)</sup> لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ  
 بِصِدْقِهِمْ <sup>(٥)</sup> وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ  
 كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا <sup>(٦)</sup> وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا <sup>(٧)</sup>

(١) أى فيما عاهدوه عليه . فحذف الجار كما فى المثل "صدقنى سن بركه" أى صدقنى فى سن بركه بطرح الجار وإيصال الفعل . نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يُستشهدوا . وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعد بن زيد وحزمة ومصعب وغيرهم .

(٢) أى مات شهيدا كحزمة ومصعب . وقضاء النحب صار عبارة عن الموت ، لأن كل حى من المحدثات لا بد له أن يموت فكأنه نذر لازم فى رقبته فإذا مات فقدضى نحبه أى نذره .

(٣) (ومنهم من ينتظر) الموت أى على الشهادة كعثمان وطلحة .

(٤) (وما بدلوا) العهد (تبديلا) ولا غيره ولا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة . وفيه تعريض لمن بدلوا من أهل النفاق ومرضى القلوب كما مر فى قوله تعالى (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار) .

(٥) (ليجزى الله الصادقين) بوفائهم بالعهد (ويعذب المنافقين إن شاء) إذا لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) إن تابوا (إن الله كان غفورا) بقبول التوبة (رحيما) بعفو الحوبة . جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا فى طلبها والسعى فى تحصيلها .

(٦) الأحزاب .

(٧) حال . أى مغيظين كقوله (تبت بالدهن) .

(٨) (لم ينالوا) ظفروا أى لم يظفروا بالمسامين . وسماه خيرا بزعمهم . وهو حال أى غير ظافرين .

وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ<sup>(١)</sup> وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا<sup>(٢)</sup> وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ<sup>(٣)</sup> مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ<sup>(٤)</sup> مِنْ صِبَا صِيهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ<sup>(٥)</sup> فَرِيقًا تَقْتُلُونَ<sup>(٦)</sup> وَتَأْسِرُونَ<sup>(٧)</sup> فَرِيقًا<sup>(٨)</sup> وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ<sup>(٩)</sup> وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

(١) وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة .

(٢) قادرا غالبا .

(٣) عاونوا الأحزاب .

(٤) من بنى قريظة .

(٥) من حصونهم . الصيصية مأخوذة به . روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم ، على فرسه الخيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج . فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال من متابعة قريش . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه . فقال يا رسول الله : إن الملائكة لم تضع السلاح . إن الله يأمرك بالمشير إلى بنى قريظة وأنا حامد إليهم فإن الله دافعهم دق البيض على الصفا وإنهم لكم طعمة . فأذن في الناس أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلى العصر إلا في بنى قريظة . فحاصروهم نحسا وعشرين ليلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكى . فأبوا . فقال على حكم سعد بن معاذ . فرفضوا به . فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسي ذراريهم ونساءهم . فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . ثم استتر لهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فحاربهم فحاربهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة . وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعائة أسير .

(٦) الخوف . وبضم العين شامى وعلى .

(٧) (فريقا) نصب بقوله (تقتلون) وهم الرجال .

(٨) وهم النساء والذراري .

(٩) أى المواشى والتقود والأمتعة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم

للهاجرين دون الأنصار وقال لهم إنكم فى منازلكم .

وَأَرْضًا لَمْ تَطْطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١﴾ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ  
لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسْرِحْكُنَّ  
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ  
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ

(١) (وأرضاً لم تطئوها) بقصد القتال . وهى مكة . أو فارس والروم . أو خيبر . أو كل  
أرض تفتح إلى يوم القيامة .

(٢) قادرا .

(٣) أى السعادة وكثرة الأموال .

(٤) أصل تعال أن يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المستوطى . ثم كثر حتى استوت  
فى استعماله الأمكنة . ومعنى (تعالين) أقبلن بإرادتكُن واختياركُن لأحد الأمرين ولم يرد  
نهوضن إليه بأنفسهن كقوله قام يهددنى .

(٥) أعطكن متعة الطلاق . وتستحب لكل مطلقة إلا المفوضة قبل الوطء .

(٦) وأطلقكن (سراحاً جميلاً) لا ضرار فيه .

أردن شيئاً من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغارين . فعم ذلك رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فنزلت . فبدأ بعائشة رضى الله عنها وكانت أحبهن إليه نخيرها وقرأ عليها القرآن .  
فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ثم اختار جميعهن اختيارها . وروى أنه قال لعائشة : إني ذاكر لك أمراً ولا عليك أن تعجلى  
فيه حتى تستأمرى أبويك . ثم قرأ عليها القرآن . فقالت أفى هذا أستأمر أبوى ! فإنى  
أريد الله ورسوله والدار الآخرة .

وحكم التخيير فى الطلاق أنه إذا قال لها اختارى ، فقالت اخترت نفسى أن تقع تطليقة  
بائنة . وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء . وعن على رضى الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة  
وجعية . وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة .

(٧) من اللبان لا للتبويض .

(٨) سيئة بليغة فى القبح .

مَبِينَةٌ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٥)  
 وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ خَيْرًا فَلِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ شَرًّا فَلِلَّذِينَ كَفَرُوا خَيْرًا مِمَّا يَفْعَلُونَ (٦)  
 لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٩) يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ (١٠) إِنْ أَتَقَيْتُنَّ (١١)

(١) ظاهر فحشها . من بين بمعنى تين . وفتح الياء مكى . وأبو بكر . قيل هي عصيانته رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن . وقيل الزنا . والله عاصم رسوله من ذلك .

(٢) (نضعف لها العذاب) مكى . وشامى ، (يضعف) أبو عمرو ويزيد ويعقوب .

(٣) ضعفى عذاب غيرهن من النساء لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل . وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم . ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد من العاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح . ولذا فضل حد الأحرار على العبيد . ولا يرحم الكافر .

(٤) أى تضعيف العذاب عليهن .

(٥) هينا .

(٦) القنوت الطاعة .

(٧) وبالياء فيهما حمزة وعلى .

(٨) مثل ثواب غيرها .

(٩) (رزقا كريما) جليل القدر . وهو الجنة .

(١٠) أى لستن بجماعة واحدة من جماعات النساء إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل . وأحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد . ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه .

(١١) إن أردتن التقوى أو إن كنتن متقيات .

فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا  
مَعْرُوفًا ﴿٤﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى  
وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ  
اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٩﴾

(١) أى إذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب فلا تجئن بقولكن خاضعا أى لينا خشنا مثل

كلام المريات .

(٢) بالنصب على جواب النهى .

(٣) ريبة وبخور .

(٤) حسنا مع كونه خشنا .

(٥) مدنى وعاصم غير هبيرة، وأصله أقرن . حذف الراء تخفيفا وأقيت فتحتما على ما قبلها  
أو من قارىقار إذا اجتمع . والباقون (قرن) من وقرير وقارا، أو من قرير قر حذف الأولى  
من رأى اقرن فرارا من التكرار ، ونقلت كسرتها إلى القاف .

(٦) بضم الباء بصرى ومدنى وحفص .

(٧) أى القديمة . والتبرج التبخر فى المشى أو إظهار الزينة . والتقدير (ولا تبرجن) تبرجا مثل  
تبرج النساء فى الجاهلية الأولى . وهى الزمان الذى ولد فيه إبراهيم أو ما بين آدم ونوح عليهما  
السلام ، أو زمن داود وسليمان . والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام . أو الجاهلية  
الأولى الكفر قبل الإسلام ، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفيجور فى الإسلام .

(٨) خص الصلاة والزكاة بالأمر ثم عم بجميع الطاعات تفضيلا لهما لأن من واطب  
عليهما جزأته إلى ما وراءهما .

(٩) نصب (أهل) على النداء أو على المدح . وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته . وقال (عنكم)  
لأنه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة (ويطهركم تطهيرا) من نجاسة الآثام . بين أنه إنما  
نهاهن وأمرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا

وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا  
 خَيْرًا ۖ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ  
 وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ  
 وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ

عنها بالتقوى . واستعار للذنوب الرجس ولتقوى الطهر لأن عرض المقترف للمقدمات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالأرجاس . وأما المحسنات فالعرض منها نقي كالثوب الطاهر . وفيه تنفير لأولى الألباب عن المناهى وترغيب لهم في الأوامر .

(١) القرآن .

(٢) أى السنة أو بيان معانى القرآن .

(٣) (إن الله كان لطيفاً) عالماً بغوامض الأشياء (خيراً) عالماً بحقائقها . أى هو عالم بأفعالك وأقوالك ، فاحذرن مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله .

(٤) لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء . فترلت : المسلم الداخل في السلم بعد الحرب ، المتقاد الذى لا يعاند . أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه ، من أسلم وجهه إلى الله .

(٥) المصدقين بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به .

(٦) القائمون بالطاعة .

(٧) (والصادقين) فى النيات والأقوال والأعمال .

(٨) (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن السيئات .

(٩) المتواضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخائفين .

(١٠) (المتصدقين والمتصدقات) فرضاً ونفلاً (والصائمون والصائمات) فرضاً ونفلاً . وقيل من تصدق فى كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين . ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين .

وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ  
 اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا <sup>(١)</sup> وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى  
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ <sup>(٢)</sup> وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا <sup>(٣)</sup>

(١) (الحافظين فروجهم) عما لا يحل (والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بالتسبيح والتحميد والتهيل والتكبير . وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر . والمعنى (الحافظات) فروجهن (والذاكرات) الله . فحذف لدلالة ما تقدم عليه . والفرق بين عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين أن الأول نظير قوله (ثيبات وأبكارا) في أنهما جنسان مختلفان واشتركا في حكم واحد فلم يكن بد من توسط العاطف بينهما . وأما الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع . ومعناه أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) على طاعاتهم .

(٢) خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فأبى وأبى أخوها عبد الله . فنزلت . أى وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (إذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله (أمرا) من الأمور ، أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا . بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره . فقلا رضينا يا رسول الله فانكحها إياه وساق عنه إليها مهرها . وإنما جمع الضمير (لهم) وإن كان من حقه أن يوحد لأن المذكورين وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير إلى المعنى لا إلى اللفظ . و(يكون) بالياء كوفي . والخيرة ما يتخير . ودل ذلك على أن الأمر للوجوب .

(٣) فإن كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر ، وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق .



وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ  
وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ  
فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا

(١) (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) بالإسلام الذي هو أجل النعم (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالإعتاق والتبني -- فهو متقلب في نعمته الله ونعمته رسوله. وهو زيد بن حارثة: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) زينب بنت جحش. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقع في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب. وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها. وسمعت زينب بالتسبيحة فدكرتها لزيد فظن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك؟ أرابك منها شيء؟ قال لا والله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذي فقال له (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ) فلا تطلقها -- وهو نهي تنزيه إذ الأولى ألا يطلق أو (وَاتَّقِ اللَّهَ) فلا تدمها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج.

(٢) أى تخفى في نفسك نكاحها إن طلقها زيد وهو الذى أبداه الله تعالى. وقيل الذى أخفى في نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيد إياها.

(٣) أى (وتخشى) قالة الناس إنه نكح امرأة ابنه.

والواو في (وتخفى في نفسك ، وتخشى الناس ، والله أحق) ، واو الحال. أى تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا في نفسك إرادة ألا يمسخها ؛ وتخفى خاشيا قالة الناس ، وتخشى الناس حقيقا في ذلك بأن تخشى الله . وعن عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه لكتم هذه الآية .

(٤) الوطر الحاجة ، فإذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره . والمعنى (فلما) لم يبق لزيد فيها حاجة وتفاصرت عنها همته وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) . روى أنها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ما أجد أحدا أوثق في نفسى منك. أخطب على زينب. قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب أبشرى إن رسول الله صلى الله

لِيَكِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا<sup>(١)</sup>  
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا<sup>(٢)</sup> مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ<sup>(٣)</sup>  
سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ<sup>(٤)</sup> وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا<sup>(٥)</sup> الَّذِينَ  
يَبْلَغُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَحْشُونَ<sup>(٦)</sup> وَلَا يَحْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا<sup>(٧)</sup>  
يَبْلَغُونَ<sup>(٨)</sup>

عليه وسلم يخطبك . ففرحت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها . وما أولم  
على امرأة من نسائه ما أولم عليها : ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار .

(١) قيل قضاء الوطر إدراك الحاجة وبلوغ المراد منه .

(٢) (وكان أمر الله) الذي يريد أن يكونه مكوّناً لا محالة . وهو مثل لما أراد كونه

من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب .

(٣) أحل له وأمر له وهو نكاح زينب امرأة زيد . أو قدر له من عدد النساء .

(٤) اسم موضوع موضع المصدر — كقولهم ترابا وجندلا — مؤكّد لقوله (ما كان على  
النبي من حرج) . كأنه قيل سنّ الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين وهو ألا يخرج عليهم  
في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره . وقد كانت تحتهم المهائر والسراري  
وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرّية ولسليمان ثلاثمائة حرّة وسبعمائة سرّية .

(٥) في الأنبياء الذين مضوا من قبل .

(٦) (قدرا مقدورا) قضاء مقضياً وحكما مبتوتا . ولا وقف عليه إن جعلت (الذين يبلغون  
رسالات الله) بدلا من (الذين الأول) . وقف إن جعلته في محلّ الرفع أو النصب على المدح  
أى هم (الذين يبلغون) أو أعنى (الذين يبلغون) .

(٧) وصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح في قوله (وتخشى الناس  
والله أحق أن تخشاه) .

(٨) كافيًا للخاوف ، أو محاسبًا على الصغيرة والكبيرة ، فكان جديرا بأن تخشى منه .

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ <sup>(١)</sup>  
 وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا <sup>(٢)</sup> يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آذِكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا  
 كَثِيرًا <sup>(٣)</sup> وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا <sup>(٤)</sup>

(١) أى لم يكن أباً رجل منكم حقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح— والمراد من رجالكم البالغين . والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ . والظاهر والطيب والقاسم وإبراهيم توفوا صبيانا—(ولكن) كان (رسول الله) . وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوفير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه، لا فى سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء . وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم . والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير .

(٢) بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع . أى آخرهم . يعنى لا ينبا أحد بعده . وعيسى ممن نبي قبله . وحين ينزل يتزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كأنه بعض أمته . وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم . وتقويه قراءة ابن مسعود (ولكن نبياً ختم النبيين) .

(٣) أشوا عليه بضر وب الثناء وأكثروا ذلك (وسبحوه بكرة) أول النهار (وأصيلاً) آخر النهار . وخصاً بالذكر لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما . وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والفعلان أى اذكروا الله وسبحوه موجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة . والتسبيح من جملة الذكر . وإتما اختص من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة إبانة لفضله على سائر الأذكار، لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات . وجاز أن يراد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والعبادات فإنها من جملة الذكر . ثم خص من ذلك التسبيح (بكرة) وهى صلاة الفجر (وأصيلاً) وهى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أو صلاة الفجر والعشاءين .

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
 وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا  
 كَرِيمًا ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾  
 وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٩﴾

(١) لما كان من شأن المصلّي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها . ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف . ومنه قولهم صلى الله عليك ، أى ترحم عليك وترأف . والمراد بصلاة الملائكة قولهم اللهم صل على المؤمنين . جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة . والمعنى هو الذى يترحم عليكم وترأف حين يدعوكم إلى الخير ويأمركم بما تنار الذكر والتوفّر على الصلاة والطاعة .

(٢) من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة .

(٣) هو دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة . وروى أنه لما نزل ( إن الله وملائكته يصلون على النبي ) قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فنزلت .

(٤) من إضافة المصدر إلى المفعول أى تحية الله لهم .

(٥) يروونه .

(٦) يقول تبارك وتعالى السلام عليكم .

(٧) يعنى الجنة .

(٨) (شاهدا) على من بعث إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم . أى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم . وهو حال مقدرة كما تقول مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أى مقدرا به الصيد غدا .

(٩) (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار (وداعيا إلى الله بإذنه)

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿١﴾ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ  
وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٢﴾  
يَتْلَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴿٤﴾

بأمره أو بتيسيره — والكَلِّ منصوب على الحال — (وسراجا منيرا) جلا به الله ظلمات الشرك  
واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به . والجمهور على أنه القرآن .  
فيكون التقدير وذا سراج منير . أو وتاليا سراجا منيرا . ووصف بالإشارة لأن من السراج مالا يضيء  
إذا قل سليطه ودقت فتيلته . أو (شاهدا) بوحدانيتنا (ومبشرا) برحمتنا ، (ونذيرا) بنقمتنا ،  
(وداعيا إلى) عبادتنا ، (وسراجا) وحجة ظاهرة لحضرتنا .

(١) ثوابا عظيما .

(٢) المراد التهييج أو الدوام والثبات على ما كان عليه .

(٣) (ودع أذاهم) بمعنى الإيذاء . فيحتمل أن يكون مضافا إلى الفاعل أى اجعل إيذاهم  
إياك في جانب ولا تبال بهم ولا تخف من إيذائهم . أو إلى المفعول أى دع إيذائك إياهم مكافأة لهم  
(وتوكل على الله) فإنه يكفيهم وكفى به مفوضا إليه .

وقيل إن الله تعالى وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلاً منها بخطاب مناسب له . قابل  
الشاهد بقوله (وبشّر المؤمنين) لأنه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم  
وهو الفضل الكبير ؛ والمبشّر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين لأنه إذا أعرض عنهم  
أقبل جميع إقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة ؛ والنذير بـ (دع أذاهم) لأنه إذا ترك أذاهم  
في الحاضر، والأذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل ، كانوا منذرين به في المستقبل ؛ والداعي  
إلى الله بتيسيره بقوله (وتوكل على الله) فإن من توكل على الله يسر عليه كل عسير ؛ والسراج المنير  
بالاكتفاء به وكلا لأن من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكفى به عن جميع خلقه .

(٤) أى تزوجتم . والنكاح هو الوطء في الأصل . وتسمية العقد نكاحا لملاسته له من  
حيث إنه طريق إليه كتسمية الخمر إنما لأنها سببه وكقول الراجز « أسنة الآبال في سحابه »

ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ <sup>(١)</sup> فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا <sup>(٢)</sup>  
فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا <sup>(٤)</sup> يَتَأَيَّأُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ  
الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ <sup>(٥)</sup> وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ  
عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ <sup>(٦)</sup>  
عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ <sup>(٧)</sup>

سمى الماء بأسمه الآبال لأنه سبب سمن الآبال وارتفاع أسنمها . ولم يرد لفظ النكاح في كتاب  
الله تعالى إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطاء من باب التصريح به . ومن آداب القرآن  
الكفاية عنه بلفظ الملازمة والماسمة والقربان والتغشى والإتيان . وفي تخصيص المؤمنات مع  
أن الكافيات تساوي المؤمنات في هذا الحكم إشارة إلى أن الأولى بالمؤمن أن ينكح مؤمنة .

(١) والخلوة الصحيحة كالمس .

(٢) فيه دليل على أن العدة تجب على النساء للرجال . ومعنى (تعتدونها) تستوفون عددها —  
تفتعلون من العد .

(٣) والمتعة تجب للتي طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها .

(٤) أي لا تمسوهن ضرارا وأخرجوهن من منازلكم إذ لا عدة لكم عليهن .

(٥) مهورهن إذ المهر أجز على البضع . ولهذا قال الكرخي إن النكاح بلفظ الإجارة جائز  
وقلنا التأيد من شرط النكاح والتأقيد من شرط الإجارة وبينهما منافاة . وإيتاؤها إعطاؤها  
عاجلا ، أو فرضها وتسميتها في العقد .

(٦) وهي صفة وجورية فأعتقهما وتزوجهما .

(٧) (مع) ليس للقران بل لوجودها فحسب ، كقوله (وأسلمت مع سليمان) . وعن أم هانئ  
بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فمذرنى فأنزل الله هذه الآية  
فلم أحل له لأتى لم أهاجر معه .

وَأَمْرًا مُمَرَّةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ  
يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا  
عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَلَّا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ

(١) وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطالب مهرا من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك . ولذا نكرها . قال ابن عباس هو بيان حكم المستقبل ولم يكن عنده أحد منهن بالهبة . وقيل الواهبة نفسها مميونة بنت الحرث أوزينب بنت خزيمة أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم . وقرأ الحسن (أن) بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام . وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه بغير (إن) .

(٢) استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه . وقيل نكح واستنكح بمعنى . والشرط الثانى تقييد للشرط الأول . شرط فى الإحلال هبتها نفسها . وفى الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحلناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هى قبول الهبة وما به تتم . وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمتة سواء فى الأحكام إلا فيما خصه الدليل .

(٣) (خالصة لك) بلا مهر — حال من الضمير فى (وهبت) أو مصدر مؤكّد أى خلص لك إحلال ما أحللنا لك (خالصة) بمعنى خلوصا . والفاعلة فى المصادر غير عزيز كالمأفية والكاذبة (من دون المؤمنين) بل يجب المهر على غيرك وإن لم يسمه أو نفاه .

عدل عن الخطاب إلى الغيبة فى قوله (إن أراد النبى) . ثم رجع إلى الخطاب ليؤذن أن الاختصاص تكمة له لأجل النبوة . وتكريره أى تكرير النبى تفخيم له .

(٤) أى ما أوجبنا من المهور على أمتك فى زوجاتهم أو ما أوجبنا عليهم فى أزواجهم من الحقوق .

(٥) (وما ملكت أيمانهم) بالشراء وزيهه من وجوه الملك .

(٦) ضيق . متصل بـ (خالصة لك من دون المؤمنين) وقوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم) جملة اعتراضية .

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا <sup>(١)</sup> تُرْجَى مِنْ تَشَاءَ مِنْهُنَّ وَتُوَى إِلَيْكَ مِنْ  
 تَشَاءَ <sup>(٢)</sup> وَمِنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ  
 عَيْنَهُنَّ وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ <sup>(٣)</sup> وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ <sup>(٤)</sup>

(١) (وكان الله غفورا رحيمًا) بالتوسعة على عباده .

(٢) (ترجى) بلا همز، مدني وحمة وعلى وخلف وحفص . وبهمز، غيرهم . تؤخر  
 (من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء) تضم . بمعنى ترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع  
 من تشاء . أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء . أولا تقسم لآيتهن شئت وتقسم لمن شئت .  
 أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتزوج من شئت . وهذه قسمة جامعة لما هو  
 الغرض ، لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك ، فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم .  
 وإذا طلق وعزل وإما أن يخلى المعزولة لا يتغيها أو يتغيها . وروى أنه أرجى منهن جويرية  
 وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة . وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء . وكانت ممن آوى إليه عائشة  
 وحفصة وأم سامة وزينب . أرجى خمسا وآوى أربعا . وروى أنه كان يسوى مع ما أطلق له  
 وخير فيه إلا سودة . فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نساءك .

(٣) أى ومن دعوت إلى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزات عن نفسك بالإرجاء  
 فلا ضيق عليك في ذلك ، أى ليس إذا عزلتها لم يحزلك ردها إلى نفسك . (ومن) رفع بالابتداء  
 وخبره (فلا جناح) .

(٤) (ذلك) التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى فترة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا ،  
 لأنهن إذا علمن أن هذا التفويض من عند الله اطمانت نفوسهن وذهب التغير وحصل الرضا  
 وقرت العيون . (كلهن) بالرفع تأكيد لنون (يرضين) وقرئ (ويرضين كلهن بما آتيتهن)  
 على التقديم . وقرئ شأذا (كلهن) بالنصب تأكيداً لهن في (آتيتهن) .

(٥) فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسوله .



وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا <sup>(١)</sup> لَا يَجِلُّ لَكَ <sup>(٢)</sup> النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ <sup>(٣)</sup>  
تَبَدَّلَ <sup>(٤)</sup> بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ <sup>(٥)</sup> حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ <sup>(٦)</sup> يَمِينُكَ  
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا <sup>(٧)</sup>

(١) (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتق ويحذر.

(٢) بالناء أبو عمرو ويعقوب. وغيرهما بالتذكير. لأن تأنيث الجمع غير حقيق، وإذا جاز  
بغير فصل فع الفصل أجوز.

(٣) من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج، كما أن  
الأربع نصاب أمته.

(٤) (ولا أن تبدل بهن) بالطلاق. والمعنى ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا آخر  
بكلهن أو بعضهن كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين. فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عليهن. وهن التسع التي مات عنهن عائشة، حفصة، أم حبيبة، سودة، أم سلمة، صفية،  
مميونة، زينب بنت جحش، جويرية. و(من) في (من أزواج) لتأكيد النفي. وفائدته استغراق  
جنس الأزواج بالتحريم.

(٥) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في (تبدل) أي تبدل، لا من المفعول الذي  
هو (من أزواج) لتوغله في التنكير. وتقديره مفروضا إعجابك بهن. وقيل هي أسماء بنت عميس  
امرأة جعفر بن أبي طالب. فإنها من أعجبه حسنهن. وعن عائشة وأم سلمة: ما مات رسول الله  
صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ماشاء. يعني أن الآية نسخت. ونسخها  
إما بالسنة أو بقوله (إنا أحلنا لك أزواجك) وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف.

(٦) استثنى ممن حرم عليه الإماء ومحل (ما) رفع بدل من (النساء).

(٧) حافظا. وهو تحذير عن مجاوزة حدوده.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى  
طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِينَ إِنَّهُ<sup>(١)</sup> وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا<sup>(٢)</sup>  
وَلَا مَسْتَنِينَ لِحَدِيثٍ<sup>(٣)</sup> إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ<sup>(٤)</sup>

(١) (أن يؤذن لكم) في موضع الحال أي (لا تدخلوا) إلا ما ذونا لكم . أو في معنى الظروف  
تقديره إلا وقت أن يؤذن لكم . و (غير نظيرين) حال من (لا تدخلوا) . وقع الاستثناء على الحال  
والوقت معا . كأنه قيل (لا تدخلوا بيوت النبي) إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا (غير نظيرين) ،  
أي غير منتظرين . وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون  
ويقعدون منتظرين لإدراكه . ومعناه (لا تدخلوا) يأتيها المتحينون للطعام (إلا أن يؤذن لكم إلى  
طعام غير نظيرين إناه) . وإني الطعام إدراكه . يقال إني الطعام إني كقولك قلاه قلى . وقيل إناه  
وقته أي (غير نظيرين) وقت الطعام وساعة أكله . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أولم على  
زبيب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج ويخرج ثم  
يدخل فوج ، إلى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه . فقال ارفعوا طعامكم  
وتفرق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا  
فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجرات وسلم عليهم ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس  
يتحدثون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى . فلما رأوه متوليا خرجوا .  
فرجع ونزلت .

(٢) فتفرقوا .

(٣) هو مجرور معطوف على (ناظرين) أو منصوب أي (ولا) تدخلوها (مستأنسين) .

نہوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به .

(٤) من إخراجكم .

وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ  
 ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا  
 أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا  
 إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ  
 فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ  
 وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَقِينَ اللَّهَ

(١) يعنى أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه . ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الأفعال قيل (لا يستحى من الحق) أى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحي منكم . هذا أدب أدب الله به الثقلاء . وعن عائشة رضى الله عنها حسبك فى الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال ( فإذا طعمتم فانتشروا ) .

(٢) انضمير لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبي لأن فيها نساءه .

(٣) عارية أو حاجة .

(٤) ( فاسألوهن ) المتاع ( من وراء حجاب ) . ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ) من خواطر الشيطان وعوارض الفتن . وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال . وكان عمر رضى الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن ويود أن ينزل فيه ، وقال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فترت .

(٥) ذكر أن بعضهم قال أنهى أن نكح بنات عمنا إلا من وراء حجاب؟ لئن مات مجد لأتزوجن فلانة فنزل . أى وما صح لكم إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانكاح أزواجه من بعد موته .

(٦) أى ذنبا عظيما .

(٧) ( إن تبدوا شيئا ) من إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم أو من نكاحهن ( أو تخفوه ) فى أنفسكم ( فإن الله كان بكل شىء عليما ) فيعاقبكم به .

(٨) لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يارسول الله أو نحن أيضا نكلمهن

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا <sup>(١)</sup> إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ  
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا <sup>(٢)</sup> تَسْلِيمًا  
إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ <sup>(٣)</sup>

من وراء حجاب؟ فترل (لا جناح عليهن في آباتهن ولا أبناهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن) أي نساء المؤمنات (ولا ما ملكت أيمانهن) أي لا إثم عليهن في ألا يحتجبن من هؤلاء . ولم يذكر العم والخال لأنهما يجران مجرى الوالدين . وقد جاءت تسمية العم أبا . قال الله تعالى (وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق) وإسماعيل عم يعقوب . وعبيدهن عند الجمهور كالأجانب . ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب وفي هذا النقل فضل تشديد كأنه قيل (واقفين الله) فيما أمرت به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه .

(١) علما . قال ابن عطاء الشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح .

(٢) (صلُّوا عليه) أي قولوا اللهم صلِّ على محمد أو صلِّ الله على محمد (وسلموا تسليما) أي قولوا اللهم سلم على محمد أو اتقادوا لأمره وحكمه اتقيادا . وسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال "إن الله وكل من ملكين فلا أذ كر عند عبد مسلم فيصلي على إله قال ذلك الملكان غفر الله لك ، وقال الله وملائكته جوابا لذيнок الملكين آمين . ولا أذ كر عند عبد مسلم فلا يصلي على إله قال ذلك الملكان لاغفر الله لك ، وقال الله وملائكته جوابا لذيнок الملكين آمين" . ثم هي واجبة مرة عند الطحاوي ، وكلما ذكر اسمه عند الكرخي . وهو الاحتياط وعليه الجمهور . وإن صلَّى على غيره على سبيل التبع كقوله صلَّى الله على النبي وآله فلا كلام فيه . وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه وهو من شعائر الروافض .

(٣) أي يؤذون رسول الله . وذ كراسم الله للتشريف . أو عبر بإيذاء الله ورسوله عن فعل مالا يرضى به الله ورسوله كالكفر وإنكار النبوة ، مجازا . وإثما جعل مجازا فيهما وحقيقة الإيذاء يتصوّر في رسول الله لثلا يجتمع المجاز والحقيقة في لفظ واحد .

لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا <sup>(١)</sup> وَالَّذِينَ يُؤذُونَ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا آكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا  
 مُبِينًا <sup>(٢)</sup> يَتَّيِبُهَا اللَّهُ لِلَّذِينَ يُؤذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُؤذُونَ  
 عَلَيْهِمْ مِنْ جَلِيلٍ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفَ فَلَئِمَّا يُوذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
 رَحِيمًا <sup>(٣)</sup>

(١) طردهم الله عن رحمته في الدارين (وأعد لهم) في الآخرة (عذابا مهينا).

(٢) أطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأن ذلك يكون غير حق أبدا. وأما هذا فمنه حق — كالحقد والتعزير — ومنه باطل. قيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون علياً رضي الله عنه ويسمعونه، وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات. وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً بغير حق فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات.

(٣) (فقد) تحملوا (بهتاناً) عظيماً (وإثماً) ظاهراً.

(٤) الجلباب ما يستر الكل مثل الملحفة، عن المبرد. ومعنى (يؤذون عليهم من جلايلهم) يرخيها عليهم ويغطي بها وجوههم وأعطافهم، يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك. (ومن) للتبعض أي ترخي بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة. أو المراد أن يتجلببن ببعض ما هن من الجلابيب وألا تكون المرأة متبذلة في درع وحمار كالأمة ولها جلبابان فصاعداً في بيتها. وذلك أت النساء كن في أول الإسلام على هجران في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وحمار لافضل بين الحرّة والأمة. وكان الفتيان يتعرضون للإماء إذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهم في النخيل والغيطان. وربما تعرضوا للحرّة لحسبان الأمة. فأمرن أن يخالفن بزيتهم عن زى الإمام بلبس الملاحف وستر العروس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع. وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذون) أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرضن لهن (وكان الله غفوراً) لما سلف منهن من التفريط (رحيماً) بتعليمهن آداب المكارم.

لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ<sup>(١)</sup> وَالْمُرْجِفُونَ<sup>(٢)</sup>  
 فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ<sup>(٣)</sup> ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا<sup>(٤)</sup>  
 مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أَخَذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا<sup>(٥)</sup> سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا<sup>(٦)</sup>

(١) (والذين في قلوبهم) بخور ، وهم الزناة . من قوله (فيطمع الذي في قلبه مرض) .

(٢) هم أناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين . يقال أرجف بكنا إذا أخبر به على غير حقيقة ، لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت ، من الرجفة وهي الزلزلة .

(٣) لنامرتك بقتالهم أو لنسلطنك عليهم .

(٤) (ثم لا يجاورونك) في المدينة . وهو عطف على (لنغرينك) لأنه يجوز أن يجاب به القسم لصحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك . ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به عطف بتم بعد حاله عن حالة المعطوف عليه .

(٥) (إلا) زمانا (قليلًا) .

والمعنى (لئن لم ينته المنافقون) عن عداوتهم وكيدهم ، والفسقة عن بخورهم (والمرجفون) عما يؤلفون من أخبار السوء لنامرتك بأن تفعل الأفعال التي تسوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى ألا يساكنوك فيها إلا زمانا قليلا ريثما يرتحلون . فسمى ذلك إغراء — وهو التحريش — على سبيل المجاز .

(٦) نصب على الشتم أو الحال . أى (لا يجاورونك) إلا (ملعونين) . فلا استثناء دخل على الظرف والحال معا كما مرة . ولا ينصب عن (أخذوا) لأنه ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيها قبلها .

(٧) وجدوا .

(٨) التشديد يدل على التكثير .

(٩) في موضع مصدر مؤكد . أى سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا أبنا وجدوا .

(١٠) مضوا .

مِنْ قَبْلُ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ  
 قُلْ إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٢﴾ إِنَّ  
 اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٣﴾ مَخْلُودِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ  
 وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٤﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا  
 أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا

(١) أى لا يبدل الله سنته بل يجرها مجرى واحدا في الأمم .

(٢) كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء ، واليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب . فأمر رسوله بأن يجههم بأنه علم قد استأثر الله به ، ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديداً للمستعجلين وإسكاتا للمتحنين بقوله ( قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ) شيئا قريبا . أولئك الساعة في معنى الزمان .

(٣) (وأعد لهم) نارا شديدة الانتقاد . ولا وقف على (سعيراً) لأن قوله (خالدين فيها) حال من الضمير في (لهم) .

(٤) هذا يرذ مذهب الجهمية لأنهم يزعمون أن الجنة والنار تفتيان .  
(٥) ناصرا يمنعهم .

(٦) اذ كر (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت . وخصصت الوجوه لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده . أو يكون الوجه عبارة عن الجملة .

(٧) (يقولون) — حال — (يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول) فتخلص من هذا العذاب . فتمنوا حين لا ينفعهم التمتي .

(٨) جمع سيّد . (ساداتنا) شامئ وسهل ويعقوب جمع الجمع . والمراد رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم .

(٩) ذوى الأسنان منا أو علماءنا .

فَاضْلُونَا السَّبِيلَ <sup>(١)</sup> رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَيمَ <sup>(٢)</sup>  
لَعْنًا كَبِيرًا <sup>(٣)</sup> يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا  
مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً <sup>(٤)</sup> يَأْتِيهَا <sup>(٥)</sup>  
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا <sup>(٦)</sup> يُصْلِحْ لَكُمْ ءَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ <sup>(٦)</sup>

(١) يقال ضلَّ السبيل وأضله إياه . وزيادة الألف لإطلاق الصوت . جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر . وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف .

(٢) للضلال والإضلال .

(٣) بالباء عاصم ليدل على أشد اللعن وأعظمه . وغيره بالناء تكثيراً لأعداد اللعائن .

(٤) نزل في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس ( يأتيا الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ) ما مصدرية أو موصولة . وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤذاه وهو الأمر المغيب . وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها ، أو آتاهمهم إياه بقتل هرون فأحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برأ نبينا عليه السلام بقوله ( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ) .

(٥) ذا جاه ومنزلة مستجاب الدعوة . وقرأ ابن مسعود والأعمش ( وكان عبداً لله وجيهاً ) .

(٦) ( وقولوا قولاً سديداً ) صدقاً وصواباً أو قاصداً إلى الحق والسداد القصد إلى الحق والقول بالعدل . والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يستدوا قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير . ولا تقف على ( سديداً ) لأن جواب الأمر قوله ( يصلح لكم أعمالكم ) يقبل طاعتكم أو يوفقكم لصالح العمل ( ويغفر لكم ذنوبكم ) أي يمحوها . والمعنى راقبوا الله في حفظ



وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ  
عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا  
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿١١﴾

ألستكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم  
والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها . وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت  
تلك على النهي عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الأمر باتقاء الله  
في حفظ اللسان ليرتادف عليهم النهي والأمر مع إتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة  
موسى عليه السلام وإتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى  
تركه .

(١٠) لما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)  
أتهيه قوله (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها) . وهو يريد  
بالأمانة الطاعة لله وبجمل الأمانة الخيانة . يقال فلان حامل الأمانة ومحمّل لها أى لا يؤذيها  
إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ، إذ الأمانة كأنها راكبة للؤمن عليها وهو حاملها ولهذا  
يقال ركبته الديون ولى عليه حق ، فإذا أداها لم تبقى راكبة له ولا هو حامل لها . يعنى أن  
هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله انقياد مثلها وهو  
ما يتأتى من الجمادات ، وأطاعت له الطاعة التي تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته  
إيجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة ، كما قال (ثم استوى إلى السماء  
وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قلنا أتينا طائعين) وأخبر أن الشمس والقمر  
والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله وإن من الحجارة لما يهبط من خشية الله .  
وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصرح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواحيه  
وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصرح منها ويليق بها من الانقياد  
وعدم الامتناع وهذا معنى قوله (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أى أبين الخيانة فيها والآيؤذيتها  
وخفن من الخيانة فيها (وحملها الإنسان) أى خان فيها وأبى إلا أن يكون محتملا لها لا يؤذيها

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ  
وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ (١) وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٢)

(إنه كان ظلوماً) لكونه تاركا لأداء الأمانة (جهولا) لإخطائه مايساعده مع تمكنه منه وهو  
أداؤها . قال الزجاج الكافر والمنافق حملا الأمانة أى خانا ولم بطيعا . ومن أطاع من الأنبياء  
والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا .

وقيل معنى الآية أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه أنه عرض على أعظم ماخلق الله من  
الإجرام وأقواه فأبى حمله وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه (إنه كان ظلوما جهولا) حيث  
حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمها ثم خاس بضمانه فيها . ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب  
وما جاء القرآن إلا على أساليبهم . من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوى العوج .

(١) اللام للتعليل لأن التعذيب هنا نظير التأديب فى قولك ضربته للتأديب . فلا تقف  
على (جهولا) وقرأ الأعمش (ويتوبُ الله) بالرفع ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويتدى  
(ويتوبُ الله) . ومعنى المشهورة يعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنه  
إذا تيب على الوافى كان نوعا من عذاب الغادر . أو للعاقبة أى حملها الإنسان قال الأمر إلى  
تعذيب الأشقياء وقبول توبة السعداء .

(٢) (وكان الله غفورا) للتائبين (رحيما) بعباده المؤمنين والله الموفق للصواب .

## سورة سبأ مكّية

وهي أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ<sup>(١)</sup> مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ<sup>(٢)</sup> وَلَهُ الْحَمْدُ  
 فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ<sup>(٤)</sup> الْخَبِيرُ<sup>(٥)</sup> يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا  
 وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا<sup>(٦)</sup> وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ

(١) إن أجرى على المعهود، فهو بما حمد به نفسه محمود . وإن أجرى على الاستغراق ،  
 فله لكل المحامد الاستحقاق .

(٢) بلام التملك لأنه خالق ناطق الحمد أصلاً ، فكان بملكه مالك الحمد للتحميد أهلاً .

(٣) و (له ما في السموات وما في الأرض) خلقاً وملكاً وقهراً ، فكان حقيقاً بأن يحمد  
 سراً ووجهراً .

(٤) (وله الحمد في الآخرة) كما هو له في الدنيا . إذ النعم في الدارين من المولى . غير أن الحمد  
 هنا واجب لأن الدنيا دار تكليف ؛ وثم لا ، لعدم التكليف . وإتماماً يحمد أهل الجنة سروراً  
 بالنعيم ، وتلذذاً بما نالوا من الأجر العظيم ، بقولهم (الحمد لله الذي صدقنا وعده) ، (الحمد لله الذي  
 أذهب عنا الحزن) .

(٥) (وهو الحكيم) بتدبير ما في السماء والأرض ، (الخبير) بضمير من يحمده ليوم الجزاء  
 والعرض .

(٦) (يعلم) — مستأنف — ما يدخل (في الأرض) من الأموات والدفائن ،  
 (وما يخرج منها) من النبات وجوهر المعادن ، (وما ينزل من السماء) من الأمطار وأنواع  
 البركات ، (وما) يصعد إليها من الملائكة والدعوات (وهو الرحيم) بإنزال ما يحتاجون إليه ،  
 (الغفور) لما يكثرئون عليه .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَنِ الْغَيْبِ  
لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ  
وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦٦﴾

(١) أى منكر والبعث .

(٢) نفى للبعث وإنكار لمحجىء الساعة .

(٣) أوجب ما بعد النفي بد (بلى) على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها . ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل . ثم أمد التوكيد القسماً بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله ( عالم الغيب ) لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه ، وبشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر . وكلما كان المستشهد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وأكد ، والمستشهد عليه أثبت وأرسخ . ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية ، كان الوصف بما يرجع إلى علم الغيب أولى وأحق . ( عالم الغيب ) مدنى وشامى ، أى هو ( عالم الغيب ) . ( عالم الغيب ) حمزة وعلى على المبالغة .

(٤) وبكسر الزاى على . يقال عزب يعزب ويعزب إذا غاب وبعد .

(٥) مقدار أصغر نملة .

(٦) ( ولا أصغر ) من مثقال ذرة ( ولا أكبر ) من مثقال ذرة إلا فى اللوح المحفوظ . ( ولا أصغر ، ولا أكبر ) بالرفع عطف على ( مثقال ذرة ) . ويكون ( إلا ) بمعنى لكن . أو رفعاً بالابتداء والخبر ( فى كتاب ) .

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ؕ وَلِيَكُ لَكُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ <sup>(٢)</sup>  
 وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ ؕ وَلِيَكُ لَكُمْ عَذَابٌ مِّن رَّبِّكَ ءَلِيمٌ <sup>(٤)</sup>  
 وَيُرَى الَّذِينَ ءَاتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي <sup>(٥)</sup>  
 إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ <sup>(٦)</sup>

(١) اللام متعلق بآياتينكم تعليلا له .

(٢) (أولئك لهم مغفرة) لما قصرُوا فيه من مدارج الإيمان (ورزق كريم) لما صبروا عليه من مناهج الإحسان .

(٣) (والذين) جاهدوا في ردّ القرآن مسابقين ظانين أنهم يفوتوننا . (مُعْجِزِينَ) مكى وأبو عمرو أى مثبطين الناس عن اتباعها وتأملها ، أو ناسبين الله إلى العجز .

(٤) برفع (أليم) مكى وحفص ويعقوب صفة لعذاب أى عذاب أليم من سبي العذاب . قال قتادة الرجز سوء العذاب . وغيرهم بالجز صفة لرجز .

(٥) (ويرى) في موضع الرفع بالاستئناف . أى ويعلم (الذين أتوا العلم) — يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمتة ، أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه — (الذى أنزل إليك من ربك) — يعنى القرآن . المفعول الأوّل يرى — (هو الحق) أى الصديق . و(هو) فعمل ، و(الحق) مفعول ثان . أو في موضع النصب معطوف على (ليجزى) . أى وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لايزاد عليه في الإيقان .

(٦) (ويهدى) الله أو الذى أنزل إليك (إلى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْبئُكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ كُلُّ مُمْزِقٍ  
 إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٣﴾ أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ  
 لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ  
 أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا خَفِيفًا أَوْ تُسْقِطًا  
 (٦) (٧)

(١) (وقال) قرئش بعضهم لبعض .

(٢) يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم . وإثما نكروه مع أنه كان مشهوراً علماً في قريش  
 وكان إنبأؤه بالبعث شائعاً عندهم ، تجاهلاً به وبأمره . وباب التجاهل في البلاغة وإلى سحرها .

(٣) أى يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تبعثون وتنشئون خلقاً جديداً بعد أن تكونوا  
 رفاتاً وتراباً ويمزق أجسادكم البلى (كل ممزق) أى يفرقكم كل تفریق . فالتمزق مصدر بمعنى التمزيق  
 والعامل في (إذا) مادّل عليه (إنكم لفي خلق جديد) أى تبعثون . والجديد فعيل بمعنى فاعل  
 عند البصريين ، تقول جد فهو جديد كقل فهو قليل ولا يجوز أنكم بالفتح لآم في خبره .

(٤) أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك ؟ — والهمزة للاستفهام وهمزة  
 الوصل حذف استغناء عنها — (أم به) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه .

(٥) قال سبحانه وتعالى ليس محمداً من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما . بل هؤلاء  
 القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤذهم إليه من الضلال عن الحق . وهم  
 غافلون عن ذلك . وذلك أجنّ الجنون . جعل وقوعهم في العذاب رسيلاً لوقوعهم في الضلال  
 كأنهما كائنان في وقت واحد لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه جعلاً كأنهما مقترنان .  
 ووصف الضلال بالبعيد من الإسناد المجازى لأن البعيد صفة الضلال إذا بعد عن الجادة .

(٦) وبالإدغام على للتقارب بين الفاء والباء . وضعفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء .

(٧) الثلاثة بالياء كوفى غير عاصم ، لقوله (أفترى على الله كذبا) .

عَلَيْهِمْ كَسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ <sup>(١)</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبِيدٍ مُّذِيبٍ <sup>(٢)</sup> وَلَقَدْ آتَيْنَا  
 دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَلُ أَوْبَى <sup>(٣)</sup> مَعَهُ <sup>(٤)</sup> وَالطَّيْرَ <sup>(٥)</sup> وَالنَّارَ لَهٗ الْحَدِيدَ <sup>(٦)</sup> أَنْ أَعْمَلَ <sup>(٧)</sup>

(١) (كسفا) حفص .

أى أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض وأنهما حيثما كانوا وأينا ساروا أمامهم وخلفهم  
 محيطتان بهم لا يقدر أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ،  
 ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول  
 وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة .

(٢) (إن في ذلك) النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة  
 الله تعالى ، لدلالة (لكل عبد) راجع إلى ربه مطيع له ، إذ المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله  
 على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به .

(٣) بدل من (فضلا) أو من (آتيننا) بتقدير قولنا (يا جبال) أو قلنا (يا جبال) .

(٤) من التأويب . رجعى معه التسبيح . ومعنى تسبيح الجبال أن الله يخلق فيها تسبيحا  
 فيسمع منها كما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام .

(٥) (والطير) عطف على محل الجبال ، (والطير) عطف على لفظ الجبال .

وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم  
 بالطاعة أطاعوا وإذا دعاهم أجابوا إشعارا بأنه ما من حيوان وجماد إلا وهو منقاد  
 لمشيئة الله تعالى . ولو قال آتيننا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفخامة .

(٦) وجعلناه له لنا كالطين المعجون يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة .  
 وقيل لأن الحديد في يده لما أوتي من شدة القوة .

(٧) (أن) بمعنى أى . أو أضربناه (أن أعمل) .

سَبَّغْتِ وَقَدَّرِ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ <sup>(٣)</sup>  
 وَلِسَلِيمَانَ الرَّيْحِ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ <sup>(٦)</sup>  
 وَمَنْ أَلْحَنَ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهٖ <sup>(٧)</sup> وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا  
 نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ <sup>(٨)</sup>

(١) دروعا واسعة تامة. من السبوغ. وهو أول من اتخذها. وكان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء. وقيل كان يخرج متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود؟ فيثنون عليه. فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته. فقال نعم الرجل لولا خصلته فيه وهو أنه يطعم عياله من بيت المال. فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع.

(٢) لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحاقق. والسرد نسج الدروع.

(٣) (واعملوا) - الضمير لداود وأهله - خالصا يصالح للقبول (إني بما تعملون بصير) فأجازيكم عليه.

(٤) أي (و) سخرنا (لسليمان الريح) وهي الصبا. ورفع (الريح) أبو بكر وحماد والفضل، أي (لسليمان الريح) مسخرة.

(٥) جريها بالفسداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك. وكان يفدو من دمشق فيقبل باصطخر فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع. وقيل كان يتغذى بالرى ويتعشى بسمرقند.

(٦) أي معدن النحاس. فالقطر النحاس وهو الصُّفْر ولكنّه أساله وكان يسيل في الشهر ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكان قبل سليمان لا يذوب. وسماه عين القطر باسم ما آل إليه.

(٧) (من) في موضع نصب. أي (و) سخرنا (من الجن من يعمل بين يديه) بأمر (ربه).

(٨) ومن يعدل (منهم عن أمرنا) الذي أمرنا به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب الآخرة).

وقيل كان معه ملك بيده سوط من نار فنزاع عن أمر سليمان عليه السلام ضرب به ضربة أحرقتة.



يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ (١) وَتَمَثِيلٍ (٢) وَجِفَانٍ (٣) كَالْجَوَابِ (٤) وَقُدُورٍ  
رَأْسِيَّتٍ (٥) أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ (٦) شُكْرًا (٧) وَقَلِيلٌ (٨) مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ (٨)

(١) أى مساجد أو مساكن .

(٢) أى صور السباع والطيور . روى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسية ونسرين فوقه . فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما . وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما . وكان التصوير مباحا حينئذ .

(٣) جمع جفنة .

(٤) جمع جابية . وهى الحياض الكبار . قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل . (كالجوابى) فى الوصل والوقف مكى ويعقوب وسهل . وافق أبو عمر وفى الوصل . الباقون بغير ياء اكتفاء بالكسرة .

(٥) ثابتات على الأنثى لا تنزل عنها لعظمها . وقيل إننا باقية باليمن .

(٦) وقلنا لهم (اعملوا آل داود شكرا) أى ارحموا أهل البلاد واسألوا ربكم العافية ، عن الفضيل . و(شكرا) مفعول له أو حال أى شاكرين . أو اشكروا شكرا لأن (اعملوا) فيه معنى اشكروا من حيث إن العمل للنعم شكره . أو مفعول به ، يعنى إننا نتخفرتنا لكم الجن يعملون لكم ماشقتم فاعملوا أتم شكرا . وسئل الجنيد عن الشكر فقال "بذل المجهود ، بين يدي المعبود" .

(٧) بسكون الياء حمزة ، وغيره بفتحها .

(٨) المتوقر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدها . وعن ابن عباس رضى الله عنه "من يشكر على أحواله كلها" . وقيل من يشكر على الشكر . وقيل من يرى عجزه عن الشكر . وحكى عن داود عليه السلام أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى .

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ  
 مِنْسَاتِهِ<sup>(٤)</sup> فَلَمَّا حَرَ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي  
 الْعَذَابِ الْمُهِينِ<sup>(٥)</sup> لَقَدْ كَانَ لِسَبِإٍ فِي مَسْكِئِهِمْ<sup>(٦)</sup> آيَةٌ جَنَّتَانِ<sup>(٧)</sup>  
<sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup>

(١) أى على سليمان .

(٢) أى الجن وآل داود .

(٣) أى الأرضة وهى دويبة يقال لها سرفرة . والأرض فعلها ، فاضيفت إليه .  
 يقال أرضت الخشبة أرضاً إذا أكلتها الأرضة .

(٤) العصا تسمى منسأة لأنه ينسأ بها أى يطرد . (ومنساته) بغير همز مدنى وأبو عمرو .

(٥) (فلما) سقط سليمان علمت (الجن) كلهم علما يئسا بعد التباس الأمر على عاقبتهم  
 وضعفتهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (في العذاب المهين) . وروى  
 أن داود عليه السلام أتس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات  
 قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه . فلما بقى من عمره سنة سأل ربه  
 أن يعتمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ، ولتبطل دعواهم علم الغيب . وكان عمر سليمان  
 ثلاثاً وخمسين سنة . ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقى في ملكه أربعين سنة . وابتدأ بناء  
 بيت المقدس لأربع مضي من ملكه . وروى أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه ، فلما دنا  
 ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يحسر أحد بعده أن يدنو منه .

(٦) بالصرف بتأويل الحى ، وبعده أبو عمرو بتأويل القبيلة .

(٧) حمزة وحفص . (مسكنهم) على وخلف . وهو موضع سكنهم . وهو بلدهم وأرضهم  
 التى كانوا مقيمين فيها باليمن . أو مسكن كل واحد منهم . غيرهم (مسكنهم) .

(٨) اسم كان .

(٩) بدل من (آية) . أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية (جنتان) . ومعنى كونهما آية أن  
 أهلها لما أعرضوا عن شكر الله سلبهم الله النعمة ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا  
 من الكفر وغمط النعم . أو جعلها آية أى علامة دالة على قدرة الله وإحسانه ووجوب شكره .

عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ  
 غَفُورٌ ﴿٤﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ  
 ﴿٥﴾

(١) أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها . وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامتها كأنها جنة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة . أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله .

(٢) حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم ، أو لما قال لهم لسان الحال ، أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك .

(٣) ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ومن يميزها من الغرباء يموت قلبه لطيب هوائها .

(٤) أى هذه البلدة التى فيها رزقكم (بلدة طيبة) وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم (رب غفور) لمن شكره . قال ابن عباس كانت سبأ على ثلاثة فراعخ من صنعاء وكانت أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها المكمل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكمل مما يتساقط فيه من الثمر .

(٥) (فأعرضوا) عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله طينا نعمة .

(٦) أى المطر الشديد ، أو العرم امم الوادى ، أو هو الجرذ الذى تقب عليهم السكر . لما طغوا سلط الله عليهم الجرذ فنقبه من أسنله ففرقهم .

(٧) (وبدلناهم بجنتيهم) المذكورتين (جنتين) وتسمية البديل (جنتين) للشاكلة وازدواج الكلام كقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) .

ذَوَاتِي أَكُلِي مَعْمَطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۖ ذَٰلِكَ  
 جَزِينُهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ يُجَازِي ۖ إِلَّا الْكَفُورَ ۖ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ  
 وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَهْرًا وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ

(١) الأكل الثمر يشقل ويخفف . وهو قراءة نافع ومكي . والنمط شجر الأراك . وقيل كل شجر ذى شوك . ووجه من تون الأكل - وهو غير أبى عمرو - أن أصله ذواتى أكلى أكل فخذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه . أو وصف الأكل بالنمط كأنه قيل ذواتى أكل بشع . ووجه أبى عمرو أن أكل النمط فى معنى البرير - وهو ثمر الأراك إذا كان غضاً - فكأنه قيل ذواتى برير .

(٢) الأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا . والأثل والسدر معطوفان على (أكل) لا على نمط ، لأن الأثل لا أكل له . وعن الحسن قلل السدر لأنه أكرم ما بدلووا لأنه يكون فى الجنان .

(٣) أى جزيناهم ذلك بكفرهم ، فهو مفعول ثان مقدم .

(٤) كوفى غير أبى بكر . (وهل يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورَ) ، غيرهم . يعنى (وهل نجازى) مثل هذا الجزاء إلا من كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله . أو هل يعاقب . لأن الجزاء وإن كان طاماً يستعمل فى معنى المعاقبة وفى معنى الإثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب .

وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام .

(٥) (وجعلنا) بين سبأ (و بين القرى التى باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها فى النعم والمياه - وهى قرى الشام - (قرى) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لأعين الناظرين . أو (ظاهرة) للسابغة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم . وهى أربعة آلاف وسبعائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام .

(٦) أى جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يقبل المسافر فى قرية ويروح فى أخرى إلى أن يبلغ الشام .

سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَيَأْمَأْمَأَمِينِينَ ﴿٢﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿٤﴾  
 بِجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ  
 شَكُورٍ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾

(١) وقلنا لهم (سيروا) . ولا قول ثمة ولكنهم لما مكثوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك .

(٢) أى (سيروا فيها) إن شتمت بالليل ، وإن شتمت بالنهار . فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات . أى سيروا فيها (أمينين) لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت أياما وليالى .

(٣) قالوا يا ليتها كانت بعيدة فنسير على نجائنا ونريح في التجارات ونفاجر في الدواب والأسباب . بطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب . (بعد) مكى وأبو عمرو .

(٤) (وظلموا) بما قالوا (أنفسهم) .

(٥) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم .

(٦) وفرقناهم تفريقا اتخذته الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيادي سبا . فلحق غسان بالشام وأعمار بيثرب ، وجذام بهامة والأزد بعمان .

(٧) (إن في ذلك لآيات لكل صبار) عن المعاصي (شكور) للنعم . أول لكل مؤمن لأن الإيمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر .

(٨) (صدق) بالتشديد كوفى أى حقق عليهم ظنه ، أو وجده صادقا . وبالتخفيف غيرهم أى صدق في ظنه . الضمير في (عليهم) و (اتبعوه) لأهل سبا أو لبني آدم .

(٩) قال المؤمنون لتقتلهم بالإضافة إلى الكفار (ولا تجد أكثرهم شاكرين) .

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ اِلَّا لِنَعْلَمَ <sup>(١)</sup> مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا  
 فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ <sup>(٢)</sup> قُلِ ادْعُوا الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُوْنِ  
 اَللّٰهِ لَا يَمْلِكُوْنَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْاَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيْهَا مِنْ  
 شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظٰهِيرٍ <sup>(٣)</sup> وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ اِلَّا لِمَن اٰذَنَ لَهُ <sup>(٤)</sup>

(١) (وما كان) لإبليس على الذين صار ظنه فيهم صدقا من تسليط واستيلاء بالوسوسة  
 (إلا لتعلم) موجودا ما علمناه معدوما . والتغير على المعلوم لا على العلم .

(٢) محافظ عليه . وفعيل ومفاعل متأخيان .

(٣) (قل) لمشركي قومك (ادعوا الذين) زعمتموهم آلهة من دون الله . فالمفعول الأول  
 الضمير الراجع إلى الموصول . وحذف كما حذف في قوله (أهدا الذي بعث الله رسولا)  
 استخفافا لطول الموصول بصلته . والمفعول الثاني آلهة . وحذف لأنه موصوف صفته  
 (من دون الله) والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوما . فإذا مفعولا  
 زعم محذوفان بسببين مختلفين . والمعنى (ادعوا الذين) عبدتموهم من دون الله من الأصنام  
 والملائكة وسميتهم باسمه والتجئوا إليه فيما يعرفون كما تتجئون إليه وانتظروا استجابتهم  
 لدعائكم كما تنتظرون استجابته . ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر  
 أو نفع أو ضرر (في السموات ولا في الأرض وما لهم) في هذين الجنسين من شركة في الخلق  
 ولا في الملك (وماله) تعالى من آلهتهم من عوين يعينه على تدبير خلقه . يريد أنهم على هذه  
 الصفة من العجز ، فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى ؟

(٤) أي (أذن له) الله يعني إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله . وهي اللام الثانية في قولك  
 أذن لزيد لعمرى لأجله . وهذا تكذيب لقولهم (هؤلاء شفعاؤنا) عند الله . (أذن له) كوفي  
 غير عاصم إلا الأعشى .

حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ <sup>(١)</sup>  
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ <sup>(٢)</sup> قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ <sup>(٣)</sup>

(١) أى (حتى إذا) كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها ربّ الربة في إطلاق الإذن . و(فزع) شامى أى الله تعالى . والتفريع إزالة الفزع . و(حتى) غاية لما فهم من أن تمّ انتظارا الإذن وتوقفا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أولا يؤذن لهم . كأنه قيل يترصبون ويتوقعون مليا فزعين (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا) سأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أى القول الحق . وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى .

(٢) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى .

(٣) أمره بأن يقرهم بقوله (من يرزقكم) . ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم (الله) . وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لهم أن يقال لهم : فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق ؟ وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذى — إن لم يزد على إقرارهم بالسنتهم — لم يتقاصر عنه : (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) . ومعناه وإن أحد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال . وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خاطب به قد أنصفك صاحبك . وفى درجه بعد تقدمه ما قدم من التقرير بدلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ، ولكن التعريض أوصل بالمجادل إلى الغرض . ونحوه قولك للكاذب إن أحدنا لكاذب . وخواف بين حرفي الجزأ الداخلين على الهدى والضلال لأن صاحب الهدى كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء ، والضال كأنه ينغمس فى الظلام لا يرى أين يتوجه .

قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ <sup>(١)</sup> قُلْ يَجْمَعُ  
 بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ <sup>(٢)</sup> قُلْ أَرُونِي  
 الَّذِينَ أَحَقُّمُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ <sup>(٣)</sup> وَمَا أَرْسَلْنَاكَ  
 إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(٤)</sup>

(١) هذا أدخل في الإنصاف من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين وهو مزجور  
 عنه محذور ، والعمل إلى المخاطبين وهو مأمور به مشكور .

(٢) (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم) يحكم (بيننا) بلا جور ولا ميل (وهو) الحاكم  
 (العليم) بالحكم .

(٣) أي (أروني الذين) ألحقتموهم بالله (شركاء) في العبادة معه . ومعنى قوله (أروني) -  
 وكان يراهم - أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الإشراك به .

(٤) ردع وتذية ، أي ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم .

(٥) (بل هو) الغالب فلا يشاركه أحد - (وهو) ضمير الشأن - (الحكيم) في تديبه .

(٦) (إلا) إرسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم .  
 وقال الزجاج معنى الكافة في اللغة الإحاطة ؛ والمعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والإبلاغ  
 بفعله حالا من الكاف . والتاء على هذا للبالغة كناء الراوية والعلامة .

(٧) (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا) بالفضل لمن أقر (ونذيرا) بالعدل لمن أصر .  
 (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيحملهم جهاهم على مخالفتك .



وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ <sup>(١)</sup> إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٠﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ <sup>(٢)</sup>  
 لَا تَسْتَحِخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِدُّونَ <sup>(٣)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ <sup>(٤)</sup>  
 نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ <sup>(٥)</sup> وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ  
 عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا <sup>(٦)</sup>  
<sup>(٧)</sup>

(١) أى القيامة المشار إليها فى قوله ( قل يجمع بيننا ربنا ) .

(٢) الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان . وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ( ميعاد يوم ) فأبدل منه اليوم . وأما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول بعير سانية .

(٣) أى لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال ، ولا التقدم إليه بالاستعجال . ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم أنهم سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا لاسترشادا ، بغاء الجواب على طريق التهديد مطابقا للسؤال على سبيل الإنكار والتعنت ، وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه .

(٤) أى أبو جهل وذووه .

(٥) أى ما نزل قبل القرآن من كتب الله . أو القيامة والجنة والنار . والمعنى أنهم حمدوا أن يكون القرآن من الله ، وأن يكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة .

(٦) (ولو ترى إذ الظالمون) محبوبسون يرد (بعضهم إلى بعض القول) فى الجدل . أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم فى الآخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أول للخطاب : ولو ترى فى الآخرة موقفهم وهم يتجادبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم ، لرأيت العجب . فحذف الجواب .

(٧) أى الأتباع .

لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا  
 لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحَنُ صَدَدْنَكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ  
 بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ  
 مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا

(١) أى للرؤوس والمقدمين .

(٢) (لولا) دعاؤكم إيانا إلى الكفر (لكننا مؤمنين) بالله ورسوله .

(٣) أولى الاسم أى (نحن) حرف الإنكار ، لأن المراد إنكار أن يكونوا هم الصادقين لهم  
 عن الإيمان ، وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه ، وأنهم أتوا من قبل اختيارهم .

(٤) إنما وقعت (إذ) مضافا إليها وإن كانت إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية لأنه  
 قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف إليها الزمان .

(٥) (بل كنتم) كافرين لاختياركم وإيثاركم الضلال على الهدى لا بقولنا وتسويلنا .

(٦) لم يأت بالعاطف في (قال الذين استكبروا) وأتى به في (وقال الذين استضعفوا) لأن  
 الذين استضعفوا مرّ أولاً كلامهم بغيره بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف .  
 ثم جىء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول .

(٧) بل مكرّم بنا بالليل والنهار . فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة  
 المكر إليه . أو جعل ليلهم ونهارهم ما كرين على الإسناد المجازى ، أى الليل والنهار مكرّا بطول  
 السلامة فيهما حتى ظنننا أنكم على الحق (إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له) أشباها .  
 والمعنى أن المستكبرين لما أنكروا بقولهم (أنحن صددناكم) أن يكونوا هم السبب في كفر  
 المستضعفين وأثبتوا بقولهم (بل كنتم مجرمين) أن ذلك بكسبهم واختيارهم ، كرّ عليهم  
 المستضعفون بقولهم (بل مكر الليل والنهار) . فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم . كأنهم قالوا ما كان  
 الإجماع من جهتنا بل من جهة مكرّم لنا دأبا ليلا ونهارا ، وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد .

وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا  
 فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٥﴾  
 وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٦﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي  
 يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

(١) أضربوا أو أظهروا وهو من الأضداد . وهم الظالمون في قوله (إذ الظالمون موقوفون) .  
 يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم ، والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين .

(٢) الجحيم .

(٣) أي في أعناقهم . بقاء بالصریح للدلالة على ما استحقوا به الأغلال .

(٤) (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) في الدنيا .

(٥) (وما أرسلنا في قرية من نبي) (إلا قال) متنعموها ورؤساؤها (إنا بما أرسلتم  
 به كافرون) . هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما  
 جاء به ، وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أهل مكة ، وافترخوا بكثرة الأموال والأولاد كما قال (وقالوا نحن أكثر أموالا  
 وأولادا وما نحن بمعذبين) . أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا إلى أحوالهم في الدنيا  
 وظنوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله . ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم .  
 فأبطل الله ظنهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء . وربما وسع على العاصي وضيق  
 على المطيع . وربما عكس وربما وسع عليهما أو ضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب .  
 وذلك قوله (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) — قدر الرزق تضيقه قال الله تعالى  
 (ومن قدر عليه رزقه) — (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك .

وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ  
 ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ  
 فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ  
 أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ  
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ

(١) أى وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم (بالتى تقربكم) . وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث . والزلفى والزلفة كالتقربى والتقربة . وعملها نصب على المصدر . أى تقربكم قربة كقوله ( أنبتكم من الأرض نباتا ) .

(٢) الاستثناء من "كم" فى (تقربكم) . يعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله ، والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقههم فى الدين ورشحتهم للصالح والطاعة . وعن ابن عباس (إلا) بمعنى لكن . و(من) شرط جوابه (فأولئك لهم جزاء الضعف) وهو من إضافة المصدر إلى المفعول . أصله (فأولئك لهم) أن يجازوا الضعف ، ثم جزاء الضعف ، ثم جزاء الضعف . ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرة . وقرأ يعقوب (جزاء الضعف) ، على (فأولئك لهم) الضعف جزاء بأعمالهم .

(٣) أى غرف منازل الجنة . (الغرفة) حمزة .

(٤) (آمنون) من كل هائل وشاغل .

(٥) فى إبطالها .

(٦) يوسع .

(٧) ما شرطية فى موضع نصب .

(٨) بيانه .

(٩) (فهو) يعوضه . لامعوض سواء إما عاجلا بالمال ، أو أجلا بالنواب . جواب الشرط .

وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ <sup>(١)</sup> وَيَوْمَ يُحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ <sup>(٢)</sup>  
 أَهْلُوا لِي إِنِّي أَمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ <sup>(٣)</sup> قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَإِنَّا <sup>(٤)</sup>  
 مِنْ دُونِهِمْ <sup>(٥)</sup> بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِرِسْمِ <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup> مُؤْمِنُونَ

(١) المطعمين لأن كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيرهما فهو من رزق الله  
 أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق .  
 وعن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي . فكم من مشته لا يجد ، وواجد  
 لا يشتهي .

(٢) وبالياء فيهما حفص ويعقوب .

(٣) هذا خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر \* إياك أعنى واسمى  
 بإجاره \* ونحوه قوله : ( أنت قلت للناس اتخذوني ) الآية .

(٤) أى الملائكة .

(٥) تنزيها لك أن يعبد معك غيرك .

(٦) الموالاة خلاف المعاداة وهى مفاعلة من الولى وهو القرب . والولى يقع على الموالى  
 والموالى جميعا . والمعنى أنت الذى نواليه ( من دونهم ) إذ لاموالاة بيننا وبينهم . فبينوا  
 بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة  
 كانت حاله منافية لذلك .

(٧) أى ( بل كانوا يعبدون ) الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله . أو كانوا يدخلون  
 فى أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها . أو صورت لهم الشياطين صور قوم  
 من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها .

(٨) أكثر الإنس أو الكفار .

(٩) بالجن .

فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا <sup>(١)</sup> وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا  
ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ <sup>(٢)</sup> وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ  
ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا <sup>(٣)</sup> إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصَدَّكُمْ عَمَّا كَانُ يَعْبُدُونَ  
ءَابَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا <sup>(٤)</sup> إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا  
جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا <sup>(٥)</sup> إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ <sup>(٦)</sup> وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا <sup>(٧)</sup>

(١) لأن الأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لأحد ، لأن  
الدار دار ثواب وعقاب . والمثيب والمعاقب هو الله . فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي  
هي تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينافعون . والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ  
إلا هو .

(٢) ذكر عاقبة الظالمين بقوله ( ونقول للذين ظلموا ) بوضع العبادة في غير موضعها —  
معطوف على ( لا يملك ) — ( ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ) في الدنيا .

(٣) أى إنا قرئ عليهم القرآن .

(٤) وإضحات .

(٥) أى المشركون

(٦) أى محمد

(٧) أى القرآن

(٨) أى وقالوا — والعدول عنه دليل على إنكار عظيم وغضب شديد — للقرآن أو لأمر  
النبوة كآية ( لما جاءهم ) وعجزوا عن الإتيان بمثله ( إن هذا ) أى الحق ( إلا سحر مبين ) .  
بتوه على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا .

(٩) أى ما أعطينا مشركي مكة كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك .

وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ <sup>(١)</sup> وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ <sup>(٢)</sup>  
 قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا <sup>(٣)</sup>

(١) ولا أرسلنا إليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا .

(٢) توعدهم على تكذيبهم . أى وكذب الذين تقدموهم من الأمم الماضية والقرون  
 الخالية الرسل كما كذبوا . وما بلغ أهل مكة عشرين أو ثلثين من طول الأعمار وقوة الأجرام  
 وكثرة الأموال والأولاد ( فكيف كان نكير ) للكافرين الأولين . فليحذروا من مثله —  
 وبالباء فى الوصل والوقف يعقوب — أى حين كذبوا رسالهم جاءهم إنكارى بالتدمير  
 والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون . فما بال هؤلاء ؟ وإنما قال  
 ( فكذبوا ) وهو مستغنى عنه بقوله ( وكذب الذين من قبلهم ) ، لأنه لما كان معنى قوله  
 ( وكذب الذين من قبلهم ) وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه ، جعل تكذيب  
 الرسل مسببا عنه . وهو كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

(٣) ( إنما أعظمكم ) بخصلة واحدة . وقد فسرها بقوله ( أن تقوموا ) على أنه عطف  
 بيان لها ، وقيل هو بدل . وعلى هذين الوجهين هو فى محل الجزر . وقيل هو فى محل الرفع  
 على تقديره ( أن تقوموا ) ، أو النصب على تقدير أعنى . وأراد بقيامهم القيام عن مجلس  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريقهم عن مجتمعهم عنده . أو قيام القصد إلى الشيء  
 دون النهوض والانتصاب . والمعنى إنما أعظمكم بوحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم .  
 وهى ( أن تقوموا لله ) أى لوجه الله خالصا — لا لجمية ولا عصبية بل لطلب الحق —  
 اثنين اثنين وفردا فردا ( ثم تفكروا ) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به .

مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ  
عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي  
إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ

أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محمول فكره على صاحبه وينظران فيه  
نظر الصدق والإنصاف حتى يؤدبهما النظر الصحيح إلى الحق. وكذلك الفرد يتفكر في نفسه  
بعدل ونصفة ويعرض فكره على عقله. ومعنى تفزقهم معني وفردى أن الاجتماع مما يشوش  
الخواطر، ويعمى البصائر، ويمنع من الروية، ويقل الإنصاف فيه، ويكثر الاعتساف،  
ويثور عجاج التعصب، ولا يسمع إلا نصرة المذهب. و(تفكروا) معطوف على (تقوموا).

(١) (ما بصاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (من جنون) والمعنى (ثم تفكروا) فتعلموا  
(ما بصاحبكم من جنّة) .

(٢) قدام (عذاب شديد). وهو عذاب الآخرة. وهو كقوله عليه السلام بعثت بين يدي  
الساعة .

(٣) بين أنه لا يطلب أجرا على الإنذار بقوله (قل ما سألتكم من أجر) على إنذارى وتبليغي  
الرسالة (فهو لكم) جزاء الشرط. تقديره أى شئ سألتم من أجر (فهو لكم) كقوله (ما يفتح  
الله للناس من رحمة). ومعناه ففى مسألة الأجر رأسا نحو مالى فى هذا فهو لك، أى ليس لى  
فيه شئ .

(٤) مدنى وشامى وأبو بكر وحنفى . وبسكون الباء غيرهم .

(٥) (وهو على كل شئ شهيد) فيعلم أنى لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه  
إلا منه .

(٦) بالوحى . والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد، ويستعار للمعنى الإلقاء . ومنه:  
(وقذف فى قلوبهم الرعب) . (أن أقذفه فى التابوت) . ومعنى (يقذف بالحق) يلقيه ويتزله  
إلى أنبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويهزقه .



عَلَّمَ الْغُيُوبِ <sup>(١)</sup> قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِي <sup>(٢)</sup> الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ <sup>(٣)</sup>  
 قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا  
 يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ <sup>(٤)</sup> وَلَوْ تَرَىٰ <sup>(٥)</sup> إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ <sup>(٦)</sup>  
<sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup>

(١) مرفوع على البدل من الضمير في (يقذف) . أو على أنه خبر مبتدأ محذوف .

(٢) الإسلام والقرآن .

(٣) أى زال الباطل وهلك . لأن الإبداء والإعادة من صفات الحى فعدمهما عبارة عن الهلاك . والمعنى جاء الحق وزهق الباطل ، كقوله : (جاء الحق وزهق الباطل) . وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعنها يعود معه ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد . وقيل الباطل الأصنام . وقيل إبليس لأنه صاحب الباطل ، أو لأنه هالك . كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك . أى لا يخاق الشيطان ولا الصنم أحدا ولا يبعثه ، فالمنشئ والباعث هو الله .

(٤) لما قالوا قد ضللت بترك دين آبائك قال الله تعالى (قل إن ضللت) عن الحق (فإنما أضل على نفسي) إن ضللت فتنى وعلى ، (وإن اهتديت) فبتسديده بالوحى إلى . وكان قياس التقابل أن يقال (وإن اهتديت) فإنما اهتدى لها كقوله : (فمن اهتدى فانفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) . ولكن هما متقابلان معنى ، لأن النفس كل ما عليها وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمانة بالسوء ، وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه . وهذا حكم عام لكل مكلف . وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به .

(٥) (إنه سميع) لما أقوله لكم (قريب) متى ومنكم يحازينى ويحازيكم .

(٦) جوابه محذوف أى رأيت أمرا عظيما وحالا هائلة .

(٧) (إذ فزعوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر .

(٨) فلا مهرب ، أو فلا يفوتون الله ولا يسبقونه .

وَإِخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ <sup>(١)</sup> وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ <sup>(٢)</sup> وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ  
مَّكَانٍ بَعِيدٍ <sup>(٣)</sup> وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ <sup>(٤)</sup> مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ <sup>(٥)</sup>

(١) عطف على (فزعوا) أى فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم . أو على (لا فوت) على معنى (إذ فزعوا) فلم يفوتوا (وأخذوا من مكان قريب) من الموقف إلى النار إذا بعثوا . أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا . أو من صحراء بدر إلى القلب .

(٢) (وقالوا) حين عاينوا العذاب إنا (آمنا) بحمد عليه السلام لمورر ذكره في قوله :  
( ما بصاحبكم من جنة ) ، أو بالله .

(٣) التناوش التناول . أى كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم . يريد أن التوبة كانت تقبل منهم فى الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا وبعدت من الآخرة . وقيل هذا تمثيل لطلبهم مالا يكون . وهو أن ينفعهم إيمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم فى الدنيا . مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناول الآخر من قيس ذراع . (التناوش) بالهمزة أبو عمرو وكوفى غير حفص . همزت الواو لأن كل واو مضمومة ضممتها لازمة إن شئت أبدلتها همزة وإن شئت لم تبدل نحو قولك أدور وتقاوم وإن شئت قلت أدؤر وتقاؤم . وعن ثعلب التناوش بالهمز التناول من بعد ، وبغير همز التناول من قرب .

(٤) من قبل العذاب أو فى الدنيا .

(٥) معطوف على (قد كفروا) على حكاية الحال الماضية . يعنى وكانوا يتكلمون بالغيب أو بالشيء الغائب يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار (من مكان بعيد) عن الصدق أو عن الحق والصواب . أو هو قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب . وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفى ، لأنهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا . وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شيء مما جاء به السحر والشعر وأبعد شيء من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب . (ويقدفون بالغيب) عن أبى عمرو على البناء للفعول أى تأتيمهم به شياطينهم وبلقنونهم إياه . وإن شئت فقلقه بقوله (وقالوا

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ<sup>(١)</sup> كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا  
 فِي شَكٍّ مَّرِيبٍ<sup>(٢)</sup>

آمنًا به) على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنًا في الآخرة، وذلك مطلب مستبعد، من يقذف شيئًا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبًا عنه بعيدًا. ويجوز أن يكون الضمير في (آمنًا به) للعذاب الشديد في قوله: (بين يدي عذاب شديد). وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قائلين أمر الآخرة على أمر الدنيا. فهذا كان قذفهم بالغيب. وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة، لأن دار الجزاء لا تقاس على دار التكليف.

(١) وحجز (بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة. أو من الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم بقوله (أرجعنا نعمل صالحًا). والأفعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل كلها للضي. والمراد بها الاستقبال، لتحقق وقوعه.

(٢) بأشباهم من الكفرة.

(٣) إنهم كانوا في شك من أمر الرسل والبعث (مريب) موقع في الريبة من أرابه إذا أوقعه في الريبة. هذا رد على من زعم أن الله لا يعذب على الشك والله أعلم.

## سورة فاطر مكية

وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَحْمَدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ (١)  
 مَثْنَىٰ وَثُلثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)  
 (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

(١) حمد ذاته تعليما وتعظيما .

(٢) مبتدئها ومبتدعها . قال ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى معنى الفاطر حتى اختصم إلى أعرابيان في بر فقال أحدهما أنا فطرتهما أى ابتدأتها .

(٣) (رسلا) إلى عباده .

(٤) ذوى . اسم جمع لذو . وهو بدل من (رسلا) أو نعت له .

(٥) جمع جناح .

(٦) صفات لأجنحة . وإتمام تنصرف لتكرر العدل فيها . وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ أخرى ، كما عدل عمر عن عامر ، وعن تكرير إلى غير تكرير . وقيل للعدل والوصف . والتعويل عليه . والمعنى أن الملائكة طائفة أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان ، وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة — ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدّهما بقوة ، وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة .

(٧) أى يزيد في خلق الأجنحة وغيره ما يشاء . وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة في العينين . والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتدال صورة وتمام في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وذلاقة في اللسان ومحبة في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك .

(٨) قادر .

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا  
 مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا  
 نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>

(١) نكّرت الرحمة للإشاعة والإبهام . كأنه قال ( ما يفتح الله للناس من ) آية (رحمة) رزق أو مطر أو صحة أو غير ذلك ، فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها . واستعير الفتح للإطلاق والإرسال . ألا ترى إلى قوله (وما يمسك) يمنع ويحبس (فلا مرسل له) مطلق له (من بعده) من بعد إمساكه . وأنت الضمير الراجع إلى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة . ثم ذكره حملا على اللفظ المرجع إليه إذ لا تأنيث فيه لأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير . ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير . وعن معاذ مرفوعا " لا تزال يد الله مبسوطة على هذه الأمة ما لم يرفق خيارهم بشراهم ، ويعظم برهم فاجرهم وتعن قزأؤهم أمراءهم على معصية الله . فإذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم " .

(٢) الغالب القادر على الإرسال والإمساك .

(٣) الذي يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة إرساله وإمساكه .

(٤) (اذكروا) باللسان والقلب (نعمة الله عليكم) وهى التى تقدّمت من بسط الأرض كالمهاد ، ورفع السماء بلا عماد ؛ وإرسال الرسل لبيان السبيل دعوة إليه ، وزلفة لديه ، والزيادة فى الخلق ، وفتح أبواب الرزق . ثم ثبته على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هل من خالق غير الله) (غير) على الوصف لأن (خالق) مبتدأ خبره محذوف أى لكم . بالجر على وحمزة على الوصف لفظا .

(٥) (يرزقكم من السماء) بالمطر (والأرض) بأنواع النبات . يجوز أن يكون مستأنفا . ويجوز أن يكون صفة لخالق .

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (١) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ (٢)  
وَأِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ (٣) يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرَنَكُمُ  
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٤) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا  
إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٥) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ  
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٦)

(١) جملة مفصولة لا محل لها .

(٢) فبأى وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك .

(٣) نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها ، وسلى رسوله بأن له فى الأنبياء  
قبله أسوة . ولهذا نكر (رسل) أى رسل ذوو عدد كثير ، وأولو آيات ونذر ، وأهل أعمار طوال ،  
وأصحاب صبر وعزم . لأنه أسلى له . وتقدير الكلام (وإن يكذبوك) فتأس بتكذيب الرسل من قبلك  
لأن الجزاء يتعقب الشرط . ولو أجرى على الظاهر يكون سابقا عليه . ووضع (فقد كذبت  
رسل من قبلك) موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أى بالتكذيب عن التأسى .

(٤) كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب  
والمكذب بما يستحقه . (ترجع) بفتح التاء شامى وحزة وعلى ويعقوب وخلف وسهل .

(٥) (إن وعد الله) بالبعث والجزاء كائن فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهبنكم التمتع بها والتلذذ  
بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله .

(٦) (ولا يغرنكم) الشيطان فإنه يمتنكم الأمانى الكاذبة ويقول إن الله غنى عن عبادتك  
وعن تكذيبك .

(٧) (إن الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة . فعل بأبيكم ما فعل وأتم تعاملونه معاملة  
من لا علم له بأحواله (فاتخذوه عدوا) فى عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم إلا ما يدل  
على معاداته فى سرركم وجهركم . ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذى يؤتمه فى دعوة  
شيئته هو أن يوردهم ، ورد الهلاك بقوله (إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) .

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي  
 مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (١)  
 وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سُحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ (٢)

ثم كشف الغطاء، فبني الأمر كله على الإيمان وتركه فقال : (الذين كفروا لهم عذاب شديد) أى فمن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لأنه صار من حزبه أى أتباعه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه بل عادوه (لهم مغفرة وأجر كبير) لكبر جهادهم (١) لما ذكر الفرقين قال لنبيه عليه السلام (أفمن زين له سوء عمله) بقرين الشيطان ، كمن لم يزين له . فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ، فقال ( فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ) . وذكر الزجاج أن المعنى (أفمن زين له سوء عمله) ذهبت نفسك عليه حسرة . فحذف الجواب لدلالة (فلا تذهب نفسك) عليه . أو أفمن زين له عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة (فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء) عليه . (فلا تذهب نفسك) يزيد . أى لا تهلكها (حسرات) مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات . و(عليهم) صلة (تذهب) كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا . ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته .

(٢) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم .

(٣) (الرِّيح) مكي وحمة وعلى .

(٤) إنما قيل (فتشير) لنحوكى الحال التى تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة الربانية . وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب . ولما كان سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه .

(٥) بالتشديد مدنى وحمة وعلى وحفص . وبالتخفيف غيرهم .

فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا <sup>(١)</sup> كَذَلِكَ النُّشُورُ <sup>(٢)</sup> مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ  
فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ <sup>(٣)</sup>

(١) فأحيينا) بالمطر - لتقدم ذكره ضمنا - (الأرض بعد موتها) يبسها .

(٢) الكاف في محل الرفع أى مثل إحياء الموات، نشور الأموات . قيل يحيى الله الخلق  
بماء يرسله من تحت العرش تنبت منه أجساد الخلق .

(٣) أى العزة كلها مخصصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة . وكان الكافرون يتعززون  
بالأصنام كما قال (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزًا). والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطاة  
قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال : (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين  
أيتفون عندهم العزة فإت العزة لله جميعا) . فبين أن لا عزة إلا لله . والمعنى فليطلبها عند الله  
فوضع قوله (الله العزة جميعا) موضعه استغناء عنه به لدلالته عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند  
صاحبه ومالكه . ونظيره قولك لمن أراد النصيحة "فهى عند الأبرار" تريد فليطلبها عندهم . إلا  
أنك أقمت ما يدل عليه مقامه . وفى الحديث "إن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين  
فليطع العزيز" . ثم عرّف أنّ ما يطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله (إليه يصعد الكلم  
الطيب والعمل الصالح يرفعه) ومعنى قوله (إليه) إلى محل القبول والرضا وكل ما أتصف بالقبول  
وصف بالرفعة والصعود . أو إلى حيث لا ينفذ فيه إلا حكمه . و(الكلم الطيب) كلمات التوحيد  
أى لا إله إلا الله . وكان القياس الطيبة . ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا التاء  
يذكر ويؤنث . (والعمل الصالح) العبادة الخالصة . يعنى (والعمل الصالح يرفعه) الكلم الطيب .  
فالرافع الكلم . والمرفوع العمل . لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد . وقيل الرافع الله والمرفوع  
العمل . أى (العمل الصالح يرفعه) الله . وفيه إشارة إلى أنّ العمل يتوقف على الرفع .  
والكلم الطيب يصعد بنفسه . وقيل العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه . أى من أراد العزة  
فليعمل عملا صالحا فإنه هو الذى يرفع العبد .



وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ <sup>(٣)</sup> وَاللَّهُ  
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا  
تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ <sup>(٤)</sup> وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ <sup>(٥)</sup>

(١) هي صفة لمصدر محذوف أى المكرات (السيئات) لأن مكرفعل غير متعد لا يقال  
مكر فلان عمله . والمراد مكر قريش به عليه السلام حين اجتمعوا فى دار الندوة كما قال  
الله تعالى (وإذ يمكركم الذين كفروا ليثبتوك) الآية .

(٢) لهم عذاب شديد) فى الآخرة .

(٣) (ومكر أولئك) مبتدا (هو) فصل (يبور) خبر . أى (ومكر أولئك) الذين مكروا (هو)  
خاصة (يبور) أى يفسد ويطل دون مكرا لله بهم حين أخرجهم من مكة ، وقتلهم ،  
وأثبتهم فى قلب بدر . بجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى : (ويمكرون ويمكر الله  
والله خير الماكرين) . وقوله : (ولا يحيق المكر السبيء إلا بأهله) .

(٤) أى أباكم .

(٥) (ثم) أنشأكم (من) نطفة ثم جعلكم أزواجا) أصنافا أو ذكرا وإناثا .

(٦) هو فى موضع الحال أى إلا معلومة له .

(٧) أى (وما يعمر من) أحد — وإنما سماه معمرًا بما هو صائر إليه — (ولا ينقص  
من عمره إلا فى كتاب) يعنى اللوح أو صحيفة الإنسان . (ولا ينقص) زيد . فإن قلت الإنسان  
إما معمر أى طويل العمر أو منقوص العمر أى قصيره . فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال  
فكيف صح قوله (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره)؟ قلت هذا من الكلام المتساح فيه  
ثقة فى تأويله بأفهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلبس عليهم إحالة

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ <sup>(١)</sup> وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ  
سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ  
حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنَ فَضْلِهِ  
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ <sup>(٢)</sup>

الطول والقصر في عمر واحد . وعليه كلام الناس . يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا  
بحق . أو تأويل الآية أنه يكتب في الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك  
ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره فذلك نقصان عمره . وعس قنادة المعمر من يبلغ  
ستين سنة . والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة .

(١) (إِنَّ) إحصاءه أو زيادة العمر ونقصانه (على الله) سهل .

(٢) (وما يستوي البحرين) أحدهما (عذب فرات) شديد العذوبة — وقيل هو الذي  
يكسر العطش — (سائغ شرابه) مرىء سهل الانحدار لعذوبته وبه ينتفع شرابه .  
(وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة . وقيل هو الذي يحرق بملوحته . ضرب البحرين العذب  
والمالح مثاين للمؤمن والكافر . ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما  
من نعمته وعطائه (ومن كل) ومن كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا) وهو السمك  
(وتستخرجون حلية تلبسونها) وهي اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك) في كل شواق للاء بحريها —  
يقال محرت السفينة الماء أى شتمته . و (مواحر) جمع ماخرة — (لتبتغوا) من فضل الله —  
ولم يجز له ذك في الآية ولكن فيما قبلها . ولو لم يجز لم يشكل لدلالة المعنى عليه — (ولعلكم تشكرون)  
الله على ما آتاكم من فضله .

ويحتمل غير طريقة الاستطراد . وهو أن يشبه الجنتين بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج  
على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه ، والكافر

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
 كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ  
 مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ <sup>(٤)</sup> إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ <sup>(٦)</sup>  
 وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ <sup>(٧)</sup> وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ <sup>(٨)</sup>

خلو من النفع . فهو في طريقة قوله تعالى : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) . ثم قال : (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) .

(١) يدخل من ساعات أحدهما في الآخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا .

(٢) أى ذلل أضواء صورته ، لاستواء سيره .

(٣) أى يوم القيامة ينقطع جريهما .

(٤) (ذلکم) مبتدأ (الله ، ربکم ، له الملك) أخبار مترادفة . أو (الله ربکم) خبر إن .  
 و(له الملك) جملة مبتدأة واقعة في قران قوله (والذين تدعون من دونه) يعنى الأصنام التى تعبدونها  
 من دون الله — (يدعون) قتيبة — (ما يملكون من قطمير) هى القشرة الرقيقة الملتفة على النواة  
 (٥) أى الأصنام .

(٦) لأنهم جماد .

(٧) (ولو سمعوا) على سبيل الفرض (ما استجابوا لكم) لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية ويتبرعون منها .

(٩) بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم ويقولون : (ما كنتم إيانا تعبدون) .

وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ <sup>(١)</sup> يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ <sup>(٢)</sup>  
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ <sup>(٣)</sup>

(١) ولا ينبئك أيها المفتون بأسباب الغرور ، كما ينبئك الله الخبير بخبايا الأمور . وتحقيقه ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خير عالم به . يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به . والمعنى أن هذا الذي أخبركم به من حال الأوثان هو الحق لأنني خير بما أخبرت به .

(٢) قال ذو النون الخلق محتاجون إليه في كل نفس وخطرة ولحظة وكيف لا ووجودهم به وبقاؤهم به .

(٣) (والله هو الغني) عن الأشياء أجمع ، المحمود بكل لسان .

ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء . ولهذا وصف نفسه بالغني الذي هو مطعم الأغنياء . وذكر (الحميد) ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه ، والجواد المنعم عليهم ، إذ ليس كل غني نافعاً بغناه إلا إذا كان الغني جواداً منعماً . وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم . قال سهل لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغني ولم بالفقر . فمن ادعى الغني حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصله فقره إليه . فينبغي للعبد أن يكون مفتقراً بالسر إليه ، ومنقطعاً عن الغير إليه ، حتى تكون عبوديته محضة . فالعبودية هي الذل والخضوع . وعلامته ألا يسأل من أحد . وقال الواسطي من استغنى بالله لا يفتقر . ومن تعزز بالله لا يذل . وقال الحسين على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غنياً بالله . وكلما ازداد افتقاراً ازداد غني . وقال يحيى الفقر خير للعبد من الغني . لأن الذلة في الفقر ، والكبر في الغني . والرجوع إلى الله بالتواضع والذلة ، خير من الرجوع إليه بتكثير الأعمال . وقيل صفة الأولياء ثلاثة الثقة بالله في كل شيء ، والفقر إليه في كل شيء ، والرجوع إليه من كل شيء . وقال الشبلي الفقر يميز البلاء . وبلاؤه كله عز .

إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢﴾  
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣﴾ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ  
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿٤﴾

(١) (إن يشاء يذهبكم) كلمكم إلى العدم، فإن غناه بذاته لا بكم في القدم، (ويأت بخلق جديد)، وهو بدون حمدكم حميد. وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا (وما ذلك) الإنشاء والإفناء (على الله) بممتنع.

(٢) ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى. والوزر والوقر أخوان. ووزر الشيء إذا حمله. والوازره صفة للنفس. والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبارة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار. وإثما قيل (وازره) ولم يقل (ولا تزر) نفس (وزر أخرى) لأن المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها لا وزر غيرها. وقوله (وليحملن أنقلاهم وأنقلا مع أنقلاهم)، وارد في الضالين المضلين. فإنهم يحملون أنقال الضلال الناس مع أنقال ضلالهم. وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم. ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم: (اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم)، بقوله: (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء).

(٣) (وإن تدع) نفس مثقلة بالذنوب أحدا (إلى) ثقلها أي ذنوبها ليحمل عنها بعض ذلك (لا يحمل منه شيء ولو كان) المدعو— وهو مفهوم من قوله (وإن تدع)— (ذا قربي) ذا قرابة قريبة كأب أو ولد أو أخ. والفرق بين معنى قوله: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، ومعنى: (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء)، أن الأول دال على عدل الله في حكمه وألا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها، والثاني في بيان أنه لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى إن نفسا قد أنقلتها الأوزار لودعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وإن كان المدعو بعض قرابتها.

إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَهُ فَإِنَّمَا  
يَتَرَكَهُ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ<sup>(٣)</sup> وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ<sup>(٤)</sup> وَلَا الظُّلُمَاتُ  
وَلَا النُّورُ<sup>(٥)</sup> وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ<sup>(٦)</sup> وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ<sup>(٧)</sup>  
إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ<sup>(٨)</sup>

(١) (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين عن عذابه . أو يخشون  
عذابه غائباً عنهم . وقيل (بالغيب) فى السر حيث لا اطلاع للغير عليه ، أى إنما ينتفع  
بإبذارك هؤلاء (الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة) فى مواقبتها .

(٢) (ومن) تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى (فإنما يتركى لنفسه) . وهو اعتراض  
مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنهما من جملة التركى .

(٣) المرجع . وهو وعد للتركى ، بالثواب .

(٤) مثل للكافر والمؤمن أو للجاهل والعالم .

(٥) مثل للكفر والإيمان .

(٦) الحق والباطل . أو الجنة والنار . والحرور الريح الحاز كالسموم إلا أن السموم

تكون بالنهار ، والحرور بالليل والنهار ، عن الفراء .

(٧) مثل للذين دخلوا فى الإسلام والذين لم يدخلوا فيه . وزيادة "لا" لتأكيد معنى النهى .

والفرق بين هذه الواوآت أن بعضها ضمت شفعاً الى شفع وبعضها وترا الى وتر .

(٨) يعنى أنه قد علم من يدخل فى الإسلام ممن لا يدخل فيه فهدى من يشاء هدايته .

وأما أنت لخبئى عليك أمرهم . فلذلك تحرص على إسلام قوم غنذولين . شبه الكفار بالموتى  
حيث لا ينتفعون بسموعهم .

إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا  
 فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٤﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ  
 بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿٥﴾ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٥﴾

(١) أى ما عليك إلا أن تبلغ . فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفع . وإن كان من  
 المصرين فلا عليك .

(٢) حال من أحد الضميرين يعنى محققاً أو محتمين أو صفة للمصدر أى إرسالاً مصحوباً  
 (بالحق) .

(٣) (بشيراً) بالوعد (ونذيراً) بالوعيد .

(٤) وما (من أمة) قبل أمتك (إلا) مضى (فيها نذير) يخوفهم وخامة الطغيان ، وسوء عاقبة  
 الكفران . واكتفى بالنذير عن البشير في آخر الآية بعد ما ذكرهما لأن النذارة مشفوعة  
 بالبشارة فدلّ ذكر النذارة على ذكر البشارة . والأمة الجماعة الكثيرة (وجد عليه أمة من الناس) .  
 ويقال لأهل كل عصر أمة . والمراد هنا أهل العصر . وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين  
 عيسى ومحمد عليهما السلام فلم تخل تلك الأمم من نذير . وحين اندرست آثار نذارة عيسى  
 عليه السلام بعث محمد عليه السلام .

(٥) (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) رسلهم (جاءتهم رسلهم) — حال .  
 و"قد" مضمرة . — بالمعجزات وبالصحف (وبالكتاب المنير) التوراة والإنجيل والزبور .  
 ولما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المحيى بها إليهم إسناداً مطلقاً ، وإن كان  
 بعضها في جميعهم وهى البيّنات ، وبعضها فى بعضهم وهى الزبور والكتاب . وفيه مسلاة  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ<sup>(١)</sup> أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ  
 أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ<sup>(٢)</sup> ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ  
 الْجِبَالِ جُدَدٌ<sup>(٣)</sup> بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ<sup>(٤)</sup> سُودٌ  
 وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ<sup>(٥)</sup> كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى  
 اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ<sup>(٦)</sup> الْعُلَمَاءُ

(١) ثم عاقبت (الذين كفروا) بأنواع العقوبة (فكيف كان) إنكارى عليهم وتعذيبى لهم.

(٢) (فأخرجنا) بالماء (ثمرات مختلفا) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعبقريث وغيرها مما لا يحصر. أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها.

(٣) طرق مختلفة اللون جمع جذة كمدة ومدد. ولا بد من تقدير حذف المضاف، أى (ومن الجبال) ذو جدد بيض وحمرة وسود، حتى يؤول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه، كما قال (ثمرات مختلفا ألوانها).

(٤) (وغرابيب) جمع غريب. وهو تأكيد للأسود يقال أسود غريب. وهو الذى أبعد فى السواد وأغرب فيه. ومنه الغراب. وكان من حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع إلا أنه أضمر المؤكد قبله. والذى بعده تفسير للضمير. وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الإظهار والإضمار جميعا.

(٥) يعنى ومنهم بعض (مختلف ألوانه) كاختلاف الثمرات والجبال.

(٦) لما قال (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أى العلماء به الذين علموه بصفاته فعظموه. ومن ازداد علما به ازداد منه خوفا. ومن كان علمه به أقل كان آمن. وفى الحديث «أعلمكم بالله أشدكم له خشية». وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن أن معناه أن الذين يخشون الله من عباده العلماء دون



إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ <sup>(١)</sup> إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ  
وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ <sup>(٢)</sup> لِيُؤْفِقَهُم  
أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ <sup>(٣)</sup> وَالَّذِي أَوْحَيْنَا  
إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ <sup>(٣)</sup>

غيرهم . ولو عكس لكان المعنى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله : (ولا يخشون أحدا إلا الله) .  
وبينهما تغاير ففى الأوّل بيان أن الخاشين هم العلماء ، وفى الثانى بيان أن الخشى منه هو الله تعالى .  
وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضى الله عنهم (إتما يخشى الله من عباده  
العلماء) . والخشية فى هذه القراءة استعارة . والمعنى إتما يعظم الله من عباده العلماء .

(١) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم ، وإثابة أهل الطاعة  
والعفو عنهم . والمعاقب المنيب حقه أن يخشى .

(٢) (إنّ الذين) يداومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم)  
مسرىّين النفل ومعلّنين الفرض . يعنى لا يقتنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به (يرجون) —  
خبر إن — (تجارة) — هى طلب الثواب بالطاعة — (لن تبور) لن تكسّد يعنى تجارة ينتفى عنها  
الكساد وتنفق عند الله (ليؤفّقهم) متعلّق بـ (تبور) أى (ليؤفّقهم) بنفاقها عنده (أجورهم) ثواب  
أعمالهم (ويزيدهم من فضله) بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فيمن أحسن إليهم ، أو بتضعيف  
حسناتهم ، أو بتحقيق وعد لقائه . أو يرجون فى موضع الحال أى راجين . واللام فى (ليؤفّقهم)  
تتعلّق بـ (يتلون) وما بعده . أى فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق لهذا الغرض .  
وخبر (إنّ) : (إنه غفور شكور) أى (غفور) لفرطاتهم (شكور) لأعمالهم . أى يعطى  
الجزيل على العمل القليل .

(٣) أى القرآن . و (من) للتبيين .

هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ <sup>(١)</sup> إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ <sup>(٢)</sup> ثُمَّ أَوْرَثْنَا <sup>(٣)</sup>  
 الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ  
 مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ <sup>(٤)</sup>

(١) حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق .

(٢) لما تقدمه من الكتب .

(٣) (إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) فعلكم وأبصر أحوالك وراك أهلا لأن يوحى إليك مثل  
 هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب .

(٤) أى أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك — أى حكمتنا بتوريثه الذين اصطفينا من  
 عبادنا وهم أئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة . لأن الله اصطفاهم  
 على سائر الأمم وجعلهم أئمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الاتناء إلى أفضل  
 رسوله . ثم رتبهم على مراتب فقال : (فمنهم ظالم لنفسه) وهو المرجا لأمر الله . (ومنهم مقتصد)  
 وهو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا . (ومنهم سابق بالخيرات) . وهذا التأويل يوافق التنزيل  
 فإنه تعالى قال : (والسابقون الأولون من المهاجرين) الآية ، وقال بعد (وآخرون اعترفوا بذنوبهم)  
 الآية ، وقال بعد (وآخرون مرجون لأمر الله) الآية ؛ والحديث : فقد روى عن عمر رضى الله عنه  
 أنه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سابقنا سابق ،  
 ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له » ، وعنه عليه السلام « السابق يدخل الجنة بغير حساب ،  
 والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة ، وأما الظالم لنفسه فيحسب حتى يظن أنه  
 لا يجوز ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة » . رواه أبو الدرداء ؛ والأثر : فعن ابن عباس رضى الله عنهما  
 السابق الخالص ، والمقتصد المرأتى ، والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة  
 بدخول الجنة ؛ وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبائر ، والمقتصد  
 صاحب الصغائر ، والسابق المحتجب لهما ؛ وقال الحسن البصرى الظالم من رجحت سيئاته ،  
 والسابق من رجحت حسناته ، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته ؛ وسئل أبو يوسف

بِإِذْنِ اللَّهِ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ <sup>(٢)</sup> جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا <sup>(٣)</sup>  
يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا <sup>(٤)</sup> وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ <sup>(٥)</sup>

رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله . (والذين كفروا لهم نار جهنم) . وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فإنه قال فمنهم ومنهم والكل راجع الى قوله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أهل الإيمان وعليه الجمهور . وإتاما قدم الظالم للإيذان بكثرتهم ، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم . والسابقون أقل من القليل . وقال ابن عطاء إتما قدم الظالم لئلا يياس من فضله . وقيل إتما قدمه ليعرفه أن ذنبه لا يبعده من ربه . وقيل إن أول الأحوال معصية ثم توبة ثم استقامة . وقال سهل السابق العالم ، والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل . وقال أيضا السابق الذي اشتغل بمعاده ، والمقتصد الذي اشتغل بمعاشه ومعاده ، والظالم الذي اشتغل بمعاشه عن معاده . وقيل الظالم الذي يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والرغبة ، والسابق الذي يعبده على الهيبة والاستحقاق . وقيل الظالم من أخذ الدنيا حلالا كانت أو حراما ، والمقتصد من يجتهد ألا يأخذها إلا من حلال ، والسابق من أعرض عنها جملة . وقيل الظالم طالب الدنيا ، والمقتصد طالب العقبى ، والسابق طالب المولى .

(١) بأمره أو بعلمه أو بتوفيقه .

(٢) أى لإيراث الكتاب .

(٣) (جنات) خبر ثان لذلك . أو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر (يدخلونها)

أى الفرق الثلاثة . (يدخلونها) أبو عمرو .

(٤) (أساور) جمع أسورة جمع سوار (من ذهب ولؤلؤ) أى من ذهب مرصع باللؤلؤ .

(ولؤلؤا) بالنصب والهمزة نافع وحفص . عطف على محل (من أساور) أى يحلون أساور ولؤلؤا .

(٥) لما فيه من اللذة والزينة .

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ <sup>(٣)</sup>  
 الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا <sup>(٦)</sup>  
 لُغُوبٌ <sup>(٧)</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا <sup>(٨)</sup>  
 وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ <sup>(٩)</sup> وَهُمْ <sup>(١٠)</sup>  
 يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ <sup>(١١)</sup>  
 أَوْ لِمَ نَعْمَرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ <sup>(١٢)</sup>

(١) خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا .

(٢) يفر الجنايات وإن كثرت .

(٣) يقبل الطاعات وإن قلت .

(٤) أى الإقامة لا نبرح منها ولا نفارقها يقال أقمت إقامة ومقاما ومقامة .

(٥) من عطائه وإفضاله لا باستحقاقنا .

(٦) تعب ومشقة .

(٧) إعياء من التعب وفترة . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي (لغوب) بفتح اللام . وهو شيء

يلغب منه . أى لا نتكلف عملا يُلغبنا .

(٨) (فيموتوا) جواب النفي ونصبه بإضمار أن . أى (لا يقضى عليهم) بموت ثان

فيستريحوا . (ولا يخفف عنهم) من عذاب نار جهنم .

(٩) مثل ذلك الجزاء .

(١٠) (يُجزى كل كفور) أبو عمرو .

(١١) يستغيثون . فهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد ومشقة . واستعمل

في الاستغاثة لجهر صوت المستغيث .

(١٢) يقولون (ربنا أخرجنا) من النار ردنا إلى الدنيا تؤمن بدل الكفر ونطبع بعد

المعصية . فيجأوبون بعد قدر عمر الدنيا (أو لم نعمركم) يجوز أن يكون (ما) نكرة موصوفة

وَجَاءَ كُرُّ النَّذِيرِ فَذُوقُوا <sup>(١)</sup> فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ <sup>(٢)</sup> إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبٍ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ <sup>(٣)</sup> هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَةً  
 فِي الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا <sup>(٤)</sup>  
 وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا <sup>(٥)</sup>

أى تعميرا (يتذكر فيه من تذكر). وهو تناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر. إلا أن التوبخ في المتناول أعظم. ثم قيل هو ثمان عشرة سنة. وقيل أربعون. وقيل ستون سنة.

(١) الرسول عليه السلام أو المشيب. وهو عطف على معنى (أولم نعمركم) لأن لفظه استخبار ومعناه إخبار. كأنه قيل قد عمركم (وجاءكم النذير).

(٢) (فذوقوا) العذاب (فما للظالمين) ناصر يعينهم.

(٣) ما غاب فيهما عنكم.

(٤) كالتعليل. لأنه إذا علم ما في الصدور، وهو أخفى ما يكون، فقد علم كل غيب في العالم. وذات الصدور مضمراتها. وهى تأنيث ذو في نحو قول أبى بكر رضى الله عنه "ذو بطن خارجة جارئة" أى ما فى بطنها من الحبل. لأن الحبل يصحب البطن. وكذا المضمرات تصحب الصدور. وذو موضوع لمعنى الصحبة.

(٥) يقال للاستخلف خليفة. ويجمع على خلائف. والمعنى أنه جعلكم خلفاء فى أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة. (فمن كفر) منكم وعمط مثل هذه النعمة السنية، فوبال كفره راجع عليه. وهو مقت الله وخسار الآخرة كما قال: (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقنا). وهو أشد البغض. (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا)، هلاكا وخسرانا.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءُكُمْ<sup>(١)</sup> الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنْ  
 الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَاتٍ<sup>(٢)</sup>  
 مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا<sup>(٣)</sup> إِنْ اللَّهُ  
 يَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكُهُمَا مِنْ  
 أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا<sup>(٤)</sup> وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ<sup>(٥)</sup>

(١) آلهتكم التي أشركتموهم في العبادة .

(٢) (أروني) بدل من (أرايتم) لأن معنى (أرايتم) أخبروني . كأنه قيل أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعمّا استحقوا به الشركة . (أروني) أى جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله .

(٣) أم لهم مع الله شركة في خلق السموات .

(٤) أى معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب . (بينات) على وابن عامر ونافع وأبو بكر .

(٥) ما (يعد الظالمون بعضهم) — بدل من (الظالمون) وهم الرؤساء — (بعضاً) أى الأتباع (إلا غرورا) هو قولهم (هؤلاء شفاعونا عند الله) .

(٦) يمنعهما من (أن تزولا) لأن الإمساك منع (ولئن زالتا) على سبيل الفرض ما أمسكهما (من أحد) من بعد إمساكه . و(من) الأولى مزيدة لتأكيد النفي ، والثانية للإبتداء .

(٧) غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدهما لعظم كلمة الشرك كما قال : (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض) الآية .

(٨) نصب على المصدر أى إقساما بليغا . أو على الحال أى جاهدين فى أيمانهم .

لِيَنْجِئَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ  
 نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١﴾ اسْتِجَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ  
 وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴿٢﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ  
 فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٣﴾

(١) بلغ قريشا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم . فقالوا لعن الله اليهود والنصارى . أتتهم الرسل فكذبوهم . فوالله لئن أنا رسول (لتكوننَّ أهدي من إحدى الأمم) أى من الأئمة التى يقال فيها هى إحدى الأمم ، تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة ، كما يقال للداهية العظيمة هى إحدى الدواهي . فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (مازادهم) بحجىء الرسول صلى الله عليه وسلم إلا تباعدا عن الحق — وهو إسناد مجازى — (استجارا فى الأرض) مفعول له . وكذا (ومكر السيئ) . والمعنى (ما زادهم إلا نفورا) للاستجار (ومكر السيئ) . أو حال يعنى مستكبرين وما كرين برسول الله صلى الله عليه وسلم . وأصل قوله (ومكر السيئ) وأن مكروا السيئ أى المكر السيئ ثم ومكروا السيئ ثم ومكر السيئ . والدليل عليه قوله (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) . يحيط ويتزل . ولقد حاق بهم يوم بدر . وفى المثل "من حفر لأخيه جبا ، وقع فيه مكبا" .

(٢) وهو إنزال العذاب على الذين كذبوا برسولهم من الأمم قبلهم . والمعنى (فهل ينظرون) بعد تكذيبك إلا أن يتزل بهم العذاب مثل الذى تزل بن قبلهم من مكذبي الرسل . جعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم .

(٣) بين أن سنته التى هى الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا يبدلها فى ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وأن ذلك مفعول لا محالة .

أَوْلَمَّ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً <sup>(١)</sup> وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ <sup>(٢)</sup> مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ  
 وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا <sup>(٣)</sup> وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا  
 كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ <sup>(٤)</sup> إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى <sup>(٥)</sup> فَإِذَا  
 جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>

(١) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسيرهم إلى الشام وايمن والعراق من آثار  
 الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (وكانوا أشد) من أهل مكة اقتدارا فلم يتمكنوا  
 من الفرار .

(٢) (وما كان الله) ليسبقه ويفوته أى شيء .

(٣) (إنه كان عليا) بهم قادرا عليهم .

(٤) بما اقترفوا من المعاصي .

(٥) على ظهر الأرض لأنه جرى ذكر الأرض في قوله : (ليعجزه من شيء في السموات  
 ولا في الأرض) .

(٦) من نسمة تدب عليها .

(٧) إلى يوم القيامة .

(٨) أى لم تخف عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمهم . والله الموفق للصواب .



## سورة يس مكية

وهي ثلاث وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس (١) وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٤) عَلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ (٥) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٦) (٧) (٨)

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما : معناه يا إنسان في لغة طي . وعن ابن الحنفية :  
يا محمد . وفي الحديث : إن الله تعالى سمانى في القرآن بسبعة أسماء محدود وطه ويس والمزمل والمدثر  
وعبد الله . وقيل : ياسيد . (يس) بالإمالة على وحمزة وخلف وحماد ويحيى .

(٢) قسم .

(٣) ذى الحكمة . أولآته دليل ناطق بالحكمة . أولآته كلام حكيم . فوصف بصفة  
المتكلم به .

(٤) جواب القسم . وهو رد على الكفار حين قالوا ( لست مرسلًا ) .

(٥) خبر بعد خبر . أو صلة للرسلين . أى الذين أرسلوا (على صراط مستقيم) أى طريقة  
مستقيمة وهو الإسلام .

(٦) بنصب اللام شامى وكوفى غير أبى بكر ، على اقرأ (تنزيل) أو على أنه مصدر أى  
نزل (تنزيل) . وغيرهم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو (تنزيل) . والمصدر بمعنى  
المفعول .

(٧) الغالب بفصاحة نظم كتابه أوهام ذوى العناد .

(٨) الجاذب بلطافة معنى خطابه أفهام أولى الرشاد .

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٣﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ  
 أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَىٰ  
 الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٥﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا

(١) اللام متصل بمعنى (المسكين) أى أرسلت (لتنذر قوما) .

(٢) (ما) نافية عند الجمهور أى (قوما) غير منذر آبائهم على الوصف بدليل قوله (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) . أو موصولة منصوبة على المفعول الثانى . أى العذاب الذى أنذره آبائهم كقوله (إننا أنذرناكم عذابا قريبا) . أو مصدرية أى لتنذر قوما إنذار آبائهم أى مثل إنذار آبائهم .

(٣) إن جعلت (ما) نافية فهو متعلق بالنفى . أى لم يندروا (فهم غافلون) . وإلا فهو متعلق بقوله (إنك لمن المرسلين لتنذر) كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل .

(٤) يعنى قوله (لأملأت جهنم من الجنة والناس أجمعين) أى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر .

(٥) مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى إرعائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له ، وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم فى ألا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر فى آيات الله بقوله (إننا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان) معناه فالأغلال واصله إلى الأذقان ملزوزة إليها .

(٦) مرفوعة رؤوسهم يقال فح البعير فهو قاح إذا روى فرجع رأسه ، وهذا لأن طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة إلى الذقن فلا يخله يطأطع رأسه فلا يزال مقمحا .

(٧) بفتح السين حمزة وعلى وحفص . وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح ، وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم .

فَاغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ  
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ  
بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿٦﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثِرَهُمْ  
﴿٩﴾

(١) فأغشينا أبصارهم أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة .

(٢) (فهم لا يبصرون) الحق والرشاد .

وقيل نزلت في بنى مخزوم . وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمداً يصلى ليرضخن رأسه . فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد . فرجع الى قومه فأخبرهم . فقال مخزومى آخر : أنا أقتله بهذا الحجر . فذهب فأعمى الله بصره .

(٣) أى سواء عليهم الإنذار وتركه . والمعنى من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار . وروى أن عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القسدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك أنى تأب عن قولى فى القدر . فقال عمر : اللهم إن صدق فتب عليه . وإن كذب فسأط عليه من لا يرجه . فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق .

(٤) أى إنما ينتفع بالإنذار من أتبع القرآن .

(٥) وخاف عقاب الله ولم يره .

(٦) وهى العفو عن ذنوبه .

(٧) أى الجنة .

(٨) نبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك الى الإيمان .

(٩) ما أسلفوا من الأعمال الصالحات وغيرها .

(١٠) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه ، أو كتاب صنفوه أو حيس حسوه أو رباط أو مسجد صنعوه . أو سئى كوظيفة وظفها بعض الظالمة . وكذلك كل سنة حسنة ، أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ( ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ) قدم من أعماله وأخر من آثاره . وقيل هى خطاهم الى الجمعة أو الى الجماعة .

وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ <sup>(٢)</sup> وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ <sup>(١)</sup>  
الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ <sup>(٤)</sup> إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup>

(١) عددناه وبيّناه .

(٢) يعنى اللوح المحفوظ لأنه أصل الكتب ومقتداها .

(٣) ومثل لهم . من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أى من هذا المثال . وهذه الأشياء على ضرب واحد أى على مثال واحد . والمعنى ( واضرب لهم مثلا ) مثل أصحاب القرية أى أنظاكية أى اذ كرهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية . والمثل الثانى بيان للاول .

(٤) بدل من أصحاب القرية .

(٥) رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها . بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان .

(٦) بدل من (إذ) الأولى .

(٧) أى أرسل عيسى بأمرنا .

(٨) صادقا وصدوقا . فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يعرى غنيات له وهو حبيب النجار فسأل عن حالهما . فقالا : نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن . فقال : أمعك آية ؟ فقالا : نشفى المريض ، ونبرى الأكمه والأبرص . وكان له ابن مريض مدة سنتين . فسحاه فقام . فآمن حبيب . وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير . فدعاهما الملك وقال لهما : ألنا إله سوى آلهتنا ؟ قالوا نعم . من أوجدك وآلهتك . فقال : حتى أنظر فى أمركما . فتبعهما الناس وضربوهما . وقيل حبسا . ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به . فقال له ذات يوم : بلغنى أنك حبست رجلين . فهل سمعت قولهما ؟ قال لا . فدعاهما . فقال شمعون : من أرسلكما ؟ قال الله الذى خلق كل شىء ورزق كل شىء وليس له شريك . فقال : صفاه وأوجزا ، قال : يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . قال : وما آيتكما ؟ قال : ما يتمنى الملك . فدعا بغلام أكمه . فدعوا الله فأبصر الغلام . فقال له شمعون : أرايت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون

فَكَذَّبُوهُمَا فَعَمَزْنَا بِثَالِثٍ <sup>(٢)</sup> فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ <sup>(٣)</sup>  
 قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ <sup>(٦)</sup> إِنْ أَنْتُمْ  
 إِلَّا تَكْذِبُونَ <sup>(٧)</sup> قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ <sup>(٨)</sup>

لك وله الشرف؟ قال الملك: ليس لي عنك سر. إن إلهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع. ثم قال: إن قدر الحكما على إحياء ميت آمننا به. فدعوا بفلاممات من سبعة أيام فقام. وقال لى أدخلت فى سبعة أودية من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أحدركم ما أتم فيه. فأمنا. وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لؤلؤاء الثلاثة. قال الملك ومن هم؟ قال شمعون وهذان فتعجب الملك. فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم. ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا.

(١) فكذب أصحاب القرية الرسولين.

(٢) فقوتناهما — (فعزنا) أبو بكر من عزه يعزه إذا غلبه. أى فغلبنا وقهرنا — (ثالث) وهو شمعون. وترك ذكر المفعول به لأن المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذلل الباطل. وإذا كان الكلام منصّباً الى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض.

(٣) أى قال الثلاثة لأهل القرية.

(٤) أى أصحاب القرية.

(٥) رفع (بشر) هنا ونصب فى قوله (ما هذا بشراً) لانتقاض النفى بيلاً فلم يبق لما شبهه بليس وهو الموجب لعمله.

(٦) أى وحياً.

(٧) ما أنتم إلا كذبة.

(٨) أكد الثانى باللام دون الأول، لأن الأول ابتداء إخبار والثانى جواب عن إنكار فيحتاج الى زيادة تأكيد. و(ربنا يعلم) جار مجرى القسم فى التوكيد. وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله.

وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ <sup>(١)</sup> قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَلْتَهُوا لَنَنزِعَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ <sup>(٢)</sup> قَالُوا طَهِّرْ كُمْ <sup>(٣)</sup> مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ <sup>(٤)</sup> بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>

(١) أى التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته .

(٢) تشاءمنا بكم ، وذلك أنهم كرهوا دينهم وقررت منه نفوسهم . وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه . فإن أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك . وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك .

(٣) (لئن لم تتهوا) عن مقاتل هذه لئقتلنكم أو لنطردنكم أو لنشتمنكم وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب .

(٤) أى سبب شؤمكم (معكم) وهو الكفر .

(٥) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفي وشامي . (أين) بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو . و(أين) بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع .

(٦) وعظمت ودعيتم إلى الإسلام وجواب الشرط مضمرة . وتقديره تطيئرتم . (ذكركم) بالتخفيف يزيد .

(٧) مجاوزون الحد في العصيان . فنتم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم . أو بل أنتم مسرفون في ضلالكم وغيبكم حيث تشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله .

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾  
 اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ  
 الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ  
 الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٤﴾ إِنْ إِذَى  
 لِي فَضَلِّلْ مُبِينٍ ﴿٥﴾ إِنْ آمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُوا قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴿٦﴾

(١) (وجاء من أقصى المدينة رجل) هو حبيب التجار وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال : أتسألون على ما جئتم به أجرا ؟ قالوا لا . ( قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا ) على تبليغ الرسالة ( وهم مهتدون ) أى الرسل . فقالوا : أو أنت على دين هؤلاء ؟ فقال ( وما لى لا أعبد الذى فطرنى ) خلقنى ( وإليه ترجعون ) وإليه مرجعكم . ( ومالى ) حمزة .

(٢) بهمزيين كوفى .

(٣) يعنى الأصنام .

(٤) ( إن يردن الرحمن بضر ) شرط جوابه ( لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ) من مكروه . ( ولا ينقذونى فاسمعونى ) فى الحالين يعقوب .

(٥) أى إذا اتخذت .

(٦) ظاهريين .

(٧) لما نصح قومه أخذوا يرحمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم ( إنى آمنتم بربكم فاسمعون ) أى اسمعوا إيمانى لتشهدوا لى به . ولما قتل ( قيل ) له ( أدخل الجنة ) وقبره فى سوق أنطاكية . ولم يقل قيل له لأن الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما . وفيه دلالة أن الجنة مخلوقة . وقال الحسن : لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله إليه وهو فى الجنة ولا يموت إلا بفناء السموات والأرض .

قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ <sup>(١)</sup> بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ <sup>(٢)</sup>  
 وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ <sup>(٣)</sup> إِنْ  
 كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ <sup>(٤)</sup> يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ  
 مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ <sup>(٥)</sup> أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ <sup>(٦)</sup>

(١) فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي) أي بمغفرة ربي لي أو بالذي غفر لي (وجعلني من المكرمين) بالجنة .

(٢) (ما) نافية. (على قومه) قوم حبيب (من بعده) أي من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنا منازين) وما كان يصح في حكمتنا أن نزل في إهلاك قوم حبيب جندا من السماء ، وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك .

(٣) (إن كانت) الأخذة أو العقوبة (إلا صيحة) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فإذا هم خامدون) ميتون كما تنجد النار . والمعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم يتزل لإهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والحدق .

(٤) الحسرة شدة الندم . وهذا نداء الحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك التي حققت أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسول . والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسروا عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون . أو هم متحسروا عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين .

(٥) ألم يعلموا .

(٦) (كم) نصب بأهلكنا. و(روا) معلق عن العمل في (كم) لأن (كم) لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو لتجبر لأن أصلها الاستفهام. إلا أن معناها نافذ في الجملة .



انهم اليهم لا يرجعون ﴿١١﴾ وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴿١٢﴾  
 وءاية لهم الأرض الميته أحيينها وأخرجنا منها حبا فمنه يا كاون ﴿١٣﴾  
 وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ﴿١٤﴾

(١١) بدل من (كم أهلكتا) على المعنى لا على اللفظ، تقديره (ألم يروا) كثرة إهلا كما القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم .

(١٢) (لما) بالتشديد شامى وعاصم وحمة بمعنى إلا (وإن) نافية . وغيرهم بالتخفيف على أن (ما) صلة للتأكيد (وإن) مخففة من الثقيلة . وهى متلقة باللام لا محالة . والتنوين فى (كل) عوض من المضاف اليه . والمعنى إن كلهم محشورون مجتوعون محضرون للسباب أو معذبون . وإتما أخبر عن كل بجمع لأن "كلا" يفيد معنى الإحاطة . والجمع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع . يعنى أن المحشر يجمعهم .

(١٣) (وآية لهم) مبتدا وخبر . أى وعلامة تدل على أن الله يبعث الموتى إحياء الأرض الميتة . ويجوز أن يرتفع (آية) بالابتداء و(لهم) صفتها وخبرها (الأرض الميتة) اليابسة . وبالتشديد مدنى .

(١٤) (أحيينها) بالمطر . وهو استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية . وكذلك (نسلخ) . ويجوز أن توصف (الأرض) و(الليل) بالفعل لأنه أريد بهما جنسان مطلقان لا أرض وليل بأعيانها . فعوملا معاملة التكرات فى وصفهما بالأفعال ونحوه \* ولقد أمرت على اللئيم يسبنى \*  
 (٥) أريد به الجنس .

(٦) قدم الظرف ليدل على أن الحب هو الشيء الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنسان . وإذا قل جاء القحط ووقع الضر . وإذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء .

(٧) فى الأرض .

(٨) بساتين .

(٩) (من) زائدة عند الأخفش . وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما ينتفعون به .

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣﴾ سُبْحَانَ الَّذِي  
خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾

(١) الضمير لله تعالى ، أى (ليأكلوا) مما خلقه الله من الثمر . وأصله من ثمرنا كما قال  
(وجعلنا . وبخترنا) فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريق الالتفات . ويجوز أن يرجع  
الضمير إلى النخيل وترك الأعتاب غير مرجوع إليها لأنه علم أنها فى حكم النخيل فيما علق به  
من أكل ثمره . ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة :

فيها خطوط من بياض وبلق \* كأنه فى الجلد توليع البهق

فقيل له . فقال أردت كأن ذلك . (من ثمره) حمزة وعلى

(٢) أى ومما عملته أيديهم من الغرس والسقى والتلقيح وغير ذلك من الأعمال إلى  
أن يبلغ الثمر منتهاه . يعنى أن الثمر فى نفسه فعل الله وخلقته وفيه آثار من كدّ بنى آدم .  
(وما عملت) كوفى غير حفص . وهى فى مصاحف أهل الكوفة كذلك ، وفى مصاحف  
أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير . وقيل (ما) نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله  
أيدي الناس ولا يقدرّون عليه .

(٣) استبطاء وحثّ على شكر النعمة .

(٤) الأصناف .

(٥) من النخيل والشجر والزرع والثمر .

(٦) الأولاد ذكورا وإناثا .

(٧) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها . ففى الأودية والبحار أشياء

لا يعلمها الناس .

وَأَيُّهُمُ أَلْيَلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ <sup>(٢)</sup> وَالشَّمْسُ  
تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ هَآذَا <sup>(٣)</sup> ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ <sup>(٤)</sup> وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ <sup>(٥)</sup>  
مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>

(١) نخرج منه النهار إخراجا لا يبقى معه شيء من ضوء النهار . أو نتزع عنه الضوء نزع القميص الأبيض فيعري نفس الزمان كشخص زنجي - أسود لأن أصل ما بين السماء والأرض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فإذا غاب السراج أظلم .

(٢) داخلون في الظلام .

(٣) (و) آية لهم ( الشمس تجرى ) لحد لها مؤقت مقدر تنهى إليه من فلكها في آخر السنة . شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره . أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب . أو لانتهاؤها عند انقضاء الدنيا .

(٤) ( ذلك ) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق ( تقدير العزيز ) الغالب بقدرته على كل مقدور ( العليم ) بكل معلوم .

(٥) ( القمر ) نصب بفعل يفسره ( قدرناه ) . وبالرفع مكى ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر ( قدرناه ) أو على وآية لهم القمر .

(٦) وهي ثمانية وعشرون منزلا يتزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهلك إلى الثامنة والعشرين ، ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر . ولا بد في ( قدرناه منازل ) من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل . أى قدرنا نوره فيزيد وينقص أو قدرنا مسيره ( منازل ) فيكون ظرفا .

(٧) فإذا كان في آخر منازل دق واستقوس ( حتى عاد كالرجون ) - وهو عود الشمرائح إذا يس واعوج . ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف - ( القديم ) العتيق المحول وإذا قدم دق وانحنى واصفتر . فشبه القمر به من ثلاثة أوجه .

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ  
 يَسْبَحُونَ ﴿٣﴾ وَعَايَةُ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤﴾  
 وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٥﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ  
 لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٦﴾

(١) أى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم ( أن تدرك القمر ) فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره . لأن لكل واحد من النيران سلطانا على حباله . فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل . ولا يسبق الليل النهار . أى آية الليل آية النهار . وهما التيران . ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها .

(٢) التنوين فيه عوض من المضاف إليه أى وكآهم . والضمير للشموس والأقمار .

(٣) يسرون .

(٤) ( وآية لهم أنا حملنا ذرياتهم ) — مدنى وشامى — ( فى الفلك ) المملوء . والمراد بالذرية الأولاد ومن بهمهم حمله . وكانوا يعنونهم إلى التجارات فى برّ أو بحر . أو الآباء لأنّها من الأضداد . والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام . وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفى أصلابهم هم وذرياتهم . ولأنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ فى الامتنان عليهم .

(٥) ( وخلقنا لهم ) من مثل الفلك ( ما يركبون ) من الإبل . وهى سفائن البرّ .

(٦) ( وإن نشأ نغرقهم ) فى البحر فلا مغيث أو فلا إغاثة ( لهم ولا هم ) ينجون إلا رحمة منا ولتتبع بالحياة إلى انقضاء الأجل . فهما منصوبان على المفعول له .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ  
 تُرْحَمُونَ ﴿٢﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا  
 مُعْرِضِينَ ﴿٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 لِلَّذِينَ آمَنُوا انْطَعِمُوا مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعْتُمْ إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ  
 مُبِينٍ ﴿٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩﴾ مَا يَنْظُرُونَ ﴿١٠﴾

(١) أى ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أتم تعملون من بعد . أو من مثل الوقائع التي  
 ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها وما خلفهم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة .

(٢) لتكونوا على رجاء رحمة الله .

وجواب (إذا) مضمرة . أى أعرضوا . وجاز حذفه لأن قوله (وما تأتيتهم من آية من آيات  
 ربهم إلا كانوا عنها معرضين) يدل عليه .

(٣) (من) الأولى لتأكيد النفي ، والثانية للتبويض . أى ودأبهم الإعراض عند كل آية  
 وموعظة .

(٤) لمشركي مكة .

(٥) أى تصدقوا على الفقراء .

(٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين  
 قالوا : لا والله ! أيفقره الله ونطعمه نحن ؟

(٧) قول الله لهم . أو حكاية قول المؤمنين لهم . أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين .

(٨) أى وعد البعث والقيامة .

(٩) (إن كنتم صادقين) فيما تقولون . خطاب للنبي وأصحابه .

(١٠) ينتظرون .

إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٢﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ  
 تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ  
 الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٤﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن  
 مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥﴾ إِنْ كَانَتْ

(١) هي النفخة الأولى .

(٢) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه إذا غلبه في الخصومة . وشدّد الباقون  
 الصاد أى يخصمون بادغام التاء في الصاد . لكنّه مع فتح الخاء مكىّ بنقل حركة التاء المدغمة إليها ،  
 وبسكون الخاء مدنىّ ، وبكسر الياء والخاء يحىي ، فأتبع الياء الخاء في الكسر ، وفتح الياء وكسر  
 الخاء غيرهم . والمعنى تأخذهم وبعضهم يخصم بعضا في معاملاتهم .

(٣) (فلا يستطيعون) أن يوصوا فى شىء من أمورهم (توصية) ولا يقدرّون  
 على الرجوع إلى منازلهم . بل يموتون حيث يسمعون الصبيحة .

(٤) هي النفخة الثانية . والصور القرن ، أو جمع صورة .

(٥) أى القبور .

(٦) يعدون بكسر السين وضّمها .

(٧) أى الكفار .

(٨) من أنشأنا .

(٩) أى مضجعنا . وقف لازم عن حفص . وعن مجاهد "للكفار مضجعة يجدون فيها

طعم النوم . فإذا صبح بأهل القبور قالوا (من بعثنا) " .

(١٠) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيئون به

أنفسهم أو بعضهم بعضا . و (ما) مصدرية . ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين

على تسمية الموعد والمصدق فيه بالوعد والصدق . أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده

الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون .

(١١) النفخة الأخيرة .

إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿١١﴾ فَالْيَوْمَ لَا تَنْظُمُ  
 نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُحْزَنُ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ  
 فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ ﴿١٣﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴿١٤﴾  
 لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿١٥﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿١٦﴾

(١١) (محضرون) للحساب .

(٢) ذكر ما يقال لهم في ذلك اليوم . (شغل) بضمين كوفي وشامى ، وبضمة وسكون  
 مكى ونافع وأبو عمرو . والمعنى (في شغل) في أى شغل وفى شغل لا يوصف . وهو افتراض  
 الأرباب ، على شط الأنهار ، تحت الأشجار . أو ضرب الأوتار . أو ضيافة الجبار .

(٣) خبر ثان (فكهون) يزيد . والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ . ومنه الفاكهة لأنها  
 مما يتلذذ به . وكذا الفكاكة .

(٤) مبتدأ .

(٥) عطف عليه .

(٦) حال جمع ظل . وهو الموضع الذى لا تقع عليه الشمس . كذب وذئاب . أو جمع  
 ظلة كبرمة وبرام . دليله قراءة حمزة وعلى (ظلال) جمع ظلة . وهى ما سترك عن الشمس .

(٧) جمع الأريكة وهى السرير فى الجملة أو الفراش فيها .

(٨) خبر . أو (فى ظلال) خبر و (على الأرائك) مستأنف .

(٩) يفتعلون من الدعاء . أى كل ما يدعو به أهل الجنة بأنهم . أو يتمنون من قولهم  
 "ادع على ما شئت" أى تمنه على . عن الفراء هو من الدعوى ولا يدعون ما لا يستحقون .

(١٠) (سلام) بدل مما يدعون . كأنه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من رب رحيم) . والمعنى  
 أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم . وذلك متمناهم ولهم ذلك  
 لا يمنعونه . قال ابن عباس "والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين" .

وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ <sup>(١)</sup> أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ  
 أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ <sup>(٢)</sup> وَإِنِ اعْبُدُونِي <sup>(٣)</sup>  
 هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ <sup>(٤)</sup> وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا <sup>(٥)</sup>  
 أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ <sup>(٦)</sup> هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ <sup>(٧)</sup>  
 أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ <sup>(٨)</sup> الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ <sup>(٩)</sup>

(١) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة . وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة . وعن الضحاك : لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أبدا .

(٢) يقول لهم يوم القيامة (ألم أعهد) الآيات . العهد الوصية . وعهد إليه إذا وصاه . وعهد الله إليهم ما ركزه فيهم من أدلة العقل ، وأنزل عليهم من دلائل السمع . وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم .

(٣) وحدوني وأطيعوني .

(٤) إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان ، وطاعة الرحمن .

(٥) أي صراط بليغ في استقامته ولا صراط أقوم منه .

(٦) بكسر الجيم والباء والتشديد مدني وعاصم وسهل (جبلا) بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب (جبلا) مخففا شامي وأبو عمرو (جبلا) بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم . وهذه لغات في معنى الخلق .

(٧) استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل .

(٨) توعدون) بها .

(٩) أدخلوها بكفركم وإنكاركم لها .

(١٠) أي تمنعهم من الكلام .



وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَشَهِدَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ <sup>(١)</sup> وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا  
عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ  
مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>

(١) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون . فلتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم .  
فيحلفون ما كانوا مشركين . حينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم . وفي الحديث  
”يقول العبد يوم القيامة إني لا أجزى على إلا شاهدا من نفسي ، فيختم على فيه ويقال لأركانه  
انطقى . فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعداً لكن وسحقاً . فعنك كنت  
أناضل“ .

(٢) لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم . والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة .

(٣) على حذف الجاز وإيصال الفعل . والأصل فاستبقوا إلى الصراط .

(٤) فكيف (يبصرون) حينئذ وقد طمسنا أعينهم .

(٥) (لمسخناهم) قردة أو خنازير أو حجارة .

(٦) (على مكاناتهم) أبو بكر وحماد . والمكانة المكان واحد كالمقامة والمقام . أى

(لمسخناهم) فى منازلهم حيث يجترحون المآثم .

(٧) فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيء . أو (مضياً) أمامهم (ولا يرجعون) خلفهم .

(٨) (ننكسه) عاصم وحمة . والتنكيس جعل الشيء أعلاه أسفله . الباقون (ننكسه

فى الخلق) أى قلبه فيه . بمعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفاً وبدل الشباب  
هرماً . وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسده ، وخلقنا من عقل وعلم ثم جعلناه يترايد إلى أن  
يبلى أشده ويستكمل قوته . ويعقل ويعلم ماله وما عليه . فإذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه  
يتناقص حتى يرجع إلى حال شبيهة بحال الصبي فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم .  
كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله . قال عز وجل (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا  
يعلم من بعد علم شيئاً) .

أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ <sup>(٢)</sup> إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ <sup>(٤)</sup>

(١) (أفلا يعقلون) أت من قدر على أن ينقلهم من الشباب إلى الهرم ، ومن القوة إلى الضعف ، ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز ، قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسحهم على مكاتهم ويبعثهم بعد الموت . وبالتالي مدني ويعقوب وسهل .

(٢) كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فتزل . أي وما علمنا النبي عليه السلام قول الشعراء . أو (وما علمناه) بتعليم القرآن (الشعر) على معنى أن القرآن ليس بشعر . فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى . فأين الوزن وأين التقفية ؟ فلا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققته .

(٣) وما يصحح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه . أي جعلناه بحيث لو أراد قرص الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أمياً لا يهتدى إلى الخط لتكون الحجّة أثبت والشبهة أدهض . وأما قوله :

أنا النبي لا كذب \* أنا ابن عبد المطلب

وقوله هل أنت إلا أصبع دميت \* وفي سبيل الله ما لقيت

فما هو إلا من جنس كلامه الذي كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف إلا أنه اتفق من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه أن جاء موزوناً كما يتفق في خطاب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعراً لأن صاحبه لم يقصد الوزن . ولا بد منه . على أنه عليه السلام قال لقيت بالسكون وفتح الباء في كذب وخفض الباء في المطلب .

(٤) لما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (إن هو) أي المعلم (إلا ذكر وقرآن مبين) . أي ما هو إلا ذكر من الله يوعظ به الإنس والجن وما هو إلا قرآن تنجس سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبّدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين . فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين .

لَيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا  
 خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٦﴾ وَذَلَّلْنَاهَا  
 لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٩﴾ وَهُمْ فِيهَا مَنَّاعٌ وَمَشَارِبٌ ﴿١١﴾  
 أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٣﴾

(١) لينذر ( القرآن أو الرسول . ( لتنذر ) مدني - وشامي - وسهل ويعقوب .

(٢) عاقلا متأملا لأن الغافل كالميت ، أو حيا بالقلب .

(٣) وتجب كلمة العذاب .

(٤) الذين لا يتأملون وهم في حكم الأموات .

(٥) أى مما تولينا نحن إحدائه ولم يقدر على توليه غيرنا .

(٦) أى خلقناها لأجلهم فملكها أيامهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون  
 بالانتفاع بها ، أو فهم لها ضابطون قاهرون .

(٧) وصيرناها منقادة لهم . وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها .  
 ولهذا أزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله ( سبحان الذى سخر لنا هذا  
 وما كنا له مقرنين ) .

(٨) وهو ما يركب .

(٩) أى سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها .

(١٠) من الجلود والأوبار وغير ذلك .

(١١) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشرب .

(١٢) ( أفلا يشكرون ) الله على إناعام الأنعام .

(١٣) أى لعل أصنامهم تنصرهم إذا حز بهم أمر .

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ﴿٣﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ  
 إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٤﴾

(١) أى آلهتهم .

(٢) نصر عابديهم .

(٣) أى الكفار للأصنام أعوان وشيعة يخدمونهم ويذبّون عنهم . أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفّعوا لهم والأمر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون وقود النار .

(٤) وبضم الياء وكسر الزاي نافع . من حزنه وأحزنه . يعنى فلا يهتك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم . (إنا نعلم ما يسرون) من عداوتهم (وما يعلنون) وإنا مجازوهم عليه . فحقّ مثلك أن يتسلّى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالمه فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن . ومن زعم أن من قرأ (أنا نعلم) بالفتح فسدت صلواته وإن اعتقد معناه كفر ، فقد أخطأ لأنه يمكن حمله على حذف لام التعليل . وهو كثير فى القرآن والشعر وفى كل كلام . وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن الحمد والنعمة لك" . كسر أبو حنيفة وفتح الشافعى رحمة الله عليهما . وكلاهما تعليل . فإن قلت إن كان المفتوح بدلا من (قوله) كأنه قيل (فلا يحزنك) أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ، ففساده ظاهر . قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول . فقد تبين أن تعلّق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلّقه لا يدوران على كسر إت وفتحها . وإتما يدوران على تقديره ، فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البديل . كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ، ثم إن قدرته كاسرا أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل ، فما فيه إلا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلايتهم والنهى عن حزنه ليس إثباتا لحزنه بذلك . كما فى قوله (فلا تكونن ظهيرا للكافرين . ولا تكونن من المشركين . ولا تدع مع الله الها آثر) .

أَوَّلَ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ <sup>(٢)</sup>  
 وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ <sup>(٣)</sup>  
 قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup>

(١) (من نطفة) مذرة خارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة. نزل في أبي بن خلف حين أخذ عظمًا باليا وجعل يفتنه بيده ويقول: يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، ويبعثك ويدخلك جهنم.

(٢) بين الخصومة. أي فهو على مهانة أصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر قدرته على إحياء الميت بعد مارقة عظامه. ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به. وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشائه من موات. وهو غاية المكابرة.

(٣) (وضرب لنا مثلاً) بفتنه العظم (ونسى خلقه) من المنى فهو أغرب من إحياء العظم. المصدر مضاف إلى المفعول أي خلقنا إياه.

(٤) هو اسم لما يلي من العظام، غير صفة كالرمة والرفات. ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبراً لمؤنث. ومن يثبت الحياة في العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها، يتشبهت بهذه الآية. وهي عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب، لأن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت. والمراد بإحياء العظام في الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس.

(٥) خلقها.

(٦) أي ابتداء.

(٧) مخلوق.

(٨) لا تخفى عليه أجزاؤه وإن تفرقت في البر والبحر فيجمعه ويعيده كما كان.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿١١﴾  
 أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ  
 مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا  
 أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٣﴾

(١١) (توقدون) تقدحون . ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به . وهي الزناد التي توري بها الأعراب وأكثرها من المرخ والعفار . وفي أمثالهم "في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار" لأن المرخ شجر سريع الوري . والعفار شجر تقدح منه النار . يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ - وهو ذكر - على العفار - وهي أنثى - فتندح النار بإذن الله . عن ابن عباس رضي الله عنهما "ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العناب" لمصلحة الدق للثياب . فن قدر على جمع الماء والنار في الشجر ، قدر على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر . وإجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل في العقل من الجمع معا بلا ترتيب . والأخضر على اللفظ . وقرئ الخضراء على المعنى . ثم بين أن من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسي أقدر بقوله ( أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ) في الصغر بالإضافة إلى السموات والأرض . أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل للبتدأ وليس به .

(١٢) أى قبل ( بلى ) هو قادر على ذلك ( وهو ) الكثير المخلوقات ، الكثير المعلومات ( إنما ) شأنه ( إذا أراد ) أن يكون ( شيئا أن يقول له كن ) فيحدث . أى فهو كائن موجود لا محالة . فالحاصل أن المكونات بتخليقه وتكوينه . ولكن صبر عن إيجادها بقوله ( كن ) من غير أن كان منه كاف ونون ، وإنما هو بيان لسرعة

فَسُبْحٰنَ الَّذِيْ بِيْدِهٖ مَّا كُوْنُ كُلِّ شَيْءٍ <sup>(٢)</sup> وَاِلَيْهِ <sup>(٣)</sup> تُرْجَعُوْنَ ﴿١٥٣﴾

الإيجاد كأنه يقول كما لا يتقل قول (كن) عليكم ، فكذا لا يتقل على الله ابتداء الخلق وإعادتهم . (فيكون) شامى وعلى عطف على (يقول) . وأما الرفع فلأنها جملة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي (أمره أن يقول له كن) .

(١) تنزيهه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا .

(٢) أى ملك كل شيء . وزيادة الواو والتاء للبالغة . يعنى هو مالك كل شيء .

(٣) تعادون بعد الموت بلا فوت (ترجعون) يعقوب . قال عليه الصلاة والسلام "إن لكل شيء قلبا وإن قلب القرآن يس . من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنى عشر مرة" وقال عليه السلام "من قرأ يس أمام حاجته قضيت له" وقال عليه السلام "من قرأها إن كانت جائعا أشبعه الله ، وإن كان ظمآن أرواه الله ، وإن كان عريانا ألبسه الله ، وإن كان خائفا أمنه الله ، وإن كان مستوحشا آانسه الله ، وإن كان فقيرا أغناه الله ، وإن كان فى السجن أخرجه الله ، وإن كان أسيرا خلّصه الله ، وإن كان ضالّا هداه الله ، وإن كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه" . وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة . والله أعلم .

## سورة الصافات مكية

وهي مائة وإحدى أو اثنتان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَهُمُ  
لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾

(١) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة (فالزاجرات) السحاب سوقا ، أو عن المعاصي بالإلهام (فالتاليات) لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها . وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد . أو بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجيد وسائر الصلوات (فالزاجرات) بالمواعظ والنصائح (فالتاليات) آيات الله والدارسات شرائعه . أو بنفوس الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وترجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك . و (صفا) مصدر مؤكد . وكذلك (زجرا) والفاء تدل على ترتيب الصفات في التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس .

(٢) جواب القسم . قيل هو جواب قولهم (أجعل الآلهة إلهًا واحدًا) .

(٣) خبر بعد خبر . أو خبر مبتدأ محذوف . أي هو (رب) .

(٤) أي مطالع الشمس وهي ثلثمائة وستون مشرقا . وكذلك المغرب . تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب . ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين . وأما (رب) المشرقين و (رب) المغربين فإنه أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما ، وأما (رب) المشرق والمغرب فإنه أراد به الجهة . فالمشرق جهة والمغرب جهة .



إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ (١) وَحَفْظًا مِّنْ كُلِّ  
شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٢) لَا يَسْمَعُونَ (٣) إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى (٤) وَيُقَدِّفُونَ (٥)

(١) القربى منكم . تأنيث الأذنى .

(٢) حفص وحزمة على البدل من (زينة) . والمعنى (إنا زيننا السماء الدنيا) بالكواكب .  
(زينة الكواكب) أبو بكر على البدل من محل (زينة) أو على إضمار أعنى . أو على إعمال المصدر  
متوفا في المفعول . (زينة الكواكب) غيرهم بإضافة المصدر إلى الفاعل . أى بأن ذاتها الكواكب .  
وأصله بزينة الكواكب . أو على إضافته إلى المفعول أى بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنهما  
إتما زينت السماء لحسنها في أنفسهما . وأصله بزينة الكواكب لقراءة أبي بكر .

(٣) محمول على المعنى ، لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء (وحفظا) من الشياطين ،  
كما قال ( ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ) أو الفعل المعلل مقدر  
كأنه قيل ( وحفظا من كل شيطان ) قد زينها بالكواكب أو معناه حفظناها حفظا .

(٤) خارج من الطاعة .

(٥) ( لا يَسْمَعُونَ ) الضمير لـ ( كل شيطان ) لأنه في معنى الشياطين . ( يَسْمَعُونَ ) كوفي  
غير أبي بكر . وأصله يتسمعون . والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع . وينبغي  
أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المستترقة للسمع وأنهم لا يقدرُونَ أن  
يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا . وقيل أصله لثلا يسمعوا . فحذفت اللام كما حذفت  
في جنتك أن تكرمي . فبقى ألا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما في قوله \* ألا أيهاذا  
الزاجري أحضر الوغى \* وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله ، فإن كل واحد من الحذفين  
غير مردود على انفراده . ولكن اجتماعهما منكر . والفرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت  
إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه أن المعتدى بنفسه يفيد الإدراك ، والمعتدى بإلى يفيد  
الإصغاء مع الإدراك .

(٦) أى الملائكة لأنهم يسكنون السموات . والإنس والجن هم الملائكة الأسفل لأنهم  
سكان الأرض .

(٧) يرمون بالشهب .

مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿١﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصْبُ ﴿٢﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ  
 الْخَطِيفَةَ فَاتَّبَعَهُ، شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿٣﴾ فَاسْتَفْتَيْمُ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ  
 خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿٤﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿٥﴾

(١) من جميع جوانب السماء من أى جهة صعّدوا للاستراق .

(٢) مفعول له . أى (ويقدفون) للدحور . وهو الطرد . أو مدحورين على الحال . أو لأن  
 القذف والطرد متقاربان فى المعنى ، فكأنه قيل يدحرون أو قذفوا .

(٣) دائم من الوصوب . أى أنهم فى الدنيا مرجومون بالشهب . وقد أعد لهم  
 فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع .

(٤) (من) فى محل الرفع بدل من الواو فى (لا يسمعون) أى لا يسمع الشياطين إلا الشيطان  
 الذى (خطف الخطيفة) أى سلب السلبه . يعنى أخذ شيئاً من كلامهم بسرعة (فاتبعه)  
 لحقه (شهاب) أى نجم رجم (ثاقب) مضى .  
 (٥) فاستخبر كفّار مكّة .

(٦) أى أقوى خلقاً من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدّة ، أو أصعب خلقاً وأشقه ، على  
 معنى الردّ لإنكارهم البعث ، وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه  
 اختراعها كان خلق البشر عليه أهون .

(٧) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما . وحيى بمن  
 تغليباً للعقلاء على غيرهم . ويدلّ عليه قراءة من قرأ (أم من عددنا) بالتشديد والتخفيف .  
 (٨) لاصق أو لازم . وقرئ به . وهذا شهادة عليهم بالضعف . لأن ما يصنع من الطين  
 غير موصوف بالصلاية والقوة . أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب ،  
 فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا (أنذا تكّم تراباً) ؟ وهذا المعنى يعضده  
 ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث .

(٩) (بل عجب) من تكذيبهم إياك (ويسخرون) هم منك ومن تعجبك . أو (عجبت)  
 من إنكارهم البعث (و) هم (يسخرون) من أمر البعث (بل عجب) حمزة وعلى . أى استعظمت .

وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَدْرِكُونَ <sup>(١)</sup> وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ <sup>(٢)</sup> وَقَالُوا <sup>(٣)</sup>  
 إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ <sup>(٤)</sup> أَعْدَا مِتْنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا إِنْ لَمْ يَكُنْ لِمُبْعُوثُونَ <sup>(٦)</sup>  
 أَوْ آبَاؤُنَا الْأُولُونَ <sup>(٧)</sup> قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَارِحُونَ <sup>(٩)</sup> فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ <sup>(١١)</sup>

والعجب روعة تعترى الإنسان عند استعظام الشيء بفرد المعنى الاستعظام في حقه تعالى لأنه لا يجوز عليه الروعة . أو معناه قل يا محمد ( بل عجب ) .

(١) ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به .

(٢) معجزة كانشقاق القمر ونحوه .

(٣) يستدعى بعضهم بعضا أن يسخر منها . أو يبالغون في السخرية .

(٤) ما ( هذا إلا سحر مبين ) ظاهر .

(٥) استفهام إنكار .

(٦) أى أنبعت إذا كنا ترابا وعظاما .

(٧) معطوف على محل إن واسمها ، أو على الضمير في ( مبعوثون ) والمعنى أبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد . يعنون أنهم أقدم . فبعثهم أبعد وأبطل ( أو آباؤنا ) بسكون الواو مدنى وشامى . أى أبعث واحد منا على المبالغة في الإنكار .

(٨) الأقدمون .

(٩) ( نعم ) تبعثون . ( نعم ) على . وهما لغتان .

(١٠) صاغرون .

(١١) جواب شرط مقدر تقديره إذا كان كذلك فما هي إلا ( زجرة واحدة ) . وهي لا ترجع إلى شيء إنما هي مبهمة موضحها خبرها . ويجوز وإنما البعثة ( زجرة واحدة ) وهي النفخة الثانية . والزجرة الصبيحة . من قولك زجر الراعى الإبل أو الغنم إذا صاح عليهم .

فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ <sup>(١)</sup> وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ <sup>(٢)</sup> هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي  
 كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ <sup>(٣)</sup> أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا <sup>(٤)</sup> وَأَزْوَاجَهُمْ <sup>(٥)</sup> وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ <sup>(٦)</sup>  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ <sup>(٧)</sup> إِلَى صِرَاطٍ <sup>(٨)</sup> أَبْحَمٍ <sup>(٩)</sup> وَقِفُوهُمْ <sup>(١٠)</sup> إِنَّهُمْ <sup>(١١)</sup> مَسْئُولُونَ <sup>(١٢)</sup>

(١) فإذا هم) أحياء بصراء (ينظرون) إلى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم .

(٢) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة .

(٣) أى اليوم الذى ندان فيه ، أى نجازى بأعمالنا .

(٤) (هذا يوم) القضاء—والفرق بين فرق الهدى والضلال—(الذى كنتم به تكذبون).  
 ثم يحتمل أن يكون (هذا يوم الدين) إلى قوله (احشروا) من كلام الكفرة بعضهم مع بعض ،  
 وأن يكون من كلام الملائكة لهم ، وأن يكون (يا ويلنا هذا يوم الدين) من كلام الكفرة  
 و(هذا يوم الفصل) من كلام الملائكة جواباً لهم .

(٥) خطاب الله للملائكة .

(٦) كفروا .

(٧) أى وأشسباههم وقرناءهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات . والواو بمعنى مع .  
 وقيل للعطف . وقرئ بالرفع عطفاً على الضمير فى (ظلموا) .

(٨) أى الأصنام .

(٩) دأوهم ، عن الأصمى . هديته فى الدين هدى وفى الطريق هداية .

(١٠) طريق النار .

(١١) احبسوهم .

(١٢) (مسئولون) عن أقوالهم وأفعالهم .

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ <sup>(١)</sup> بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ <sup>(٢)</sup> وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ <sup>(٦)</sup>  
 عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ <sup>(٤)</sup> قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ <sup>(٥)</sup> <sup>(٧)</sup>  
 قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ <sup>(٨)</sup> وَمَا كَانَتْ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ <sup>(٩)</sup>  
 بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ <sup>(١٠)</sup> فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰلِكَ نَاقُونَ <sup>(١١)</sup> <sup>(١٢)</sup>

(١) أى لا ينصر بعضهم بعضا ، وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا متناصرين فى الدنيا . وقيل هو جواب لأبى جهل حيث قال يوم بدر (نحن جميع متصر) . وهو فى موضع النصب على الحال . أى (مالك) غير متناصرين .

(٢) منقادون . أو قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز . فكأنهم مستسلم غير متصر .

(٣) أى التابع على المتبوع .

(٤) يتخاصمون .

(٥) أى الأتباع للتبوعين .

(٦) عن القوة والقهر . إذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش . أى أنكم كنتم تحملوننا على الضلال وتفسروننا عليه .

(٧) أى الرؤساء .

(٨) أى بل أبيتتم أتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين .

(٩) تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم .

(١٠) بل كنتم قوما مختارين الطغيان .

(١١) فلزمنا جميعا .

(١٢) يعنى وعيد الله بأننا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا . ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ، ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم . ونحوه قوله : \* فقد زعمت هوازن قل مالى \* ولو حكى قولها لقال قل مالك .

فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ <sup>(١)</sup> فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ <sup>(٢)</sup>  
 إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ <sup>(٣)</sup> إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ  
 إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ <sup>(٤)</sup> وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ <sup>(٥)</sup>  
 بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ <sup>(٦)</sup> إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ <sup>(٧)</sup>  
 وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(٨)</sup> إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ <sup>(٩)</sup>  
 أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ <sup>(١٠)</sup> فَوَاكِهِ

(١) (فأغويناكم) فدعوناكم إلى الغي (إننا كنا غاوين). فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا .

(٢) فإن الأتباع والمتبوعين جميعاً يوم القيامة (في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في الغواية .

(٣) أى بالمشركين . (إننا) مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم .

(٤) (إنهم كانوا) إذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا إلا الشرك .

(٥) بهمزتين شامى وكوفى .

(٦) يعنون محمداً عليه السلام .

(٧) رد على المشركين .

(٨) كقوله (مصداقاً لما بين يديه) .

(٩) بلا زيادة .

(١٠) (المخلصين) بفتح اللام كوفى ومدنى . وكذا ما بعده . أى لكن عباد الله — على الاستثناء المنقطع — أولئك لهم رزق معلوم فواكه فسر الرزق المعلوم بالفواكه . وهى كل

وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٢﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٣﴾  
 يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُؤُوسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤﴾ بَيْضَاءَ لَّدَّةٍ لِلشَّرِيبِينَ ﴿٥﴾  
 لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٦﴾

ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة . يعنى أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات ، لأن أجسادهم محكمة مخلوقة للأبد ، فما يأكلونه للتلذذ . ويجوز أن يراد ( رزق معلوم ) منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر . وقيل معلوم الوقت كقوله ( ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ) والنفس إليه أسكن .

(١) ( وهم ) متممون ( في جنات النعيم ) يجوز أن يكون ظرفا ، وأن يكون حالا ، وأن يكون خبرا بعد خبر . وكذا ( على سرر متقابلين ) التقابل أتم للسرور وأنس .

(٢) بغير همز أبو عمرو وحمة في الوقف ، وغيرهما بالهمزة . يقال للزجاجة فيها الخمر كأس . وتسمى الخمر نفسها كأسا . وعن الأخفش : كل كأس في القرآن فهى الخمر . وكذا في تفسير ابن عباس رضى الله عنهما .

(٣) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الأرض الظاهر للعيون . وصف بما وصف به الماء لأنه يجرى في الجنة في أنهار كما يجرى الماء . قال الله تعالى ( وأنهار من نحر ) .

(٤) صفة للكأس .

(٥) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها ، أو ذات لذة .

(٦) أى لا تغتال عقولهم تحمور الدنيا . وهو من غاله يفعله غولا إذا أهلكه وأفسده .

(٧) يسكرون من ترف الشارب إذا ذهب عقله . ويقال للسكران تريف ومتزوف . ( يتزفون ) على وحمة ، أى لا يسكرون أو لا يتزف شراهم من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرا به .

وَعِنْدَهُمْ قَنْصِرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ <sup>(٢)</sup> كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ <sup>(٣)</sup> فَأَقْبَلَ  
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ <sup>(٤)</sup> قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ  
يَقُولُ أَأَنْتَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ <sup>(٥)</sup> أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا  
لَمَدِينُونَ <sup>(٦)</sup> قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ <sup>(٧)</sup> فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ <sup>(٨)</sup>

(١) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم .

(٢) جمع عيناء أى نجلاء واسعة العين .

(٣) مكنون . شبههن ببياض النعام المكنون فى الصفاء . وبها تشبه العرب النساء وتسميهن  
بيضيات الخدور .

(٤) (فأقبل بعضهم) أى أهل الجنة (على بعض يتساءلون) . عطف على (يطاف عليهم)  
والمعنى يشربون ويتحدثون على الشراب كعادة الشرب . قال :

وما بقيت من اللذات إلا \* أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون تماما جرى لهم وعليهم فى الدنيا . إلا أنه جرى به ماضيا  
على ما عرف فى أخباره .

(٥) بهمزيين شامى وكوفى .

(٦) (لمن المصدقين) بيوم الدين .

(٧) لمجزيون . من الدين وهو الجزاء .

(٨) (قال) ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) إلى النار لأريكم ذلك القرين . قيل إن  
فى الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار . أو قال الله تعالى لأهل الجنة (هل أنتم مطلعون)  
إلى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار .

(٩) (فأطلع) المسلم (فراه) أى قرينه (فى سواد الجحيم) فى وسطها .



قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتُرِدِينِ ﴿١﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٢﴾  
 أَفَأَنْتُمْ نَحْنُ بِمَبِيتِينَ ﴿٣﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٤﴾  
 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦﴾  
 أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقْوِمِ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٨﴾

(١) (إن) مخففة من الثقيلة . وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية . والإرداء الإهلاك . وبالياء في الحالين يعقوب .

(٢) وهي العصمة والتوفيق في الاستمسك بعروة الإسلام .

(٣) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك .

(٤) الفاء للعطف على محذوف تقديره (أ) نحن نخلدون منعمون (فما نحن بمبتين) ولا معذبين . والمعنى أت هذه حال المؤمنين . وهو ألا يذوقوا إلا الموتة الأولى بخلاف الكفار فلأنهم فيما يمتنون فيه الموت كل ساعة . وقيل لحكيم : ما شر من الموت ؟ قال : الذي يمتنى فيه الموت . وهذا قول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله بسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب . و(موتنا) نصب على المصدر . والاستثناء متصل تقديره ولا نموت إلا مرة . أو منقطع وتقديره لكن الموتة الأولى قد كانت في الدنيا . ثم قال لقرينه تقريرا له : (إك هذا) أى الأمر الذى نحن فيه (هو الفوز العظيم) . ثم قال الله عز وجل (لمثل هذا فليعمل العاملون) . وقيل هو أيضا من كلامه .

(٥) (نزلا) تمييز . أى نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا (أم شجرة الزقوم) خير نزلا ؟ والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق . والزقوم شجر مر يكون بهامة .

(٦) محنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا ، وذلك أنهم قالوا : كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر ؟ فكذبوا .

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ <sup>(١)</sup> طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ  
 الشَّيَاطِينِ <sup>(٢)</sup> فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ <sup>(٣)</sup> ثُمَّ إِنَّ  
 لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبَابًا مِّنْ حَمِيمٍ <sup>(٤)</sup> ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ <sup>(٥)</sup>  
 إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ <sup>(٦)</sup> فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ <sup>(٧)</sup>

(١) قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها .

(٢) الطلع للنخلة . فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها . وشبه برؤوس الشياطين للدلالة على تهاويه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض . وقيل الشيطان حبة عرفاء فيبحة المنظر هائلة جدا .

(٣) (فإنهم لا يكونون) من الشجرة ، أي من طلوعها (فمالئون) بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد (ثم إن لهم) على أكلها خلطا ولمزاجا (من) ماء حار يشوى وجوههم ويقطع أوعاءهم ، كما قال في صفة شراب أهل الجنة (ومزاجه من تسنيم) . والمعنى ثم إنهم يملئون البطن من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون إلا بعد مليّ تعذيبا لهم بذلك العطش . ثم يسقون ما هو أحرّ وهو الشراب المشوب بالحميم .

(٤) أي أنهم يذهب بهم عن مقرّهم ومنازلهم في الجحيم - وهي الدركات التي أسكنوها - إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يمتأوا ويسقون به ذلك . ثم يرجعون إلى دركاتهم . ومعنى التراخي في ذلك ظاهر .

(٥) علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد بتقليد الآباء في الدين واتباعهم إياهم في الضلال وترك اتباع الدليل . والإهراع الإسراع الشديد كأنهم يُحْتَوْنَ حتّا .

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ <sup>(٢)</sup> وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ <sup>(٣)</sup> فَأَنْظَرُوا  
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ <sup>(٤)</sup> إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ <sup>(٥)</sup> وَلَقَدْ نَادَيْنَا  
 نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ <sup>(٦)</sup> وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ <sup>(٧)</sup> وَجَعَلْنَا  
 ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ <sup>(٨)</sup> وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ <sup>(٩)</sup> سَلَّمَ عَلَيَّ نُوحٌ <sup>(١٠)</sup>

(١) قبل قومك قريش .

(٢) يعنى الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل .

(٣) أنبياء حذروهم العواقب .

(٤) أى الذين أنذروا وحذروا ، أى أهلكوا جميعا .

(٥) أى إلا الذين آمنوا منهم وأخلصوا الله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين .

(٦) دعانا لننجيه من الفرق . وقيل أريد به قوله (أتى مغلوب فانتصر) . لما ذكر

إرسال المنذرين فى الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعائه إياه حين  
 أيس من قومه .

(٧) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف . والمخصوص بالمدح محذوف تقديره

(ولقد نادانا نوح) فوالله لنعم المجيبون نحن . والجمع دليل العظمة والكبرياء . والمعنى أنا أجبناه  
 أحسن الإجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بأبلغ ما يكون .

(٨) ومن آمن به وأولاده .

(٩) وهو الفرق .

(١٠) وقد فى غيرهم . قال قتادة : الناس كلهم من ذرية نوح . وكان لنوح عليه السلام

ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم ، وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب ،  
 ويافث وهو أبو الترك وأجوج وأجوج .

(١١) (وتركنا عليه فى الآخريين) من الأمم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) . يعنى

يسلمون عليه تسليما ويدعون له . وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها .

فِي الْعَالَمِينَ <sup>(١)</sup> إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ <sup>(٢)</sup> إِنَّهُ <sup>(٣)</sup> مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ <sup>(٤)</sup>  
 ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ <sup>(٥)</sup> وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ <sup>(٦)</sup> إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ  
 سَلِيمٍ <sup>(٧)</sup> إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ <sup>(٨)</sup> أَفَبِكَاءِ آلِهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ <sup>(٩)</sup>

(١) أى ثبت هذه التهجئة فيهم جميعا ولا يخلو أحد منهم منها . كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والتقلين يسأمون عليه عن آخرهم .

(٢) علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بأنه كان محسنا .

(٣) ثم طلل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلاله محل الإيمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم .

(٤) أى الكافرين .

(٥) أى من شبيعة نوح . أى ممن شايعه على أصول الدين . أو شايعه على التصلب في دين الله ومصاهرة المكذبين . وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستائة وأربعون سنة وما كان بينهما إلا نبيان هود وصالح .

(٦) (إذ) تعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة . يعنى (وإن) ممن شايعه على دينه وتقواه حين (جاء ربه بقلب سليم) من الشرك أو من آفات القلوب ، (لإبراهيم) . أو بمحذوف وهو اذ كر . ومعنى المجيء بقلبه ربه أنه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك .

(٧) بدل من الأولى .

(٨) (إفكا) مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفكا . وإنما قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم . ويجوز أن يكون (إفكا) مفعولا به . أى أتريدون إفكا . ثم فسر الإفك بقوله (آلهة دون الله) على أنها إفك في نفسها ، أو حالا ، أى أتريدون آلهة من دون الله أفكين .

فَاظُنُّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٢﴾ فَقَالَ  
إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٣﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٤﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ فَقَالَ  
أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٥﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٦﴾

(١) (فما ظننكم) أى شئ ظننكم (رب العالمين) وأتم تعبدون غيره . و (ما) رفع بالابتداء . والخبر (ظننكم) . أو فما ظننكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة ؟

(٢) أى نظر (في النجوم) راميا يبصره إلى السماء متفكرا في نفسه كيف يحتمل . أو أراهم أنه ينظر في النجوم لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم أنه استدلل بأماره على أنه يسقم .

(٣) أى (فقال) مشارف للسقم — وهو الطاعون وكان أغلب الأقسام عليهم . وكانوا يخافون العدوى — ليتفرقوا عنه . فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد . ففعل بالأصنام ما فعل . وقالوا علم النجوم كان حقا ثم نسخ الاشتغال بمعرفته . والكذب حرام إلا إذا عرض . والذي قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام ، أى سأسقم . أو من الموت في عنقه سقيم . ومنه المثل : كفى بالسلامة داء : ومات رجل بجفأة . فقالوا مات وهو صحيح . فقال أعرابي أصحيح من الموت في عنقه ؟ أو أراد (إتى سقيم) لكفركم كما يقال أنا مريض القلب من كذا .

(٤) فأعرضوا (عنه) موئين الأدبار .

(٥) فمال إليهم سرا (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) ؟ وكان عندها طعام . (ما لكم لا تنطقون) ؟ والجمع بالواو والنون لما أنه خاطبها خطاب من يعقل .

(٦) فأقبل عليهم مستخفيا . كأنه قال فضر بهم (ضربا) لأن (راغ عليهم) بمعنى ضربهم . أو (فراغ عليهم) يضر بهم (ضربا) أى ضاربا ضربا شديدا بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدّها . أو بالقوة والمثانة . أو بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله (تالله لا أكيدت أصنامكم) .

فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿١﴾ قَالَ اتَّعِبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ﴿٢﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ  
 وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٤﴾  
 فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٥﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي  
 سَيِّدِينَ ﴿٦﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿٨﴾

(١) (فأقبلوا) إلى إبراهيم يسرعون . من الزيف وهو الإسراع (يزفون) حمزة من أرف إذا دخل في الزيف إزفافا . فكأنه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره . فأقبل من رآه مسرعا نحوه . ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه (من فعل هذا بأهتنا إنه لمن الظالمين) . فأجابوه على سبيل التعريض بقولهم (سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) . ثم قالوا بأجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها . فأجابهم بقوله (أتعبدون ما تحتون) بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الأصنام؟ أو (ما) مصدرية أي وخلق أعمالكم . وهو دليلنا في خلق الأفعال . أي الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره ؟

(٢) (قالوا ابنوا) لأجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فألفوه) في النار الشديدة . وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم .

(٣) (فأرادوا) بإلقائه في النار (كيدا فجعلناهم) المقهورين عند الإلقاء . فخرج من النار (وقال إني ذاهب إلى ربِّي) إلى موضع أمرني بالذهاب إليه . سيرشدني إلى ما فيه صلاح في ديني وبعصمى ويوقفتنى . (سيهدينى) فيهما يعقوب .

(٤) بعض الصالحين . يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في الولد .

(٥) انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر ، وأنه يبلغ أوان الحلم لأن الصبي لا يوصف بالحلم وأنه يكون حلما ؛ وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) ثم استسلم لذلك .

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ قَالَ يُبْنِي لِئَنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ<sup>(٣)</sup> فَانظُرْ مَاذَا تَرَى<sup>(٤)</sup> قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ<sup>(٥)</sup> سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ<sup>(٦)</sup>

(١) بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحواله . و (معه) لا يتعلق ببالغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ، ولا بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقى أن يكون بيانا . كأنه لما قال فلما بلغ السعي أى الحد الذى يقدر فيه على السعي قيل مع من ؟ قال مع أبيه . وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة .

(٢) حفص . والباقون بكسر الياء .

(٣) وفتح الياء فيهما مجازى وأبو عمرو، قيل له في المنام اذبح ابنك . ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى اليقظة . وإنما لم يقل رأيت لأنه رأى مرة بعد مرة . فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له : إن الله يأمرك بذيح ابنك هذا . فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان ؟ فن ثم سئى يوم التروية . فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله . فن ثم سئى يوم عرفة . ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسئى اليوم بيوم النحر .

(٤) من الرأى على وجه المشاورة، لا من رؤية العين . ولم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر ؟ (ترى) على وحمة أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه .

(٥) أى (ما تؤمر) به . وقرئ به .

(٦) (من الصابرين) على الذبح . روى أن الذبيح قال لأبيه : يا أبت خذ بناصيتى واجلس بين كتفى حتى لا أؤذيك إذا أصابتنى الشفرة ولا تذبحنى وأنت تنظر فى وجهى عسى أن ترحمنى . واجعل وجهى إلى الأرض . ويروى اذبحنى وأنا ساجد واقرا على أمى السلام . وإن رأيت أن ترد قيصى على أمى فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها .

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۖ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ قَدْ  
 صَدَقْتَ الرَّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ (٢) <sup>(١)</sup> <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>  
 أَلْبَسُوا الْمِيْنَ ۖ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ۖ

(١) (فلما أسلما) انقادا لأمر الله وخضعا - وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه - وصرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ، ثم وضع السكين على فباه فانقلب السكين وزدى (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) . روى أن ذلك المكان عند الصخرة التي بنى . وجواب (لما) محذوف تقديره (فلما أسلما وتله للجبين ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) - أى حققت ما أمرناك به فى المنام من تسليم الولد للذبح - كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله . أو الجواب قبلنا منه (ونادينا) معطوف عليه .

(٢) تعليل لتحويل ما خولها من الفرج بعد الشدة .

(٣) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة .

(٤) هو ما يذبح . وعن ابن عباس : هو الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه ، وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به إسماعيل . وعنه : لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم .

(٥) ضخم الجنة سمين . وهى السنة فى الأضاحى وروى أنه هرب من إبراهيم عند الجمره فرماه بسبع حصيات حتى أخذه . فبقيت سنة فى الرمي . وروى أنه لما ذبحه قال جبريل : الله أكبر الله أكبر . فقال الذبيح : لا إله إلا الله والله أكبر . فقال إبراهيم : الله أكبر والله الحمد فبقى سنة . وقد استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة .

والأظهر أن الذبيح إسماعيل وهو قول أبى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضى الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن الذبيحين فأحدهما جدّه إسماعيل والآخر أبوه



وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٠﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠١﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٢﴾

عبد الله . وذلك أن عبد المطلب نذر لمن بلغ بنوه عشرة أن يذبح آخر ولده تقربا . وكان عبد الله آخرًا ففداه بمائة من الإبل ، ولأن قرنى الكعبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت في زمن الحجاج وابن الزبير . وعن الأصمعي أنه قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال : يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ؟ ومتى كان إسحق بمكة ؟ وإنما كان إسماعيل بمكة . وهو الذي بنى البيت مع أبيه ، والمنحرج بمكة . وعن علي بن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضى الله عنهم أنه إسحق . ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام . من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله . وإنما قيل (وفديناه) وإن كان الفادى إبراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لأنه الأمر بالذبيح ، لأنه تعالى وهب له الكعبش ليفتدى به . وههنا إشكال : وهو أنه لا يخلو إما أن يكون ما أتى به إبراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه في حكم الذبيح أم لا ؟ فإن كان في حكم الذبيح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبيح ببدل ؟ وإن لم يكن فما معنى قوله (قد صدقت الرؤيا) ؟ وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبيح أصلا أو بدلا . ولم يصح . والجواب أنه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح . ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة أن تمضى فيه . وهذا لا يقدر في فعل إبراهيم وهب الله له الكعبش لقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس إسماعيل بدلا منه . وليس هذا بنسخ منه للحكم ، كما قال البعض ، بل ذلك الحكم كان ثابتا إلا أن المحل الذي أضيف إليه لم يحل الحكم على طريق الفداء دون النسخ . وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم الأمر عند المخاطب في آخر الحال . على أن المبتغى منه في حق الولد أن يصير قربانا بنسبة الحكم إليه ، مكرما بالفداء الحاصل لمعزة الذبيح ، مبتلى بالصبر والمجاهدة إلى حال المكاشفة . وإنما النسخ بعد استقرار المراد بالأمر لا قبله . وقد سمي فداء في الكتاب لا نسحا .

(١) (في الآخريين) لا وقف عليه لأن (سلام على إبراهيم) مفعول (وتركنا) .

(٢) ولم يقل إنا كذلك هنا كما في غيره لأنه قد سبق في هذه القصة فاستخف بطرحه

اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية .

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٢﴾  
 وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ﴿٣﴾ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ  
 مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٥﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا  
 مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٦﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكُنُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٧﴾ وَأَتَيْنَاهُمَا  
 الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿٨﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٩﴾

- (١) حال مقدرة من إسحاق . ولا بد من تقدير مضاف محذوف أى (وبشّرناه ب) وجود (إسحاق نبيا) . أى بأن يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا الإشارة .
- (٢) حال ثانية . وورودها على سبيل الثناء لأن كل نبي لا بد أن يكون من الصالحين .
- (٣) أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا . وقيل باركنا على إبراهيم فى أولاده وعلى إسحاق بأن أخرجنا من صلبه ألف نبي أقوم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام .
- (٤) (محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين) ظاهر . أو محسن إلى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود الشرع . وفيه تنبيه على أن الخبث والطيب لا يجرى أمرهما على العرق والعنصر . فقد يلد البرّ الفاجر والفاجر البرّ . وهذا مما يهدم أمر الطبايع والعناصر ، وعلى أن الظلم فى أعقابها لم يعد عليهما بعيد ولا نقيصة ، وأن المرء إنما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يده لا على ما وجد من أصله وفرعه .
- (٥) (منا) أنعمنا (على موسى وهرون) بالنبوة .
- (٦) بنى إسرائيل .
- (٧) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشهم .
- (٨) (ونصرناهم) أى موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه .
- (٩) البليغ فى بيانه وهو التوراة .
- (١٠) صراط أهل الإسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) .

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرِينَ ﴿١٠٠﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٠١﴾  
 إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾  
 وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٤﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٥﴾  
 أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٠٦﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ  
 الْأُولَىٰ ﴿١٠٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٠٨﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٠٩﴾

(١) هو إلياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى . وقيل هو إدريس النبى عليه السلام . وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه ( وإك إدريس ) فى موضع ( إلياس ) . وقيل فى إلياس والخضر إنهما حيّان . وقيل إلياس وكلّ بالفيافى كما وكل الخضر بالبحار . والحسن يقول قد هلك إلياس والخضر ولا تقول كما يقول الناس إنهما حيّان .

(٢) ألا تخافون الله ! أتعبدون (بعلا) — هو علم لصنم كان من ذهب . وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة أوجه . فتنوا به وعظّموه حتى أخدموه أربعائة سادن وجعلوهم أنبياء . وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك . وهو من بلاد الشام — وتتركون عبادة الله الذى هو أحسن المقدّرين ؟

(٣) بنصب الكلّ عراقى غير أبى بكر وأبى عمر وعلى البذل من ( أحسن ) . وغيرهم بالرفع على الابتداء .

(٤) ( لمحضرون ) فى النار ( إلا عباد الله المخلصين ) من قومه .

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي  
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥﴾  
 إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦﴾ إِلَّا مَجْجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا  
 الْآخَرِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّا لَتَمُورُنَّ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿٩﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾  
 وَإِن يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٢﴾ فَسَاهَمَ

(١) أى إلياس وقومه المؤمنين كقولهم الحبيبون يعنى أبا خبيب عبد الله بن الزبير وقومه . (آل ياسين) شامى ونافع ، لأن ياسين اسم أبى الياس فأضيف إليه الآل .

(٢) فى الباقين .

(٣) أهلكا .

(٤) (وإنكم) بأهل مكة (تمتزون عليهم) داخلين فى الصباح .

(٥) والوقف عليه مطلق .

(٦) يعنى تمتزون على منازلهم فى متاجرهم إلى الشام ليلا ونهارا فما فىكم عقول تعتبرون بها . وإتسألم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما ، لأن الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام .

(٧) الإباق الحرب إلى حيث لا يهتدى إليه الطلب . فسمى هربه من قومه بغير إذن ربه

إباقا مجازا .

(٨) (المشحون) المملوء . وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب . فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم . فقصده البحر وركب السفينة فوفقت . فقالوا ههنا عبد آبق من سيده . وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر . فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس . فقال أنا الآبق وزج بنفسه فى الماء . فذلك قوله (فساهم) فقارعهم مرة أو ثلاثا بالسهم . والمساهمة إلقاء السهام على جهة القرعة .

فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ <sup>(١)</sup> فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ <sup>(٢)</sup> فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ  
 مِنَ الْمُسَبِّحِينَ <sup>(٣)</sup> لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ <sup>(٤)</sup> فَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ <sup>(٥)</sup>  
 وَهُوَ سَقِيمٌ <sup>(٦)</sup> وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ <sup>(٧)</sup> وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ <sup>(٨)</sup>  
<sup>(٩)</sup>

(١) المغلوبين بالقرعة .

(٢) فابتلعه (الحوت وهو) داخل في الملامة .

(٣) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح . أو من القائلين ( لا إله إلا أنت سبحانك إني  
 كنت من الظالمين ) أو من المصلين قبل ذلك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل تسبيح  
 في القرآن فهو صلاة . ويقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر .

(٤) الظاهر لبثه حياً إلى يوم البعث . وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم  
 القيامة . وقد لبث في بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوماً . وعن الشعبي التقمه ضحوة  
 ولفظه عشية .

(٥) فالقيناه بالمكان الخالي الذي لا شجر فيه ولا نبات .

(٦) عليل مما ناله من التقام الحوت . وروى أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد .

(٧) أى أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنّب البيت على الإنسان .

(٨) الجمهور على أنه القرع . وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده ، وأنه أسرع الأشجار  
 نباتاً وامتداداً وارتفاعاً . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتحبّ القرع . قال :  
 "أجل . هي شجرة أنحى يونس" .

(٩) المراد به القوم الذين بعث إليهم قبل الإلتقام . فتكون قد مضمرة .

أَوْ يَزِيدُونَ<sup>(١)</sup> ﴿١﴾ فَآمَنُوا<sup>(٢)</sup> فَتَعَنَّاهُمْ<sup>(٣)</sup> إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢﴾ فَاسْتَفْتِهِمَ الرَّبِّكَ  
 الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿٤﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿٥﴾  
 أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿٦﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٦﴾ أَصْطَفَىٰ  
 الْبَنَاتِ عَلَىٰ الْبَنِينَ ﴿٧﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٧﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨﴾

(١) (أوزيدون) في مرأى الناظر. أى إذا رآها الرأى قال هى مائة ألف أو أكثر .  
 وقال الزجاج قال غير واحد : معناه بل يزيدون . قال ذلك الفراء وأبو عبيدة . ونقل عن  
 ابن عباس كذلك .

(٢) (فآمنوا) به وبما أرسل به .

(٣) إلى منتهى آجالهم .

(٤) معطوف على مثله فى أول السورة . أى على (فاستفتهم أهم أشد خلقا) وإن تباعدت  
 بينهما المسافة . أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولا ثم ساق الكلام  
 موصولا بعبه ببعض . ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيرى التى قسموها حيث  
 جعلوا لله تعالى الإناث ولأنفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن  
 ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن .

(٥) حاضرون . تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لأنهم كما لم يعلموا  
 ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلقى الله علمه فى قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق استدلال  
 ونظر . أو معناه أنهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم .

(٦) (لكاذبون) فى قولهم .

(٧) (أصطفى) بفتح الهمزة للاستفهام . وهو استفهام توبيخ . وحذفت همزة الوصل  
 استغناء عنها بهمزة الاستفهام . (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد .

(٨) بالتحفيف حمزة وعلى وحفص .

أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾  
 وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ أَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿٣﴾  
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٥﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا  
 تَعْبُدُونَ ﴿٦﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿٧﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿٨﴾

(١) (أم لكم) حجة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله (فاتوا بكتابكم) الذي أنزل عليكم (إن كنتم صادقين) في دعواكم .

(٢) (وجعلوا بينه) بين الله (وبين الجنة) الملائكة لاستئثارهم (نسبا) وهو زعمهم أنهم بناته . أو قالوا إن الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة . (ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة إن الذين قالوا هذا القول (لمحضرون) في النار .

(٣) نزه نفسه عن الولد والصاحبة .

(٤) استثناء منقطع من المحضرين . معناه ولكن المخلصين ناجون من النار . و (سبحان الله) اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه . ويجوز أن يقع الاستثناء من واو (يصفون) . أي يصفه هؤلاء بذلك . ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به .

(٥) (فإنكم) يأهل مكة (وما تعبدون) ومعبوديكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله (بفاتنين) بمضلين (إلا من هو صال الجحيم) بكسر اللام . أي لستم تضلون أحدا إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها . يقال قتل فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه . وقال الحسن : فإنكم أيها القائلون بهذا القول والذي تعبدونه من الأصنام ما أنتم على عبادة الأوثان بمضلين أحدا إلا من قدر عليه أن يصلي الجحيم أي يدخل النار . وقيل ما أنتم بمضلين إلا من أوجبت عليه الضلال في السابقة . و (ما) في (ما أنتم) نافية . و (من) في موضع نصب بفاتنين . وقرأ الحسن (صال الجحيم) بضم اللام . ووجهه أن يكون جمعا فحذفت النون للإضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هي واللام في الجحيم . و (من) موحد اللفظ بمجموع المعنى فحمل (هو) على لفظه والصالون على معناه .

وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ  
 الْمُسَبِّحُونَ ﴿٣﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿٣﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿٣﴾  
 لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

(١) (وما منا) أحد (إلا له مقام معلوم) في العبادة لا يتجاوزها . فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه .

(٢) نصف أقدامنا في الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين .

(٣) المترهون أو المصلون . والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله (سبحان الله عما يصفون) من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله (ولقد علمت الجنة) كأنه قيل : ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا (سبحان الله) فترهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرءوهم منه وقالوا للكفرة : فإذا صح ذلك فإنكم وأهتكم لا تقدرين أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتصلوه إلا من كان من أهل النار وكيف نكون مناسين لرب العزة وما نحن إلا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ، ونحن الصاقون أقدامنا لعبادته مسبحين مجدين كما يجب على العباد لربهم . وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . يعني وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) . ثم ذكر أعمالهم وأتهم الذين يصطفون في الصلاة ويسبحون الله ويترهونه عما لا يجوز عليه .

(٤) (وإن) كان مشركو قريش (ليقولون) قبل مبعثه عليه السلام (لو أن عندنا) كتابا من كتب الأقران الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا . بغاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب (فكفروا به فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام .

(وإن) مخففة من الثقيلة . واللام هي الفارقة . وفي ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه . فكم بين أول أمرهم وآخره .



وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٢﴾  
 وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ  
 يَبْصُرُونَ ﴿٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ  
 الْمُنذِرِينَ ﴿٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿٩﴾

(١) الكلمة قوله (إنهم لهم المنصورون وإن جنودنا لهم الغالبون) . وإتسا سماها كلمة  
 وهي كلمات لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة . والراد الموعد  
 بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا ، وعلوهم عليهم في الآخرة . وعن  
 الحسن : ما غلب نبي في حرب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن لم ينصروا في الدنيا نصروا  
 في العقبى . والحاصل أن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع  
 في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة . والعبرة للغالب .

(٢) فأعرض عنهم إلى مدة يسيرة . وهي المدة التي أمهلوا فيها أو إلى يوم بدر . أو إلى  
 فتح مكة . (وأبصرهم) أى أبصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك . وهو للوعيد  
 لا للتبديد . أو انظر إليهم إذا عدّوا (فسوف يبصرون) ما أنكروا ، أو أعلمهم فسوف يعلمون .  
 (أفبعذابنا يستعجلون) قبل حينه ؟ (فإذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح  
 المنذرين) صباحهم . واللام في (المنذرين) مبهم في جنس من أنذروا لأن ساء وبئس  
 يقتضيان ذلك . مثل العذاب النازل بهم ، بعد ما أنذروه فأنكروه ، يجيش أنذر بهجومه قومه  
 بعض نصائحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة . وكانت عادة  
 مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر . وقيل هو نزول  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة .

(٣) وإتسا متى ليكون تسليية على تسليية ، وتأكيذا لوقوع الميعاد إلى تأكيد . وفيه  
 فائدة زائدة . وهي إطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون  
 ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرّة وأنواع المساءة . وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا ،  
 وبالآخر عذاب الآخرة .

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ <sup>(٢)</sup> وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ <sup>(٣)</sup>  
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ <sup>(٤)</sup>

(١) أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق . ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لأحد إلا وهو ربها ومالكها . كقوله (تعز من تشاء) .

(٢) من الولد والصاحبة والشريك .

(٣) عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض في السورة لأن في تخميم كل بالذكر تطويلا .

(٤) (والحمد لله) على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء . اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوه إليه مما هو متزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فحتمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) على ما قيض لهم من حسن العواقب . والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ، ولا يغفلوا عن مضمّنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد . وعن على رضي الله عنه من أحب أن يكال بالمكّال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) .

## سورة ص مكية

وهي ثمان وثمانون آية كوفي وتسع بصرى وست مدني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)  
كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣)

(١) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز. ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال (والقرآن ذى الذكر) أى ذى الشرف إنه لكلام معجز. ويجوز أن يكون (ص) خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة. كأنه قال: هذه (ص) أى هذه السورة التى أعجزت العرب (والقرآن ذى الذكر) كما تقول هذا حاتم والله. تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله. وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر إنه لمعجز. ثم قال (بل الذين كفروا فى عزّة) تكبر عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله. والتنكير فى عزّة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما. وقرئ (فى غرة) أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر وأتباع الحق.

(٢) وعيد لذوى العزّة والشقاق.

(٣) من قبل قومك.

(٤) من أمة.

(٥) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب.

(٦) (ولات) هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على ربّ وتمّ للتوكيد. وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيهما إتما

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ <sup>(١)</sup> وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ  
كٰذِبٌ ﴿٢﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجْتَبٍ ﴿٣﴾

الاسم أو الخبر. وامتنع بروزهما جميعا . وهذا مذهب الخليل وسيبويه . وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الأحيان . وقوله (حين مناص) منجى منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم . وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين حين مناص . أى وليس الحين حين مناص .

(١) (وعجبوا) من (أن جاءهم) رسول من أنفسهم ينذرهم . يعنى استبعدوا أن يكون النبي من البشر .

(٢) ولم يقل وقالوا لإظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يحسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في النفي ، إذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلغ ، ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل بلحج . وروى أن عمر رضى الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش . فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك . فقال عليه السلام ماذا يسألونني ؟ فقالوا ارفضنا وارفض ذكرا أهتنا وتدعك وإهلك . فقال عليه السلام أعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم ؟ قالوا نعم وعشرا . أى نعطيكها وعشر كلمات معها . فقال : قولوا لا إله إلا الله . فقاموا وقالوا (أجعل الآلهة إلهها واحدا) ؟ — أى أصير — (إن هذا لشيء عجاب) أى بليغ في العجب وقيل العجيب ماله مثل ، والعجاب مالا مثل له .

وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿١﴾  
 مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِ مَلَّةٍ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا آخْتَلَقُ ﴿٢﴾ أَمْ نَزَلَ عَلَيْهِ  
 الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يذُوقُوا عَذَابِ ﴿٤﴾

(١) (وانطلق الملاء منهم) وانطلق أشرف قريش عن مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض (أن امشوا) وأن بمعنى أى لأن المنطلقين عن مجلس التناول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم . فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول (واصبروا على) عبادة (آلهتكم إن هذا) الأمر (لشيء يراد) أى يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر . أو إن هذا الأمر لشيء من نواب الدهر يراد بنا فلا انفكك لنا منه .

(٢) (ما سمعنا) بالتوحيد فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لأن النصرارى مثلثة غير موحدة . أو فى ملة قريش التى أركنا عليها آباءنا . ما (هذا إلا) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه . (أنزل عليه) القرآن (من بيننا) ؟ ! أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرفهم ويزل عليه الكتاب من بينهم حسدا .

(٣) من القرآن .

(٤) بل لم يذوقوا عذابي بعد . فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ . أى أنهم لا يصدقون به إلا أن يسمهم العذاب ، فيصدقون حينئذ (عذابي) فى الحالين يعقوب .

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿١﴾ أَمْ لَهُمْ مَلِكٌ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿٢﴾ جُنْدٌ  
 مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ  
 وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿٤﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ  
 ﴿٥﴾

(١) (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) يعني ما هم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عن شاءوا ويتغيروا للنبوة بعض صناديدهم ويرتفعوا بها عن عهد. وإنما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ما تقتضيه حكمته. ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) حتى يتكلموا فى الأمور الربانية والتدابير الإلهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء. ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال: فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة (فليرتقوا فى الأسباب) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها إلى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي إلى من يختارون.

(٢) مبتدأ .

(٣) صلة مقوية للنكرة المبتدأة .

(٤) إشارة إلى بدر ومصارعهم . أو إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم ، من قولهم لمن يتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك . خبر المبتدأ .

(٥) مكسور .

(٦) متعلق بجند أو بمهزوم .

وعد نبيه عليه السلام النصر عليهم . يريد ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب . فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهدون .

(٧) (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون ذو الأوتاد) موسى . قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه ، وقيل يؤتد من يعذب

أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١) إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ (٢) حَقَّ عِقَابٍ (٣) وَمَا يَنْظُرُ  
هَنُؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (٤) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ (٥)  
(٦) (٧)

بأربعة أوتاد في يديه ورجليه (وثمود) - وهم قوم صالح - صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الأيكة) الغيضة شعيبا .

(١) أراد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجنود المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب .

(٢) ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام حيث لم يبين المكذب . ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها وبين المكذب وهم الرسل ، وذكر أن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأن في تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم . وفي تكرار التكذيب ، وإيضاحه بعد إبهامه ، والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا ، وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد ، أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه .

(٣) أى فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم . (عقابي) في الحالين يعقوب .

(٤) وما ينظر أهل مكة . ويموز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب .

(٥) أى النفخة الأولى وهى الفزع الأكبر .

(٦) وبالضم حمزة وعلى . أى ما لها من توقف مقدار فواق ، وهو ما بين حلبتي الخالب . أى إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة . وفواق الناقة ساعة يرجع الدر إلى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد .

(٧) حفظنا من الجنة لأنه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء (عجل لنا) نصيبنا منها . أو نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله (ويستعجلونك بالعذاب) . وأصل القط القسط من الشيء لأنه قطعة منه من قطه إذا قطعه . ويقال لصحيفة الجائرة قط لأنها قطعة من القرطاس .

قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١﴾ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَلَا تُكْرِهْ عَبْدَنَا  
 دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٢﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَا  
 بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٣﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ  
 ﴿٥﴾

(١) اصبر على ما يقولون) فيك وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل  
 أذاهم ( واذكر عبدنا داود ) وكرامته على الله كيف زل تلك الزلّة اليسيرة فليق من عتاب  
 الله ما لقي ( ذا الأيد ) ذا القوّة في الدين وما يدلّ على أنّ الأيد القوّة في الدين قوله (إنه أواب)  
 أى رجّاع إلى مرضاة الله تعالى . وهو تليل لذى الأيد . روى أنه كان يصوم يوماً ويفطر يوماً  
 وهو أشدّ الصوم ويقوم نصف الليل .

(٢) ذلّلنا (الجبال معه) . قيل كان تسخيرها أنها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يريد .

(٣) فى معنى مسبّحات على الحال . واختار ( يسبّحن ) على مسبّحات ليدلّ على حدوث  
 التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال .

(٤) أى فى طرفى النهار . والعشّى وقت العصر إلى الليل والإشراق وقت الإشراق .  
 وهو حين تُشرق الشمس أى تضىء . وهو وقت الضحى . وأما شروقها فطلوعها . تقول شرقت  
 الشمس ولما تُشرق . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية .

(٥) (و) سخرنا (الطير) مجموعة من كلّ ناحية . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبّح  
 جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبّحت . فذلك حشرها .

(٦) كلّ واحد من الجبال والطير لأجل داود أى لأجل تسبيحه مسبّح لأنها كانت  
 تسبّح لتسبيحه ووضع الأواب موضع المسبّح لأنّ الأواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى  
 الله وطلب مرضاته من عاداته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه . وقيل الضمير لله .  
 أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبّح مرجع للتسبيح .

(٧) قويناه . قيل كان بيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه .



وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ <sup>(٢)</sup> وَهَلْ أَتَتْكَ نَبُؤًا أَنْخَصِمَ <sup>(٣)</sup> إِذْ تَسَوَّرُوا <sup>(٤)</sup>  
 الْمِحْرَابَ <sup>(٥)</sup> إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ <sup>(٦)</sup> قَالُوا لَا تَحْفَ خَصِمَانِ <sup>(٨)</sup>

(١) الزبور وعلم الشرائع . وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة .

(٢) علم القضاء ، وقطع الخصام ، والفصل بين الحق والباطل . والفصل هو التمييز بين الشئيين . وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير . وفصل الخطاب البين من الكلام الملتصق الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه . وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور . والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفساد والحق والباطل . وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات . وعن علي رضي الله عنه هو الحكم بالبينه دلي المدعى وإيمين على المدعى عليه . وهو من الفصل بين الحق والباطل . وعن الشعبي : هو قوله أما بعد ، وهو أول من قال أما بعد فإن من تكلم في الأمر الذي له شأن يفتح بذكر الله وتحميده . فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد .

(٣) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنبياء العجيبة . والخصم الخصماء . وهو يقع على الواحد والجمع لأنه مصدر في الأصل تقول خصمه خصما .

(٤) انتصابه بمحذوف تقديره (وهل أتاك نبأ) تحاكم (الخصم) . أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل .

(٥) تصعدوا سوره ونزلوا إليه . والسور الحائط المرتفع . والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد .

(٦) بدل من الأولى .

(٧) روى أن الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين فطلبا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته . فنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان (ففزع منهم) لأنهم دخلوا عليه المحراب في غير يوم القضاء ، ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه .

(٨) خبر مبتدأ محذوف . أي نحن (خصمان) .

بَغْنِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا  
إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٣﴾ إِنَّ هَذَا أُنْحَى

(١) تعذى وظلم .

(٢) ولا تجر . من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق .

(٣) وأرشدنا إلى وسط الطريق ومعجته . والمراد عين الحق ومحضه . روى أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيترجها إذا أعجبت . وكان لهم عادة في المواساة بذلك . وكان الأنصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك . فاتفق أن داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها . فاستحى أن يرده ففعل فترجها ، وهى أم سليمان . فقبل له . إنك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها لك ، بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به . وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فأثره أهلها فكانت زلتة أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه . وما يحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليرتجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء . وقال على رضى الله عنه : من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء . وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبدالعزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال إن كانت القصة على ما فى كتاب الله فما يذنبى أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك . وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما يذنبى إظهارها عليه . فقال عمر : لسماعى هذا الكلام أحب إلى مما طلعت عليه الشمس . والذي يدل عليه المثل الذى ضرب به الله بقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب . وإنما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أذاه إلى الشعور بالمعترض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة .

(٤) هو بدل من هذا أو خبر لإتن . والمراد أخوة الدين ، أو أخوة الصداقة والألفة ،

أو أخوة الشركة والخلطة ، لقوله ( وإن كثيرا من الخلطاء ) .

لَهُ تَسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً لِوَلِيِّ نَعَجَةٍ <sup>(١)</sup> وَاحِدَةً فَقَالَ <sup>(٢)</sup> أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي  
 فِي الْخِطَابِ <sup>(٣)</sup> قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ <sup>(٤)</sup> سُؤَالَ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا  
 مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ <sup>(٥)</sup> بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) (ولى) حفص . والنعجة كناية عن المرأة . ولما كان هذا تصويراً للسألة وفرضا لها لا يمتنع أن يفرض الملائكة فى أنفسهم كما تقول لى أربعون شاة ولك أربعون نخلطناها ومالكاً من الأربعين أربعة ولا ربعها .

(٢) ملكئها . وحقئته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت ىدى . وعن ابن عباس رضى الله عنهما اجعلها كفى لى أى نصبى .

(٣) (وعزنى) وغلبنى — يقال عزه يعزه — (فى الخطاب) فى الخصومة . أى أنه كان أقدر على الاحتجاج منى . وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المبادل . أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو مخاطبئى خطابا أى غالبئى فى الخطبة فغلبئى حيث زوجها دونى . ووجه التمثيل أن مثل قصة أورىامع داود بقصة رجل له نعجة واحدة وخليطه تسع وتسعون . فأراد صاحبه تمة المائة ، فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده . وإتما كان ذلك على وجه التحاكم إليه ليحكم بما حكم به من قوله ( لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ) حتى يكون محجوجا بحكمه . وهذا جواب قسم محذوف . وفى ذلك استنكار لفعل خليطه . والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول . وقد ضمن معنى الإضافة فعدى تعديتها كأنه قيل بإضافة ( نعجتك إلى نعاجه ) على وجه السؤال والطلب . وإتما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لأنه معلوم . وىروى أنه قال أنا أرى أن آخذها منه وأكل نعاجى مائة . فقال داود ” إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا ” وأشار إلى طرف الأنف والجهة . فقال ياداود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت . ثم نظر داود فلم ىر أحدا فعرف ما وقع فيه .

(٤) الشركاء والأصحاب .

(٥) المستثنى منصوب ، وهو من الجنس . والمستثنى منه ( بعضهم ) .

وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَحَرَّ رَأْيُكَ وَأَنَا بَشَرٌ  
 مِّثْلُكُمْ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٩﴾ يَلِدُوا ذُيُونَآ  
 جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ  
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢)

(١) (ما) للابهام و(هم) مبتدأ . و(قليل) خبره .

(٢) أى علم وأيقن . وإتما استعيره لأن الظن الغالب يدانى العلم .

(٣) ابتليناه .

(٤) (فاستغفر ربه) زلته .

(٥) أى سقط على وجهه ساجدا لله . وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود  
 فى الصلاة إذا نوى لأن المراد بمجرد ما يصلح تواضعا عند هذه التلاوة . والركوع فى الصلاة  
 يعمل هذا العمل بخلاف الركوع فى غير الصلاة .

(٦) ورجع إلى الله بالتوبة . وقيل إنه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه إلا  
 لصلاة مكتوبة أو مالا بد منه ولا يرقأ دمه حتى نبت العشب من دمه ولم يشرب ماء إلا  
 وثلاثه دمع .

(٧) أى زلته .

(٨) لقربة .

(٩) مرجع . وهو الجنة .

(١٠) أى استخلفناك على الملك فى الأرض أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء  
 القائمين بالحق . وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير .

(١١) أى بحكم الله إذ كنت خليفة أو بالعدل .

(١٢) أى (ولا تتبع) هوى النفس فى قضائك .

فِيضِلْكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ  
 بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۖ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا  
 ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۗ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۗ

(١) (فيضلك) الهوى .

(٢) دينه .

(٣) أى بنسيانهم يوم الحساب .

(٤) من الخلق .

(٥) خلقا باطلا لا لحكمة بالغة أو مبطلين عابثين . كقوله (وما خلقنا السماء والأرض  
 وما بينهما لاعبين) وتقديره ذوى باطل أو عبثا ، فوضع باطلا موضعه . أى ما خلقناهما  
 وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين . وهو أنا خلقنا نفوسا أودعناها العقل ومنحناها  
 التمكين وأزحنا عللها . ثم عرضناها للنافع العظيمة بالتكليف . وأعدنا لها عاقبة وجزاء على  
 حسب أعمالهم .

(٦) إشارة إلى خلقها باطلا .

(٧) الظن بمعنى المظنون . أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا . وإنما  
 جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض وما بينهما  
 لقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لأنه لما كان إنكارهم للعبث  
 والحساب والثواب والعقاب مؤذيا إلى أت خلقها عبث وباطل جعوا كأنتهم يظنون ذلك  
 ويقولونه لأن الجزاء هو الذى سبقت إليه الحكمة فى خلق العالم . فمن بحده فقد بحمد الحكمة  
 فى خلق العالم .

(٨) أم منقطعة . ومعنى الاستفهام فيها الإنكار . والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول  
 الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد وأتقى وبخر . ومن سوى بينهم كان سفيا ولم  
 يكن حكيما .

كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو  
 الْأَلْبَابِ ۖ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ  
 إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِحْيَادُ ۖ

(١) أى هذا (كتاب أنزلناه إليك) يعنى القرآن .

(٢) صفة أخرى .

(٣) وأصله (ليدببروا) . قرئ به . ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به .  
 وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا  
 حدوده . (ليدببروا) على الخطاب بحذف إحدى التاءين يزيد .

(٤) وليتغظ بالقرآن أولو العقول .

(٥) أى سليمان . وقيل داود وليس بالوجه . فالخصوص بالمدح محذوف .

(٦) علل كونه ممدوحا بكونه أوابا أى كثير الرجوع إلى الله تعالى .

(٧) على سليمان .

(٨) بعد الظهر .

(٩) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر .

(١٠) السراع جمع جواد لأنه يجود بالركض . وصفها بالصفون لأنه لا يكون في الهجان  
 وإتما هو في العراب . وقيل وصفها بالصفون والحدودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين  
 وافقة وجارية . يعنى إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في موافقها . وإذا جرت كانت  
 سراعا خفافا في جريها . وقيل الجياد الطوال الأعناق ، من الجيد . روى أن سليمان عليه السلام  
 غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس . وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة .  
 وقيل خرجت من الهجر لها أجنحة فقعده يوما بعد ما صلب الظهر على كرسية واستعرضها فلم

فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ  
بِالْحِجَابِ ۖ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنُفِثَ بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ۖ

ترل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر . وكانت فرضا عليه فاعتم لما فاته  
فاستردها وعقرها تقربا لله فبقى مائة . فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها . وقيل لما  
عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجرى بأمره .

(١) أى آثرت حب الخيل عن ذكر ربى كذا عن الزجاج . فأحبت بمعنى آثرت  
كقوله تعالى (فاستحبوا العمى على الهدى) و (عن) بمعنى على . وسمى الخيل خيرا كأنها نفس  
الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام " الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة "  
وقال أبو علي ( أحببت ) بمعنى جلست من إحاباب البعير وهو بروكه ( حب الخير ) أى  
المال . مفعول له مضاف إلى المفعول .

(٢) ( حتى توارت ) الشمس ( بالحجاب ) . والذي دل على أن الضمير للشمس مرور  
ذكر العشي ولا بد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر . أو الضمير للصفائات . أى حتى  
توارت بحجاب الليل يعنى الظلام .

(٣) أى قال للملائكة رُدُّوا الشمس على لأصلى العصر . فردت الشمس له وصلى العصر .  
أو رُدُّوا الصفائات .

(٤) بفعل يمسح ( مسح ) أى يمسح السيف بسوقها — وهى جمع ساق كدار ودور —  
وأعناقها . يعنى يقطعها لأنها منعتة عن الصلاة . تقول مسحُ علوته إذا ضرب عنقه . ومسح  
المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه . وقيل إنما فعل ذلك كقارة لها أو شكرا لرد  
الشمس . وكانت الخيل ما كولة فى شريعته فلم يكن إتلافا . وقيل مسحها بيده استحسانا  
لها وإعجابا بها .

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿١﴾  
 قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴿٢﴾  
 إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخَاءً حَيْثُ

(١) ابتليناه (وألقينا على) سرير ملكه (جسداً ثم أناب) رجع إلى الله . قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة . وملك بعد الفتنة عشرين سنة . وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم تنفك من السخرة . فسهلنا أن نقتله أو نجلبه . فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه في السحابة خوفاً من مضرة الشياطين . فألقى ولده ميتاً على كرسيه . فتنبه على زلته في أن لم يتوكل فيه على ربه . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله . فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجىء به على كرسيه فوضع في حجره . فوالذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون . وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود .

(٢) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جرياً على عادة الأنبياء عليهم السلام والصالحين في تقديم الاستغفار على السؤال .  
 (٣) لا يتسهل ولا يكون .

(٤) أى دونى . وفتح الياء مدنى وأبو عمرو . وأما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لا حسداً . وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين . فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين . ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات .

(٥) (الرياح) أبو جعفر .

(٦) حال من الريح .

(٧) بأمر سليمان .

(٨) لينة طيبة لا ترزع . وهو حال من ضمير (تجري) .

(٩) ظرف (تجري) .



أَصَابَ<sup>(١)</sup> وَالشَّيَاطِينَ<sup>(٢)</sup> كُلَّ بِنَاءٍ<sup>(٣)</sup> وَغَوَاصٍ<sup>(٤)</sup> وَءَانْحَرِينَ<sup>(٥)</sup> مُقَرَّنِينَ<sup>(٦)</sup>  
 فِي الْأَصْفَادِ<sup>(٧)</sup> هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ<sup>(٨)</sup> أَوْ اْمْسِكْ<sup>(٩)</sup> بِغَيْرِ حِسَابٍ<sup>(١٠)</sup> وَإِنْ<sup>(١١)</sup>  
 لَهُ<sup>(١١)</sup> عِنْدَنَا لُزُفَى<sup>(١٢)</sup> وَحَسَنَ مَثَابٍ<sup>(١٣)</sup> وَأَذْكُرْ<sup>(١٤)</sup> عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى<sup>(١٥)</sup> رَبَّهُ

(١) قصد وأراد . والعرب تقول "أصاب الصواب ، فأخطأ الجواب" .

(٢) عطف على الريح . أى سخرنا له الشياطين .

(٣) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية .

(٤) أى وبغوصون له فى البحر لإخراج اللؤلؤ . وهو أول من استخراج اللؤلؤ من البحر .

والمعنى وسخرنا له ( كل بناء وغواص ) من الشياطين .

(٥) عطف على ( كل بناء ) داخل فى حكم البديل .

(٦) وكان يقرب منردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف

عن الفساد . والصفد القيد . وسمى به العطاء لأنه ارتباط للنعم عليه . ومنه قول على رضى

الله عنه " من برك فقد أسرك ، ومن جفاك فقد أطلقك " .

(٧) ( هذا ) الذى أعطيناك من الملك والمال والبسطة ( عطاؤنا فامنن ) فأعط منه

ما شئت . من المنّة وهى العطاء ( أو أمسك ) عن العطاء — وكان إذا أعطى أجر ، وإن منع لم

يأثم بخلاف غيره — ( بغير حساب ) متعلق بعطاؤنا . وقيل هو حال أى ( هذا عطاؤنا ) جمًّا كثيرًا

لا يكاد يقدر على حصره . أو ( هذا ) التسخير ( عطاؤنا فامنن ) على من شئت من الشياطين

بالإطلاق ( أو أمسك ) من شئت منهم فى الوثاق ( بغير حساب ) أى لا حساب عليك

فى ذلك .

(٨) ( لزفنى ) اسم ( إت ) والخبر ( له ) والعامل فى ( عند ) الخبر .

(٩) هو بدل من ( عبدنا ) أو عطف بيان .

(١٠) بدل اشتمال منه .

(١١) دعاه .

أَتَى مَسْنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ <sup>(٣)</sup> أَرَكُضَ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْتَسِلٌ <sup>(١)</sup>  
 بَارِدٌ وَشَرَابٌ <sup>(٤)</sup> وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى  
 لِأُولَى الْأَلْبَابِ <sup>(٦)</sup> وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْنًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ <sup>(٧)</sup>

(١) أتى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه. ولو لم يحك لقال بأنه مسه لأنه غائب.

(٢) قراءة العامة (بِنُصْبٍ) يزيد تثقيلاً نُصْبٍ (يَنْصَبُ) كرشد ورشد يعقوب (يَنْصَبُ) على أصل المصدر هبيرة — والمعنى واحد وهو التعب والمشقة .

(٣) يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب، وقيل أراد ما كان يوسوس به إليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغيره على الكراهة والجزع. فالتجأ الى الله فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق فى دفعه وردّه بالصبر الجميل. وروى أنه كان يعودته ثلاثة من المؤمنين فارتدّ أحدهم. فسأل عنه. فقيل ألقى إليه الشيطان أن الله لا يتلى الأنبياء والصالحين. وذكر فى سبب بلائه أنه ذبح شاة فاكلها وجاره جائع، أو رأى منكراً فسكت عنه. أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه.

(٤) حكاية ما أوجب به أيوب عليه السلام. أى أرسلنا إليه جبريل عليه السلام فقال له (اركض برجلك) أى اضرب برجلك الأرض وهى أرض الجابية. فضربها فنبعت عين فقيل: (هذا مغتسل بارد وشراب) أى هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهره. وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه. بإذن الله تعالى .

(٥) قيل أحياهم الله تعالى بأعيانهم وزاده مثلهم .

(٦) مفعول لها أى الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء .

(٧) (وخذ) — معطوف على (اركض) — (بيدك ضغناً) حزمة صغيرة من حشيش أوريجان أو غير ذلك. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به

إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ  
وَأَسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ

ولا تحنث ) وكان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ فخلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه . وهذه الرخصة باقية . ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة من المائة . والسبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة . فخرج صدره . وقيل باعت ذؤابتها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام إذا قام .

(١) علمناه .

(٢) ( صابراً ) على البلاء . نعم قد شكنا إلى الله ما به واسترحمه . لكن الشكوى إلى الله لا تسمى جزاء . فقد قال يعقوب عليه السلام ( إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ) على أنه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم أنه لو كان نبياً لما ابتلى بمثل ما ابتلى به ، وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان .

(٣) أيوب .

(٤) ( عبدنا ) مكي . فمن جمع إبراهيم ومن بعده عطف بيان على ( عبادنا ) . ومن وحد إبراهيم وحده عطف بيان له ، ثم عطف ذريته على ( عبدنا ) ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت فقيس في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملاً لا تتأني فيه المباشرة بالأيدي أو كان العمال جُذماً لا أيدي لهم ، وعلى هذا ورد قوله ( أولى الأيدي والأبصار ) أي أولى الأعمال الظاهرة ، والفكر الباطنة . كأت الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يتفكرون أفكار ذوى الديانات في حكم الزماني الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم ، والمسلوب العقول الذين لا استبصار لهم . وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله ، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منها .

(٥) جعلناهم لنا خالصين .

بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٢) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ (٤)  
 وَأَذْكَرٌ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ (٥) وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ (٦)  
 هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَّآبٍ (٧) جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتُوحَةٍ (٨)

(١) بخصلة خالصة لا شوب فيها .

(٢) ( ذكرى ) في محل نصب أو الرفع بإضمار أعنى ، أو هي ، أو الجر على البدل من (خالصة). والمعنى (إنا أخلصناهم) بذكرى الدار . و(الدار) هنا الدار الآخرة . يعنى جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة ويزهدونهم في الدنيا ، كما هو ديدن الأنبياء عليهم السلام . أو معناه أنهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله وينسون ذكر الدنيا . (بخالصة ذكرى الدار) على الإضافة هشام ونافع . وهي من إضافة الشيء إلى ما يبينه لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى . و(ذكرى) مصدر مضاف إلى المفعول . أى بإخلاصهم ذكرى الدار . وقيل (خالصة) بمعنى خلوص ، فهى مضافة إلى الفاعل أى بأن خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر إنما همهم ذكرى الدار لا غير . وقيل (ذكرى الدار) الثناء الجميل في الدنيا . وهذا شيء قد أخلصهم به . فليس يذكرون غيرهم في الدنيا بمثل ما يذكرون به . يقويه قوله (وجعلنا لهم لسان صدق علياً) .

(٣) المختارين من بين أبناء جنسهم .

(٤) جمع خير أو خير على التخفيف كأموال في جمع ميت أو ميت .

(٥) كأن حرف التعريف دخل على يسع .

(٦) التنوين عوض عن المضاف إليه أى وكلهم (من الأخيار) .

(٧) أى (هذا) شرف وذكور جميل يذكرون به أبداً . (وإن) لهم مع ذلك لحسن مرجع . يعنى يذكرون في الدنيا بالجميل ، ويرجعون في الآخرة إلى مغفرة رب جليل . ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع فقال (جنت عدن) بدل من (حسن مآب) .

(٨) حال من (جنت عدن) لأنها معرفة لإضافتها إلى (عدن) وهو علم . والعامل فيها

ما فى (للمتقين) من معنى الفعل .

لَهُمُ الْأَبْوَابُ <sup>(١)</sup> مُتَّكِنِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ <sup>(٢)</sup>  
 وَشَرَابٍ <sup>(٣)</sup> وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ <sup>(٤)</sup> أَرْبَابٌ <sup>(٥)</sup> هَذَا مَا تُوعَدُونَ <sup>(٦)</sup>  
 لِيَوْمِ الْحِسَابِ <sup>(٧)</sup> إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ <sup>(٨)</sup> هَذَا <sup>(٩)</sup>  
 وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ <sup>(١٠)</sup> لَشَرَّ مَثَابٍ <sup>(١١)</sup> جَهَنَّمَ <sup>(١٢)</sup> يَصْلَوْنَهَا <sup>(١٣)</sup> فَيَنسُ الْمِهَادِ <sup>(١٤)</sup>

(١) ارتفاع الأبواب بأنها فاعل (مفتحة). والعائد محذوف. أى (مفتحة لهم الأبواب) منها.  
 غذف كما حذف فى قوله (فإن الجحيم هى الماوى) أى لهم. أو أبوابها إلا أن الأول أجود.  
 أو هى بدل من الضمير فى (مفتحة) وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى (الأبواب) وهو من  
 بدل الاشتمال .

(٢) حال من المحرور فى (لهم) والعامل (مفتحة) .

(٣) أى (وشراب) كثير. غذف اكتفاء بالأول .

(٤) أى قصرن طرفهن على أزواجهن .

(٥) لدات أسنانهم كأسنانهم لأن التعاب بين الأقران أثبت . كأن اللدات سمين أترابا  
 لأن التراب مسهن فى وقت واحد .

(٦) وبالياء مكى وأبو عمرو .

(٧) أى ليوم تجزى كل نفس بما عملت .

(٨) من انقطاع . والجملة حال من الرزق . والعامل الإشارة .

(٩) خبر والمبتدأ محذوف . أى الأمر هذا ، أو هذا كما ذكر .

(١٠) مرجع .

(١١) بدل منه .

(١٢) يدخلونها .

(١٣) شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يقرشه النائم .

هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ <sup>(١)</sup> وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ <sup>(٢)</sup>  
 هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ <sup>(٤)</sup>  
 قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَمْتُمْوه لَنَا فَبئسَ الْقَرَارُ <sup>(٥)</sup>

(١) أى هذا حميمٌ وَغَسَّاقٌ فليذوقوه . فهذا مبتدأ و (حميم) خبره (وَغَسَّاقٌ) عطف على الخبر (فليذوقوه) اعتراض . أو العذاب (هذا فليذوقوه) ثم ابتدأ فقال هو (حميم وَغَسَّاقٌ) بالتشديد حمزة وعلى وحفص . والغساق بالتشديد والتخفيف ما يَغَسَقُ من صديد أهل النار . يقال غَسَقَت العين إذا سال دمعها . وقيل الحميم يحرق بجره والغساق يحرق ببرده .

(٢) أى (و) عذاب (آخر) أو مذوق آخر من مثل العذاب المذكور . (وآخر) بصرى .  
 أى (و) مذوقات (آخر) من شكل هذا المذوق في الشدة والفظاعة .

(٣) صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضرباً .

(٤) (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار ، أى دخل النار في صحبتكم . والافتحام الدخول في الشيء بشدة والقحمة الشدة . وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض . أى يقولون هذا . والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرجا بهم) دعاء منهم على أتباعهم . تقول لمن تدعوله مرجبا أى أتيت رجبا من البلاد لا ضيقاً . أو رجبت بلادك رجبا . ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء و (بهم) بيان للدعوى عليهم (أنهم صالوا النار) أى داخلوها . وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم . وقيل (هذا فوج مقتحم) كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم و (لا مرجبا بهم) لأنهم صالوا النار) كلام الرؤساء . وقيل هذا كله كلام الخزنة .

(٥) (قالوا) أى الأتباع ، (بل أنتم لا مرجبا بكم) أى الدعاء الذى دعوتهم به علينا أنتم أحق به .  
 وقالوا ذلك بقوله (أنتم قد متموه لنا) والضمير للعذاب أو لصديقهم ، أى إنكم دعوتونا إليه فكفربا بأتباعكم

(٦) أى النار .

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضَعْفًا فِي النَّارِ ﴿٢﴾  
 وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٥﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا  
 أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٧﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٨﴾

(١) أى الأتباع .

(٢) (ضعفا) أى مضاعفا (فى النار) ومعناه ذا ضعف . ونحوه قوله (ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا) وهو أن يزيد على عذابه مثله .

(٣) الضمير لرؤساء الكفرة .

(٤) يعنون فقراء المسلمين .

(٥) (كما نعدهم) فى الدنيا من الأردال الذين لا خير فيهم ولا جدوى .

(٦) بلفظ الإخبار عراقى غير عاصم ، على أنه صفة لرجالا مثل (كما نعدهم من الأشرار) وبهمزة الاستفهام غيرهم ، على أنه إنكار على أنفسهم فى الاستسغار منهم . (سُخْرِيًّا) مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل .

(٧) (زآغت) مالت (عنهم الأبصار) . هو متصل بقوله (مالنا) أى مالنا لا نراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها ؟ بل أزآغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها ؟ قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفى عليهم مكانهم .

(٨) (إن ذلك) الذى حكينا عنهم (لحق) لصدق كائن لا محالة لا بد أن يتكلموا به . ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) . ولما شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سماه تخاصما ، ولأن قول الرؤساء (لا مرحبا بهم) وقول أتباعهم (بل أتم لا مرحبا بكم) من باب الخصومة فسعى التقاؤل كله تخاصما لاشتماله على ذلك .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ <sup>(١)</sup>  
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ <sup>(٢)</sup> قُلْ هُوَ  
 نَبِيُّ عَظِيمٍ <sup>(٣)</sup> أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ <sup>(٤)</sup> مَا كَانَ لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَأِ  
 الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ <sup>(٥)</sup> إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ <sup>(٦)</sup>

(١) (قل) يا محمد لمشركي مكة : ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى .  
 وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا إله إلا الله (الواحد) بلا ند  
 ولا شريك (القهار) لكل شيء .

(٢) له الملك والربوبية في العالم كله .

(٣) (العزيز) الذي لا يغلب إذا عاقب (الغفار) لذنوب من التجأ إليه .

(٤) (قل هو) أي هذا الذي أنبأكم به من كوني رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له  
 (نبا عظيم) لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة ، ثم (أنتم عنه معرضون) غافلون .  
 (ما كان لي) — حفص — (من علم بالملاء الأعلى إذ يختصمون). احتج لصحة نبوته بأن ما ينبي  
 به عن الملاء الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط . ثم علمه ولم يسلك الطريق  
 الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب . فعلم أن ذلك  
 لم يحصل له إلا بالوحي من الله تعالى (إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين) أي ل (أنما أنا  
 نذير مبين). ومعناه ما يوحى إلى إلا للإنذار . فحذف اللام وانتصب بإفشاء الفعل إليه .  
 ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلى إلا هذا . وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفترط في ذلك . أي  
 ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس لي غير ذلك . وبكسر (إنما) يزيد على الحكاية أي إلا



إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ <sup>(١)</sup> ﴿١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ  
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ <sup>(٢)</sup> ﴿٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ  
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ <sup>(٣)</sup> ﴿٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ <sup>(٤)</sup> ﴿٤﴾

هذا القول، وهو أن أقول لكم (إنما أنا نذير مبين) ولا أدعى شيئاً آخر. وقيل النبا العظيم  
قصص آدم والإنباء به من غير سماع من أحد. وعن ابن عباس رضى الله عنهما القرآن .  
وعن الحسن يوم القيامة . والمراد بالملأ الأعلى أصحاب القصة . الملائكة وآدم وإبليس لأنهم  
كانوا في السماء . وكان التقاؤهم بينهم . و (إذ يختصمون) متعلق بمحذوف، إذ المعنى : ما كان  
لى من علم بكلام الملأ الأعلى وقت اختصاصهم .

(١) (إذ قال ربك) — بدل من (إذ يختصمون) أى فى شأن آدم — حين قال تعالى على لسان  
ملك (للملائكة إنى خالق بشر من طين) وقال (إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل  
فيها من يفسد فيها) .

(٢) فإذا أتممت خلقتة وعدلته (ونفخت فيه من روى) الذى خلقتة — وأضافه إليه  
تخصيصاً كبيت الله وناقة الله . والمعنى أحييته وجعلته حساساً متنفساً — (فقعوا) أمر  
من وقع يقع . أى اسقطوا على الأرض . والمعنى اسجدوا (له ساجدين) . قيل كان الخناء يدل  
على التواضع . وقيل كان سجدة لله . أو كان سجدة التحية .

(٣) كل للإحاطة . و (أجمعون) للاجتماع . فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت  
واحد غير متفرقين فى أوقات .

(٤) تعظم عن السجود .

(٥) وصار من الكافرين بإباء الأمر .

قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ  
 أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ <sup>(٢)</sup> قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ  
 مِنْ طِينٍ <sup>(٣)</sup> قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ <sup>(٤)</sup> وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي <sup>(٥)</sup>

(١) ما منعك عن السجود (لما خلقت بيدي) أى بلا واسطة ، امتثالا لأمرى  
 وإعظاما لخطابى . وقد مر أن ذا اليمين يباشر أكثر أعماله بيده فغلب العمل باليمين على  
 سائر الأعمال التى تباشر بغيرها ، حتى قيل فى عمل القلب هو ما عملت يداك ، وحتى قيل  
 لمن لا يدي له "يداك أو تكأ وفوك نفخ" وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا  
 مما عملته يداك . ومنه قوله (مما عملت أيدينا) و (لما خلقت بيدي) .

(٢) (استكبرت) استفهام إنكار (أم كنت من العالمين) ممن علوت وفقت . وقيل  
 (استكبرت) الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين .

(٣) يعنى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلى ، فكيف أسجد لمن هو  
 دونى ؟ لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله . وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهى  
 (خلقتنى من نار) مجرى المعطوف عطف البيان والإيضاح .

(٤) من الجنة أو من السموات أو من الحلقة التى أنت فيها لأنه كان يفتخر بخلقته  
 ففتر الله خلقته ، واسود بعد ما كان أبيض ، وقبح بعد ما كان حسنا ، وأظلم بعد ما كان  
 نورانيا .

(٥) مرجوم أى مطرود . تكبر إبليس أن يسجد لمن خلق من طين وزل عنه أن الله  
 أمر به ملائكته وآتبعوا أمره لإجلال الخطابه وتعظيما لأمره ، فصار مرجوما ملعونا  
 بترك أمره .

(٦) بفتح الياء مدنى . أى لهامدى من كل الخير .

إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿١﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢﴾ قَالَ فَإِنَّكَ  
 مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٤﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٦﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٧﴾

(١) أى يوم الجزاء ولا يظن أن لعنة غايتها يوم الدين ثم تنقطع لأن معناه أن عليه اللعنة في الدنيا وحدها . فإذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد . أو لما كان عليه اللعنة في أوان الرحمة ، فأولى أن تكون عليه في غير أوانها . وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى ( فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ) .

(٢) فأمهاني .

(٣) الوقت المعلوم الوقت الذى تقع فيه النفخة الأولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من أجزائه . ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر .

(٤) أى أقسم بعزة الله وهى سلطانه وقهره .

(٥) وبكسر اللام مكى وبصرى وشامى .

(٦) بالرفع كوفى غير على على الابتداء . أى الحق قسمى ، أو على الخبر أى أنا الحق . وغيرهم بالنصب على أنه مقسم به كقولك الله لأفعلن كذا . يعنى حذف عنه الباء فانتصب . وجوابه ( لأملأت ) والمراد بالحق إما اسمه عز وجل الذى فى قوله ( إن الله هو الحق ) أو الحق الذى هو تقيض الباطل عظمه الله بإقسامه به .

(٧) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه . وهو منصوب بأقول ، ومعناه ولا أقول

إلا الحق .

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ<sup>(١)</sup> قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ  
 أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ<sup>(٢)</sup> إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ<sup>(٣)</sup> وَلِتَعْلَمِنَّ  
 نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ<sup>(٤)</sup>

(١) (لأملأن جهنم منك) من جفندك . وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية  
 آدم ، أى لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين (أجمعين) لا أترك منهم أحدا .

(٢) الضمير للقرآن أو للوحى .

(٣) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتمونى قط متصنعا ولا  
 مدعيا بما ليس عندى حتى أتت النبوّة وأتقول القرآن . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
 للتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ، ويتعاطى مالا ينال ، ويقول مالا يعلم .

(٤) ما القرآن (إلا ذكر) من الله للتقلين أوحى الى فأنا أبلغه .

(٥) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور .

(٦) بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة . ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر  
 والله الموفق .

## سورة الزمر مكية

وهي خمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ <sup>(١)</sup> ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ  
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ <sup>(٢)</sup> ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ  
 الْخَالِصُ <sup>(٣)</sup> وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا  
 لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ <sup>(٤)</sup> ﴿٣﴾  
<sup>(٥)</sup>

(١) (تنزيل الكتاب) أى القرآن ، مبتدأ خبره (من الله) أى نزل من عند الله . أو  
 خبر مبتدأ محذوف . والجاز صلة التنزيل ، أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر . أو خبر مبتدأ  
 محذوف تقديره هذا (تنزيل الكتاب) هذا (من الله العزيز) فى سلطانه (الحكيم) فى تديره .  
 (٢) هذا ليس بتكرار . لأن الأول كالعنوان للكتاب ، والثانى لبيان ما فى الكتاب .

(٣) (مخلصا) — حال — (له الدين) أى محضاً له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد  
 وتصفية السر . فالدين منصوب بمخلصا . وقرئ (الدين) بالرفع . وحق من رفعه أن يقرأ  
 (مخلصاً) .

(٤) أى هو الذى وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لإطلاعه  
 على الغيوب والأسرار . وعن قتادة : الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله . وعن  
 الحسن : الإسلام .

(٥) (أولياء) أى آلهة . (والذين) مبتدأ محذوف الخبر تقديره (والذين) عبدوا الأصنام  
 يقولون (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) مصدر . أى تقرىبا . (إن الله يحكم بينهم) بين المسلمين

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿١﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ  
 مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ  
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٣﴾

والمشركين (فيا هم فيه يختلفون). قيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض؟ قالوا الله. فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين .

(١) أى لا يهدى من هو فى علمه أنه يختار الكفر، يعنى لا يوقفه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر. ولكنه يخذله . وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله أولياء : بنات الله. ولذا عقبه محتجاً عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) أى لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لا خنار مما يخلق ما يشاء لا ماتخارون أتم وتشاءون .

(٢) نزّه ذاته عن أن يكون له أخذ ما نسبوا إليه من الأولياء والأولاد . ودلّ على ذلك بقوله ( هو الله الواحد القهار ) يعنى أنه واحد متبرئ عن انضمام الأعداد ، متعال عن التجزؤ والولاد ، قهار غلاب لكل شىء ومن الأشياء ألهتهم . فأنى يكون له أولياء وشركاء ؟ ثم دلّ بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملون على الآخر وتسخير التيرين وجرهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام ، على أنه واحد لا يشارك ، قهار لا يغالب بقوله ( خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ) . والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها . والمعنى أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه . فشبهه فى تغيبه إياه بشىء ظاهر لّف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار . أو أن هذا يكرّ على هذا كوروا متابعا . فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض .

(٣) أى يوم القيامة .

(٤) (العزير) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما (الفقار) لمن فكر واعتبر فأمن بمدبرهما .

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ  
 ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ  
 ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تُصْرَفُونَ (٣) إِنْ  
 تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ (٧)

(١) أى آدم عليه السلام .

(٢) أى حواء من قصيراها . قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر . ثم خلق بعد ذلك حواء .

(٣) أى جعل ، عن الحسن . أو خلقها فى الجنة مع آدم عليه السلام . ثم أنزلها . أو لأنّها لا تعيش إلّا بالنبات . والنبات لا يقوم إلّا بالماء ، وقد أنزل الماء فكانه أنزلها .

(٤) ذكرا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز كما بين فى سورة الأنعام . والزواج اسم لواحد معه آخر ، فإذا انفرد فهو فرد ووتر .

(٥) نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ إلى تمام الخلق .

(٦) ظلمة البطن والرحم والمشيمة . أو ظلمة الصلب والبطن والرحم .

(٧) (ذلكم) الذى هذه مفعولاته هو (الله ربكم له الملك لا إله إلّا هو فاتى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره ؟ ثمّ بين أنّه غنى عنهم بقوله (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم) عن إيمانكم وأتم محتاجون إليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالإيمان (ولا يرضى لعباده الكفر) لأنّ الكفر ليس برضا الله تعالى وإن كان بإرادته . (وإن تشكروا) فتؤمنوا (يرضه لكم) أى يرض الشكر لكم لأنّه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة . (يرضه) بضم الهاء والإشباع مكى وعلى (يرضه) بضم الهاء بدون الإشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد . وغيرهم (يرضه) .

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ  
تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبًا  
رَبِيًّا (٥) مِنْ شَيْءٍ أَلَيْسَ إِلَيْهِ مَرْجِعٌ (٦) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبًا  
رَبِيًّا (٧) مِنْ شَيْءٍ أَلَيْسَ إِلَيْهِ مَرْجِعٌ (٨) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبًا  
رَبِيًّا (٩) مِنْ شَيْءٍ أَلَيْسَ إِلَيْهِ مَرْجِعٌ (١٠) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبًا  
رَبِيًّا (١١) مِنْ شَيْءٍ أَلَيْسَ إِلَيْهِ مَرْجِعٌ (١٢) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبًا  
رَبِيًّا (١٣) مِنْ شَيْءٍ أَلَيْسَ إِلَيْهِ مَرْجِعٌ (١٤) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبًا  
رَبِيًّا (١٥) مِنْ شَيْءٍ أَلَيْسَ إِلَيْهِ مَرْجِعٌ (١٦)

(١) أى لا يؤاخذ أحد بذنوب آخر .

(٢) إلى جزاء ربكم رجوعكم .

(٣) فيخبركم بأعمالكم ويحاسبكم عليها .

(٤) بخفيات القلوب .

(٥) هو أبو جهل أو كل كافر .

(٦) بلاء وشدة . والمس في الأعراس مجاز .

(٧) راجعا إلى الله بالدعاء لا يدعو غيره .

(٨) أعطاه .

(٩) من الله عز وجل .

(١٠) أى نسي ربه الذى كان يتضرع إليه . و ( ما ) بمعنى من كقوله ( وما خلق الذكر

والأنثى ) . أو ( نسي ) الضر الذى ( كان يدعو ) الله إلى كشفه .

(١١) أمثالا .

(١٢) ( ليضل ) مكى وأبو عمرو ويعقوب .

(١٣) أى الإسلام .

(١٤) ( قل ) يا محمد .

(١٥) أمر تهديد .

(١٦) أى ( تمتع بكفرك قليلا ) فى الدنيا .



إِنَّكَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ (١) أَمَّنْ هُوَ قَلْتِ (٢) ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا (٣)  
 وَقَائِمًا (٤) يَحْذَرُ الْآخِرَةَ (٥) وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ (٦) قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ  
 يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٧) إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٨) قُلْ يَعْبَادُ (٩)

(١) من أهلها .

(٢) قرأ بالتخفيف مكى و نافع و حمزة ، على إدخال همزة الاستفهام على (من) وبالتشديد  
 غيرهم ، على إدخال (أم) عليه . والقانت المطيع لله . و (من) مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن  
 (هو قانت) كغيره . أى أمن هو مطيع كمن هو عاص . وإنما حذف لدلالة الكلام عليه .  
 وهو جرى ذكر الكافر قبله ، وقوله بعده (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .

(٣) ساعاته .

(٤) حالان من الضمير فى (قانت) .

(٥) أى عذاب الآخرة .

(٦) أى الجنة .

ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله  
 ويحذر عقابه لتقصيره فى عمله . ثم الرجاء إذا جاوز حده يكون أمنا والخوف إذا جاوز  
 حده يكون إياسا . وقد قال الله تعالى : ( فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون )  
 وقال ( لأنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون ) فيجب ألا يجاوز أحدهما حده .

(٧) أى يعلمون ويعملون به . كأنه جعل من لا يعمل غير عالم . وفيه ازدراء عظيم  
 بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقشون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا . فهم عند الله جهالة حيث  
 جعل القانتين هم العلماء . أو أريد به التشبيه أى كما لا يستوى العالم والجاهل ، كذلك  
 لا يستوى المطيع والعاصى .

(٨) جمع لب . أى إنما يتعظ بوعظ الله أولو العقول .

(٩) بلا ياء عند الأكثر .

الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ  
 اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ  
 أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۗ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۗ

(١) بامثال أوامره واجتناب نواهيه .

(٢) أى (للذين) أطاعوا الله فى الدنيا (حسنة) . و (فى) يتعلق بأحسنوا لا بحسنة . معناه  
 الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة ، أى حسنة لا توصف .  
 وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية .

(٣) أى لا عذر للمفترطين فى الإحسان البتة . حتى إن اعتلوا بأنهم لا يتمكّنون  
 فى أوطانهم من التوقر على الإحسان ، قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة . فتحولوا إلى  
 بلاد أحر ، واقتدوا بالأنبياء والصالحين فى مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى  
 إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم .

(٤) (إنما يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجزع الغصص  
 واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم بغير حساب) . عن ابن عباس رضى الله عنهما  
 لا يهتدى إليه حساب الحساب ولا يعرف . وهو حال من الأجر . أى موقرا .

(٥) بأن أعبد الله .

(٦) أى أمرت بإخلاص الدين .

(٧) (وأمرت) بذلك (أ) أجل (أن أكون أول المسلمين) أى مقدمهم وسابقتهم فى الدنيا  
 والآخرة . والمعنى أن الإخلاص له السبقة فى الدين . فمن أخلص كان سابقا . فالأول أمر  
 بالعبادة مع الإخلاص . والثانى بالسبق . فلاختلاف جهتهما نزلا منزلة المختلفين . فصح  
 عطف أحدهما على الآخر .

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾ قُلِ اللَّهُ  
 أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٢﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنْ  
 أَنْخَسِرْنَ الدِّينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ  
 هُوَ أَنْخَسَرَاتُ الْمُبِينِ ﴿١٣﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ  
 تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴿١٤﴾ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَلْعَبُدِ فَاتَّقُوا ﴿١٥﴾

(١١) قل لمن دعاك بالرجوع إلى دين آبائك. وذلك أن كفار قريش قالوا له عليه السلام  
 ألا تنظر إلى أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى . فزلت ردا عليهم .

(٢) هذه الآية إخبار بأنه يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره . والأولى  
 إخبار بأنه مأمور بالعبادة والإخلاص ، فالكلام أولا واقع في نفس الفعل وإيجاده وثانيا فيمن  
 يفعل الفعل لأجله . ولذلك رتب عليه قوله ( فاعبدوا ما شئتم من دونه ) . وهذا أمر تهديد .

(٣) قيل له عليه السلام إن خالفت دين آبائك فقد خسرت . فزلت ( قل إن الخاسرين )  
 أى الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه (الذين خسروا أنفسهم) بإهلاكها فى النار  
 (وأهليهم) أى وخسروا أهليهم (يوم القيامة) لأنهم أضلوهم فصاروا إلى النار . ولقد وصف  
 خسرانهم بغاية الفظاظة فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ،  
 ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر ، وعرف الخسران ، وتعه بالمبين . وذلك لأنهم استبدلوا  
 بالجنة نارا ، وبالدرجات دركات .

(٤) ( لهم من فوقهم ) أطباق ( من النار ومن تحتهم ) أطباق من النار هى ( ظلال ) لآخرين .  
 أى النار محيطة بهم .

(٥) ( ذلك ) الذى وصف من العذاب أو ( ذلك ) الظلل ( يخوف الله به عباده ) ليؤمنوا به  
 ويحذروا مناهيه . ( يا عباد فاتقون ) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى . خوفهم بالنار ثم حذرهم  
 نفسه .

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ  
 الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ  
 أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَهْلُ الْإِلْبَابِ ﴿٢﴾  
 أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿٣﴾

(١) الشياطين . فعلوت من الطغيان ، كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين . أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدرا . وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان ، وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط ، والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان . والمراد بها ههنا الجمع . وقرئ ( الطواغيت ) .

(٢) بدل الاشتغال من ( الطاغوت ) أى عبادتها .

(٣) رجعوا .

(٤) هى البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون .  
 (٥) هم الذين اجتنبوا وأنابوا . وإتما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة . فوضع الظاهر موضع الضمير . أراد أن يكونوا تقادا فى الدين — يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل . فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب . وكذا المباح والندب — حراسا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا . أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن . أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصص والعفو ونحو ذلك . أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه .

(٦) أى المتفعون بقرولهم .

(٧) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب — أى وجب — فأنت تنقذه . جملة شرطية دخلت عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء . ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف تقديره أنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه . والهمزة النانية

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَةٌ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ  
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ  
بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا

هى الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار . ووضع ( من فى النار ) موضع الضمير أى تنقذه .  
فالأية على هذا جملة واحدة ، أو معناه ( أفن حق عليه كلمة العذاب ) ينجومنه ؟ أفانت تنقذه ؟  
أى لا يقدر أحد أن ينقذ من أضله الله وسبق فى علمه أنه من أهل النار .

(١) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها . يعنى للكفار ظلال من النار  
وللتقين غرف .

(٢) أى من تحت منازلها .

(٣) مصدر مؤكّد لأن قوله ( لهم غرف ) فى معنى وعدهم الله ذلك .

(٤) يعنى المطر . وقيل كل ماء فى الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم  
يقسمه الله .

(٥) فأدخله عيوننا ومسالك ومجارى كالعروق فى الأجساد . و ( ينبيع ) نصب على الحال  
أو على الظرف . و ( فى الأرض ) صفة لـ ( ينبيع ) .

(٦) بالماء .

(٧) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض . أو أصنافه من برّ وشعير وسمسم  
وغير ذلك .

(٨) ( ثم ) يحف . ( فتراه مصفراً ) بعد نضارته وحسنه .

(٩) فتاتا متكسرا . فالخطام ما تفتت وتكسر من النبات وغيره .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ (٢) أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ  
 فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ  
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ (٩)  
 (٤) (٦) (٧) (٨)

(١) في إنزال الماء وإخراج الزرع .

(٢) لتذكيرا وتنبها على أنه لا بد من صانع حكيم ، وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير ،

لا عن إهمال وتعطيل .

(٣) أى وسع صدره (للإسلام) فاهتدى . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح . فقيل فهل لذلك من علامة ؟ قال نعم الإجابة إلى دار الخلود ، والتجاني عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فهو على نور من ربه) بيان وبصيرة . والمعنى (أفمن شرح الله صدره) فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه . فحذف لأن قوله (فويل للقاسية قلوبهم) يدل عليه .

(٤) أى من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله . أى إذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) .

(٥) غواية ظاهرة .

(٦) في إيقاع اسم الله مبتدأ وبناء (نزل) عليه تفخيم لأحسن الحديث .

(٧) بدل من (أحسن الحديث) أو حال منه .

(٨) يشبه بعضه بعضا في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والإعجاز وغير ذلك .

(٩) نعت . (كتابا) جمع مثنى بمعنى مررد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه . فهو بيان لكونه متشابها لأن القصص المكررة وغيرها لا تكون إلا متشابهة . وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا يمل . وإتما جاز وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل . وتفصيل الشيء هى جملته . ألا تراك تقول القرآن أسباع وأحماس وسور وآيات . فكذلك تقول أفاصيل وأحكام ومواعظ مكررات . أو منصوب على التمييز من (متشابهة) كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل . والمعنى متشابهة مثنائه .

تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ  
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ  
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٤) أَفَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٦) كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)

(١) (تقشعر) تضطرب وتتحرك (منه جلود الذين يخشون ربهم) . يقال اقشعرت الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا . والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعرت منها جلودهم . وفي الحديث إذا اقشعرت جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها .

(٢) أى إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة . وعدى بالى لتضمنه معنى فعل متعدد بالى كأنه قيل اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير متقبضة . واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لأن رحمة سبقت غضبه فلاصلة رحمة إذا ذكر الله لم يخطر بالبال إلا كونه رءوفا رحيا . وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لأن محل الخشية القلب ، فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب .

(٣) (ذلك) إشارة إلى الكتاب . وهو (هدى الله يهدى به من يشاء) من عباده . وهم من علم منهم اختيار الاهتداء .

(٤) (ومن) يخاف الضلالة فيه (فما له من هاد) إلى الحق .

(٥) (أفمن يتقى) كمن أمن من العذاب . لحذف الخبر كما حذف في نظائره . وسوء العذاب شدته . ومعناه أن الإنسان إذا اتقى خوفا من المخاوف استقبله بيده وطالب أن يتقى بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه . والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يدها إلى عنقه فلا يتبأ له أن يتقى النار إلا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه .

(٦) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم .

(٧) من قبل قريش .

فَأَذَاقَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ  
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ  
 ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾  
 قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا  
 رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴿٥﴾  
 رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴿٦﴾

(١) من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أت الشر يأتهم منها . بينما هم آمنون إذ فوجئوا من مآثمهم .

(٢) (فأذاقهم الله) الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (في الحياة الدنيا . ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا . (لو كانوا يعلمون) لآمنوا .  
 (٣) ليتعظوا .

(٤) حال مؤكدة كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا . فنذكر رجلا وإنسانا توكيدا . أو نصب على المدح .

(٥) مستقيا بريئا من التناقض والاختلاف . ولم يقل مستقيا للإشعار بالآ يكون فيه عوج قط . وقيل المراد بالعوج الشك . (لعلهم يتقون) الكفر .  
 (٦) بدل .

(٧) متنازعون ومختلفون .

(٨) (سالمًا) — مصدر سلم والمعنى ذا سلامة — (لرجل) أي ذا خلوص له من الشركة .  
 (سالمًا) مكي وأبو عمرو ، أي خالصا له .

(٩) صفة . وهو تمييز . والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما . وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس . وقرئ (مثلين) .

مثل الكافر ومعبوديه بعد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم يدعى أنه عبده فهم يتجادبونه ويتعاورونه في مهن شتى وهو متحير لا يدري أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته ويمن يطلب رزقه ويمن يلتمس رفته فهمه شعاع وقلبه أوزاع ، والمؤمن بعد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع .



الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(١)</sup> إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ<sup>(٢)</sup> ثُمَّ إِنَّكُمْ<sup>(٣)</sup>  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ<sup>(٤)</sup> فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ

(١) (الحمد لله) الذي لا إله إلا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره .

(٢) (إنك ميت) أى ستموت (وإنهم ميتون) . وبالتخفيف من حلّ به الموت . قال الخليل : أنشد أبو عمرو :

وتسألني تفسير ميت وميت \* فدونك قد فسرت إن كنت تعقل

فمن كان ذا روح فذلك ميت \* وما الميت إلا من إلى القبر يُجمل

كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته . فأخبر أن الموت يعتمهم . فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى . وعن قتادة "نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم أنفسكم" . أى إنك وإياهم فى عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان .

(٣) (ثم إنكم) أى إنك وإياهم — فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب — (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحجج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا واجتهدت فى الدعوة فليجوا فى العناد ، ويعتذرون بما لا طائل تحته . تقول الأتباع أطعنا ساداتنا وكبراءنا ، وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون . قال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين "ما خصومتنا ونحن إخوان" ؟ فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا "هذه خصومتنا" . وعن أبى العالية : نزلت فى أهل القبلة . وذلك فى الدماء والمظالم التى بينهم . والوجه هو الأول ؛ ألا ترى إلى قوله (فمن أظلم ممن كذب على الله) وقوله (والذى جاء بالصدق وصدق به) وما هو إلا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة . (كذب على الله) اقترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه .

وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ <sup>(٢)</sup> أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ <sup>(٣)</sup> وَالَّذِي  
جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ <sup>(٤)</sup> أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ <sup>(٥)</sup> لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ  
عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ <sup>(٦)</sup> لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا  
وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ <sup>(٧)</sup> أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ <sup>(٧)</sup>

(١) بالأمر الذي هو الصدق بعينه . وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) فاجاه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل  
كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون .

(٣) أى هؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق . واللام فى (الكافرين) إشارة إليهم .

(٤) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . جاء بالحق وآمن به . وأراد به إياه ومن تبعه  
كما أراد بموسى إياه وقومه فى قوله ( ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ) فلذا قال تعالى  
( أولئك هم المتقون ) . وقال الزجاج روى عن على رضى الله عنه أنه قال ( والذى جاء بالصدق )  
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ( و ) الذى ( صدق به ) أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وروى  
أن الذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى صدق به المؤمنون . والكل  
صحيح . كذا قاله . قالوا والوجه فى العربية أن يكون ( جاء ) و ( صدق ) لفاعل واحد لأن  
التغاير يستدعى إضمار الذى وذا غير جائز أو إضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد .

(٥) إضافة أسوأ وأحسن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك :  
الأشجع أعدل بنى مروان .

(٦) أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفى فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها .

(٧) أى محمدا صلى الله عليه وسلم . ( عباده ) حمزة وعلى أى الأنبياء والمؤمنين . وهو مثل  
( إنا كفيناك المستهزئين ) .

وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١١﴾ وَمَنْ  
يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿١٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ  
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ  
هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢١﴾

(١١) أى بالأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه، وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف أن تحبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك مضرتها لعيبك إياها .

(٢١) (أليس الله) بغالب منيع (ذو انتقام) ينتقم من أعدائه . وفيه وعيد لقريش ووعد  
للؤميين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم . ثم أعلم بأنهم مع عبادتهم الأوثان مقرنون بأن  
الله تعالى خلق السموات والأرض بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ  
الله قل أفأرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله) — بفتح الياء سوى حمزة — (بضر) مرض  
أو فقر أو غير ذلك (هل هن كاشفات ضره) دافعات شدته عني (أو أرادني برحمة) صحة أو  
غنى أو نحوهما (هل هن ممسكات رحمة) . (كاشفات ضره وممسكات رحمة) بالتونين على  
الأصل بصرى . وفرض المسألة في نفسه دونهم لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخيلها فأمر بأن  
يقرهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده، ثم يقول لهم بعد التقرير إن أرادني خالق العالم الذي  
أقرتم به بضر أو برحمة هل يقدر على خلاف ذلك ؟ فلما أخفهم قال الله تعالى (قل  
حسبي الله) كافيا لمعرة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) . يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم  
سأله فسكتوا فزل (قل حسبي الله) وإنما قال (كاشفات وممسكات) على التأنيث بعد قوله  
(ويخوفونك بالذين من دونه) لأنهن إناث . وهن اللات والعزى ومناة . وفيه تهكم بهم  
ويعبوديهم .

قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ مِنْ يَأْتِيهِ  
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿١٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ  
بِالْحَقِّ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ  
بِوَكِيلٍ ﴿١٣﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا  
فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٤﴾

(١١) (على مكاتكم) على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنت منها .  
والمكانة بمعنى المكان . فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان .  
(إني عامل) أى على مكاتي . وحذف للاختصار ، ولما فيه من زيادة الوعيد والإيذان  
بأن حالته تزداد كل يوم قوة ، لأن الله تعالى ناصره ومعينه . ألا ترى إلى قوله (فسوف  
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم  
غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لأنهم إذا أتاهم الخزي والعذاب فذلك عزه وغلبته من حيث إن  
الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه . و (يخزيه) صفة للعذاب كقيم .  
أى عذاب يخزله ، وهو يوم بدر ، وعذاب دائم ، وهو عذاب النار . (مكاتكم)  
أبو بكر وحماد .

(١٢) القرآن .

(١٣) لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة  
على المعصية .

(١٤) فن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرّها .

(١٥) (وما أنت عليهم بوكيل) بحفيظ . ثم أخبر بأنه الحفيظ القدير عليهم بقوله (الله يتوفى  
الأنفس حين موتها) الأنفس الجمل كما هى . وتوفىها إمامتها وهو أن يسلب ماهى به حية حساسة  
درا كة . (و) يتوفى الأنفس (التي لم تمت فى منامها) أى يتوفاها حين تنام تشبها للنائم بالموتى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ<sup>(١)</sup> أَمْ آتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ<sup>(٢)</sup>

حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك . ومنه قوله تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل) (فيمسك) الأنفس (التي قضى) — (قضى) حمزة وعلى (عليها الموت) الحقيقي . أى لا يردّها في وقتها حياة ( ويرسل الأخرى ) النائمة ( إلى أجل مسمى ) إلى وقت ضربه لموتها . وقيل (يتوفى الأنفس) أى يستوفىها ويقبضها . وهى الأنفس التى تكون معها الحياة والحركة (و) يتوفى الأنفس (التي لم تمت في منامها) وهى أنفس التمييز قالوا فالتى تُتوفى في المنام هى نفس التمييز لا نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس ، والنائم يقبض نفس . ولكل إنسان نفسان إحداهما نفس الحياة وهى التى تفارق عند الموت ، والأخرى نفس التمييز وهى التى تفارقه إذا نام . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما "فى ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس ، فالنفس هى التى بها العقل والتمييز . والروح هى التى بها النفس والتحرك . فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه" . وعن على رضى الله عنه قال "تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا . فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة" . وعنه ما "رأت نفس النائم فى السماء فهى الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الإرسال فيلقنها الشيطان فهى كاذبة" وعن سعيد بن جبير "أن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف (فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى) إلى أجسادها إلى انقضاء مدّة حياتها" . وروى "أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم فى السماء ، فمن كان منهم طاهرا أذن له فى السجود ، ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن لهم فيه" .

(١) (إن فى) توفى الأنفس مائة ونائمة وإمساكها وإرسالها إلى أجل (آيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكرون) يعيّلون فيه أفكارهم ويعتبرون .

(٢) بل آتخذ قريش — والهمزة للإنكار — (من دون) (إذن) (الله شفعا) حين قالوا (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه .

قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ  
 جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا ذُكِرَ  
 اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ  
 دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٣﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِّمَ  
 الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤﴾

(١) معناه (أ) يشفعون (ولو كانوا لا يملكون شيئاً) قطّ ولا عقل لهم .

(٢) أى هر مالکها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا باذنه . وانتصب (جميعاً) على الحال .

(٣) تقرير لقوله (لله الشفاعة جميعاً) لأنه إذا كان له الملك كله ، والشفاعة من الملك ،  
 كان مالکها .

(٤) متصل بما يليه . معناه (له ملك السموات والأرض) اليوم (ثم إليه ترجعون) يوم القيامة .  
 فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا له . فله ملك الدنيا والآخرة .

(٥) مدار المعنى على قوله (وحده) . أى إذا أفرد الله بالذکر ولم تذكر معه آلهتهم (اشمأزت)  
 أى نفرت وانقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه) يعنى آلهتهم  
 ذكر الله معهم أو لم يذكر (إذا هم يستبشرون) لافتنانهم بها . وإذا قيل لا إله إلا الله وحده  
 لا شريك له نفروا لأن فيه نفيآ آلهتهم . ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد  
 منهما غاية في بابه ، فالاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل ،  
 والاشمئزاز أن يمتلئ غمًا وغيظًا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه . والعامل في (إذا ذكر)  
 هو العامل في (إذا) المفاجأة . تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجئوا وقت الاستبشار .

(٦) أى يا (فاطر) — وليس برصف كما يقوله المبرد والفراء — (السموات والأرض عالم الغيب  
 والشهادة) السر والعلانية (أنت) تقضى (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة ، وقيل

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ <sup>(١)</sup> لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ  
سُوءِ الْعَذَابِ <sup>(٢)</sup> يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ <sup>(٣)</sup>  
وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا <sup>(٤)</sup> وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ <sup>(٥)</sup>

هذه محاكمة من النبي للاشركين إلى الله . وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت ندعى عندها  
إلا أجييب ، سواها . وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله  
عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد أن قال آه أو قد فعلوا؟ وقرأ هذه الآية . وروى أنه قال على أثره  
” قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه “ .

(١) الهاء تعود إلى ما .

(٢) شدته .

(٣) وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولا يتحدثون به نفوسهم .  
وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات . وعن سفیان الثوري أنه قرأها  
فقال : ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء . وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له .  
فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها . فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحاسبه .

(٤) أي سيئات أعمالهم التي كسبوها . أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم  
وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك .

(٥) ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم .

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا  
أُوتِيتُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ بَلَّ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(١١)</sup>

(١١) (خوّلناه) أى أعطيناه تفضيلاً - يقال خوّلنى إذا أعطاك على غير جزاء - (نعمة منّا) - ولا تقف عليه لأن جواب (إذا) - (قال إنّما أوتيته على علم) منى أتى سأعطاه لما فى من فضل واستحقاق . أو (على علم) منى بوجوه الكسب كما قال قارون (على علم عندى) . وإنما ذكر الضمير فى (أوتيته) وهو للنعمة نظراً إلى المعنى لأن قوله (نعمة منّا) شيئاً من النعمة وقسماً منها . وقيل (ما) فى (إنّما) موصولة لا كافة فيرجع الضمير إليها ، أى إن الذى أوتيته على علم . (بل هى فتنة) - إنكار له . كأنه قال ماخوّلناك من النعمة لما تقول (بل هى فتنة) أى ابتلاء وامتحان لك أشكر أم تكفر . ولما كان الخبر مؤنثاً أعنى (فتنة) ساغ تأنيث المبتدأ لأجله . وقرئ (بل هو فتنة) على وفق (إنّما أوتيته) - (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أنّها فتنة . والسبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو أت هذه وقعت مسببة عن قوله (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت) على معنى أنّهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة ، فإذا مسّ أحدهم ضرّ دعا من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره . وما بينهما من الآى اعتراض . فإن قلت حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه . قلت ما فى الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربّه بأمر من الله ، وقوله (أنت تحكم بين عبادك) ثمّ ما عقبه من الوعيد العظيم ، تأكيد لإنكار اشمأزهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله فى الشدائد دون آلهتهم . كأنه قيل قل يارب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراءة إلا أنت . وقوله (ولو أن للذين ظلموا) متناول لهم ولكل ظالم إن جعل عامّاً أو إياهم خاصة إن عينتهم به . كأنه قيل (ولو أن) لهؤلاء الظالمين (ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به) حين حكم عليهم بسوء العذاب . وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة وما هى إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو . وبيان وقوعها مسببة أنك تقول زيد يؤمن بالله فإذا مسّه ضرّ التجأ إليه فهذا تسبب ظاهر، ثمّ تقول زيد كافر بالله فإذا مسّه ضرّ التجأ إليه فتجىء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجأ المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان فى جمعه سبباً فى الالتجاء .



قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ <sup>(٢)</sup> قَدْ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ <sup>(٣)</sup>  
 فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا <sup>(٤)</sup> وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ  
 سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ  
 الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ <sup>(٥)</sup>

(١) هذه المقالة وهي قوله (إنما أوتيته على علم) .

(٢) أى قارون وقومه حيث قال (إنما أوتيته على علم عندى) وقومه راضون بها، فكأنهم قالوها . ويجوز أن يكون فى الأمم الخالية آخرون قائلون مشها .

(٣) من متاع الدنيا وما يجمعون منها .

(٤) أى جزاء سيئات كسبهم ، أو ستمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) .

(٥) (والذين) كفروا (من) مشركى قومك (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أى سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك . فقتل صناديدهم بيدر . وحبس عنهم الرزق فتهبطوا سبع سنين (وما هم بمعجزين) بفاتتين من عذاب الله . ثم بسط لهم فطروا سبع سنين . فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق؟ وقيل يجعله على قدر القوت (إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل .

قُلْ يٰعِبَادِىَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ  
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا اِنَّهٗ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيْمُ ﴿١٠١﴾ وَاٰنِيبُوْا اِلَى رَبِّكُمْ  
وَاَسْأَلُوْا لَهٗ مِنْ قَبْلِ اَنْ يٰتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصُرُوْنَ ﴿١٠٢﴾ وَاَتَّبِعُوْا  
اَحْسَنَ مَا اُنزِلَ اِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يٰتِيَكُمْ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ  
وَاَنْتُمْ لَا تَشْعُرُوْنَ ﴿١٠٣﴾ اَنْ تَقُوْلَ نَفْسٌ يٰحَسْرَتَىْ عَلٰى مَا فَرَطْتُ

(١١) (يا عبادى) - وبسكون الياء بصرى - وحزمة وعلى - (الذين أسرفوا على أنفسهم) جنوا  
عابها بالإسراف فى المعاصى والغلو فيها. (لا تقنطوا) لا تيأسوا - وبكسر النون على - وبصرى -  
(من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) بالغفو عنها إلا الشرك . وفى قراءة النبي عليه السلام  
(يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي). ونظير نفي المبالاة نفي الخوف فى قوله (ولا يخاف عقباها). قيل  
نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما أحب أن  
لى الدنيا وما فيها بهذه الآية". (إنه هو الغفور) بستر عظام الذنوب (الرحيم) بكشف فظائع  
الكروب. (وأنيبوا إلى ربكم) وتوبوا إليه (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل (من قبل أن يأتكم  
العذاب ثم لا تنصرون) إن لم تتوبوا قبل نزول العقاب . (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من  
من ربكم) مثل قوله (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) . وقوله (من قبل أن يأتكم  
العذاب بغتة وأتم لا تشعرون) أى يفجاكم وأتم غافلون كأنكم لا تحشون شيئا لفرط غفلتكم .

(٢) لثلاثا تقول .

(٣) إنما نكرت لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر . ويجوز أن يراد نفس  
متميزة من الأنفس إما بلجاج فى الكفر شديد ، أو بعذاب عظيم . ويجوز أن يراد التكثير .

(٤) الألف بدل من ياء المتكلم . وقرئ (يا حسرتى) على الأصل ، و (يا حسرتاى) على  
الجمع بين العوض والمعوض منه .

(٥) قصرت . و (ما) مصدرية مثلها فى (بما رحبت) .

فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّيْرِينَ<sup>(٢)</sup> أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ  
الْمُتَّقِينَ<sup>(٣)</sup> أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ<sup>(٤)</sup>  
بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ<sup>(٥)</sup>

(١) في أمر الله أو في طاعة الله، أو في ذاته . وفي حرف عبد الله (في ذكر الله) . والجانب الجانب . يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته ، وفلان بين الجانب والجانب . ثم قالوا فزط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه . وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبتته فيه . ومنه الحديث ”من الشرك الخفي أن يصلي الرجل لمكان الرجل ، أي لأجله“ . وقال الزجاج : معناه فزط في طريق الله . وهو توحيدهِ والإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) المستهزئين . قال قتادة : لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخّر من أهلها . ومحل (وإن كنت) النصب على الحال كأنه قال فزطت وأنا ساحر . أي فزطت في حال سخرتي .

(٣) (لو أت الله) أعطاني الهداية (لكننت) من الذين يتقون الشرك . قال الشيخ الإمام أبو منصور رحمه الله تعالى : هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة . وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم (لو هدانا الله لهديناكم) يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه ، ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا ، والمعتزلة يقولون : بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا . والحاصل أن عند الله لطفاً من أعطى ذلك اهتدى . وهو التوفيق والعصمة . ومن لم يعطه ضلّ وغوى ، وكان استجاباه العذاب وتضييعه الحق بعد ما ممّن من تحصيله ، لذلك .

(٤) (لو أت لي كربة) رجعة إلى الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحدين .

(٥) (بلى) ردّ من الله عليه كأنه يقول (بلى قد جاءتك آياتي) وبيّنت لك الهداية من الغواية ، وسبيل الحق من الباطل ، ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية ، واختيار الحق على الباطل . ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله ، وآثرت الضلالة على

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ  
 مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۖ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ  
 أَلْسُوءٌ وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ ۖ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۖ

الهدى ، واشتغلت بضد ما أمرت به . وإنما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك . و (بلى) جواب لنفى تقديري لأن معنى (لو أن الله هداني) ما هديت . وإنما لم يقرن الجواب به لأنه لا بد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ، ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب .

(١) (كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه من إضافة الشريك والولد إليه ونفى الصفات عنه . (وجوههم) مبتدأ (مسودة) خبر . والجمله في محل النصب على الحال إن كان (ترى) من رؤية البصر . وإن كان من رؤية القلب ففعل ثان .

(٢) (منوى) منزل (للمتكبرين) هو إشارة إلى قوله (واستكبرت) .

(٣) (وينجي) روح (الذين اتقوا) من الشرك (بمفازتهم) بفلاحهم . يقال فاز بكنا إذا أفلح به وظفر بمواده منه . وتفسير المفازة (لا يمسهم السوء) النار (ولا هم يحزنون) كأنه قيل : وما مفازتهم؟ فقيل (لا يمسهم السوء) أى ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم . أى لا يمس أبدانهم أذى ، ولا قلوبهم حذى . أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى (فلا تحسبهم بمفازة من العذاب) أى بمنجاة منه . لأن النجاة من أعظم الفلاح . وسبب منجاتهم العمل الصالح . ولهذا فسرا بن عباس رضى الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة . ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة . ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لأنه سببها . ولا محل ل (لا يمسهم) على التفسير الأول لأنه كلام مستأنف ومحل النصب على الحال على الثانى . (بمفازاتهم) كوفي غير حفص .

(٤) رد على المعتزلة والشوية .

(٥) حافظ .

لَهُمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ  
 أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا  
 الْجَاهِلُونَ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴿٤﴾

(١) أى هو مالك أمرها وحافظها . وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها . ومنه قولهم فلان ألقيت إليه مقاليد الملك . وهى المفاتيح واحداها مقليد . وقيل لا واحد لها من لفظها . والكلمة أصلها فارسية .

(٢) هو متصل بقوله (وينجي الله الذين اتقوا) أى ينجى الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون . واعترض بينهما بأنه خالق كل شىء فهو مهيمن عليه فلا يخفى عليه شىء من أعمال المكلفين فيها وما يجزون عليها . أو بما يليه على أن كل شىء فى السموات والأرض فأنه خالقه وفاتح بابه (والذين كفروا) وبمجدوا أن يكون الأمر كذلك (أولئك هم الخاسرون) . وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله (له مقاليد السموات والأرض) فقال يا عثمان : ما سألتنى عنها أحد قبلك . تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . هو الأزل والآخر والظاهر والباطن بيده الخير ينجي ويميت وهو على كل شىء قدير . وتأويله على هذا أن الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد . وهى مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه (والذين كفروا بآيات الله) وكلمات توحيده وتمجيده (أولئك هم الخاسرون) .

(٣) (قل) لمن دعاك إلى دين آبائك (أفغير الله تأمرونى أعبد) . (تأمرونى) مكي . (تأمرونى) على الأصل شامى . (تأمرونى) مدنى . وانتصب (أفغير الله) بأعبد . و(تأمرونى) اعتراض . ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان (أيها الجاهلون) بتوحيد الله ؟

(٤) من الأنبياء عليهم السلام .

لَيْنٍ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١١﴾ بَلِ اللَّهُ  
فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ  
جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴿١٤﴾

(١١) (ليحبطن عملك) الذي عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين) . وإتماماً قال  
(لئن أشركت) على التوحيد والموحى إليهم جماعة لأن معناه أوحى إليك لئن أشركت  
ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله . واللام الأولى موطئة للقسم المحذوف ، والثانية  
لام الجواب . وهذا الجواب ساد مسد الجوابين ، أغنى جوابي القسم والشرط . وإتماماً صح هذا  
الكلام مع علمه تعالى بأن رسله لا يشركون لأن الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره ،  
ولأنه على سبيل الفرض . والمحالات يصح فرضها . وقيل لئن طالعت غيري في السر ليحبطن  
ما بيني وبينك من السر .

(١٢) رد لما أمره به من عبادة آلهتهم . كأنه قال لا تعبد ما أمرك بعبادته بل إن  
عبدت فاعبد الله . فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً عنه .

(١٣) (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم .

(١٤) وما عظموه حق عظمتهم إذ دعوك إلى عبادة غيره . ولما كان العظيم من الأشياء إذا  
عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره ، عظمه حق تعظيمه ، قيل (وما قدروا  
الله حق قدره) . ثم نبههم على عظمتهم وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال : (والأرض جميعاً  
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته  
ومجموعه تصويراً عظمتهم والتوقيف على كنهه جلالة لاغير ، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين  
إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز . والمراد بالأرض الأرضون السبع . يشهد لذلك قوله (جميعاً) وقوله  
(والسموات) ولأن الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للبالغة . (والأرض) مبتدأ و (قبضته)  
الخبر و (جميعاً) منصوب على الحال . أى والأرض إذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة .  
والقبضة المزة من القبض . والقبضة المقدار المقبوض بالكف ، ويقال اعطني قبضة من كذا تريد  
معنى القبضة تسمية بالمصدر ، وكلا المعنيين محتمل . والمعنى والأرضون (جميعاً قبضته) أى

سُبْحٰنَهُۥ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ <sup>(١)</sup> وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَصَعِقَ مَنْ  
 فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ اِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيْهِ  
 اٰخَرٰى فَاِذَا هُمْ قِيٰمٌ يَنْظُرُوْنَ <sup>(٢)</sup> وَاَشْرَقَتِ الْاَرْضُ بِنُوْرِ رَبِّهَا <sup>(٣)</sup>

ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة . يعنى أن الأرضية مع عظمته وبسطته لا يلبغ إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول : الجزور أكلة لقمان . أى لا تبنى إلا بأكلة فذة من أكلاته . وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة . والمطويات من الطي الذى هو ضد الذشر كما قال (يوم تطوى السماء كطي السجل للكتب) وعادة طوى السجل أن يطويه بيمينه . وقيل (قبضته) ملكه بلا مدافع ولا منازع . و(يمينه) بقدرته وقيل (مطويات يمينه) مقنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفتنهما .

(١) ما بعد من هذه قدرته وعظمته وما أدلاه عما يضاف إليه من الشركاء .

(٢) (فصعق) مات (من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) أى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، وقيل هم حملة العرش ، أو رضوان والحوار العين ، ومالك والزيبانية . (أخرى) فى محل الرفع لأن المعنى (ونفخ فى الصور) نفخة واحدة (ثم نفخ فيه) نفخة (أخرى) . وإنما حذف لدلالة (أخرى) عليها وإكونها معلومة بذكرها فى غير مكان . (فإذا هم قيام ينظرون) يقابون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب . أو ينظرون أمر الله فيهم . ودلت الآية على أن النفخة اثنان : الأولى للوت ، والثانية للبعث . والجمهور على أنها ثلاث : الأولى للفرع كما قال (ونفخ فى الصور ففرع) ، والثانية للوت ، والثالثة للإعادة .

(٣) أضاعت (بنور ربها) أى بدله بطريق الاستعارة . يقال للملك العادل أشرفت الآفاق بعدلك ، وأضاعت الدنيا بقسطك . كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان . وقال عابيه الصلاة والسلام : الظالم ظلمات يوم القيامة . وإضافة ٥٣ إلى الأرض لأنه يزنها حيث

وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٠١﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾

ينشر فيها عدله ، وينصب فيها موازين قسطه ، ويحكم بالحق بين أهلها . ولا ترى أزين للبقاع من العدل ، ولا أعمرها منه . وقال الإمام أبو منصور رحمه الله : يجوز أن يخلق الله نورا فيثور به أرض الموقف . وإضافته إليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله .

(١١) (ووضع الكتاب) أي صحائف الأعمال ولكنه كنى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ (وجيء بالنبيين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما أجابهم قومهم (والشهداء) الحفظة . وقيل هم الأبرار في كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لا يظلمون) حتم الآية بنفي الظلم كما افتتحها بآيات العدل (ووقيت كل نفس ماعملت) أي جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد . وقيل هذه الآية تفسير قوله (وهم لا يظلمون) أي (ووقيت كل نفس ماعملت) من خير وشر لا يزداد في شر ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا إلى جهنم) سوقا عنيفا كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل (زمرًا) حال ، أي أفواجا متفرقة بعضها في أثر بعض (حتى إذا جاءوها فتحت) بالتخفيف فيهما كوفي (أبوابها) وهي سبعة .

(١٢) (وقال لهم) حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها (ألم يأتكم رسل منكم) من بنى آدم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي وقتكم هذا ، وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أي ولكن وجبت علينا كلمة الله (لأملأن جهنم) بسوء أعمالنا كما قالوا (غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين) فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال .



قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ <sup>(٢)</sup>  
 وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا <sup>(٣)</sup> حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ  
 أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ <sup>(٤)</sup>

(١) حال مقدرة أى مقدرين الخلود .

(٢) اللام فيه للجنس لأن مثنوى المتكبرين فاعل (بئس) وبئس فاعلها اسم معترف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله . والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثنوى المتكبرين جهنم .

(٣) المراد سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك .

(٤) (حتى) هى التى تحكى بعدها الجمل والجمل المحكية بعدها هى الشرطية إلا أن جزاءها محذوف . وإتما حذف لأنه فى صفة نواب أهل الجنة فدل بحذنه على أنه شئ لا يحيط به الوصف . وقال الزجاج تقديره (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لأن فى الكلام دليلا عليه . وقال قوم (حتى إذا جاءوها) جاءوها (وفتحت أبوابها) فعندهم جاءوها محذوف . والمعنى (حتى إذا جاءوها) وقع بجيئهم مع فتح أبوابها . وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها . وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها لقوله تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) فذلك جىء بالواو كأنه قال (حتى إذا جاءوها) وقد (فتحت أبوابها) . (طبتم) من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا . وقال الزجاج : أى كنتم طيبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين . أى لم تكونوا أصحاب خبائث . وقال ابن عباس : طاب لكم المقام . وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لأنها دار الطيبين ، ومثنوى الطاهرين . قد طهرها الله من كل دنس ، وطيبها من كل قدر . فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفقتها .

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ <sup>(١)</sup> وَأَوْثَقَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ  
 حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ <sup>(٢)</sup> وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ  
 الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ <sup>(٣)</sup> وَقُضِيَ <sup>(٤)</sup> بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ <sup>(٥)</sup>

(١) أنجزنا ما وعدنا في الدنيا من نعيم العقبى .

(٢) (وأورثنا) أرض الجنة . وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها . وأطلق  
 تصرفهم فيها كما يشاءون تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه . (نتبؤا) - حال - (من)  
 الجنة حيث نشاء) أى يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبؤا  
 أى فيتخذ متبؤاً ومقرراً من جنته حيث يشاء (فنعم أجر العاملين) فى الدنيا ، الجنة .

(٣) (حافين) - حال من الملائكة - (من حول العرش) أى محققين من حوله . و (من)  
 لا ابتداء الناية أى ابتداء حروفهم من حول العرش إلى حيث شاء الله . (يسبحون) حال من الضمير  
 فى (حافين) (بحمد ربهم) أى يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . أو سبح  
 قدوس رب الملائكة والروح . وذلك للتلذذ دون التعب لزوال التكليف .

(٤) (وقضى) بين الأنبياء والأمم . أو بين أهل الجنة والنار (بالحق) بالعدل .

(٥) أى يقول أهل الجنة شكراً حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال (وآخر دعوانهم  
 أن الحمد لله رب العالمين) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزمير .

## سورة غافر مكيّة

وهي خمس وثمانون آية

(الحواميم السبع كلها مكيّة عن ابن عباس رضى الله عنهما)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) حمّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ  
التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾

(١) (حم) وما بعده بالإمالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد . وبين الفتح والكسر مدنى . وغيرهم بالتفخيم . وعن ابن عباس أنه اسم الله الأعظم .

(٢) أى هذا (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى المنيع بسططانه عن أن يتقول عليه متقول (العليم) بمن صدق به وكذب - فهو تهديد للشركين وبشارة للمؤمنين - (غافر الذنب) سائر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة الراجعين (شديد العقاب) على المخالفين (ذو الطول) ذو الفضل على العارفين ، أو ذى الغنى عن الكل . وعن ابن عباس (غافر الذنب وقابل التوب) لمن قال لا إله إلا الله (شديد العقاب) لمن لا يقول لا إله إلا الله . والتوب والثوب والأوب أخوات فى معنى الرجوع . والطول الغنى والفضل . فإن قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيها والموصوف معرفة ؟ قلت أما (غافر الذنب وقابل التوب) فمعرفة لأنّه لم يرد بهما حدوث الفعلين حتى يكونا فى تقدير الانفصال فتكون إضافتهما غير حقيقية ، وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه . وأما (شديد العقاب) فهو فى تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقبل هو بدل ، وقيل لما وجدت هذه

مَا يُجِدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ  
 فِي الْبَلَدِ ﴿١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ  
 كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴿٢﴾

النكرة بين هذه المعارف آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف . وإدخال الواو في (وقابل التوب) لكننة وهي إفادة الجمع للذنب الثابت بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات ، وأن يجعلها تحاة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول . وروى أن عمر رضی الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام ، فقييل له تتابع في هذا الشراب . فقال عمر لكتابه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير وختم الكتاب . قال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحثرتني عقابه . فلم يرح يرددها حتى بكى . ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته . فلما باع عمر أمره قال : هكذا فاصنعوا . إذا رأيتم أحاكم قد زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه . (لا إله إلا هو) صفة أيضا لذى الطول . ويجوز أن يكون مستأنفا . (إليه المصير) المرجع .

(١) ما يخاصم فيها بالتكذيب بها والإنكار لها (إلا الذين كفروا) . وقد دل على ذلك في قوله (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) . فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها ، وحل مشكلها ، واستنباط معانيها ، ورد أهل الزيف بها ، فأعظم جهاد في سبيل الله .

(٢) (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) بالتجارات النافقة ، والمكاسب المربحة ، سالمين غانمين . فإن عاقبة أمرهم إلى العذاب . ثم بين كيف ذلك فأعلم أن الأمم الذين كذبت قبلهم أهلكت . فقال : (كذبت قبلهم قوم نوح) (نوح والأحزاب) أي الذين تحزبوا على الرسل وناصرهم — وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم — (من بعدهم) من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة) من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب (برسولهم ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيقتلوه . والأخذ الأسير . (وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحق) ليبتلوا به الإيمان .

فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٢١﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ  
كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ ﴿٢٣﴾

(١) مظهر متكى وحفص . يعنى أنهم قصدوا أخذه بفعلت جزاءهم على إرادة أخذ الرسل  
أن أخذتهم فعاقبتهم .

(٢) وبالياء يعقوب . أى فإنكم تمزون على بلادهم فتعابنون أثر ذلك . وهذا تقرير فيه  
معنى التعجيب .

(٣) (وكذلك حقت كلمات ربك) - مدنى وشامى - (على الذين كفروا، أنهم أصحاب  
النار) فى محل الرفع بدل من (كلمة ربك) . أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة  
كونهم من أصحاب النار . ومعناه كما وجب إهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل ، كذلك  
وجب إهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة . أو فى محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال  
الفعل . والذين كفروا قریش . ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك  
هؤلاء لأن علته واحدة تجمعهم (أنهم) من (أصحاب النار) . ويلزم الوقف على النار لأنه لو وصل لصار  
(الذين يحملون العرش ومن حوله) - يعنى حاملى العرش والحاقين حوله وهم الكروبيون سادة  
الملائكة - صفة لأصحاب النار ، وفساده ظاهر . روى أن حملة العرش أرجلهم فى الأرض  
السفلى ورءوسهم قد خرقت العرش . وهم خشوع لا يرفعون طرفهم . وفى الحديث "إن الله تعالى  
أمر جمع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة"  
وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم  
سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم يهللون ويكبرون  
ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح  
بما لا يسبح به الآخر .

(٤) خبر المبتدأ وهو (الذين) .

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ  
 كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ  
 عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ  
 صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(١) أى مع حمده إذ الباء تدل على أن تسبيحهم بالحمدلة .

(٢) فائدة (ويؤمنون به) — مع علمنا بأن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون — إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه ، كما وصف الأنبياء في غير موضع بالصلاح لذلك ، وكما عقب أعمال الخير بقوله (ثم كان من الذين آمنوا) فأبان بذلك فضل الإيمان . (ويستغفرون للذين آمنوا) قد روى التناسب في قوله (ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل (ويؤمنون به ويستغفرون) لمن في مثل حالهم . وفيه دليل على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شىء إلى النصيحة والشفقة وإن تباعدت الأجناس والأماكن .

(٣) أى يقولون (ربنا) وهذا المحذوف حال .

(٤) الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شىء في المعنى . إذ الأصل وسع كل شىء رحمتك وعلمك . ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجنا منصوبين على التمييز مبالغة في وصفه بالرحمة والعلم .

(٥) أى للذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم .

(٦) أى طريق الهدى الذى دعوت إليه .

(٧) (من) في موضع نصب عطف على (هم) في (وأدخلهم) أو في (وعدتهم) والمعنى (وعدتهم و) وعدت (من صلح من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم) أى الملك الذى لا يغلب . وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا خاليا عن الحكمة . وموجب حكمتك أن تفى بوعدك .

وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ  
 هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقَّتْ اللَّهُ  
 أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿٤﴾

(١) أى جزاء السيئات وهو عذاب النار .

(٢) (وذلك) أى رفع العذاب (هو الفوز العظيم) .

(٣) (ينادون) أى يوم القيامة إذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار :  
 (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم . فاستغنى  
 بذكرها مرة ، والمقت أشد البغض . وانتصاب (إذ تدعون إلى الإيمان) بالمقت الأول  
 عند الزمخشري . والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة : كان الله يمقت أنفسكم الأمانة بالسوء  
 والكفر — حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر —  
 أشد مما تمتقونهن اليوم وأتم في النار إذا وقعت فيها باتباعكم هواهن . وقيل : معناه (لمقت الله)  
 إياكم الآن (أكبر) من مقت بعضكم لبعض كقوله (تم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويبلغ  
 بعضكم بعضاً) . و(إذ تدعون) تعليل . وقال جامع العلوم وغيره (إذ) منصوب بفعل مضمّر  
 دلّ عليه (لمقت الله) . أى يمقتهم الله حين دعوا إلى الإيمان فكفروا . ولا ينتصب بالمقت  
 الأول لأن قوله (لمقت الله) مبتدأ وهو مصدر وخبره (أكبر من مقتكم أنفسكم) فلا يعمل  
 في (إذ تدعون) لأن المصدر إذا أخبر عنه لم يميز أن يتعلّق به شيء يكون في صلته لأن الإخبار  
 عنه يؤذن بتامه وما يتعلّق به يؤذن بنقصانه ، ولا بالثاني لاختلاف الزمانين . وهذا لأنهم  
 مقتوا أنفسهم في النار وقد دعوا إلى الإيمان في الدنيا .

(٤) فتصرون على الكفر .

قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنَا آتَيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا آتَيْنَا فَاَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى  
 خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ  
 يُشْرِكُ بِهِ تُوْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ

(١١) (آمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أى إمامتين وإحياءتين أو موتيتين وحياتين . وأراد بالإمامتين خلقهم أمواتا أولا وإمامتهم عند انقضاء آجالهم . وصح أن يسمي خلقهم أمواتا إمامة كما صح أن يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل . وليس ثمة نقل من كبر إلى صغر ، ولا من صغر إلى كبر . والسبب فيه أن الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد . فإذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر . فجعل صرفه عنه كنقله منه . وبالإحياءتين الإحياءة الأولى في الدنيا والإحياءة الثانية البعث . ويدل عليه قوله (وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) . وقيل الموتة الأولى في الدنيا والثانية في القبر بعد الإحياء للسؤال . والإحياء الأول لإحيائه في القبر بعد موته للسؤال والثاني للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) لما رأوا الإمامة والإحياء قد تكرر عليهم علموا أن الله قادر على الإعادة كما هو قادر على الإنشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل إلى خروج) من النار — أى إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء لتخلص — (من سبيل) قط ، أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه ؟ وهذا كلام من غلب عليه اليأس وإنما يقولون ذلك تحيرا . ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك . وهو قوله (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا) أى ذلكم الذى أتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به .

(١٢) (فالْحُكْمُ لِلَّهِ) — حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (العلوي) شأنه فلا يرتد قضاؤه ، (الكبير) العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه . وقيل كأن الحرورية أخذوا قولهم "لا حكم إلا لله" من هذا . وقال قتادة : لما خرج أهل حروراء قال على رضى الله عنه : من هؤلاء ؟ قيل المحكون . أى يقولون لا حكم إلا لله . فقال على رضى الله عنه : "كلمة حق أريد بها باطل" .

(٣) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها .



وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿٣﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴿٤﴾ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٥﴾

(١) وبالتخفيف مكي وبصرى .

(٢) مطرا لأنه سبب الرزق .

(٣) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله إلا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله . فإن المعاند لا يتذكر ولا يتعظ . ثم قال للذين ( فادعوا الله ) فاعبدوه ( مخلصين له الدين ) من الشرك ( ولو كره الكافرون ) وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم .

(٤) ثلاثة أخبار لقوله ( هو ) مرتبة على قوله ( الذي يريكم ) . أو أخبار مبتدأ محذوف . ومعنى ( رفيع الدرجات ) رافع السموات بعضها فوق بعض ، أو رافع درجات عبادته في الدنيا بالمرتلة ، أو رافع منازلهم في الجنة . و ( ذو العرش ) مالك عرشه الذي فوق السموات . خلقه مطافا لللائكة إظهاراً لعظمته مع استغنائه في مملكته . و ( الروح ) جبريل عليه السلام أو الوحي الذي تحيا به القلوب . ( يلقي الروح من ) أجل ( أمره ) أو بأمره ( على من يشاء من عبادته لينذر ) أي الله أو الملقى عليه وهو النبي عليه السلام . ويدل عليه قراءة يعقوب ( لتنذر يوم التلاق ) يوم القيامة لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض والأولون والآخرون . ( التلاق ) مكي ويعقوب . ( يوم هم بارزون ) ظاهرون لا يستترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء ( لا يخفى على الله منهم شيء ) أي من أعمالهم وأحوالهم .

(٥) أي يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه . ثم يجيب نفسه بقوله ( لله الواحد القهار ) أي الذي قهر الخلق بالموت . ويتصعب ( اليوم ) بمدلول ( لمن ) أي ( لمن ) ثبت ( الملك ) في هذا اليوم . وقيل ينادى مناد فيقول ( لمن الملك اليوم ) ؟ فيجيبه أهل المحشر ( لله الواحد القهار ) .

(١) الْيَوْمَ مُجْزَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١﴾  
 وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَتِّمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ  
 حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿٢﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٣﴾

(١) لما قُدر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي أن كل نفس تجزي  
 (بما) عملت في الدنيا من خير وشر وأن الظلم مأمون منه لأنه ليس بظلام للعبيد ،  
 وأن الحساب لا يبطئ لأنه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد  
 وهو أسرع الحاسبين .

(٢) (الآزفة) القيامة سميت بها لأزوفها ، أي لقربها . ويبدل من يوم الآزفة ( إذ القلوب  
 لدى الحناجر ) أي التراقي ، يعني ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا  
 ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا أو يتروحو .

(٣) ممسكين بحناجرهم . من كظم القربة شد رأسها . وهو حال من القلوب محمول على أصحابها .  
 أو إمتا جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء .

(٤) ( ما لد ) كافرين ( من ) محب مشفق ( ولا شفيع يطاع ) أي يشفع . وهو مجاز عن الطاعة  
 لأن الطاعة حقيقة لا تكون إلا لمن فوقك . والمراد نفي الشفاعة والطاعة كما في قوله • ولا ترى  
 الضب بها ينحجر • يريد به نفي الضب وانجحاره ، وإن احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون  
 الشفاعة . فعن الحسن " والله ما يكون لهم شفيع البتة " .

(٥) ( يعلم خائنة الأعين ) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة . والمراد استراق النظر  
 إلى ما لا يحل ( وما تخفي الصدور ) وما تسره من أمانة وخيانة . وقيل هو أن ينظر إلى أجنبية  
 بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه في جمالها ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرتة والله يعلم ذلك كله .  
 و ( يعلم خائنة الأعين ) خبر من أخبار ( هو ) في قوله ( هو الذي يريكم آياته ) مثل ( يلقى الروح ) .  
 ولكن ( يلقى الروح ) قد علل بقوله ( لينذر يوم التلاق ) . ثم استطرذ ذكر أحوال يوم التلاق إلى  
 قوله ( ولا شفيع يطاع ) فبعد لذلك عن أخواته .

وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ  
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢﴾ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
 الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ  
 اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ  
 رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾

(١) أى والذى هذه صفاته لا يحكم إلا بالعدل . وألهم لا يقضون شىء . وهذا تهكم بهم  
 لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى . ( تدعون ) نافع .

(٢) تقرير لقوله ( يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ) ووعد لهم بأنه يسمع ما يقولون  
 ويصير ما يعملون وأنه يعاقبهم عليه ، وتعرض بما يدعون من دونه وأنها لا تسمع  
 ولا تبصر .

(٣) أى آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم .

(٤) (هم) فصل ، وحقه أن يقع بين معرفتين إلا أن (أشد منهم) ضارع المعرفة فى أنه  
 لا تدخله الألف واللام فأجرى مجراه . (منكم) شامى . (وآثارا فى الأرض) أى حصونا وقصورا  
 (فأخذهم الله بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شىء  
 يقيمهم من عذاب الله .

(٥) أى الأخذ (ب) سبب (أنهم) (كانت تأتيمهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه  
 قوى) قادر على كل شىء (شديد العقاب) إذا عاقب .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠١﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
 وَهٰمٰنَ وَقٰرُونَ فَقَالُوا سٰحِرٌ كَذٰبٌ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ  
 رَبِّنَا قَالُوا أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ  
 الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُوْنِي اُقْتُلُوْا مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ  
 رَبَّهُ ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِيْنَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿١٠٤﴾

(١١) (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (إلى فرعون  
 وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب) فسّموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم)  
 بالنبوة (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أي أعيّدوا عليهم القتل كالذي كان أولا  
 (واستحيوا نساءهم) للخدمة. (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) ضياع. يعني أنهم باسروا  
 قتلهم أولا فما أغنى عنهم، ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه. فما يغني عنهم هذا القتل الثاني.  
 وكان فرعون قد كلف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بأنه قد وقع  
 أعاده عليهم غيظا وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم أن  
 كيده ضائع في الكرّتين جميعا.

(٢) (وقال فرعون) لملئه (ذروني أقتل موسى). كان إذا هم بقتله كقوله بقولهم ليس  
 بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وما هو إلا ساحر وإذا قتله أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا  
 أنك عجزت عن معارضته بالحق. والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات  
 وما هو بسحر، ولكن كان فيه خبّ وكان قتالا سقا كالدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل  
 من أحس بأنه هو الذي يهدم ملكه؟ ولكن كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك.  
 وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه. وكان قوله (ذروني  
 أقتل موسى) تويها على قومه وإيها. أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما في نفسه  
 من هول الفرع. (إني أخاف) إن لم أقتله (أن يتدل دينكم) أن يغير ما أتم عليه. وكانوا  
 يعبدونه ويعبدون الأصنام (أو أن يظهر) موسى (في الأرض الفساد) بضم الياء ونصب

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ  
 الْحِسَابِ <sup>(١)</sup> وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ <sup>(٢)</sup>  
 أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ <sup>(٣)</sup>

الدال مدني وبصري وحفص . وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال . والأول أولى لموافقة (بيدل) .  
 والفساد في الأرض القتال والتهايج الذي يذهب معه الأمن وتتعلّط المزارع والمكاسب  
 والمعاش ويهلك الناس قتلا وضياعا . كأنه قال (إني أخاف) أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم  
 إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه . وقرأ غير أهل الكوفة (وأن) .  
 ومعناه (إني أخاف) فساد دينكم ودنياكم معا .

<sup>(١)</sup> (وقال موسى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (إني عذت بربي  
 وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) . وفي قوله (وربكم) بعث لهم على أن يقتدوا  
 به ، فيعودوا بالله عياده ، ويمتصموا بالتوكل عليه اعتصامه . وقال (من كل متكبر) لتشمل  
 استعاضته فرعون وغيره من الجبابرة ، وليكون على طريقة التعريض ، فيكون أبلغ . وأراد  
 بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق . وهو أقبح استكبار وأدل على دناءة صاحبه وعلى فرط  
 ظلمه . وقال (لا يؤمن بيوم الحساب) لأنه إذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء  
 وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب الفسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة  
 إلا ارتكبها . وعذت ولذت أخوان . و(عت) بالإدغام أبو عمرو وحزمة وعلى .

<sup>(٢)</sup> قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا . و(من آل فرعون) صفة لرجل .  
 وقيل كان إسرائيليا . و(من آل فرعون) صلة ليكنتم . أي يكتُم إيمانه من آل فرعون . واسمه  
 سمعان أو حبيب أو خربيل أو حزيبيل . والظاهر الأول .

<sup>(٣)</sup> (أقتلون رجلا) ل (أن يقول) . وهذا إنكار منه عظيم . كأنه قيل : أترتكبون الفعل  
 الشنعاء التي هي قتل نفس محترمة وما لكم علة في ارتكابها إلا كلمة الحق وهي قوله (ربّي الله) وهو  
 ربكم أيضا لا ربه وحده (وقد جاءكم) الجملة حال (البيّنات من ربكم) . يعني أنه لم يحضر لتصحیح  
 قوله بيّنّة واحدة ولكن بيّنات من عند من نسب إليه الربوبية . وهو استدراج لهم إلى  
 الاعتراف به .

وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي  
يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢﴾ يَنْقَوْمَ لَكُمْ الْمَلِكُ  
الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ  
فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٤﴾

(١) احتج عليهم بطريق التقسيم فإنه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا . فإن (يك) كاذبا فعليه) وبال (كذبه) ولا يتخطاه (وإن يك صادقا يصيبكم بعض الذي يعدكم) من العذاب . ولم يقل كل الذي يعدكم مع أنه وعد من نبي صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الإنصاف . بخفاء بما هو أقرب إلى تسليمهم له . وليس فيه نفي إصابة الكل . فكأنه قال لهم أقل ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل . وفي ذلك هلاككم . وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة . وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا . وتفسير البعض بالكل مزيف .

(٢) (مسرف) مجاوز للحد (كذاب) في ادعائه . وهذا أيضا من باب المجاملة . والمعنى أنه إن كان مسرفا كذبا خذله الله وأهلكه فتتخاضون منه . أو لو كان مسرفا كذبا لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات . وقيل أوهم أنه غنى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون .

(٣) (ظاهرين) عاين— وهو حال من (كم) في (لكم)— (في الأرض) في أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) ؟ يعني أت لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله أي عذابه ، فإنه لا طاقة لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد . وقال (ينصرنا) و(جاءنا) لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه .

(٤) أي ما أشير عليكم برأى إلا بما أرى من قتله . يعني لا أستصوب إلا قتله . وهذا الذي تقولونه غير صواب (وما أهداكم) بهذا الرأي (إلا سبيل الرشاد) طريق الصواب والصلاح . أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أذخر منه شيئا ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر . يعني أت

وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿١﴾  
 مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا  
 لِلْعِبَادِ ﴿٢﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣﴾ يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ

لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول . وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجدد . ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الأمر على الإشارة .

(١) (مثل يوم الأحزاب) أى مثل أيامهم . لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوله (قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) ، ولم يلتبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار ، اقتصر على الواحد من الجمع . ودأب هؤلاء دءوهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي ، وكون ذلك دأبا دائما دائما منهم لا يفترون عنه . ولا بد من حذف مضاف أى (مثل) جزاء دأبهم . وانتصاب (مثل) الثانى بأنه عطف بيان لمثل الأول .

(٢) أى وما يريد الله أن يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب ، أو يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب . يعنى أن تدميرهم كان عدلا لأنهم استحقوه بأعمالهم . وهو أبلغ من قوله (وما ربك بظلام للعبيد) حيث جعل المنفى إرادة ظلم منكر . ومن بعد عن إرادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد . وتفسير المعتزلة بأنه لا يريد لهم أن يظلموا ، بعيد . لأن أهل اللغة قالوا إذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلمها لك معناه لا أريد أن أظلمك . وهذا تخويف بعذاب الدنيا . ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد) — أى يوم القيامة . (التنادى) مكى ويعقوب فى الحالين . وإثبات الياء هو الأصل . وحذفها حسن . لأن الكسرة تدل على الياء . وآخر هذه الآى على الدال — وهو ما حكى الله تعالى فى سورة الأعراف (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة . ونادى أصحاب الأعراف) . وقيل ينادى مناد ألا إن فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، ألا إن فلانا شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا .

(٣) منصرفين عن موقف الحساب إلى النار .

مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ <sup>(١)</sup> وَلَقَدْ جَاءَ كُرُ  
 يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَ كُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ <sup>(٢)</sup>  
 قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ <sup>(٣)</sup>  
 مُرْتَابٌ <sup>(٤)</sup> الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبْرًا مَقْتًا عِنْدَ  
 اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ <sup>(٥)</sup>

(١) (مالككم من) عذاب (الله من عاصم) مانع ودافع (ومن يضل الله فما له من هاد)

مرشد .

(٢) هو يوسف بن يعقوب . وقيل يوسف بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب . أقام  
 فيهم نبيا عشرين سنة . وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه . وقيل هو  
 فرعون آخر . وبجهم بأن يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات .

(٣) فشككتكم فيها ولم تزلوا شاكين (حتى إذا هلك قلم لن يبعث الله من بعده رسولا)  
 حكما من عند أنفسكم من غير برهان . أى أقمتم على كفركم وظننتم أنه لا يجتد عليكم إيجاب  
 الحجّة .

(٤) أى مثل هذا الإضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه .

(٥) (الذين يجادلون) — بدل من (من هو مسرف) وجاز إبداله منه وهو جمع لأنه لا يريد  
 مسرفا واحدا بل كل مسرف — (في آيات الله) في دفعها وإبطالها (بغير سلطان) حجّة  
 (أتاهم كبر مقتا) أى عظم بغضا . وفاعل (كبر) ضمير (من هو مسرف) وهو جمع معنى  
 وموحد لفظا . فحمل البدل على معناه . والضمير الراجع إليه على لفظه . ويجوز أن يرفع  
 (الذين) على الابتداء . ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في (كبر)



وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمُنُّ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿١﴾ أَسْبَابَ  
 السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا <sup>(١)</sup> وَكَذَلِكَ زَيْنٌ  
 لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ <sup>(٢)</sup> وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣﴾

تقديره جدال (الذين يجادلون) (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار). (قلب) بالنون أبو عمرو. وإثما وصف القلب بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما. كما تقول سمعت الأذن. وهو كقوله (فإنه أثم قلبه) وإن كان الأثم هو الجملة.

(١) (وقال فرعون) تمويها على قومه أو جهلا منه (ياها مان ابن لي صرحا) أى قصرا—  
 وقيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وإن بعد. ومنه يقال صرح الشئ إذا ظهر—  
 (لعلى)— وبفتح الياء مجازى وشامى وأبو عمرو— (أبلغ الأسباب). ثم أبدل منها تفخيا لشأنها  
 وإبانة أنه يقصد أمرا عظيما: (أسباب السموات) أى طرقها وأبوابها وما يؤدى إليها— وكل  
 ما أذاك إلى شئ فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه— (فاطلع إلى إله موسى) بالنصب حفص على  
 جواب الترتى تشبيها للترتى بالتمنى. وغيره بالرفع عطفا على (أبلغ). والمعنى فأنظر إليه (وإنى  
 لأظنه) أى موسى (كاذبا) فى قوله له إله غيرى.

(٢) ومثل ذلك الترين وذلك الصمد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) المستقيم.  
 وبفتح الصاد كوفي<sup>(\*)</sup> ويعقوب. أى غيره صمدا، أو هو بنفسه صدودا. والمنزى الشيطان  
 بوسوسته كقوله (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل). أو الله تعالى ومثله (زيننا  
 لهم أعمالهم فهم يعمهون).

(٣) خسران وهلاك.

(\*) الذى بغيث النفع: "قرأ الكوفيون بضم الصاد، والباقون بالفتح". والمعروف  
 فى قراءة حفص ضم الصاد. وهو من الكوفيين.

وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومِ أَتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿١١﴾ يَنْقُومِ ءِئِمَّا  
هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿١٢﴾ مَنْ عَمَلَ  
سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمَلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ  
مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٣﴾ وَيَنْقُومِ  
مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿١٤﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ  
بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿١٥﴾

(١١) (أتبعوني) في الحالين مكيّ ويعقوب وسهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو تقبض  
الغنى. وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغنى. أجمل أولاً ثم فسر  
فافتتح بذي الدنيا وتصغير شأنها بقوله (يا قوم إئما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يسير .  
فالإخلاق إليها أصل الشر ومنبع الفتن . وثنى بتعظيم الآخرة وبين أنها هي الوطن والمستقر  
بقوله (وإن الآخرة هي دار القرار) . ثم ذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبت  
عما يتلف ، وينشط لما يزلف ، بقوله (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا  
من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) — (يدخلون)  
مكيّ وبصرى ويزيد وأبو بكر. ثم وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي ثمرته الجنة  
ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار ، بقوله (ويا قوم مالي) — وبفتح الياء مجازي  
وأبو عمرو— (أدعوكم إلى النجاة) أي الجنة (وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله) — هو  
بدل من (تدعونني) الأقول. يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له —  
(وأشرك به ما ليس لي به علم) أي بربوبيته . والمراد بنفى العلم نفي المعلوم كأنه قال (وأشرك به  
ما ليس) بالله ، وما ليس بالله كيف يصح أن يعلم إلهاً ؟ (وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار)  
وهو الله سبحانه وتعالى . وتكرير النداء لزيادة التنبية لهم والإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم  
قومه ، وأنه من آل فرعون . وجيء بالواو في النداء الثالث دون الثاني لأن الثاني داخل على  
كلام هو بيان لأجمل وتفسيره بخلاف الثالث .

لَا جَرْمَ أُمَّكَ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ  
 مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿١﴾ فَسْتَذَكُّونَ مَا أَقُولُ  
 لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ  
 مَا مَكْرُوا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٣﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا  
 غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤﴾

(١) عند البصريين (لا) رد لما دعاه إليه قومه. و (جرم) فعل بمعنى حق. و (أنت) مع ما في حيزه فاعله. أي حق ووجب بطلان دعوته.

(٢) معناه (أنت ما تدعونني إليه ليس له دعوة) إلى نفسه قط. أي من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته. وما تدعون إليه وإلى عبادته لا يدعو هو إلى ذلك ولا يدعى الربوبية. أو معناه ليس له استجابة دعوة (في الدنيا ولا في الآخرة) أو (دعوة) مستجابة. جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كدعوة. أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازي عليه بالجزاء في قولهم "كما تدين تدان". (وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ) وَأَنْ رَجَعْنَا إِلَيْهِ (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ) وَأَنَّ الْمَشْرِكِينَ (هَمْ أَصْحَابُ النَّارِ). فَسْتَذَكُّونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ (أَي مِنَ النَّصِيحَةِ عِنْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ (وَأَفْوِضُ) (وَأَسْلَمُ) (أَمْرِي) — وَبَفَتْحِ الْيَاءِ مَدْنِيَّ وَأَبُو عَمْرٍو — (إِلَى اللَّهِ) لِأَنَّهُمْ تَوَعَّدُوهُ. (إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) بِأَعْمَالِهِمْ وَمَأَلَمِهِمْ.

(٣) (فَوَقَّهَ اللَّهُ) (فَوَقَّاهُ اللَّهُ) شِدَائِدُ مَكْرَهُمْ وَمَا هَمُّوا بِهِ مِنْ إِخْلَاقِ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ بِمَنْ خَالَفَهُمْ. وَقِيلَ إِنَّهُ نَجَّحَ مِنْ عِنْدِهِمْ هَارِبًا إِلَى جَبَلٍ فَبَعَثَ قَرِيبًا مِنْ أَلْفٍ فِي طَلْبِهِ فَمَنْهُمْ مَنْ أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ، وَمَنْ رَجَعَ مِنْهُمْ صَلْبُهُ فِرْعَوْنَ.

(٤) وَتَزَلُّ.

(٥) (النار) بدل من (سوء العذاب) أو خبر مبتدأ محذوف. كأنه قيل ما سوء العذاب؟ فقيل: هو النار. أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها إحراقهم بها — يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم به — (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) أَي فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ يَعْذَّبُونَ بِالنَّارِ.

وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ  
تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ <sup>(١)</sup> قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا  
إِنَّا كُلٌّ فِيهَا <sup>(٢)</sup> إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ <sup>(٣)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ  
فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ <sup>(٤)</sup>  
قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ <sup>(٥)</sup> قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا <sup>(٦)</sup>

وفيا بين ذلك إما أن يعذبوا بجنس آخر، أو ينفس عنهم . ويجوز أن يكون (غدوا وعشيا) عبارة عن الدوام . هذا في الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون) من الإدخال مدني وحزة وعلی وحفص وخلف ويعقوب . وغيرهم (ادخلوا) أى يقال لهم (ادخلوا) يا (آل فرعون أشد العذاب) أى عذاب جهنم . وهذه الآية دليل على عذاب القبر .

(١) (و) اذكر وقت تخاصمهم (في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا) بمعنى الرؤساء (إننا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) تباعا نخدم في جمع خادم (فهل أتم مغنون) دافعون (عنا نصيبا) جزءا (من النار) .  
(٢) التنوين عوض من المضاف إليه . أى (إننا) كلنا (فيها) لا يغنى أحد عن أحد .  
(٣) قضى بينهم بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

(٤) (وقال الذين في النار) للقوم بتعذيب أهلها - وإتما لم يقل لخزنتها لأن في ذكر (جهنم) تهويلا وتفظيلا . ويحتمل أن جهنم هي أبعاد النار قعرا - من قولهم بر جهنم بعيدة القعر - وفيها أعتى الكفار وأطغاهم . فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى؛ فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم - (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) بقدر يوم من الدنيا .

(٥) (قالوا) أى الخزنة توبيخا لهم بعد مدة طويلة (أو لم تك) قصة . وقوله (تأتيكم رسلكم) تفسير للقصة . (بالبينات) بالمعجزات .

(٦) (قالوا) أى الكفار (بلى - قالوا) أى الخزنة تهكما بهم (فادعوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم .

وَمَا دُعُوا الْكٰفِرِيْنَ اِلَّا فِيْ ضَلٰلٍ <sup>(١)</sup> اِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ  
 ءَامَنُوْا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُوْمُ الْاَشْهَادُ <sup>(٢)</sup> يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِيْنَ  
 مَعٰذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعٰنَةُ <sup>(٤)</sup> وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ <sup>(٥)</sup> وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسٰى الْهُدٰى <sup>(٦)</sup>  
 وَاَوْرَثْنَا بَنِيْ اِسْرٰءِيْلَ الْكِتٰبَ <sup>(٧)</sup> هُدٰى وَذِكْرٰى لِاٰوَلِي الْاَلْبٰبِ <sup>(٨)</sup>

(١) بطلان. وهو من قول الله تعالى . ويحتمل أن يكون من كلام الخزنة .

(٢) أى فى الدنيا والآخرة ، يعنى أنه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحقبة والظفر على مخالفهم  
 وإن غلبوا فى الدنيا فى بعض الأحيان امتحانا من الله والعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من  
 أعدائهم ولو بعد حين . و(يوم) نصب محمول على موضع الجاز والمجور كما تقول جئتك فى أمس  
 واليوم . و(الأشهاد) جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الأنبياء والحفظة فالأنبياء يشهدون  
 عند رب العزة على الكفرة بالكذب ، والحفظة يشهدون على بنى آدم بما عملوا من الأعمال .  
 (تقوم) بالتاء الرازى عن هشام .

(٣) هذا بدل من (يوم يقوم) . أى لا يقبل عذرهم . (لا ينفع) كوفى ونافع .

(٤) البعد من رحمة الله .

(٥) أى (سوء) دار الآخرة وهو عذابها .

(٦) يريد به جميع ما أتى به فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرايع .

(٧) (وأورثنا بنى إسرائيل) التوراة والإنجيل والزبور . لأن الكتاب جنس ، أى تركنا  
 (الكتاب) من بعدها إلى هذا إرشادا وتذكرة . وانتصباهما على المفعول له ، أو على الحال .

(٨) لذوى العقول .

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ <sup>(١)</sup> وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ <sup>(٢)</sup> وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ <sup>(٣)</sup> إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَغَيِّرُ سُلْطَنًا أَنَّهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>

(١) (فاصبر) على ما يجزئك قومك من الغصص (إت) ما سبق به وعدي من نصرتك وإعلاء كلمتك (حق) .

(٢) أى لذنب أمتك .

(٣) أى دم على عبادة ربك والثناء عليه . وقيل هما صلاتا العصر والضحى . وقيل قل سبحان الله وبجمده .

(٤) (أناهم) لا وقف عليه لأت خبر إت (إن في صدورهم إلا كبر) تعظم . وهو إرادة التقدم والرياسة ، وألا يكون أحد فوقهم . فلهذا عادوك ودفنوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة . أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا . ويدل عليه قوله (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) . أو إرادة دفع الآيات بالجدل .

(٥) بالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق إرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات .

(٦) فالتجى إليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (إنه هو السميع) لما تقول ويقولون . (البصير) بما تعمل ويعملون . فهو ناصرهم وعاصمك من شرهم .

(٧) لما كانت مجادلتهم في آيات الله مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها ، حجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقترين بأن الله خلقها فإت من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانتة أقدر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لأنهم لا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 وَلَا الْمَسِيءُ قَلِيلًا ۗ مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ  
 فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي  
 أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ  
 دَاخِرِينَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا  
 ﴿٤﴾

(١) (لا) زائدة .

(٢) تتعظون . بتأين كوفي . وبياء وتاء غيرهم . و ( قليلا ) صفة مصدر محذوف .  
 أى تذكرا قليلا يتذكرون . و ( ما ) صلة زائدة .

(٣) لا بد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لأنه لا بد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء  
 خاصة .

(٤) لا يصدقون بها .

(٥) اعبدوني أئيبكم . فالدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن . ويدل عليه قوله  
 ( إن الذين يستكبرون عن عبادتي ) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة . وقرأ هذه  
 الآية صلى الله عليه وسلم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "وحدوني أغفر لكم" وهذا تفسير  
 للدعاء بالعبادة . ثم للعبادة بالتوحيد . وقيل "سلوني أعطكم" .

(٦) ( سيدخلون ) مكى وأبو عمرو ( داخرين ) صاغرین .

(٧) هو من الإسناد المجازى أى مبصرا فيه لأن الإبصار فى الحقيقة لأهل النهار . وقرن  
 الليل بالمفعول له والنهار بالحال . ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما ، رعاية لحق المقابلة ، لأنهما  
 متقابلان معنى . لأن كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ، ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فانت  
 الفصاحة التى فى الإسناد المجازى ولو قيل سا كنا لم تتميز الحقيقة من المجاز إذ الليل يوصف  
 بالسكون على الحقيقة . ألا ترى إلى قولهم "ليل ساج" أى ساكن لا ریح فيه .

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ <sup>(١)</sup>  
 ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ <sup>(٢)</sup>  
 كَذَٰلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ <sup>(٣)</sup> اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ  
 لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ  
 الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ <sup>(٤)</sup> هُوَ الْحَيُّ  
 لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ <sup>(٥)</sup>

(١) ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لأن المراد تنكير الفضل ، وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل . وذلك إنما يكون بالإضافة .

(٢) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لأن في هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ( إن الإنسان لكفور ) وقوله ( إن الإنسان لظلوم كفار ) .

(٣) ( ذلكم ) الذي خلق لكم الليل والنهار ( الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو ) أخبار مترادفة . أى هو الجامع لهذه الأوصاف من الربوبية والإلهية وخالق كل شيء والوحدانية ( فأنى تؤفكون ) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان ؟

(٤) أى كل من جحد آيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق أفك كما أفكوا .

(٥) ( جعل لكم الأرض قرارا ) مستقرا ( والسماء بناء ) سقفا فوقكم ( وصوّركم فأحسن صوركم ) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الإنسان . وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم ( ورزقكم من الطيبات ) اللذيذات .

(٦) ( فادعوه ) فاعبدوه ( مخلصين له الدين ) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين ( الحمد لله رب العالمين ) . وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين .



قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ  
 مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ  
 ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا (٢) ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا  
 سُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى مِنْ قَبْلِ (٣) وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ  
 تَعْقِلُونَ (٤) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
 فَيَكُونُ (٥) أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ (٦)

(١) لما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الأوثان نزل ( قل إنني نهيت أن أعبد  
الذين تدعون من دون الله ) .

(٢) هي القرآن . وقيل العقل والوحي .

(٣) ( وأمرت أن ) أستقيم وأنقاد ( لرب العالمين ) .

(٤) ( هو الذي خلقكم ) أى أصلكم ( من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم  
طفلا ) اقتصر على الواحد لأن المراد بيان الجنس .

(٥) ( ثم لتبلغوا أشدكم ) متعلق بمحذوف تقديره ( ثم ) بيبقيكم ( لتبلغوا ) . وكذلك ( ثم لتكونوا  
سيوخا ) . وبكسر الشين مكى وحمزة وعلى وحماد ويحيى والأعشى .

(٦) أى من قبل بلوغ الأشد أو من قبل الشيخوخة

(٧) معناه ( و ) يفعل ذلك ( لتبلغوا أجلا مسمى ) وهو وقت الموت أو يوم القيامة  
( ولعلكم تعلقون ) ما فى ذلك من العبر والمجج .

(٨) أى فإتسا يكونه سريعا من غير كلفة .

(٩) ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلاثة مواضع فجاز أن يكون فى ثلاثة أقوام أو ثلاثة  
أصناف أولئك .

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾  
 إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ <sup>(١)</sup> وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٢﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ  
 يُسْجَرُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٤﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا  
 عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٥﴾

(١) (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف يعلمون) إذ الاغلال في أعناقهم). إذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال لقوله (فسوف يعلمون) وهذا لأن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد. والمعنى على الاستقبال .

(٢) (والسلاسل) عطف على (الأغلال) . والخبر (في أعناقهم) . والمعنى (إذ الأغلال) والسلاسل في أعناقهم (يسحبون في الحميم) يجرّون في الماء الحار .

(٣) من يبيح التنوير إذا ملأه بالوقود. ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم .

(٤) أي تقول لهم الخزنة (أينما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الأصنام التي تعبدونها

(٥) (قالوا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بل لم تكن ندعو من قبل شيئا) أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شبيها وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت أن فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيرا .

(٦) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضالهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا . أو كما أضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين .

ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ  
 تَمْرَحُونَ ﴿١﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢﴾  
 فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِينَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيْنَاكَ  
 فَأَلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ  
 وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٤﴾

(١) (ذلكم) العذاب الذي نزل بكم (بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم  
 تمرحون) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الأوثان .  
 فيقال لهم (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم — قال الله تعالى (لها سبعة أبواب لكل  
 باب منهم جزء مقسوم) — (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مَثْوًى المتكبرين) عن الحق ،  
 جهنم .

(٢) (فاصبر) يا محمد (إن وعد الله) بإهلاك الكفار (حق) كائن .

(٣) أصله فإن ترك . و (ما) مزيدة لتوكيد معنى الشرط . ولذلك ألحقت النون بالفعل  
 ألا تترك لا تقول إن تكرمي أكرمك . ولكن إما تكرمي أكرمك .

(٤) هذا الجزء متعلق بتوفيتك . وجزاء (نرينك) محذوف وتقديره (فإما نرينك بعض  
 الذي نعدهم) من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك (أو) إن (تتوفيتك) قبل يوم بدر (فإلينا  
 يرجعون) يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام .

(٥) (ولقد أرسلنا رسلا) إلى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) .  
 قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي : أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس .  
 وعن علي رضي الله عنه " إن الله تعالى بعث نبياً أسود فهو ممن لم تذكر قصته في القرآن " .  
 (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) هذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا . يعني إما قد  
 أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية إلا بإذن الله . فمن أين لي بأن آتى  
 بآية مما تقترحونه إلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها ؟

فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ  
لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٣﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا  
عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٤﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ  
فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ  
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي الْأَرْضِ  
فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ  
فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾

(١) أى يوم القيامة . وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات .

(٢) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا .

(٣) (جعل) خلق (لكم الأنعام) الإبل (لتركبوا منها ومنها تأكلون) أى اتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها. (ولكم فيها منافع) أى الألبان والأوبار (ولتبغوا عليها حاجة في صدوركم) أى لتبغوا عليها ما تحتاجون إليه من الأمور. (وعليها) وعلى الأنعام (وعلى الفلك تحملون) أى على الأنعام وحدها لا تحملون . ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر .

(٤) (تنكرون) أنها من عند الله . و (أى) نصب بتنكرون . وقد جاءت على اللفظة المستفيضة . وقولك فآية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمار غريب . وهى فى أى أغرب لإبهامه .

(٥) (كانوا أكثر منهم) عددا (وأشد قوة) بدنا (وآثارا فى الأرض) قصورا ومصانع (فما أغنى عنهم) — مانافية — (ما كانوا يكسبون) .

(٦) (فرحوا بما عندهم من العلم) يريد علمهم بأموال الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال (يعلمون) ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) . فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات — وهى أبعد شئ من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات — لم يلتفتوا إليها

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿١﴾  
 فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ  
 فِي عِبَادِهِ ۚ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٢﴾

وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به . أو علم  
 الفلاسفة والدهريين فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم .  
 وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت إليه . فقال نحن قوم مهذبون  
 فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا . أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به  
 كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين مرحين . ويدل عليه قوله  
 (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) . أو الفرح للرسل . أى الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم  
 بالحق وعلموهم سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم ، فرحوا بما أتوا  
 من العلم وشكروا الله عليه وحق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم .

(١) شدة عذابنا .

(٢) أى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم . (سنة الله) — بمنزلة وعد الله ونحوه من  
 المصادر المؤكدة — (التي قد خلت في عباده) أن الإيمان عند نزول العذاب لا ينفع ، وأن العذاب  
 نازل بمكذبي الرسل .

(٣) (هنالك) مكان مستعار للزمان . و (الكافرون) خامرون في كل أوان ولكن يتبين  
 خسرتهم إذا عاينوا العذاب .

وفائدة ترادف الفاءات في هذه الآيات أن (فما أغنى عنهم) نتيجة قوله  
 (كانوا أكثر منهم) ؛ و (فلما جاءتهم رسولهم) كالبيان والتفسير لقوله (فما أغنى عنهم)  
 كقولك رزق زيد المال فمغ المعروف فلم يحسن إلى الفقراء ؛ و (فلما رأوا بأسنا) تابع لقوله  
 (فلما جاءتهم) كأنه قال فكفروا (فلما رأوا بأسنا) آمنوا . وكذلك (فلم يك ينفعهم إيمانهم)  
 تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله . والله أعلم .

## سورة فصلت مكية

وهي ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَقُرْءَانٌ أَنَا  
عَرَبِيٌّ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾

(١) (حم) إن جعلته اسما للسورة كان مبتدأ و (تنزيل) خبره . وإن جعلته تعديدا  
للحروف كان (تنزيل) خبرا لمبتدأ محذوف . و (كتاب) بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر . أو خبر  
مبتدأ محذوف . أو (تنزيل) مبتدأ (من الرحمن الرحيم) صفته (كتاب) خبره .

(٢) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد  
وغير ذلك .

(٣) نصب على الاختصاص والمدح . أي أريد بهذا الكتاب المفصل (قرآنا) من صفته  
كيت وكيت . أو على الحال . أي (فصلت آياته) في حال كونه (قرآنا عربيا) .

(٤) أي (لقوم) عرب (يعلمون) ما نزل عليهم من الآيات المفصلة الميينة بلسانهم العربي .  
و (لقوم) يتعلق بتنزيل أو بفصلت . أي (تنزيل) من الله لأجلهم أو (فصلت آياته) لهم .  
والأظهر أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده . أي (قرآنا عربيا) كائنا (لقوم) عرب  
(بشيرا ونذيرا) صفتان لقرآنا .

(٥) أي لا يقبلون من قولك تشتمعت إلى فلان فلم يسمع قولي . ولقد سمعه ولكنه لم يسمع  
يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه .

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا  
 وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ  
 يُوحَىٰ إِلَىٰ أُمَّةٍ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ﴿٤﴾  
 لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٥﴾

(١) في أكِنَّةٍ أغطية جمع كنان وهو الغطاء (مما ندعوننا إليه) من التوحيد (وفي آذاننا  
 وقر) ثقل يمنع من استماع قولك (ومن بيننا وبينك حجاب) ستر. وهذه تمثيلات لنبؤ قلوبهم  
 عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ، وحق أسماعهم له كأن  
 بها صمما عنه ، ولتباعده المذهبين والدينين كأت بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى. وفائدة  
 زيادة (من) أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فإسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة  
 بالحجاب لافراغ فيها . ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط  
 الجهتين .

(٢) (فاعمل) على دينك (إننا عاملون) على ديننا. أو (فاعمل) في إبطال أمرنا (إننا عاملون)  
 في إبطال أمرك .

(٣) هذا جواب لقولهم (قلوبنا في أكِنَّةٍ). ووجهه أنه قال لهم إنى لست بملك وإنما  
 أنا بشر مثلكم . وقد أوحى إلى دونكم . فصحت نبوتى بالوحى إلى وأنا بشر . وإذا صحّت  
 نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى إلى أن إلهكم إله واحد .

(٤) (فاستقيموا إليه) فاستووا إليه بالتحديد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا  
 ولا ملتفتين إلى ما يسؤل لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء (واستغفروه) من الشرك .

(٥) (لا يؤتون الزكاة) لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها . أو لا يفعلون ما يكونون  
 به أزكياء وهو الإيمان (وهم بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (هم كافرون) وإنما جعل منع  
 الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه . فإذا بذله

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ <sup>(١)</sup>  
 قُلْ إِنِّي كُنتُ مِنَ الْمَكْفُورِينَ <sup>(٢)</sup> بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ  
 لَهُ إِندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ  
 مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا <sup>(٥)</sup> فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ <sup>(٦)</sup>

في سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوح طويته. وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بأبهة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم. وما ارتدت بنو حنيفة إلا بمنع الزكاة . وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها .

<sup>(١)</sup> (غير) مقطوع. قيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون .

<sup>(٢)</sup> (خلق الأرض في يومين) الأحد والاثنين ، تعليماً للآفة . ولو أراد أن ينقها في لحظة لفعل .

<sup>(٣)</sup> شركاء وأشباهها .

<sup>(٤)</sup> (ذلك) الذي خلق ما سبق رب العالمين خالق جميع الموجودات وسيدها ومرتبها .

<sup>(٥)</sup> (وجعل فيها) في الأرض (رواسي) جبالات ثوابت (من فوقها). وإنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها، وليبصر أن الأرض والجبال أنقال على أنقال كلها مفتقرة إلى ممسك وهو الله عز وجل . ( وبارك ) بالماء والزرع والشجر والثمار ( فيها ) في الأرض . وقيل ( وبارك فيها ) وأكثر خيرها .

<sup>(٦)</sup> أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم . وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه (وقسم فيها أقواتها) .

<sup>(٧)</sup> في تمة أربعة أيام. يريد بالتمة اليومين تقول سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة وإلى الكوفة في خمسة عشر . أى تمة خمسة عشر . ولا بد من هذا التقدير لأنه لو أجزى على الظاهر لكانت ثمانية أيام. لأنه قال (خلق الأرض في يومين) ثم قال (وقدر فيها أقواتها



سَوَاءٌ لِّلسَّالِئِلِينَ ﴿١﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ ﴿٢﴾  
لَهَا وَلِلْأَرْضِ آمْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٣﴾

في أربعة أيام) ثم قال (ففضاهن سبع سموات في يومين) فيكون خلاف قوله (في ستة أيام) في موضع آخر. وفي الحديث إن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والعمران والحراب. فتلك أربعة أيام. وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من يوم الجمعة. قيل هي الساعة التي تقوم فيها القيامة.

(١) (سواء) يعقوب صفة للأيام. أي في أربعة أيام مستويات تامات. (سواء) بالرفع يزيد أي هي سواء. غيرهما (سواء) على المصدر أي استوت (سواء) أي استواء. أو على الحال.

(٢) متعلق بقدر. أي قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها والمحتاجين إليها لأن كلاً يطلب القوت ويسأله. أو بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها؟

(٣) هو مجاز عن إيجاد الله تعالى السماء على ما أراد. تقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى إلى عمل كذا يريدون أنه أكمل الأول وابتدأ الثاني. ويفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض. وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما. وعنه أنه قال "أول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر إليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زيد فقام فوق الماء. بفعل الزبد أرضاً، والدخان سماء". ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالها أنه أراد أن يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كلاماً ور المطيع إذا ورد عليه فعل الأمر المطاع. وإنما ذكر الأرض مع السماء في الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل

فَقَضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا  
 وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ  
 الْعَلِيمِ ﴿١١﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً

السماء بيومين ، لأنه قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال  
 (والأرض بعد ذلك دحاها) . فالمعنى اثنا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف :  
 اتى يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك ، وأتى باسماء مقببة سقفا لهم . ومعنى الاتيان الحصول  
 والوقوع كما تقول : أتى عمله مرضيا . وقوله ( طوعا أو كرها ) لبيان تأثير قدرته فيهما ، وأت  
 امتناعهما من تأثير قدرته محال . كما تقول لمن تحت يدك لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولنفعله  
 طوعا أو كرها . وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكهنتين . وإنما لم يقل طائعتين  
 على اللفظ أو طائعات على المعنى لانتها سماء وأرضون ، لأنهن لما جعلان مخاطبات  
 ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل ( طائعتين ) في موضع طائعات كقوله ( ساجدين ) .

﴿١١﴾ (فقضاهن) فأحكم خلقهن . قال \* وعليهما مسرودتان قضاهما \* والضمير يرجع  
 إلى السماء لأن السماء للجنس . ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله ( سبع سموات ) .  
 والفرق بين النصبين في ( سبع سموات ) أن الأول على الحال ، والثاني على التمييز . ( في يومين ) في  
 يوم الخميس والجمعة . ( وأوحى في كل سماء أمرها ) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة  
 والزيان وغير ذلك ( وزينا السماء الدنيا ) القريبة من الأرض ( بمصنوع ) بكواكب  
 ( و ) حفظناها من المسترقة بالكواكب ( حفظا ذلك تقدير العزيز ) الغالب غير المغلوب  
 ( العليم ) بمواقع الأمور .

﴿٢﴾ ( فإن أعرضوا ) عن الإيمان بعد هذا البيان ( فقل أنذرتكم ) خوفاكم ( صاعقة )

عذابا شديدا الوقع كأنه صاعقة . وأصلها رعد معه نار .

مَثَلِ صَاعِقَةٍ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ  
 أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ  
 كَافِرُونَ ﴿٢﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً

(١) أى أتوهم من كل جانب وأعملوا فيهم كل حيلة. فلم يروا منهم إلا الإعراض. وعن الحسن أندروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة. (أن بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه (لا تعبدوا إلا الله قالوا) أى القوم (لو شاء ربنا) لإرسال الرسل - فمفعول شاء محذوف - (لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون). معناه فإذا أتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به. وقوله (أرسلتم به) ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل. وفيه تهكم كما قال فرعون (إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون). وقولهم (فإنا بما أرسلتم به كافرون) خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم. روى أن قريشا بعثوا عتبة بن ربيعة وكان أحسنهم حديثا ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر ما يريد. فأتاه وهو فى الحطيم فلم يسأل شيئا إلا أجابه. ثم قرأ عليه السلام السورة إلى قوله (مثل صاعقة عاد وثمود). فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثن مخافة أن يصب عليهم العذاب. فأخبرهم به. وقال: لقد عرفت السحر والشعر. فوالله ما هو بساحر ولا بشاعر. فقالوا لقد صبات. أما فهمت منه كلمة؟ فقال لا ولم أهد إلى جوابه. فقال عثمان بن مظعون: ذلك والله لتعلموا أنه من رب العالمين. ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق) أى تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم. وهو القوة وعظم الأجرام. أو استولوا على الأرض بغير استحقاق للولاية.

(٢) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم. وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده.

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِثَائِتِينَ  
يُجْحَدُونَ ﴿٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُنذِرَهُمْ عَذَابَ  
الْأَخْزَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصُرُونَ ﴿٥﴾ وَأَمَّا  
ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ  
الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

(١) أو لم يعلموا علما يقوم مقام العيان (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أوسع  
منهم قدرة . لأنه قادر على كل شيء وهم قادرون على بعض الأشياء بإقداره .

(٢) معطوف على (فاستكبروا) . أي كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما  
يحدد المودع الوديعه .

(٣) عاصفة تصرصر أي تصوت في هبوبها . من الصرير . أو باردة تحرق بشدة بردها .  
تكرير لبناء الصر وهو البرد . قيل إنها الدبور .

(٤) مشثومات عليهم . (نحسات) مكى وبصرى ونافع . ونحس نحسا نقيض سعد سعدا .  
وهو نحس . وأما نحس فإما مخفف نحس ، أو صفة على فعل ، أو وصف بمصدر . وكانت  
من الأربعاء في آخر شؤال إلى الأربعاء . وما عذب قوم إلا في الأربعاء .

(٥) أضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب  
خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيئ . ويدل عليه قوله (ولعذاب الآخرة أخزى)  
وهو من الإسناد المجازي . ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به . فشتان ما بين قوليك  
هو شاعر ، وله شعر شاعر . (وهم لا ينصرون) من الأصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم .

(٦) (ثمود) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء . والخبر  
(فهديناهم) . وبالنصب المفضل بإضمار فعل يفسره (فهديناهم) . أي بينا لهم الرشد (فاستحبوا  
العمى على الهدى) فاختراروا الكفر على الإيمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) داهية العذاب  
(الهون) الهوان — ووصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه — (بما كانوا يكسبون) بكسبهم وهو

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ <sup>(١)</sup> حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ <sup>(٢)</sup>  
 شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ <sup>(٣)</sup>  
 وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا <sup>(٤)</sup> قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ <sup>(٥)</sup>

شركهم ومعاصيهم . وقال الشيخ أبو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بنا .  
 ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة . لأن الهدى  
 المضاف إلى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء . فأما الهدى المضاف  
 إلى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير . وقال صاحب الكشاف فيه "فإن قلت أليس معنى قولك  
 هديته جعلت فيه الهدى ؟ والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها  
 كما تقول ردعته فارتدع . فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة ؟ قلت للدلالة على أنه  
 مكنتهم فأزاح عنهم ولم يبق لهم عذر فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقضيها .  
 وإنما تمحل بهذا لأنه لا يتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لأنه يخالف مذهبه الفاسد .  
 (ونجينا الذين آمنوا) أي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوا يتقون) اختيار  
 العمى على الهدى .

(١) أي الكفار من الأولين والآخرين (تحشر أعداء) نافع ويعقوب .

(٢) يحبس أولهم على آثرهم . أي يستوقف سوابقهم حتى يالحق بهم تواليهم . وهي  
 عبارة عن كثرة أهل النار . وأصله من وزعته أي كففته .

(٣) صاروا بحضرتها . و (ما) مزيدة للتأكيد . ومعنى التأكد أن وقت مجيئهم النار  
 لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها .

(٤) شهادة الجلود بلامسة الحرام . وقيل هي كناية عن الفروج . (وقالوا لجلودهم لم  
 شهدتم علينا) لما تعاضهم من شهادتها عليهم .

(٥) (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) من الحيوان . والمعنى أن نطقنا ليس بعجب  
 من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان .

وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ <sup>(١)</sup> وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ  
 يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ  
 لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ <sup>(٢)</sup> وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ  
 أَرَدْتُمْ أَنْ تَصْبِحُوا مِنْ الْخَاسِرِينَ <sup>(٣)</sup> فَإِنْ يَصْصِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى  
 لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ <sup>(٤)</sup> وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ  
 فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ  
 قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ <sup>(٥)</sup>

(١) وهو قادر على إنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجوعكم إلى جزائه .

(٢) أى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش . وما كان  
استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم  
جاحدين بالبعث والجزاء أصلا .

(٣) ولكنكم إثمًا استترتم لظنكم ( أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ) وهو الخفيات  
من أعمالكم .

(٤) وذلك الظن هو الذى أهللكم . ( وذلكم ) مبتدأ و ( ظنكم ) خبر . و ( الذى ظننتم  
بربكم ) صفة و ( أرداكم ) خبر ثان . أو ( ظنكم ) بدل من ذلكم و ( أرداكم ) الخبر .

(٥) أى فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار .

(٦) وإن يطلبوا الرضا فما هم من المرضيين . أو إن يسألوا العتي - وهى الرجوع لهم إلى  
ما يحبون - جزاء مما هم فيه ، لم يعبوا لم يعطوا العتي ولم يجابوا إليها .

(٧) أى قدرنا لمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيضان أى مثلان . والمقايضة المعاوضة .  
وقيل سلطنا عليهم ( قرناء ) أخذانا من الشياطين - جمع قرين كقوله ( ومن يعش عن ذكر  
الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ) - ( فزيناوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ) أى ما تقدم

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ  
تَغْلِبُونَ ﴿١﴾ فَلَنَنْذِقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي  
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ  
﴿٣﴾ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا  
﴿٥﴾

من أعمالهم وما هم عازمون عليها . أو ( ما بين أيديهم ) من أمر الدنيا واتباع الشهوات  
( وما خلفهم ) من أمر العاقبة وأن لا يبعث ولا يحاسب . ( وحق عليهم القول ) كلمة العذاب  
( في أم ) في جملة أم . ومحله النصب على الحال من الضمير في ( عليهم ) . أي ( حق عليهم  
القول ) كائين ( في ) جملة ( أم قد خلت من قبلهم ) قبل أهل مكة ( من الجن والإنس .  
لأنهم كانوا خاسرين ) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب . والضمير لهم وللأمم .

﴿١﴾ ( لا تسمعوا لهذا القرآن ) إذا قرئ ( والغوا فيه لعلكم تغلبون ) وعارضوه بكلام غير  
مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته . واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته .

﴿٢﴾ يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللائعين والآخرين لهم باللغو خاصة . ولكن يذكر  
الذين كفروا عامة لينطوا تحت ذكركم .

﴿٣﴾ أي ( ولنجزينهم ) أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر . ( ذلك جزاء أعداء الله )  
إشارة إلى الأسوأ . ويجب أن يكون التقدير ( أسوأ ) جزاء ( الذي كانوا يعملون ) حتى تستقيم  
هذه الإشارة . ( النار ) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف .

﴿٤﴾ أي النار في نفسها دار الخلد . كما تقول لك في هذه الدار دار السرور ، وأنت تعني  
الدار بعينها .

﴿٥﴾ أي جوزوا بذلك ( جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ) .

﴿٦﴾ وبسكون الراء ، لثقل الكسرة كما قالوا في نخذنخذ ، مكي وشامي وأبو بكر .  
وبالافتحاس أبو عمرو .

الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿١١﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفَوْا وَلَا  
 تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٢﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
 وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿١٣﴾ نَزَّلْنَا

(١١) أى (أرنا) الشيطانين (الذين أضلانا من الجن والإنس) — لأن الشيطان على ضربين جنى وإنسى. قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن) — (نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) فى النار جزء إضلالهم إيانا .

(١٢) (إن الذين) نطقوا بالتوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته — وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولاً. وعنه أنه تلاها ثم قال ماتقولون فيها؟ قالوا لم يذنبوا. قال حماتم الأمر على أشده. قالوا فما تقول؟ قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان. وعن عمر رضى الله عنه «لم يروغواروغان الثعالب» أى لم ينافقوا. وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل. وعن على رضى الله عنه أدوا الفرائض. وعن الفضيل زهدوا فى الفانية، ورغبوا فى الباقية. وقبل حقيقة الاستقامة القرار بعد الإقرار، لا الفرار بعد الإقرار — (تنزل عليهم الملائكة) عند الموت .

(١٣) (أن) بمعنى أى. أو مخففة من الثقيلة. وأصله بأنه (لاتخافوا) والهاء ضمير الشأن. أى لاتخافوا ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلقتم. فالخوف غم يلحق الإنسان لتوقع المكروه. والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار. والمعنى إن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا. وقال محمد بن على الترمذى (تنزل عليهم) ملائكة الرحمن، عند مفارقة الأرواح الأبدان، (أن لاتخافوا) سلب الإيمان، (ولا تحزنوا) على ما كان من العصيان، (وأبشروا) بدخول الجنان، (التى كنتم توعدون) فى سالف الزمان. (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم، فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحبائهم فى الدارين (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ما تدعون) تمنون (نزلاً) هو رزق التريل وهو الضيف — وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من (ما) .



مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ <sup>(١)</sup> وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا  
 وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ <sup>(٢)</sup> وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي  
 هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ <sup>(٣)</sup>  
 وَمَا يُلَقَّهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ <sup>(٤)</sup>

(١) نعت له .

(٢) (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) إلى عبادته (وعمل صالحاً) خالصاً (وقال إني من المسلمين) تماخراً بالإسلام ومعتقداً له . هو رسول الله دعا إلى التوحيد . أو أصحابه علياً السلام . أو المؤذنون . أو جميع الهداة والدعاة إلى الله .

(٣) يعني أن الحسنه والسيئة متفاوتتان في أنفسهما . نغذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك . كما لو أساء إليك رجل إساءة . فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك . مثل أن يذمك فتمدحه ، أو يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه ( فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ) . فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاقق مثل الولي الحميم مصافاة لك . ثم قال ( وما يلقاها ) أى وما يلقى هذه الخصلة التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان ( إلا الذين صبروا ) إلا أهل الصبر ( وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ) إلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير . وإنما لم يقل فادفع بالتي هي أحسن لأنه على تقدير قائل قال فكيف أصنع ؟ فقيل ( ادفع بالتي هي أحسن ) . وقيل ( لا ) مزيدة للتأكيد . والمعنى لا تستوى الحسنه والسيئة . وكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتي هي حسنة . ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنه ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة . لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ( بالتي هي أحسن ) الصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة . وفسر الحظ بالنواب . وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة . وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدواً مؤذياً للنبي صلى الله عليه وسلم فصار ولياً مصافياً .

وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ <sup>(١)</sup>  
 وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا  
 لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ <sup>(٢)</sup> فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا  
 فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمُونَ <sup>(٣)</sup>

(١) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه بيعته على ما لا ينبغي . وجعل  
 النزغ نازغا كما قيل جدّ جدّه . أو أريد ( وإما ينزغك ) نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله .  
 والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصّيت به من الدفع بالتى هى أحسن ( فاستعذ بالله ) من  
 شره وامض على حملك ولا تطعه ( إنّه هو السميع ) لاستعاذتك ( العليم ) بتزغ الشيطان .

(٢) ( ومن آياته ) الدالّة على وحدانيته ( الليل والنهار ) في تعاقبهما على حدّ معلوم وتناوبهما على  
 قدر مقسوم ( والشمس والقمر ) في اختصاصهما بسير مقدر ونور مقدر ( لا تسجدوا للشمس  
 ولا للقمر ) فلأنهما مخلوقان وإن كثرت منافعهما ( واسجدوا لله الذى خلقهنّ إن كنتم إياه تعبدون ) .  
 الضمير في ( خلقهنّ ) للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر لأنّ حكم جماعة ما لا يعقل حكم  
 الأثني أو الإناث تقول الأفلام بريتها وبريتها . ولعلّ ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر  
 كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنّهم يقصدون بالسجود لها السجود لله تعالى .  
 فنهوا عن هذه الوسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا إن كانوا إياه يعبدون  
 وكانوا موحدين غير مشركين . فإن من عبد مع الله غيره لا يكون عبدا لله .

(٣) ( فالذين عند ربك ) أى الملائكة ( يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون )  
 لا يملّون . والمعنى ( فإن استكبروا ) ولم يمتثلوا أمر وابه وأبوا إلا الوسطة فدعهم وشأنهم  
 فإن الله تعالى لا يعدم عبدا وساجدا بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار  
 عن الأنداد . و ( عند ربك ) عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا ( لا يسأمون ) ،  
 وعند الشافعى رحمه الله عند ( تعبدون ) . والأقول أحوط .

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ  
 وَرَبَّتْ ۖ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ ۖ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ <sup>(١)</sup>  
 إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ  
 أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
 بَصِيرٌ <sup>(٢)</sup> إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ <sup>(٣)</sup>  
 لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ <sup>(٤)</sup>  
<sup>(٥)</sup>

(١) خاشعة) يابسة مغبرة. والخشوع التذلل فاستعير لخال الأرض إذا كانت قحطة لانبات  
 فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت (إن الذي أحيها  
 لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير) فيكون قادرا على البعث ضرورة .

(٢) (إن الذين) يميلون عن الحق في أدانتنا بالطعن — يقال ألمد الحافر ولحد إذا مال عن  
 الاستقامة لغيره في شق . فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة  
 (يلحدون) حمزة — (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف . (أفمن يلقي في النار خير أم من  
 يأتي آمنا يوم القيامة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ما شئتم) هذانهاية في التهديد ومبالغة  
 في الوعيد (إنه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه .

(٣) (إن الذين كفروا) بالقرآن — وهو بدل من (إن الذين يلحدون في آياتنا) لأنهم  
 لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله — (لما جاءهم) حين جاءهم . وخبر (إن) محذوف .  
 أى يعذبون أو هالكون . أو (أولئك ينادون من مكان بعيد) وما بينهما اعتراض .

(٤) أى منبع محيى بحماية الله .

(٥) (لا يأتيه) التبديل أو التناقض (من بين يديه ولا من خلفه) أى بوجه من الوجوه (تنزيل  
 من حكيم حميد) مستحق للحمد .

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ  
 أَلِيمٍ <sup>(١)</sup> وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۗ ءَأَعْجَمِيٌّ  
 وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
 فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ <sup>(٢)</sup>

(١) مايقول لك كفار قومك إلا مثل ماقال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة (إن ربك لذو مغفرة) ورحمة لأتباعه (وذو عقاب أليم) لأعدائهم. ويجوز أن يكون مايقول لك الله إلا مثل ماقال للرسل من قبلك والمقول هو قوله (إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم).

(٢) (ولو جعلناه) أي الذكر (قرآنا أعجميا) أي بلغة العجم. كانوا لتعتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم! فليل في جوابهم لو كان كما يقترحون (لقالوا) تعنتا (لولا نصلت آياته) - أي بينت بلسان العرب حتى نفهمها. (أعجمي وعربي) بهمزيين كوفي غير حفص. والهمزة للإنكار. يعني لأنكروا وقالوا (أقرآن أعجمي) ورسول (عربي) أو مرسل إليه عربي. الباقيون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة. والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب. والعجمي منسوب إلى أمة العجم فصيحاً كان أو غير فصيح. والمعنى إن آيات الله على أي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعتاً لأنهم غير طالبين للحق وإنما يتبعون أهواءهم. وفيه إشارة إلى أنه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلاً لأبي حنيفة رضي الله عنه في جواز الصلاة إذا قرأ بالفارسية.

(٣) أي القرآن (للذين آمنوا) إرشاد إلى الحق (وشفاء لما في الصدور) من الشك. إذ الشك مرض (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) في موضع الجزل لكونه معطوفاً على (للذين آمنوا). أي هو (للذين آمنوا هدى وشفاء) هو ل (الذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) أي صمم. إلا أن فيه عطفاً على عاملين وهو جائز عند الاخفش. أو الرفع وتقديره (والذين لا يؤمنون) هو (في آذانهم وقر) على حذف المبتدأ أو (في آذانهم) منه (وقر وهو) أي القرآن (عليهم عمى) ظلمة وشبهة (أولئك

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ  
 مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١﴾ مَنْ عَمِلَ  
 صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٢﴾  
 إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ  
 مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ﴿١٣﴾

ينادون من مكان بعيد) يعني أنهم اعدم قبولهم وانتفاعهم كأنهم ينادون إلى الإيمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة . وقيل (ينادون) في القيامة (من مكان بعيد) بأفصح الأسماء .

(١١) (فاختلف فيه) — فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل — كما اختلف قومك في ذاك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لقضى بينهم) لأهلكهم إهلاك استئصال . وقيل الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم . (ولولا) ذلك (لقضى بينهم) في الدنيا (ولأنهم) وإت الكفار (لنفى شك منه مرئب) موقع في الريبة . (من عمل صالحا فلنفسه) فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فنفسه ضرر (وما ربك بظلام للعبيد) فيعذب غير المسيء .

(١٢) أى علم قيامها يرد إليه . أى يجب على المسئول أن يقول الله يعلم ذلك .

(١٣) (وما تخرج من ثمرات) — مدنى وشامى وحفص . وغيرهم بغير ألف — (من أكمامها) أوعيتها قبل أن تنشق — جمع كم — (وما تحمل من أنثى) حملها (ولا تضع إلا بعلمه) . أى ما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به . يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والتبجح وغير ذلك .

(١٤) أضافهم إلى نفسه على زعمهم . وبيانه في قوله أين شركائى الذين زعمتم . وفيه

تهمتهم وتقرير .

قَالُوا أَذُنْكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ  
 وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنَ مَحْيَصٍ ۖ <sup>(١)</sup> لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ  
 الشَّرُّ فَيَتَوْسَّ قَنُوطٌ ۖ <sup>(٢)</sup> وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّه لَيَقُولَنَّ  
 هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ <sup>(٣)</sup> لِلْحَسَنَىٰ

(١) (قالوا) أعلمناك. وقيل أخبرناك. وهو الأظهر. إذ الله تعالى كان عالماً بذلك. وإعلام العالم محال. أما الإخبار للعالم بالشيء فيتحقق بماعلم به. إلا أن يكون المعنى إنك علمت من قلوبنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه. (ما منا من شهيد) أى ما منا أحد اليوم يشهد بأن لك شريكاً وما منا إلا من هو موحد لك. أو (ما منا من) أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ. وقيل هو كلام الشركاء. أى (ما منا من شهيد) يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنوا) وأيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب.

(٢) (لا) يمل (الإنسان) الكافر—بدليل قوله (وما أظن الساعة قائمة) — (من دعاء الخير) من طلب السعة فى المال والنعمة. والتقدير من دعائه الخير. فحذف الفاعل وأضيف إلى المفعول. (وإن مسه الشر) الفقر (فيئوس) من الخير (قنوط) من الرحمة. بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير. والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه — وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى (إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون).

(٣) وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض، أو سعة بعد ضيق، قال (هذا لى) أى هذا حق وصل إلى لآتى استوجبه بما عندى من خير وفضل وأعمال بر. أو (هذا لى) لا يزول عني (وما أظن الساعة قائمة) أى ما أظنها تكون قائمة (ولئن رجعت إلى ربى) كما يقول المسلمون (إن لى عنده) عند الله (للحسنى) أى الجنة. أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة، فأنسا أمر الآخرة على أمر الدنيا.

فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١١﴾  
 وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ  
 الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿١٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ  
 اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٣﴾

(١١) فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقنهم من عذاب غليظ شديد لا يفتر عنهم .

(٢) هذا ضرب آخر من طغيان الإنسان. إذا أصابه الله بنعمة أبطرتة النعمة فذسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعد عن ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبر وتعظم. وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لأن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة نفسه . ومنه قول الكتاب . كتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته . فكأنه قال (ونأى) بنفسه . ( وإذا مسه الشرّ ) الضرّ والفقر ( فذودعاء عريض ) كثير . أى أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهاال والتضرع . وقد استعير العرض وهو من صفة الأجرام ، لكثرة الدعاء ودوامه . كما استعير الغلظ لشدّة العذاب . ولا منافاة بين قوله ( فيئوس قنوط ) وبين قوله ( فذودعاء عريض ) لأن الأول في قوم والثانى في قوم . أو قنوط في البرّ وذودعاء عريض في البحر . أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان . أو قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى .

(٣) ( أرايتم ) أخبروني ( إن كان ) القرآن ( من عند الله ثمّ كفرتم به ) ثمّ جحدتم أنه من عند الله ( من أضلّ ) منكم ؟ إلا أنه وضع قوله ( ممن هو في شقاق بعيد ) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم .

سُنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ  
 أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيئَةٍ  
 مِّنَ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَنْفِرُوا بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٍ ﴿٢﴾

(١) (سُنُرِيهِمْ آياتنا في الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا (وفي أنفسهم) فتح مكة (حتى) يتبين لهم أنه الحق (أى القرآن أو الإسلام موضع (بربك) الرفع على أنه فاعل والمفعول محذوف . وقوله (أنه على كل شيء شهيد) بدل منه . تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد . أى أولم تكفهم شهادة ربك على كل شيء . ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شيء شهيد .

(٢) (ألا إنهم في مريئة) شك (من لقاء ربهم ألا أنه بكل شيء محيط) عالم بكل الأشياء وتفصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية . فيجازيهم على كفرهم ومريئتهم في لقاء

• رَبِّهِمْ



## سورة الشورى مكية

وهي ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۞ عَسَقَ ۞ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ  
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۞ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ<sup>(٢)</sup>

(١) فصل (حم) من (عسق) كتابة مخالفا لـ (كهيعص) تليقا بأخواتها، ولأنه آيتان  
 و (كهيعص) آية واحدة .

(٢) أى مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب (يوحى إليك وإلى) الرسل (من قبلك  
 الله) . يعنى أن ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله إليك مثله فى غيرها من  
 السور ، وأوحاه إلى من قبلك يعنى إلى رسله . والمعنى أن الله كرر هذه المعانى فى القرآن وفى  
 جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللفظ العظيم لعباده . وعن ابن عباس رضى الله  
 عنهما ليس من نبي صاحب كتاب إلا أوحى إليه بحم عسق . (يوحى) بفتح الحاء مكى . ورافع  
 اسم (الله) على هذه القراءة ما دل عليه (يوحى) . كأت قائلا قال من الموحى ؟ فقيل (الله العزيز)  
 الغالب بقهره (الحكيم) المصيب فى فعله وقوله . (له ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا وملكاً  
 (وهو العلى) شأنه (العظيم) برهانه . (تكاد السموات) - وبالياء نافع وعلى - (يتفطرن من فوقهن)  
 يتشققن . (ينفطرن) بصرى - وأبو بكر . ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته . يدل عليه  
 مجيئه بعد قوله (العلى العظيم) . وقيل من دعائهم له ولدا كقوله (تكاد السموات يتفطرن منه) .  
 ومعنى (من فوقهن) أى ابتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية . وكان القياس أن يقال ينفطرن

وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ  
 اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ <sup>(١)</sup> وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ  
 عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ <sup>(٢)</sup> وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا  
 عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ <sup>(٣)</sup>

من تحتهن من الجهة التي جاءت منها كلمة الكفر لأنها جاءت من الذين تحت السموات. ولكنه  
 بولغ في ذلك بفعلت مؤثرة في جهة الفوق. كأنه قيل يكذب ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع  
 الجهة التي تحتهن. وقيل من (فوقهن) من فوق الأرض. فالخاتمة راجعة إلى الأرض. لأنه بمعنى  
 الأرضين. وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة. قال عليه السلام "أطت السماء  
 أطا وحق لها أن تنط". ما فيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أوراك أو ساجد".

(١) (يسبحون بحمد ربهم) خضوعا لما يرون من عظمته (ويستغفرون) للمؤمنين منهم - كقوله  
 (ويستغفرون للذين آمنوا) - خوفا عليهم من سطواته. أو يوحدون الله ويتوهمونه عما لا يجوز  
 عليه من الصفات، حامدين له على ما أولاهم من الطائفة متعجبين مما رأوا من تعزضهم  
 لسخط الله تعالى، (ويستغفرون) للمؤمنين أهل الأرض الذين تبرءوا من تلك الكلمة.  
 أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب (ألا إن الله هو الغفور  
 الرحيم) لهم.

(٢) أى (والذين) جعلوا له شركاء وأن دادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أقوالهم  
 وأعمالهم لا يفوته منها شيء فيجازيهم عليها (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل عليهم  
 ولا مفوض إليك أمرهم إنما أنت منذر فحسب.

(٣) ومثل ذلك (أوحينا إليك). وذلك إشارة إلى معنى الآية التي قبلها من أن الله رقيب  
 عليهم لا أنت بل أنت منذر. لأن هذا المعنى كرهه الله في كتابه. وهو مفعول به لأوحينا. (قرآنا  
 عربيا) حال من المفعول به. أى أوحينا إليك وهو قرآن عربى بين (لتنذر أُمَّ القري) أى مكة  
 لأن الأرض دحيت من تحتها. أو لأنها أشرف البقاع. والمراد أهل أُمَّ القري (ومن حولها)

فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿١﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً  
 وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ  
 وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ  
 يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ  
 فَخُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٤﴾

من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة لأن الخلائق تجتمع فيه (لاريب فيه) اعتراض  
 لا محل له يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا. وقد عدى (لتنذر أم القرى) إلى المنفعل الأول  
 (وتنذر يوم الجمع) إلى المنفعل الثاني .

(١) أى منهم (فريق في الجنة) ومنهم (فريق في السعير) والضمير للمجموعين لأن المعنى  
 يوم جمع الخلائق .

(٢) أى (ولو شاء الله لجعلهم) مؤمنين كلهم (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أى  
 بكرم من يشاء بالإسلام . والكافرون (ما لهم من ولي) شافع (ولا نصير) دافع .

(٣) الفاء لجواب شرط مقدر . كأنه قيل بعد إنكار كلّ وليّ سواه إن أرادوا أولياء  
 بحق (فإنه هو الولي) بالحق . وهو الذى يجب أن يتولى وحده لا وليّ سواه (وهو يحيى الموتى  
 وهو على كلّ شيء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ ولياً دون من لا يقدر على شيء .

(٤) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين . أى ما خالفكم فيه الكفار من  
 أهل الكتاب والمشركين فاختلقتم أتم وهم فيه من أمر من أمور الدين فحكم ذلك المختلف  
 فيه مفوض (إلى الله) وهو إثابة المحققين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين . (ذاكم) الحاكم  
 بينكم (الله ربى عليه توكلت) — فيه ردّ كيد أعداء الدين — (وإليه أُنِيب) أرجع في كفاية  
 شرهم . وقيل : وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم  
 إلى علمه فقولوا الله أعلم كعرفة الروح وغيره .

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ  
أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ لِيَسَّ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ<sup>(٣)</sup> وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ<sup>(٤)</sup>

(١) ارتفاعه على أنه أحد أخبار (ذلك) أو خبر مبتدأ محذوف .

(٢) خلق لكم من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الأنعام أزواجا) أى وخلق للأنعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذروكم) يكثركم — يقال ذرأ الله الخلق بهم وكثرهم (فيه) — فهذا التدبير . وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل . واختير (فيه) على به لأنه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبت والتكثير . والضمير في (يذروكم) يرجع إلى المخاطبين والأنعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل .

(٣) قيل إن كلمة التشبيه كتررت لتأكيد نفي التماثل . وتقديره ليس مثله شيء . وقيل المثل زيادة . وتقديره ليس كهو شيء . كقوله تعالى (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) . وهذا لأن المراد نفي المثلية . وإذا لم تجعل الكاف أو المثل زيادة كان إثبات المثل . وقيل المراد ليس كذاته شيء لأنهم يقولون مثلك لا يخجل يريدون به نفي البخل عن ذاته ويقصدون المبالغة في ذلك بسلوك طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عن يسد مسده فقد نفوه عنه . فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثل شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها . وكأنتها عبارتان معتقتان على معنى واحد . وهو نفي المماثلة عن ذاته . ونحوه (بل يدها مبسوطان) . فعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود حتى إنهم استعملوها فيمن لا يد له . فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له .

(٤) (السميع) لجميع المسموعات بلا أذن (البصير) لجميع المرئيات بلا حدقة . وكأنه

ذكرهما لئلا يتوهم أنه لا صفة له كما لا مثل له .

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ<sup>(٢)</sup>  
 إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا  
 وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى  
 أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ  
 إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿٣٥﴾

(١) مر في الزمر .

(٢) أى يضيق .

(٣) (شرع) بين وأظهر (لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما  
 وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) . أى (شرع لكم من الدين) دين نوح ومحمد ومن بينهما من  
 الأنبياء عليهم السلام . ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الأعلام . من رسله فيه بقوله  
 (أن أقيموا الدين) . والمراد إقامة دين الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله  
 وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون المرء بإقامته مسلما . ولم يرد به الشرائع فإنها مختلفة . قال  
 الله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) . ومحل (أن أقيموا) نصب بدل من مفعول  
 (شرع) والمعطوفين عليه . أو رفع على الاستئناف . كأنه قيل وما ذلك المشروع ؟ فقيل هو  
 إقامة الدين .

(٤) ولا تختلفوا فى الدين . قال على رضى الله عنه لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة  
 عذاب .

(٥) عظم عليهم وشق عليهم (ماتدعوهم إليه) من إقامة دين الله والتوحيد (الله يجتبي)  
 يجتلب ويجمع (إليه) إلى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدى إليه من ينيب) يقبل  
 على طاعته .

وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ  
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا  
 الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ <sup>(١)</sup> فَلِذَلِكَ فَادَّعُ  
 وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
 مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا  
 وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ <sup>(٢)</sup>

(١) (وما تفرقوا) أى أهل الكتاب بعد أنبيائهم (إلا من بعد ما جاءهم العلم) إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على السنة الأنبياء عليهم السلام (بغيا بينهم) حسدا وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) — وهى (بل الساعة موعدهم) — لأهلكوا حين افرقوا لعظم ما افرقوا (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفى شك منه) من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان (مريب) مدخل فى الريبة . وقيل وما تفرق أهل الكتاب (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم — كقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) — (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل ...

(٢) فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القوية (واستقم) عليها وعلى الدعوة إليها (كما أمرت) كما أمرك الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) بأى كتاب صح أن الله تعالى أنزله . يعنى الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) إلى قوله (أولئك هم

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً  
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ <sup>(١)</sup> ﴿١٠٠﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ  
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٠١﴾  
يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا  
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٠٢﴾

الكافرون حقاً) - (وأمرت لأعدل بينكم) في الحكم إذا تخاضتم فتحاكمتم إلى (الله ربنا وربكم) أى كلنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هو كقوله (لكم دينكم ولى دين). ويجوز أن يكون معناه إنا لا نؤاخذ بأعمالكم وأتم لا نؤاخذون بأعمالنا (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة إلى المحاجة . ومعناه لا إيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (وإليه المصير) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينقم لنا منكم .

(١) (والذين) يخاضعون في دينه (من بعد ما) استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام ، ليردوهم إلى دين الجاهلية - كقوله (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً) . كان اليهود والنصارى يقولون للؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم . فنحن خير منكم وأولى بالحق . وقيل (من بعد ما استجيب) لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر - (حجتهم داحضة) باطلة - وسمها حجة وإن كانت شبهة لزعمهم أنها حجة - (عند ربهم وعليهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) فى الآخرة .

(٢) (أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) بالصدق أو ملتبساً به (والميزان) والعدل والتسوية . ومعنى إنزال العدل أنه أنزله فى كتبه المنزلة . وقيل هو عين الميزان أنزله فى زمن نوح عليه السلام . (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى لعل الساعة قريب منك وأنت لا تدري . والمراد مجئ الساعة . والساعة فى تأويل البعث . ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع إنزال الكتب والميزان أن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقيسط . فكأنه قيل أمركم

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ <sup>(١)</sup> يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ <sup>(٢)</sup> وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ <sup>(٣)</sup>  
 مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ <sup>(٤)</sup> فِي حَرْثِهِ <sup>(٥)</sup>

الله بأعدل والتسوية والعمل بالشرائع فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم. (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون لهولها (ويعلمون أنها الحق) الكائن لا محالة (ألا إن الذين يمارون في الساعة) — المماراة الملاحاة لأن كل واحد منهما يمرى ما عند صاحبه — (لنى ضلال بعيد) عن الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى. وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على أنه لا بد من دار جزاء .

(١) (الله لطيف بعباده) في إيصال المنافع وصراف البلاء من وجه يلطف إدراكه . وهو بر بليغ البر بهم قد توصل بره إلى جميعهم . وقيل هو من لطف بالغوامض علمه ، وعظم عن الجرائم علمه . أو من ينشر المناقب ، ويستتر المثالب . أو يعفو عمن يهفو . أو يعطى العبد فوق الكفاية ، ويكلفه الطاعة دون الطاقة . وعن الحديد لطف بأوليائه فعرفوه ولو لطف بأعدائه ما مجدوه .

(٢) أى يوسع رزق من يشاء إذا علم مصلحته فيه . في الحديث إن من عبادى المؤمنين من لا يصالح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك . وإن من عبادى المؤمنين من لا يصالح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك .

(٣) (القوى) الباهر انقدرة الغالب على كل شيء (العزير) المنيع الذى لا يغلب .

(٤) سمي ما يعمله العامل مما يتغنى به الفائدة حرثا مجازا .

(٥) (نزد له في حرثه) بالتوفيق في عمله أو التضعيف في إحسانه أو بأن ينال به الدنيا والآخرة .



وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ  
 نَصِيبٍ <sup>(٢)</sup> أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ  
 اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ <sup>(٣)</sup> وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ  
 أَلِيمٌ <sup>(٤)</sup> تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ <sup>(٥)</sup> وَالَّذِينَ آمَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ آجِنَاتٍ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ <sup>(٦)</sup>

(١) أى من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤته) شيئاً (منها) — لأن من للتبعيض —

وهو رزقه الذى قسم له لا ما يريد به ويتغنيه . ولم يذكر فى عامل الآخرة أن رزقه المقسوم يصل  
 إليه للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المسآب

(٢) (وما له) نصيب قط (فى الآخرة)

(٣) (أم) قيل هى المنقطعة . وتقديره بل ألهم شركاء . وقيل هى المعادلة لألف  
 الاستفهام . وفى الكلام إضمار تقديره أيقبلون ما شرع الله من الدين (أم لهم) آلهة (شرعوا لهم  
 من الدين ما لم يأذن به الله) أى لم يأمر به (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل  
 الجزاء — أى ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة — (لضى بينهم) بين الكافرين  
 والمؤمنين . أو لعجلت لهم العقوبة .

(٤) (وإن) المشركين (لهم عذاب أليم) فى الآخرة وإن أضر عنهم فى دار الدنيا .

(٥) (ترى الظالمين) المشركين فى الآخرة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء  
 كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لا محالة أشفقوا أو لم يشفقوا .

(٦) كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها .

(٧) (عند) نصب بالظرف لا يشاءون .

ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا <sup>(٢)</sup> إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى <sup>(٣)</sup>

(١) (هو الفضل الكبير) على العمل القليل .

(٢) أى (ذلك) الفضل الكبير (الذى يبشر الله) - مكي وأبو عمرو وحمة وعلی -  
أى به (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات). لحذف الجواز كقوله (واختار موسى قومه) .  
ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله (أهدا الذى بعث الله رسولا) .

(٣) لما قال المشركون أيتننى محمد على تبليغ الرسالة أجرا نزل : (قل لا أسألكم  
عليه) على التبليغ (أجرا إلا المودة فى القربى) . يجوز أن يكون استثناء متصلا . أى  
لا أسألكم عليه أجرا إلا هذا . وهو أن تودوا أهل قرابتى . ويجوز أن يكون متقطعا . أى  
لا أسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم أن تودوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم .  
ولم يقل إلا مودة القربى أو المودة للقربى لأنهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى  
فى آل فلان مودة لى فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله . وليست  
(فى) بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى . إنما هى متعلقة بحذوف تعلق  
الظرف به فى قولك المال فى الكيس . وتقديره (إلا المودة) ثابتة (فى القربى) وتمكنة  
فيها . والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة . والمراد (فى) أهل (القربى) . وروى  
أنه لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : على  
وفاطمة وابناهما . وقيل معناه إلا أن تودونى لقرابتى فيكم ولا تؤذونى ولا تهيجوا على . إذ  
لم يكن من بطون قريش إلا بين رسول الله وبينهم قرابة . وقيل القربى التقرب إلى الله تعالى  
أى إلا أن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح .

وَمَنْ يَّقْتَرِفْ حَسَنَةً تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣)  
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ  
 اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٨)

(١) يكتب طاعة . عن السدى أنها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
 نزلت في أبي بكررضى الله عنه ومودته فيهم . والظاهر العموم في أى حسنة كانت إلا أنها  
 تتناول المودة تناولاً أولاً لذكرها عقيب ذكر المودة في القرى .

(٢) أى نضاعفها كقوله (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة)  
 وقرئ (حسنى) وهو مصدر كالبشرى . والضمير يعود إلى الحسنه أو إلى الجنة .

(٣) (غفور) لمن أذنب بطوله (شكور) لمن أطاع بفضله . وقيل قابل للتوبة حامل  
 عليها . وقيل الشكور فى صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية نوابها والفضل على  
 المثاب .

(٤) (أم) منقطعة . ومعنى الهمزة فيه التوبيخ . كأنه قيل أيتها لكون أن ينسبوا مثله إلى  
 الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذى هو أعظم القرى وأخشىها ؟

(٥) قال مجاهد أى يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذباً لئلا  
 تدخله مشقة بتكذيبهم .

(٦) أى الشرك . وهو كلام مبتدأ غير معطوف على (يختم) لأن محو الباطل غير متعلق  
 بالشرط . بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع (ويحق) . وإنما سقطت الواو  
 فى الخط كما سقطت فى (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) و (سندع الزبانية) على أنها  
 مثبتة فى مصحف نافع .

(٧) ويظهر الاسلام ويثبت (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام .  
 وقد فعل الله ذلك فحما باطلهم وأظهر الإسلام .

(٨) أى (عليم) بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الأمر على حسب ذلك .

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ <sup>(١)</sup> وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ <sup>(٢)</sup>  
 وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ <sup>(٣)</sup> وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ <sup>(٤)</sup> وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ <sup>(٥)</sup>

(١) يقال قبلت منه الشيء إذا أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى . ويقال قبلته عنه أى عزله عنه وأبنته عنه . والتوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما . والعزم على ألا يعود وإن كان لعبد فيه حق لم يكن بدمن التفصى على طريقه . وقال على رضى الله عنه هو امم يقع على ستة معان . على الماضى من الذنوب الندامة ، ولتضييع الفرائض الإعادة ، ورد المظالم ، وإذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية ، وإذافة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته . وعن السدى هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والإقامة بالقلب إلى علام الغيوب . وعن غيره هو ألا يجرد حلاوة الذنب فى القلب عند ذكره . وعن سهل هو الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة . وعن الجنيد هو الإعراض عما دون الله .

(٢) هو مادون الشرك . يعفو لمن يشاء بلا توبة .

(٣) بالتاء كوفى غير أبى بكر . أى من التوبة والمعصية . ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى .

(٤) أى إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم . واستجاب وأجاب بمعنى . والسين فى مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم . والتقدير ويوجب الله الذين آمنوا . وقيل معناه ويستجيب للذين فحذف اللام . من عليهم بأن يقبل توبتهم إذا تابوا ، ويعفو عن سيئاتهم ، ويستجيب لهم إذا دعوه ، ويزيدهم على ما سألوه . وعن إبراهيم ابن آدم أنه قيل له ما بالنا ندعوه فلا نجاب ؟ قال لأنه دعاكم فلم تجيبوه .

(٥) (لهم) فى الآخرة .

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَّوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ  
 إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝ (٤) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا  
 وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۝ (٥) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۝ (٦)

(١) أى لو أغناهم جميعا (لبغوا في الأرض) من البغى وهو الظلم . أى لبغى هذا على ذلك وذلك على هذا . لأن الغنى مبطرة مباشرة . وكفى بحال فارون وفرعون عبرة . أو من البغى وهو الكبر . أى لتكبروا في الأرض .

(٢) بالتخفيف مكي وأبو عمرو .

(٣) بتقدير . يقال قدره قدرا وقدرا .

(٤) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكيمته . فيفقر ويعنى ، ويمنع ويعطى ، ويقبض ويبسط . ولو أغناهم جميعا لبغوا . ولو أفقرهم لهلكوا . وما ترى من البسط على من يبغى ، ومن البغى بدون البسط ، فهو قليل . ولا شك أن البغى مع الفقر أقل ، ومع البسط أكثر وأغلب .

(٥) بالتشديد مدنى وشامى وطاصم .

(٦) وقرئ (قنطوا) .

(٧) وينشر رحمته ( أى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب . وقيل لعمر رضى الله عنه : اشتد الفحط وقنط الناس ، فقال : مطروا إذا . أراد هذه الآية . أو أراد رحمته في كل شيء .

(٨) الذى يتولى عباده بإحسانه ، المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته .

(٩) أى من علامات قدرته (خلق السموات والأرض) مع عظمهما (وما بث) فرق — و (ما) يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف أو المضاف إليه — (فيهما) من السموات والأرض (من دابة) . الدواب تكون في الأرض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه . كما يقال بنوتم فيهم شاعر مجيد ، وإنما هو

وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (٢)  
 وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣)

في نخذ من أخذهم . ومنه قوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ، وإنما يخرج من الملح . ولا يعد أن يخلق في السموات حيوانات يمشون فيها مشى الأناسى على الأرض . أو يكون للملائكة مشى مع الطيران ، فوصفوا بالديب كما وصف به الأناسى . (وهو على جمعهم) يوم القيامة ( إذا يشاء قدير) . إذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى (والليل إذا يغشى) .

(١) غمّ وألم ومكروه .

(٢) أى بجناية كسبتموها عقوبة عليكم . (بما كسبت) بغير الفاء مدنى وشامى ، على أن (ما) مبتدأ و (بما كسبت) خبره من غير تضمين معنى الشرط . ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط . وتماتق بهذه الآية من يقول بالتناسخ . وقال لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا . وقلنا الآية مخصوصة بالمكثنين بالسباق والسياق وهو ( ويعفوا عن كثير) أى من الذنوب فلا يعاقب عليه . أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة . وقال ابن عطاء "من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر فى إحسان ربه إليه" . وقال محمد بن حامد "العبد ملازم للجنايات فى كل أو أن . وجناياته فى طاعته أكثر من جناياته فى معاصيه . لأن جناية المعصية من وجه ، وجناية الطاعة من وجوه . والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أنقاله فى القيامة . ولولا عفوه ورحمته لهلك فى أول خطوة" . وعن على "رضى الله تعالى عنه : "هذه أرحم آية للمؤمنين فى القرآن . لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانياً . وإذا عفا لا يعود" .

(٣) أى (وما أنتم) بفائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولي) متول بالرحمة (ولا نصير) ناصر يدفع عنكم العذاب إذا حل بكم .

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٢﴾ إِنَّ يَسَاءَ يَسْكِنَ الرِّيحَ  
فَيُظِلُّنَّ رَوَا كَدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣﴾  
أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ  
فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٥﴾ فَآ أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَتَّعُوا الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦﴾

(١) جمع جارية وهي السفينة. (الجوارى) في الحالين متى وسهل ويعقوب. وافقهم  
مدنى وأبو عمرو في الوصل.

(٢) كالجبال.

(٣) (إن يشاء يسكن الرياح) - مدنى - (فيظللان) ثوابت لا تجرى على ظهر البحر (إن في ذلك  
آيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعائه. أى لكل مؤمن مخلص. فالإيمان نصفان  
نصف شكر ونصف صبر. أو (صبار) على طاعته (شكور) لنعته.

(٤) (أو يوبقهن) يهلكهن فهو عطف على (يسكن). والمعنى (إن يشاء يسكن الرياح) فيركن،  
أو يعصفها فيغرقن بعضفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) منها فلا يجازى عليها.  
وإنما أدخل العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه، لأن المعنى أو إن يشاء يهلك ناسا وينج  
ناسا على طريق العفو عنهم.

(٥) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا)  
أى في إبطالها ودفعها - (ويعلم) مدنى وشامى على الاستئناف - (ما لهم من محيص) مهرب من  
حذابه.

(٦) (وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون). (ما الأولى  
ضمنت معنى الشرط بخافت الفاء في جوابها بخلاف الثانية. نزلت في أبى بكر الصديق رضى الله  
عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس.

وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ<sup>(٤)</sup>  
وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ<sup>(٦)</sup> وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ<sup>(٨)</sup> وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ<sup>(٩)</sup>

(١) عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده .

(٢) أى الكبائر من هذا الجنس . ( كبير الإثم ) على - وحمة . وعن ابن عباس ( كبير الإثم ) هو الشرك .

(٣) قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا .

(٤) ( وإذا ما غضبوا ) من أمور دنياهم ( هم يغفرون ) أى هم الأخصاء بالغفران فى حال الغضب . والمجىء بـ ( هم ) وإيقاعه مبتدأ وإسناد ( يغفرون ) إليه ، لهذه الفائدة . ومثله ( هم ينتصرون ) .

(٥) نزلت فى الأنصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه .

(٦) وأتموا الصلوات الخمس .

(٧) أى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه . وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم . والشورى مصدر كالتفتيا بمعنى التشاور .

(٨) يتصدقون .

(٩) ( والذين إذا أصابهم الظلم ) ينتقمون ممن ظلمهم أى يقتصرون فى الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون . وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق . وإتما حمدوا على الانتصار لأن من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز فى ذلك حد الله فلم يسرف فى القتل إن كان ولى دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود .



وَجَزَاءٌ سَائِغَةٌ سَائِغَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
 الظَّالِمِينَ <sup>(١)</sup> وَلَمَنْ آتَنَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ <sup>(٢)</sup> إِنَّمَا  
 السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ  
 لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ <sup>(٣)</sup> وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ <sup>(٤)</sup>

(١) بين حد الانتصار فقال (وجزاء سائغة سائغة مثلها) فالأولى سائغة حقيقة والثانية لا .  
 وإنما سميت سائغة لأنها مجازاة السوء، أو لأنها تسوء من تنزل به، ولأنه لو لم تكن الأولى لكانت  
 الثانية سائغة لأنها إضرار، وإنما صارت حسنة لغيرها، أو في تسمية الثانية سائغة إشارة إلى أن  
 العفو مندوب إليه . والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة (فمن  
 عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء (فأجره على الله) علة مهمة لا يقاس أمرها  
 في العظم (إنه لا يحب الظالمين) الذين يبدؤون بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار . في الحديث  
 ينادى مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم إلا من عفا .

(٢) أى (ولمن) أخذ حقه بعد ما ظلم — على إضافة المصدر إلى المفعول —  
 (فأولئك) — إشارة إلى معنى (من) دون لفظه — (ما عليهم من سبيل) للعاقب ولا للعاتب  
 والمعائب . (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) يتدثونهم بالظلم (ويبغون في الأرض) يتكبرون  
 فيها ويملون ويفسدون (بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) . وفسر السبيل بالتبعة والحجة .

(٣) (ولمن صبر) على الظلم والأذى (وغفر) ولم ينتصر (إن ذلك) أى الصبر والغفران منه  
 (لمن عزم الأمور) أى من الأمور التي تدب إليها أو مما ينبغي أن يوجهه العاقل على نفسه ولا  
 يترخص في تركه . وحذف الراجع — أى منه — لأنه مفهوم ، كما حذف من قولهم السمن متوان  
 بدرهم . وقال أبو سعيد القرشي "الصبر على المكروه من علامات الانتباه . فمن صبر على مكروه  
 يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا . وهو أجل الأحوال . ومن جزع من المصيبات وشكا  
 وكله الله تعالى إلى نفسه ثم لم تنفعه شكواه" .

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ <sup>(١)</sup> وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ  
 يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ <sup>(٢)</sup> وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ  
 الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ خَفِيِّ <sup>(٣)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ  
 خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ <sup>(٤)</sup>  
 وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ <sup>(٥)</sup> وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ  
 مِنْ سَبِيلٍ <sup>(٦)</sup> أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ <sup>(٧)</sup> مِنْ اللَّهِ <sup>(٨)</sup>

(١) فما له من أحد يلي هدايته من بعد إضلال الله إياه ويمنعه من عذابه .

(٢) (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما رأوا العذاب) حين يرون العذاب — واختير لفظ الماضي للتحقيق — (يقولون هل إلى مردد من سبيل) يسألون ربهم الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا به .

(٣) على النار إذ العذاب يدل عليها .

(٤) متضائلين متقاصرين مما ياجتهدهم (من الدلّ ينظرون) إلى النار (من طرف خفي) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف .

(٥) (يوم) متعلق بخصروا — وقول المؤمنين واقع في الدنيا — أو يقال . أى يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة .

(٦) دائم .

(٧) (من دون) عذابه .

(٨) (فما له من سبيل) إلى النجاة .

(٩) أى أجيبوه إلى ما دعاكم إليه (من قبل أن يأتى يوم) أى يوم القيامة (لامرد له من الله) . (من) يتصل بلا مرد أى لا يرده الله بعد ما حكم به . أو يأتى أى (من قبل أن يأتى) من الله يوم لا يقدر أحد على رده .

مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿١١﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا  
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا  
الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ مِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ  
فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿١٢﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ  
وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿١٣﴾ أَوْ يَزْوِجَهُمْ  
ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿١٤﴾

(١١) أى ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترتموه ودون  
في صحائف أعمالكم . والنكير الإنكار .

(١٢) (فإن أعرضوا) عن الإيمان (فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيباً (إن عليك إلا  
البلاغ) ما عليك إلا تبليغ الرسالة وقد فعلت (وإننا إذا أذقنا الإنسان) — المراد الجمع لا الواحد —  
(مننا رحمة) نعمة وسعة وأمننا وصحة (فرح بها) بطر لأجلها (وإن تصيبهم سيئة) بلاء كالمرض  
والفقر ونحوهما — وتوحيد (فرح) باعتبار اللفظ . والجمع في (وإن تصيبهم) باعتبار المعنى —  
(بما قدمت أيديهم) بسبب معاصيهم (فإن الإنسان كفور). ولم يقل فإنه كفور ليسجل  
على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال (إن الإنسان لظلوم كفار). والكفور البليغ  
الكفران . والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها . قيل أريد به كفران النعمة . وقيل  
أريد به الكفر بالله تعالى . (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا  
ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم) أى يقرنهم (ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيماً) .  
لما ذكر إذا ذاق الإنسان الرحمة وإصابته بضدّها أتبع ذلك أن له تعالى الملك وأنه يقسم النعمة  
والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد ما يشاء فيخصّ بعضاً بالإناث وبعضاً بالذكور  
وبعضاً بالصنفين جميعاً ويجعل البعض عقيماً . والعقيم التى لا تلد . وكذلك رجل عقيم إذا كان  
لا يولد له . وقدم الإناث أولاً على الذكور لأن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاءه لا ما يشاءه  
الإنسان . فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاءه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم.

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ  
أَوْ يُرْسَلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ <sup>(١)</sup> مُبِينٍ

وليلي الجذس الذي كانت العرب تعدّه بلاء ذكر البلاء . ولما أُنزل الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لأن التعريف تنويه وتشهير . ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير . وعرف أن تقديمهم لم يكن لتقدمهم ولكن لمقتضى آخر . فقال ( ذكرانا وإنانا) . وقيل نزلت في الأنبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب إنانا وإبراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا وإنانا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (إنه علم) بكل شيء (قدير) قادر على كل شيء .

١١) وما صح لأحد من البشر (أن يكلمه الله إلا وحيًا) أي إلهاما - كما روى "نفث في روعي" ،  
أو رؤيا في المنام كقوله عليه السلام "رؤيا الأنبياء وحى" . وهو كما مر إبراهيم عليه السلام بذبح  
الولد - (أو من وراء حجاب) أي يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير أن  
يبصر السامع من يكلمه . وليس المراد به حجاب الله تعالى لأن الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز  
على الأجسام من الحجاب . ولكن المراد به أن السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا . (أو يرسل  
رسولا) أي يرسل ملكا (فيوحى) أي الملك إليه . وقيل (وحيا) كما أوحى إلى الرسل بواسطة  
الملائكة (أو يرسل رسولا) أي نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم . و (وحيا) وأن يرسل  
مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل في معنى إرساله . و (من وراء حجاب) ظرف واقع  
موقع الحال كقوله (وعلى جنوهم) . والتقدير وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من  
وراء حجاب أو مرسلا . ويجوز أن يكون المعنى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا) بأن يوحى  
أو أن يسمع من وراء حجاب أو أن يرسل رسولا . وهو اختيار الخليل . (أو يرسل رسولا فيوحى)  
بالرفع نافع على تقدير (أو) هو (يرسل رسولا فيوحى بإذنه) إذن الله (ما يشاء) من الوحي (إنه  
على) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب في أقواله وأفعاله فلا يعارض .

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ  
 وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ  
 لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ  
 وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿١٠٢﴾

(١١) أى كما أوحينا إلى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك (أوحينا إليك) إيهاء كذلك (روحاً من أمرنا) يريد ما أوحى إليه لأن الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح. (ما كنت تدري) — الجملة حال من الكاف في (إليك) — (ما الكتاب) القرآن (ولا الإيمان) أى شرائعه أو (ولا الإيمان) بالكتاب . لأنه إذا كان لا يعلم بأن الكتاب يتزل عليه لم يكن عالماً بذلك الكتاب . وقيل الإيمان يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع . فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل . وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى. (ولكن جعلناه) أى الكتاب (نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك تهدي) تدعو — وقرئ به — (إلى صراط مستقيم) الإسلام (صراط الله) — بدل — (الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا وملكاً . (ألا إلى الله تصير الأمور) هو وعيد بالنجيم ووعد بالنعيم . والله أعلم بالصواب .

## سورة الزحرف

تسع وثمانون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ  
تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾

(١) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله (إنا جعلناه) صيرناه (قرآنا عربيا) جوابا للقسم . وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه . والمبين البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأسا إليهم أو الواضح للتدبرين . أو الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا معانيه .

(٢) وإن القرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ . دليله قوله (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ). وسمى أم الكتاب لأنه الأصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ. (أم الكتاب) بكسر الألف على وحمزة .

(٣) خبر إن . أى في أعلى طبقات البلاغة . أو رفيع الشأن في الكتب لكونه موجزا من بينها .

(٤) ذو حكمة بالغة .

أَفَنضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٤﴾ وَكَمْ  
 أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ  
 يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾

(١) (أ) فننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم. على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغراب عن الحوض. والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهم لم يهملوا (فنضرب عنكم الذكر) إنكاراً لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من إزاله الكتاب وجعله قرآناً عربياً ليعقلوه وليعملوا بمواجهه.

(٢) مصدر من صفح عنه إذا عرض، متصب على أنه مفعول له على معنى أفنزل عنكم إزال القرآن وإلزام الحجّة به إعراضاً عنكم. ويجوز أن يكون مصدراً على خلاف الصدر لأنه يقال ضربت عنه أى عرضت عنه. كذا قاله الفراء.

(٣) لأن كنتم. (إن كنتم) مدنى وحزمة. وهو من الشرط الذى يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوقنى حتى، وهو عالم بذلك.

(٤) مفرطين فى الجهالة مجاوزين الحد فى الضلالة.

(٥) أى كثيراً من الرسل أرسلنا إلى من تقدمك (وما يأتهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون). هى حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك. وهذه تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه.

(٦) تمييز. والضمير للسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم.

(٧) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن تسمى مسير المثل. وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد لهم

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ  
 الْعَلِيمُ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا  
 لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ  
 بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ  
 لَكُمْ مِنْ أَلْفِكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٤﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ  
 ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ  
 لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٦﴾

(١١) (ولئن سألتهم) أى المشركين (من خلق السموات والأرض ليقولنَّ خلقهنَّ العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهذا) - كوفى. وغيره (مهادا). أى موضع قرار - (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا فى أسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار يسلم معه العباد ويحتاج إليه البلاد (فأنشرا) فأحيينا - عدول من المغيبة إلى الإخبار لعلم المخاطب بالمراد - (به بلدة ميتا). يزيد ميتا. (كذلك تُخرجون) من قبوركم أحياء. (تُخرجون) حمزة وعلى. ولا وقف على (العليم) لأن (الذى) صفته. وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير (الذى). لأن هذه الأوصاف ليست من مقول الكفار لأنهم ينكرون الإخراج من القبور فكيف يقولون (كذلك تُخرجون) ؟ بل الآية حجة عليهم فى إنكار البعث. (والذى خلق الأزواج) الأصناف (كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) أى تركبونه - يقال ركبوا فى الفلك وركبوا الأنعام فغلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه - (لستوا على ظهوره) على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والأنعام (ثم تذكروا) بقلوبكم (نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا) بالسنتكم (سبحان الذى سخَّر لنا هذا) ذلَّ لنا هذا المركوب (وما كُنَّا له مقربين) مطيقين. يقال أقرن الشئ إذا أطاقه. وحقيقة أقرنه وجده قرينته لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف. (وإننا إلى ربنا لمنقلبون) لراجعون فى المعاد. قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنائزة. وعن النبي صلى الله



وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا <sup>(١)</sup> إِنْ الْإِنْسَانَ لَكَفُورًا <sup>(٢)</sup> مُبِينًا ﴿١٠﴾  
 أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفًا كُم بِالْبَنِينَ <sup>(٣)</sup> ﴿١١﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ  
 بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٢﴾

عليه وسلم أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله . فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال ( سبحان الذي سخر لنا هذا ) إلى قوله ( لمنقلبون ) وكبر ثلاثا وهأل ثلاثا . وقالوا إذا ركب في السفينة قال ( بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ) . وحكى أن قوما ركبوا وقالوا ( سبحان الذي سخر لنا هذا ) الآية وفيهم رجل على ناقه لا تتحرك هزالا . فقال " أتى مقرن لهذه " فسقط منها لوئبثها واندقت عنقه . وينبغي ألا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده أنه هالك لا محالة ومقلب إلى الله غير منقلب من قضائه .

(١) متصل بقوله (ولئن سألتهم) . أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به (و) قد (جعلوا له) مع ذلك الاعتراف (من عباده جزءا) . أى قالوا الملائكة بنات الله . بفعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد جزءا لوالده . (جزؤا) أبو بكر وحماد .

(٢) لبحود للنعمة ظاهر بحوده لأن نسبة الولد إليه كفر . والكفر أصل الكفران كله .

(٣) أى بل اتخذ . والهمزة للانكار تبهيلاً لهم وتعجيباً من شأنهم حيث ادعوا أنه اختار لنفسه المنزلة الأدنى ولهم الأعلى .

(٤) (وإذا بشر أحدهم) بالجنس الذى جعله له مثلا أى شها — لأنه إذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومائلا له . لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد — (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) . يعنى أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب . والظلول بمعنى الصيرورة .

أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مَبِينٍ <sup>(١)</sup> وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَنْشَأَ أَشْهَادُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ <sup>(٢)</sup> وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ <sup>(٣)</sup>

(١) أى (أو) يجعل للرحمن من الولد (من) هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه (ينشأ في الحلية) أى يترتب في الزينة والنعمة . وهو إذا احتاج إلى مجازاة الخصوم ومجازاة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتى ببرهان . وذلك لضعف عقولهم . قال مقاتل لا تتكلم المرأة إلا وتأتى بالجمحة عليها . وفيه أنه جعل النشأة في الزينة من المعاييب فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى . و (من) منصوب المحل . والمعنى (أو) جعلوا (من ينشأ في الحلية) - يعنى البنات - لله عز وجل . (ينشأ) حمزة وعلى وحفص . أى يربى . قد جمعوا في كفرهم ثلاث كفرات . وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم

(٢) أى ستموا وقالوا إنهم إناث . (عند الرحمن) مكي ومدني وشامي أى عندية منزلة ومكانة لا منزل ومكان . والعباد جمع عبد . وهو ألزم في المجاج مع أهل العناد ، لتضاد بين العبودية والولاد .

(٣) وهذا تهكم بهم . يعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم . فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تظنوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يجربوا عن المشاهدة .

(٤) (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسألون) عنها . وهذا وعيد .

(٥) (ما عبدناهم) أى الملائكة . تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية في أن الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر . وإنما شاء الإيمان فإن الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الأصنام حيث (قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى لو شاء منا أن نترك عبادة الأصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الأصنام . والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم

أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهَم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿١﴾ بَلْ  
 قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ <sup>(١)</sup> وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأْتِرِهِمْ مُّهْتَدُونَ <sup>(٢)</sup> ﴿٢﴾  
 وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ <sup>(٣)</sup>

بقوله (ما لهم بذلك) المقول (من علم إن هم إلا يخرسون) أى يكذبون . ومعنى الآية عندنا أنهم أرادوا بالمشيئة الرضا . وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا . أو لمنعنا عن عبادتها منع قهر واضطرار . وإذ لم يفعل ذلك فقد رضى بذلك . فردّ الله تعالى عليهم بقوله (ما لهم بذلك من علم) الآية . أو قالوا هذا القول استهزاء لاجدًا واعتقادا فأكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم (أنظعم من لو يشاء الله أطعمه) وهذا حق في الأصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله (إن أتم إلا في ضلال مبين) وكذلك قال الله تعالى (قالوا نشهد إنك لرسول الله) ثم قال (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) لأنهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا أن الله لا يعاقبهم على شيء فعلوه بمشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين في ذلك فردّ الله تعالى عليهم .

(١) (أم آتيناهم كتابا) من قبل القرآن أو من قبل قولهم هذا (فهم به) أخذون عاملون . وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره (أشهدوا) خلقهم أم آتيناهم كتابا من قبله فيه أن الملائكة إناث . (بل) لاجمة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع إلا قولهم (إننا وجدنا آباءنا على أمة) على دين فقلدناهم وهي من الأتم وهو القصد . فالأمة الطريقة التي تؤتم أى تقصد

(٢) الظرف صلة لمهتدون أو هما خبران .

(٣) نبي .

إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿١﴾  
 قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ  
 بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢﴾ فَآتَيْنَا مِنْهُمْ مِثْلَ مَا نَظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣﴾  
 وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِي  
 فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴿٥﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦﴾  
 بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

(١) (إلا قال) متعممها وهم الذين أتفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون إلا الشبهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه .

(٢) وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان أن تقليد الآباء داء قديم .

(٣) (قال) شامئ وحفص . أي النذير . (قل) غيرهما . أي قيل للنذير (قل أو لوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أي أتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آباءكم .

(٤) (إننا) ثابتون على دين آبائنا وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى .

(٥) فعاقبناهم بما استحقوه على إصرارهم .

(٦) أي (و) إذ كر (إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء) أي برىء — وهو مصدر يستوى فيه الواحد والاثنتان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل — (مما تعبدون إلا الذي فطرنى) استثناء منقطع كأنه قال لكن (الذى فطرنى فإنه سيدي) يثبتنى على الهداية .

(٧) وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها — وهي قوله (إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى) — (كلمة باقية في عقبه) في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيدِهِ (لعلهم يرجعون) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم . والترجى لإبراهيم (بل متعت

وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا  
 نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيَّتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ  
 رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣﴾  
 وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا مَّخْرِبًا ﴿٤﴾

هؤلاء وآباؤهم) — يعنى أهل مكة وهم من عقب إبراهيم — بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة  
 وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد ( حتى جاءهم الحق ) أى  
 القرآن (ورسول) أى محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الايات البينة .

(١) (ولما جاءهم الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وإنا به كافرون وقالوا) فيه متحككين  
 بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) — فيه استهانة به — (على رجل من القريتين العظيم) أى رجل  
 عظيم من إحدى القريتين كقوله (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أى من أحدهما. والقريتان مكة  
 والطائف . وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة ، وبعظيم الطائف عمرو بن مسعود الثقفى .  
 وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه . ولم يعرفوا أن العظيم من كان عند الله عظيما .

(٢) أى النبوة . والهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكهم في اختيار من  
 يصلح للنبوة .

(٣) (نحن قسمنا بينهم) ما يعيشون به وهو أرزاقهم في الحياة الدنيا . أى لم نجعل  
 قسمة الأدون إليهم وهو الرزق فكيف النبوة ؟ أو كما فضلت البعض على البعض في الرزق  
 فكذا أخص بالنبوة من أشاء .

(٤) أى جعلنا البعض أقوىاء وأغنياء وموالى والبعض ضعفاء وفقراء وخداماء  
 ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم وليستخدموهم في مههم ويتسخروهم في أشغالهم حتى  
 يتعاشوا ويصلوا إلى منافعهم هذا بماله وهذا بأعماله .

وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ<sup>(١)</sup> وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا  
لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ  
وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرًّا عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ<sup>(٢)</sup> وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعٌ  
أَلْحِيوْهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ<sup>(٤)</sup> وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ<sup>(٥)</sup>

(١) أى النبوة أو دين الله وما يتبعه من الفوز فى المآب (خير) مما يجمع هؤلاء من حطام

الدنيا .

(٢) لما قلل أمر الدنيا وصغرها أردفه بما يقتر قلبه الدنيا عنده فقال ( ولولا أن يكون  
الناس أمة واحدة) ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لجعلنا) لحقارة الدنيا عندنا  
(لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون وليوتهم أبوابا وسررا عليها  
يتكئون وزخرفا) أى جعلنا للكفار سقفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة، وجعلنا لهم زخرفا  
أى زينة من كل شيء . والزخرف الذهب والزينة . ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة  
وزخرف أى بعضها من فضة وبعضها من ذهب . فنصب عطفًا على محل من فضة . (البيوتهم)  
بدل اشتمال من (لمن يكفر) . (سقفا) على الجنس مكى وأبو عمرو ويزيد . والمعارج جمع معرج  
وهى المصاعد إلى العالئ . (عليها يظهرون) على المعارج (يظهرون) السطوح أى يعلونها .

(٣) (إن) نافية . و (لما) بمعنى إلا . أى وما (كل ذلك) إلا (متاع الحياة الدنيا) . وقد  
قرئ به . وقرأ (لما) غير عاصم وحمة على أن اللام هى الفارقة بين إن المخففة والنافية . و (ما)  
صلة . أى وإن كل ذلك، لمتاع الحياة الدنيا .

(٤) أى ثواب الآخرة (عند ربك) لمن يتقى الشرك .

(٥) وقرئ (ومن يعش) . والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى يعشى .  
وإذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا يعشو . ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن) ذكر  
الرحمن) وهو القرآن كقوله (صم بكم عمى) . ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره أى  
يعرف أنه الحق وهو يتجاهل كقوله (ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم) .

نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿١﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ  
 أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ  
 فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٢﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣﴾

(١) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه في الدنيا والآخرة يحمله على المعاصى. وفيه إشارة إلى أن من داوم عليه لم يقرنه الشيطان. (ولأنهم) أى الشياطين (ليصدونهم) لينعون العاشين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أى العاشون (أنهم مهتدون). وإنما جمع ضمير (من) وضمير الشيطان لأن (من) مبهم في جنس العاشى وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه. بخاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعا .

(٢) (حتى إذا جاءنا) — على الواحد عراقى غير أبى بكر. أى العاشى. (جاءانا) غيرهم. أى العاشى وقرينه — (قال) لشيطانه (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران . والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) أنت .

(٣) (ولن ينفعكم اليوم إذ) صح ظلمكم أى كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين — (وإذ) بدل من اليوم — (أنكم في العذاب مشتركون). (أنكم) في محل الرفع على الفاعلية. أى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب أو كونكم مشتركين في العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب في الدنيا كقول الخنساء .

ولولا كثرة الباكين حولى \* على أخوانهم لقتلت نفسى

ولا يكون مثل أنى ولكن \* أعزى النفس عنه بالناسى

أما هؤلاء فلا يؤسبهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه . وقيل الفاعل مضمرة . أى ولن ينفعكم هذا التتى أو الاعتذار لـ (أنكم في العذاب مشتركون) لا اشتراككم في سببه وهو الكفر . ويؤيده قراءة من قرأ (إنكم) بالكسر .

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾  
 فَإِنَّمَا نَذِهْنَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢﴾ أَوْ نُزَيِّنَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا  
 عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٣﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٥﴾ وَسْأَلُ مَنْ  
 أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبُدُونَ ﴿٦﴾

(١) أى (أفأنت تسمع) من فقد سمع القبول (أو تهدي العمى) أى من فقد البصر (ومن كان في ضلال مبين) ومن كان في علم الله أنه يموت على الضلال (فإنما) — دخلت (ما) على (إن) توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة في (نذهبنن بك) — نتوفيتك قبل أن نصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم (فإننا منهم منتقمون) أشد الانتقام في الآخرة (أو نزينننك الذى وعدناهم) قبل أن نتوفاك — يعنى يوم بدر — (فإننا عليهم مقتدرون) قادرون. وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال بقوله (أفأنت تسمع الصم) الآية. ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله (فإنما نذهبنن بك) الآيتين .

(٢) فتمسك (بالذى أوحى إليك) وهو القرآن واعمل به (إنك على صراط مستقيم) أى على الدين الذى لا عوج له .

(٣) وإن الذى أوحى إليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولأقمتك (وسوف تسألون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة .

(٤) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال. ولكنه مجاز عن النظر في آديانهم والفحص عن ملهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء؟ وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا . وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها . وقيل إنه عليه السلام جمع له الأنبياء ليلة الإسراء فأتمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل . وقيل معناه سل أمم من أرسلنا



وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٢﴾ وَمَا نُرِيهِمْ  
 مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣﴾  
 وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ۖ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤﴾  
 ﴿٥﴾

وهم أهل الكفاين أى التوراة والإنجيل . وإنما يخبرونه عن كتب الرسل . فإذا سالمهم فكأنه  
 سأل الأنبياء . ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الأوثان أنهم على الباطل . (وسل) بلا همز مكى  
 وعلى . (رسلنا) أبو عمرو

(١) سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (واقدم أرسلنا موسى) . ما أجاوبه به عند قوله  
 (أتى رسول رب العالمين) محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) . وهو مطالبهم إياه  
 بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية . (إذا هم منها يضحكون) يسخرون منها ويهزون بها  
 ويسمونها سحرا . و (إذا) للفتنة . وهو جواب (فلما) لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو  
 حامل النصب فى محل (إذا) كأنه قيل (فلما جاءهم بآياتنا) فاجئوا وقت ضحكهم .

(٢) قرينتها وصاحبها التى كانت قبليها فى تقضى العادة . وظاهر النظم يدل على أن  
 اللاحقة أعظم من السابقة . وليس كذلك . بل المراد بهذا الكلام أنهم موصوفات بالكبر  
 ولا يكذب يتفاوتن فيه . وعليه كلام الناس يقال هما أخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر .

(٣) (وأخذناهم بالعذاب) — وهو ما قال تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص  
 من الثمرات) (فأرسلنا عليهم الطوفان) الآية — (لعلهم يرجعون) عن الكفر إلى الإيمان .

(٤) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر . (يا أيه الساحر) بضم  
 الهماء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت لالتقاء  
 الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها .

(٥) (ادع لنا ربك) بعهدك من أن دعوتك مستجابة . أو بعهدك عندك وهو  
 النبوة . أو (بما عهد عندك) من كشف العذاب عن اهتدى . (إننا لمهتدون) مؤمنون به .

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُوثٌ <sup>(١)</sup> وَنَادَى  
 فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ <sup>(٢)</sup> قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ  
 تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي  
 هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ <sup>(٥)</sup> فَلَوْلَا أَلْتَمَسْتَنِي يَا أَيُّهَا الَّذِي عَلَيْهِ الْأَسْوَارُ <sup>(٦)</sup> مِمَّنْ ذَهَبَ  
<sup>(٧)</sup>

(١) ينقضون العهد بالإيمان ولا يفون به .

(٢) نادى بنفسه عطاء القبط . أو أمر مناديا فنادى كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر قطعه .

(٣) جعلهم محلاً لندائه وموقعا له .

(٤) أى أنهار النيل — ومعظمها أربعة — ( تجرى ) من تحت قصرى . وقيل بين يدي فى جناني . والواو عاطفة للأنهار على ( ملك مصر ) . و ( تجرى ) نصب على الحال منها . أو الواو للحال . واسم الإشارة مبتدأ و ( الأنهار ) صفة لاسم الإشارة و ( تجرى ) خبر للبتداء . وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأوليئها أخس عبيدى . فولأها الخصيب . وكان خادمه على وضوئه . وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها نخرج إليها . فلما شارفها ، قال أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال ( أليس لي ملك مصر ) ؟ والله لى أقل عندى من أن أدخلها . فثنى عنانه .

(٥) ( أفلا تبصرون ) قوتى وضعف موسى وغناى وفقره .

(٦) ( أم ) منقطعة بمعنى بل والهمزة . كأنه قال أثبت عندكم واستقرأتى ( أنا خير ) — وهذه حالى — ( من هذا الذى هو مهين ) ضعيف حقير ( ولا يكاد يبين ) الكلام لما كان به من الرتبة .

(٧) فهلا ( ألقى عليه أسورة ) حفص ويعقوب وسهل جمع سوار . غيرهم ( أسورة ) جمع أسورة ، و ( أساور ) جمع أسوار وهو السوار ، و ( أسورة ) حذف الباء من أساور و عوض منها التاء . أراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه . لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سؤروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب .

أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ <sup>(١)</sup> فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا  
 فَسِقِينَ <sup>(٢)</sup> فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين <sup>(٣)</sup> فجعلناهم  
 سلفاً ومثلاً للآخرين <sup>(٤)</sup> ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون <sup>(٥)</sup>

(١) يمشون معه يقرن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه .

(٢) استفتزهم بالقول واستنزهم وعمل فيهم كلامه . وقيل طلب منهم الخفة في الطاعة

وهي الإسراع .

(٣) خارجين عن دين الله .

(٤) آسف من أسف أسفا إذا اشتد غضبه . ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصي  
 فاستوجبوا أن يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وألا نعلم عنهم .

(٥) جمع سالف نخادم وخدم . (سلفاً) حمزة وعلى جمع سليف أى فريق قد سلف .

(٦) وحديثاً عجيب الشأن سائراً مسير المثل يضرب بهم الأمثال ويقال مثلكم مثل قوم  
 فرعون . (للآخرين) لمن يجيء بعدهم . ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم  
 في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم ومثلاً يحدثون به .

(٧) لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش (إناكم وما تعبدون من دون الله  
 حصب جهنم) غضبوا . فقال ابن الزبيرى يا محمد أخاصة لنا ولأهلنا أم لجميع الأمم ؟ فقال  
 عليه السلام هو لكم ولأهلتم وجميع الأمم . فقال أأست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتنبى  
 عليه وعلى أمه خيراً وقد علمت أن النصرارى يعبدونها ؟ وعزير يعبد . والملائكة يعبدون .  
 فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وأهلنا معهم . ففرحوا وضحكوا . وسكت  
 النبي صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله تعالى (إنا الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون)  
 ونزلت هذه الآية . والمعنى (ولما) ضرب ابن الزبيرى عيسى بن مريم مثلاً لأهلهم وجادل  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة الصارى إياه (إذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل  
 (يصدون) يرتفع لهم جلبة وضحج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات النبي صلى الله عليه

وَقَالُوا ءَأَلٰهِنَا خَيْرٌ اَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ اِلَّا جَدْلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ  
 خٰصِمُونَ ﴿٢١﴾ اِنْ هُوَ اِلَّا عَبْدٌ اَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا  
 لِّبَنِي اِسْرَءِيْلَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْاَرْضِ يَخْلُقُوْنَ ﴿٢٣﴾

وسلم يجعله . (يصدون) مدني وشامي والأعشى وعلى من الصدود. أي من أجل هذا المثل  
 يصدون عن الحق ويعرضون عنه . وقيل من الصديد ، وهو الجلبة ، وأتتهما لغتان نحو  
 يعكف ويعكف .

(١) يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى . فإذا كان عيسى من حصب النار  
 كان أمر آلهتنا هينا . (ماضربوه) أي ماضربوا هذا المثل (لك إلا جدلا) إلا لأجل الجدل  
 والغلبة في القول لا لطلب الميزين الحق والباطل .

(٢) لشداد الخصومة دأبهم الججاج . وذلك أن قوله تعالى (إنكم وما تعبدون) لم يرد به  
 إلا الأصنام . لأن ما غير العقلاء . إلا أن ابن الزبيري بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه  
 وجه العموم مع علمه بأن المراد به أصنامهم لا غير ، وجد للحيلة مساعا . فصرف اللفظ إلى  
 الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريق الججاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة .  
 وتوقع في ذلك . فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه .

(٣) ما عيسى (إلا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبني إسرائيل)  
 وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني إسرائيل .

(٤) (جعلنا منكم) أي بدلا منكم . كذا قاله الزجاج . وقال جامع العلوم جعلنا بدلکم .  
 و (من) بمعنى البدل . (يخلفون) يخلفونكم في الأرض . أو يخلف الملائكة بعضهم بعضا .  
 وقيل (ولو نشاء) لقدرتنا على عجائب الأمور (جعلنا منكم) لولدنا منكم يا رجال (ملائكة)  
 يخلفونكم في (الأرض) كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل ، لتعرفوا  
 تميزنا بالقدرة الباهرة ، ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام . والقديم متعال  
 عن ذلك .

وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿١﴾  
 وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ  
 قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
 وَأَطِيعُوا أَمْرًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣﴾  
 فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْحِجْمِ ﴿٤﴾

(١) وإن عيسى مما يعلم به مجيء الساعة. وقرأ ابن عباس (لعمركم الساعة) وهو العلامة .  
 أى وإن نزوله علم للساعة .

(٢) فلا تشكنَّ فيها . من المرية وهو الشك .

(٣) وبالياء فيهما سهل ويعقوب . أى واتبعوا هداى وشرعى أو رسولى . أو هو أمر  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوله .  
 (٤) أى ( هذا ) الذى أدعوكم إليه .

(٥) ( ولا يصدنكم ) عن الإيمان بالساعة أو عن الاتباع ( إنه لكم عدو مبين ) ظاهر  
 العداوة إذ أخرج أبانك من الجنة ونزع عنه لباس النور .

(٦) بالمعجزات . أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات .

(٧) أى ( قد جئتكم ) بالإنجيل والشرائع ( ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه ) وهو  
 أمر الدين لا أمر الدنيا .

(٨) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام .

(٩) ( فاختلف ) الفرق المتحزبة بعد عيسى . وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية  
 والشعونية ( من بينهم ) من بين النصارى ( فويل للذين ظلموا ) حيث قالوا فى عيسى  
 ما كفروا به ( من عذاب يوم أليم ) وهو يوم القيامة .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ الْأَخْلَاءُ  
يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ يَنْعَبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ  
الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٤﴾  
أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٥﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ  
﴿٦﴾

(١) الضمير لقوم عيسى . أو للكفار . (أن تأتيهم) بدل من الساعة . أى (هل ينظرون  
إلا إتيان الساعة (بغتة وهم لا يشعرون) أى وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله (تأخذهم  
وهم يخضون) .

(٢) (الأخلاء) جمع خليل (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين) أى  
المؤمنين . وانتصاب (يومئذ) بعدو . أى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالفين فى غير  
ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا إلا خلة المتصادقين فى الله . فإنها الخلة الباقية .

(٣) بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى وأبو عمرو . وفتح الياء أبو بكر . الباقون  
يحذف الياء .

(٤) هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ .

(٥) منصوب المحل صفة لعبادى لأنه منادى مضاف .

(٦) صدقوا بآياتنا (وكانوا مسلمين) لله منقادين له .

(٧) (وأزواجكم) المؤمنات فى الدنيا .

(٨) تسرون سرورا يظهر حباراه أى أثره على وجوهكم .

(٩) جمع صحفة .

مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا  
 خَالِدُونَ ﴿١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ  
 كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٤﴾ لَا يُفْتَرُ  
 عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾

(١) أى من ذهب أيضا . والكوب الكوز لا عروة له .

(٢) وفي الجنة (ما تشتهيه الأنفس) — مدنى وشامى وحفص باثبات الهاء العائدة إلى الموصول . وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول — (وتلذ الأعين) . وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهيات في القلوب أو مستلذة في العيون .

(٣) (وتلك) إشارة إلى الجنة المذكورة . وهى مبتدأ . و (الجنة) خبر . و (التي أورثتموها) صفة (الجنة) . أو الجنة صفة للمبتدأ الذى هو اسم الإشارة . و (التي أورثتموها) خبر المبتدأ . أو التي أورثتموها صفة للمبتدأ . و (بما كنتم تعملون) الخبر . والباء تتعلق بمحذوف أى حاصله أو كائنه كما في الظروف التي تقع أخبارا . وفي الوجه الأول تتعلق بأورثتموها . وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة .

(٤) (من) للتبويض أى لا تأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية في شجرها فهى مزيّنة بالثمار أبدا . وفي الحديث لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها .

(٥) خبر بعد خبر .

(٦) خبر آخر . أى لا يخفف ولا ينقص .

(٧) (وهم) في العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحيرون .

(٨) (وما ظلمناهم) بالعذاب .

(٩) (هم) فصل

وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴿١﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ  
بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذْرِبُونَ ﴿٢﴾ أَمْ أBRمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٣﴾  
أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤﴾

(١) (و) لما أيسوا من فتور العذاب (نادوا يملك) وهو خازن النار - وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ (يامال) فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم - (ليقض علينا ربك) ليعتدنا من قضى عليه إذا أماته (فوكزه موسى ففضى عليه). والمعنى سل ربك أن يقضى علينا. (قال إنكم ما كثون) لا يثبون في العذاب لا يتخلصون عنه بموت ولا فتور (لقد جئناكم بالحق) كلام الله تعالى. ويجب أن يكون في (قال) ضمير الله. لما سألوها مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك. وقيل هو متصل بكلام مالك (\*) والمراد بقوله (جئناكم) الملائكة إذ هم رسل الله وهو منهم.

(٢) لا تقبلونه وتنفرون منه لأن مع الباطل الدعة ومع الحق التعب.

(٣) (أم) أحكم مشركو مكة (أمرا) من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (فإننا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم.

(٤) كانوا يتنادون فيتناجون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة فنزل (أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم) حديث أنفسهم (ونجواهم) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا) أي الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك. وعن يحيى بن معاذ: من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية، فقد جعله أهون الناظرين إليه. وهو من أمارات النفاق.

(\*) أي ضمير قال يعود على مالك



قُلْ إِنْ كَانَتْ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢﴾ فَذَرَهُمْ  
 يَحْوِضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٣﴾ وَهُوَ  
 الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾

(١) (إن) صح ذلك ببرهان (فأنا أول العابدين) فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والافتقار إليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه . وهذا كلام وارد على سبيل الفرض . والمراد نفى الولد . وذلك أنه علق العبادة بكيونة الولد . وهي محال في نفسها . فكان المعلق بها محالاً مثلها . ونظيره قول سعيد بن جبير للجاج - حين قال له " والله لأبدلنك بالدنيا نارا تاظي " : لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلهاً غيرك . وقيل (إن كان للرحمن ولد) في زعمكم (فأنا أول العابدين) أي الموحدين لله المكذبين قولكم إضافة الولد إليه . وقيل (إن كان للرحمن ولد) في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبيد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبيد وعابد . وقرئ (العبيدين) . وقيل هي (إن النافية) أي ما (كان للرحمن ولد) . فأنا أول) من قال بذلك وعبد ووحده . وروى أن النضر قال الملائكة بنات الله . فنزلت . فقال النضر ألا ترون أنه صدقتي . فقال له الوليد ما صدقتك ولكن قال ما (كان للرحمن ولد فأنا أول) الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له (وُلد) حمزة وعلي . ثم تزده ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) . أي هو رب السموات والأرض والعرش . فلا يكون جسماً إذ لو كان جسماً لم يقدر على خلقها . وإذا لم يكن جسماً لا يكون له ولد . لأن التولد من صفة الأجسام .

(٢) (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) أي القيامة . وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب .

(٣) ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما تقول هو حاتم في طي وحاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت

وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ  
 عِلْمُ السَّاعَةِ <sup>(١)</sup> وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ <sup>(٢)</sup> وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ  
 الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ <sup>(٣)</sup> وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ  
 مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ <sup>(٤)</sup>

هو جواد في طيِّ جواد في تغلب . وقرئ ( وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ) . ومثله قوله ( وهو الله في السموات وفي الأرض ) . فكأنه ضمن معنى المعبود . والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قاتل لك شيئا . والتقدير ( وهو الذي ) هو ( في السماء إله ) . و ( إله ) يرتفع على أنه خبر مبتدأ مضمرة . ولا يرتفع ( إله ) بالا بتداء وخبره ( في السماء ) نخلو الصلة حينئذ من عائد يعود إلى الموصول . ( وهو الحكيم ) في أقواله وأفعاله ( العليم ) بما كان ويكون .

(١) أى علم قيامها .

(٢) ( يرجعون ) مكيّ وحمزة وعلى .

(٣) ( ولا يملك ) آلهتهم ( الذين يدعون ) أى يدعونهم ( من دونه ) من دون الله ( الشفاعة ) كما زعموا أنهم شفاعاؤهم عند الله .

(٤) أى ولكن ( من شهد بالحق ) بكلمة التوحيد ( وهم يعلمون ) أن الله ربهم حقا ويعتقدون ذلك ، هو الذى يملك الشفاعة . وهو استثناء منقطع . أو متصل لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة .

(٥) ( ولئن سألتهم ) أى المشركين ( من خلقهم ليقولنَّ الله ) لا الأصنام والملائكة ( فأنى يؤفكون ) فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار ؟

وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ <sup>(١)</sup> فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ  
سَلِّمْ <sup>(٢)</sup> فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ <sup>(٣)</sup>

(١) (وقيله) بالجر عاصم وحمزة. أى وعنده علم الساعة وعلم (قيله يارب). والهاء يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره في قوله ( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ) . وبالنصب ، الباقرن عطفًا على محل (الساعة) أى يعلم الساعة ويعلم (قيله) أى قيل مجد (يارب). والنيل والقول والقال والمقال واحد . ويجوز أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه. وجواب القسم (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون). كأنه قيل وأقسم بقيله (يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) . وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه .

(٢) فأعرض عن دعوتهم يأسًا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم . (وقل) لهم (سلام) أى تسلم منكم ومشاركة .

(٣) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم . وبالناء مدنى وشامى .

## سورة الدخان مكية

وهي تسع وخمسون آية

في الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴿٣﴾  
 ﴿٤﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٥﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٦﴾

(١) (والكتاب المبين) أي القرآن. الواو في (والكتاب) واو القسم إن جعلت (حم) تعديدا للروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف ، وواو العطف إن كانت (حم) مقسما بها. وجواب القسم (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) أي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان. وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة. والجمهور على الأول لقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقوله (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن). وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان. ثم قالوا أنزله جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل ابتداء نزوله في ليلة القدر. والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء. ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة .

(٢) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم. كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب . وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة . وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم . ومعنى (يفرق) يفصل ويكتب (كل أمر) من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى ليلة القدر التي تجيء في السنة المقبلة . (حكيم) ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة . وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة . ووصف الأمر به مجازا .

أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا تَكَا مُرْسَلِينَ ﴿١﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ  
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن  
 كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٣﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ  
 وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٥﴾

(١) (أمرا) نصب على الاختصاص. جعل كل أمر جزلا فخا بأن وصفه بالحكيم ثم زاده  
 جزالة ونخامة بأن قال أعنى بهذا الأمر (أمرا) حاصلنا (من عندنا) كما اقتضاه علمنا وتديرونا .

(٢) (إننا تكا مرسلين) بدل من (إننا تكا منذرين). و(رحمة من ربك) مفعول له على معنى  
 إننا أنزلنا القرآن لأن من شأننا وعادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم.  
 أو تعليل لقوله (أمرا من عندنا) . و (رحمة) مفعول به . وقد وصف الرحمة بالإرسال كما  
 وصفها به في قوله (وما يمسك فلا مرسل له من بعده). والأصل (إننا تكا مرسلين رحمة) متنا .  
 فوضع الظاهر موضع الضمير لئذنا بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المرئيين .

(٣) (إنه هو السميع) لأقوالهم (العليم) بأحوالهم .

(٤) (رب) كوفي بدل من (ربك) . وغيرهم بالرفع. أى هو (رب السموات والأرض  
 وما بينهما إن كنتم موقنين) . ومعنى الشرط أنهم كانوا يقرون بأن للسموات والأرض رباً  
 وخالقاً . فقيل لهم إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب . ثم قيل إن هذا الرب  
 هو السميع العليم الذى أتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن  
 كان إقراركم عن علم وإيقان . كما تقولون إن هذا إنعام زيد الذى تسمع الناس بكومه إن بلغك  
 حديثه وحدثت بقصته (لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم) أى هو ربكم (ورب آبائكم الأولين)  
 عطف عليه . ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم في شك يلعبون) وإن إقرارهم غير صادر  
 عن علم وتيقن . بل قول مخلوط بهزؤ ولعب .

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا  
عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾  
أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا  
مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٥﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ﴿١٦﴾ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٧﴾

(١١) فانتظر (يوم تأتي السماء بدخان) يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسمع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيد ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص . وقيل إن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال "اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف" . فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز . وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان . وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان . (مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان . (يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم . وهو في محل الجزر صفة لدخان . وقوله (هذا عذاب أليم . ربنا اكشف عنا العذاب إننا مؤمنون) — أي سنؤمن إن تكشف عنا العذاب — منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون . ويقولون منصوب المحل على الحال أي قائلين ذلك .

(١٢) كيف يدكرون ويتعظون ويفنون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أي وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الأذكار من كشف الدخان . وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يدكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عذابا غلاما أعجميا لبعض تقيف هو الذي علمه ، ونسبوه إلى الجنون .

(١٣) زمانا (قليلًا) أو كشفا (قليلًا) .

(١٤) (عائدون) إلى الكفر الذي كنتم فيه أو إلى العذاب .

يَوْمَ نَبِّطُشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا  
 قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٢﴾ أَتَىٰ آدُوا إِلَىٰ  
 عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٣﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ  
 بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤﴾ وَإِنِّي عٰدْتُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٥﴾

(١) (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم القيامة أو يوم بدر (إنا منتقمون) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم . وانتصاب (يوم نبطش) باذكر أو بما دل عليه (إنا منتقمون) وهو ننتقم لا بمنتقمون . لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها .

(٢) (ولقد فتنا قبلهم) قبل هؤلاء المشركين — أى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا — (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين . أو كريم فى نفسه حسيب نسيب لأن الله تعالى لم يبعث نبيا إلا من سراة قومه وكرامهم . (أن آدوا إلى) هى (أن) المفسرة . لأن مجيء الرسول إلى من بعث إليهم متضمن لمعنى القول . لأنه لا يجيئهم إلا مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله . أو المنفقة من الثقيلة . ومعناه (وجاءهم) بأن الشأن والحديث (آدوا إلى) سأموا إلى (عباد الله) هو مفعول به . وهم بنو إسرائيل . يقول آدوهم إلى وأرسلوهم معى . كقوله (فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم) . ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى (آدوا إلى) يا (عباد الله) ما هو واجب لى عليكم من الإيمان لى وقبول دعوتى واتباع سبلى . وعال ذلك بقوله (إنى لكم رسول أمين) أى على رسالتى غير متهم .

(٣) (أن) هذه مثل الأولى فى وجهها . أى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه . أو لا تستكبروا على نبي الله .

(٤) بحجة واضحة تدل على أنى نبي .

(٥) (وإنى عذت) — مدغم أبو عمرو وحمة وعلى — (ربى وربكم أن ترجمون) أن تقتلونى رجما . ومعناه أنه عائد بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم . فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل .

وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ <sup>(١)</sup> فِدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ  
 مُجْرِمُونَ <sup>(٢)</sup> فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ <sup>(٣)</sup> وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ  
 رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ <sup>(٤)</sup> كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ <sup>(٥)</sup>  
 وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ <sup>(٦)</sup> وَنِعْمَةَ كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ <sup>(٧)</sup> كَذَلِكَ  
 وَأُورِثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ <sup>(٨)</sup> فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ <sup>(٩)</sup>

(١) أى إن لم تؤمنوا لى فلا مولاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى . أو فخلونى  
 كفافا لالى ولا على ، ولا تتعرضوا لى بشركم وأذاكم . فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه  
 فلا حكم ذلك . ( ترجمونى فاعتزلونى ) فى الحالين يعقوب .

(٢) ( فِدَعَا رَبَّهُ ) شاكيا قومہ ( أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ) بآن هؤلاء . أى دعا ربّه بذلك .  
 قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بل جرمهم . وقيل هو قوله ( ربنا لا تجعلنا فتنه  
 للقوم الظالمين ) ، وقرئ ( إن هؤلاء ) بالكسر على إضمار القول . أى ( فِدَعَا رَبَّهُ ) فقال ( إن هؤلاء ) .

(٣) ( فاسر ) من أسرى ( فاسر ) بالوصل حجازى من سرى . والقول مضمر بعد الفاء  
 ( ف ) قال ( أسر بعبادى ) أى بنى اسرائيل ( ليلًا إنكم متبعون ) أى دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم  
 فرعون وجنوده فينجى المتقدمين ويفرق التابعين .

(٤) ( وأترك البحر رهوا ) ساكنا . أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر أن يضربه  
 بعصاه فينطبق . فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قازا على حاله من انتصاب الماء وكون  
 الطريق يسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط . فإذا حصلوا فيه أطبقه الله  
 عليهم . وقيل الرهو الفجوة الواسعة . أى أتركه مفتوحا على حاله منفرجا ( إنهم جند مغرقون )  
 بعد خروجكم من البحر . وقرئ بالفتح أى لأنهم .

(٥) ( كم ) عبارة عن الكثرة ، منصوب بقوله ( تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام  
 كريم ) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة . وقيل المنابر ( ونعمة ) تنعم ( كانوا فيها فاكهين ) متتبعين  
 ( كذلك ) أى الأمر كذلك . فالكاف فى موضع الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر ( وأورثناها )



وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ  
 الْمُهِينِ ﴿٢﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ  
 اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ  
 بَلَلٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٧﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ ﴿٨﴾

قوما آخريين) ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل (فما بكت عليهم  
 السماء والأرض) لأنهم ماتوا كفارا . والمؤمن إذا مات تبكى عليه السماء والأرض فيبكي على  
 المؤمن من الأرض مصلاة ومن السماء مصعد عمله . وعن الحسن أهل السماء والأرض .

(١) أى لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا .

(٢) أى الاستخدام والاستعباد وقتل الأولاد .

(٣) بدل من (العذاب المهين) بإعادة الجواز كأنه في نفسه كان عذابا مهينا لإفراطه  
 في تعذيبهم وإهانتهم . أو خبر مبتدأ محذوف أى ذلك (من فرعون) .

(٤) (إنه كان عليا) متكبرا (من المسرفين) خبر ثان أى كان متكبرا مسرفا .

(٥) (ولقد اخترناهم) أى بنى إسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل . أى عالمين بمكان  
 الخيرة وبأنهم أحقوا بأن يختاروا (على العالمين) على عالمي زمانهم (وآياتناهم من الآيات) كفلق البحر  
 وتظليل الغمام وإنزال المان والسلوى وغير ذلك (ما فيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر  
 لتنظر كيف يعملون .

(٦) (إن) كفار قريش (ليقولون إن هي) ما الموتة (إلا موتتنا الأولى) . والإشكال أن  
 الكلام وقع في الحياة الثانية لا في الموت . فهلا قيل إن هي إلا حياتنا الأولى ؟ وما معنى  
 ذكر الأولى ؟ كأنهم وعدوا بموتة أخرى حتى مجدوها وأثبتوا الأولى . والجواب أنه قيل لهم  
 إنكم تموتون بموتة تتعقبها حياة كما تقدمتمكم بموتة قد تعقبها حياة . وذلك قوله تعالى (وكنتم

وَمَا نَحْنُ بِمُنشِرِينَ ﴿١﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ أَهْمٌ خَيْرٌ  
 أَمْ قَوْمٌ تُبْعِجُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣﴾  
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿٤﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا  
 بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴿٦﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧﴾

أمواتنا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم). فقالوا (إن هي إلا موتتنا الأولى) يريدون ما الموتة التي من شأنها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى. فلا فرق إذا بين هذا وبين قوله (إلا حياتنا الدنيا) في المعنى. ويحتمل أن يكون هذا إنكارا لما في قوله (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين).

(١) بمبعوثين. يقال أنشر الله الموتى ونشرهم إذا بعثهم.

(٢) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. أى إن صدقتم فيما تقولون فعبءوا لنا لإحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق.

(٣) (أهم خير) في القوة والمنعة (أم قوم تبع) هو تبع الحميري. كان مؤمنا وقومه كافرين. وقيل كان نبيا. وفي الحديث: ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبى. (والذين من قبلهم) مرفوع بالعطف على (قوم تبع). (أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين) كافرين متكرين للبعث. (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما) أى وما بين الجنسين (لاعين) حال. ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خالق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا. (ما خلقناهما إلا بالحق) بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أنه خلق لذلك. (إن يوم الفصل) بين الحق والمبطل وهو يوم القيامة (ميقاتهم أجمعين) وقت مواعدهم كلهم (يوم لا يغنى مولى عن مولى) أى ولى كان عن أى ولى كان (شيئا) من إغناء أى قليلا منه (ولا هم ينصرون) الضمير للمولى لأنهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياخ كل مولى.

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ <sup>(١)</sup> إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ <sup>(٢)</sup> إِنْ شَجَرَتِ  
 الزُّقُومِ <sup>(٣)</sup> طَعَامَ الْأَيْمِ <sup>(٤)</sup> كَأَلْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ <sup>(٥)</sup> كَغَلِي  
 الْحَمِيمِ <sup>(٦)</sup> خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ <sup>(٧)</sup> ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ  
 رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ <sup>(٨)</sup> ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ <sup>(٩)</sup>

(١) في محل الرفع على البدل من الواو في (ينصرون). أى لا يمنع من العذاب (إلا من) رحمه (الله).

(٢) (إنه هو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) لأوليائه .

(٣) (إن شجرت الزقوم) هى على صورة شجر الدنيا لكنها فى النار . والزقوم نمرها . وهو كل طعام ثقيل (طعام الأيم) هو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء أنه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم . فقال قل طعام الفاجر يا هذا . وبهذا تستدل على أن إبدال الكلمة مكان الكلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها . ومنه أجاز أبو حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدى القارئ المعانى كلها على كمالها من غير أن يخرج منها شيئا . قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا لإجازة . لأن فى كلام العرب — خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه — من لطائف المعانى والدقائق ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها . ويروى رجوعه إلى قولها . وعليه الاعتماد . (كالمهل) هو دُرْدَى الزيت . والكاف رفع خبر بعد خبر . (تغلى فى البطن) — وبالياء مكى وحفص فالنساء للشجرة والياء للطعام — (كغلى الحميم) أى الماء الحار الذى انتهى غليانه . ومعناه غليا (كغلى الحميم) . فالكاف منصوب المحل . ثم يقال للزبانة (خذوه) أى الأيم (فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة — (فاعتلوه) مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب — (إلى سواء الجحيم) إلى وسطها ومعظها .

(٤) المصبوب هو الحميم لا عذابه إلا أنه إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته . وصب العذاب استعارة .

(٥) يقال له على سبيل الهزؤ والتهم . (أنك) أى لأنك ، على .

إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ <sup>(١)</sup> إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ <sup>(٢)</sup>  
 فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ <sup>(٤)</sup> يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ <sup>(٦)</sup>  
 كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ <sup>(٩)</sup> يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ <sup>(١٢)</sup>

(١) (إن هذا) العذاب أو هذا الأمر هو (ما كنتم به تمترون) تشكون .

(٢) بالفتح وهو موضع القيام . والمراد المكان . وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم . وبالضم مدنى وشامى . وهو موضع الإقامة .

(٣) من أمن الرجل أمانة فهو أمين . وهو ضد الخائن . فوصف به المكان استعارة لأن المكان الخيف كَأَمَّا يَخُونُ صاحبه بما يلقى فيه من المكاره .

(٤) بدل من (مقام أمين) .

(٥) مارق من الدياج .

(٦) ما غلظ منه . وهو تعريب استبر . واللفظ إذا عرب نرج من أن يكون أعجميا . لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن مناهجه وإجرائه على أوجه الإعراب . فساغ أن يقع في القرآن العربي .

(٧) (متقابلين) في مجالسهم . وهو أتم للانس .

(٨) الكاف مرفوعة . أى الأمر (كذلك) .

(٩) وقرناهم . ولهذا عدى بالباء .

(١٠) جمع حوراء . وهى الشديدة سواد العين والشديدة بياضا .

(١١) جمع عيناء . وهى الواسعة العين .

(١٢) يطلبون فى الجنة (بكل فاكهة آمنين) من الزوال والانتطاع وتولد الضرر من الإكثار .

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١﴾  
 فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢﴾ فَإِنَّمَا يَسْمُرُ لَهُ بِلسَانِكَ  
 لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٦﴾

(١) (لا يذوقون) في الجنة (الموت) البتة (إلا الموتة الأولى) أى سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا . وقيل لكن الموتة قد ذاقوها في الدنيا .

(٢) أى للفضل . فهو مفعول له . أو مصدر مؤكد لما قبله لأن قوله (ووقاهم عذاب الجحيم) تفضل منه لهم لأن العبد لا يستحق على الله شيئاً .

(٣) أى صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم) .

(٤) أى الكتاب . وقد جرى ذكره في أول السورة .

(٥) يتعظون .

(٦) فانتظر ما يحل بهم (لأنهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك من الدوائر .

## سورة الجاثية مكية

وهي سبع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ  
يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَآخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ  
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

(١) (حم) إن جعلتها اسما للسورة فهو مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب) و (من الله) صلة للتنزيل . وإن جعلتها تعديدا للمخروف كان (تنزيل الكتاب) مبتدأ ، والظرف خبرا .

(٢) (العزیز) في انتقامه (الحكيم) في تديره .

(٣) (إن في السموات والأرض آيات) لدلالات على وحدانيته . ويجوز أن يكون المعنى (إن في) خالق (السموات والأرض آيات للمؤمنين) . دليله قوله (وفي خلقكم) . ويعطف (وما يبتث من دابة) على الخالق المضاف . لأن المضاف إليه ضمير مجرور متصل بفتح العطف عليه . (آيات) حمزة وعلى بالنصب . وغيرهما بالرفع مثل قولك إن زيدا في الدار وعمرا في السوق أو وعمرو في السوق . (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) — أي مطر . وسمى به لأنه سبب الرزق — (فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح) — (الرييح) حمزة وعلى — (آيات) بالنصب على وحمزة . وغيرهما بالرفع . وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت . فالعاملان إذا نصبت (إن)

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ<sup>(٢)</sup>  
 وَيَلُّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ<sup>(١)</sup> يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا<sup>(٤)</sup>

و(في). أقيمت الواو مقامهما فعملت الجز في (واختلاف الليل والنهار) والنصب في (آيات).  
 وإذا رفعت فالعاملان الابتداء و(في). عملت الواو الرفع في آيات والجز في (واختلاف). هذا  
 مذهب الأخفش . لأنه يجوز العطف على عاملين . وأما سيبويه فإنه لا يجيزه . وتخرج الآية  
 عنده أن يكون على إضمار (في). والذي حسنه تقديم ذكر (في) في الآيتين قبل هذه الآية . ويؤيده  
 قراءة ابن مسعود رضي الله عنه (وفي اختلاف الليل والنهار). ويجوز أن ينصب (آيات)  
 على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله ، أو على التكرير توكيدا لآيات الأولى .  
 كأنه قيل آيات آيات . ورفعها بإضمار (هي) والمعنى ، في تقديم الإيمان على الإيقان وتوسيطه  
 وتأخير الآخر ، أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض نظرا صحيحا علموا  
 أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله . فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتلقاها من  
 حال إلى حال ، وفي خلق ما ظهر على الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا .  
 فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت ، كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار  
 وحياة الأرض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبوراً ، عقلوا واستحكم  
 علمهم وخلص يقينهم .

(١) (تلك) إشارة إلى الآيات المتقدمة . أي تلك الآيات (آيات الله) . وقوله (تتلوها)  
 في محل الحال أي متلوة (عليك بالحق) . والعامل ما دل عليه (تلك) من معنى الإشارة .

(٢) أي بعد آيات الله . كقولهم أعجبنى زيد وكرمه ، يريدون أعجبنى كرم زيد .

(٣) حجازي وأبو عمرو وسهل وحفص . وبالناء غيرهم على تقدير قل يا محمد .

(٤) (ويل لكل أفَّاك) كذاب (أثيم) متبالغ في اقتراف الآثام (يسمع آيات الله) —  
 في موضع جز صفة — (تتلى عليه) — حال من (آيات الله) — (ثم يصير) يقبل على كفره ويقم  
 عليه (مستكبرا) عن الإيمان بالآيات والإذعان لما تنطق به من الحق مزدرى لها معجبا

كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ <sup>(٢)</sup> وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا  
 هُزُوًا <sup>(٣)</sup> وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ <sup>(٤)</sup> مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ  
 مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ <sup>(٥)</sup>

بما عنده . قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من أحاديث العجم ويشغل بها  
 الناس عن استماع القرآن . والآية عاقبة في كل من كان مضاراً لدين الله . وحيء بم لأن الإصرار على  
 الضلالة والاستكبار عن الإيمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في العقول .

(١) (كان) مخففة . والأصل كأنه (لم يسمعها) . والضمير ضمير الشأن . ومحل الجملة النصب  
 على الحال . أى (يصر) مثل غير السامع .

(٢) فأخبره (بعذاب أليم) خبراً يظهر أثره على البشرية .

(٣) وإذا بلغه شيء من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) . ولم يقل  
 اتخذها للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع  
 الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه . ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه في معنى الآية  
 كقول أبي العتاهية :

نفسى بشيء من الدنيا معلقة \* الله والقائم المهدي يكفيها

حيث أراد عتبة .

(٤) (أولئك) — إشارة إلى (كل أفاك أئيم) لشموله الأفاكين — (لهم عذاب مهين) مخز .  
 (من ورائهم) من قدامهم — وراء اسم للجهة التي يوارىها الشخص من خلف أو قدام — (جهنم)  
 ولا يغنى عنهم ما كسبوا) من الأموال (شيئاً) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا) — (ما) فيهما  
 مصدرية أو موصولة — (من دون الله) من الأوثان (أولياء) ولهم عذاب عظيم) في جهنم .



هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِنَايَبَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّبِّهِمْ <sup>(١)</sup> أَلَيْسَ اللَّهُ  
الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ <sup>(٢)</sup> وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ <sup>(٣)</sup> قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ <sup>(٤)</sup>

(١) (هذا هدى) إشارة إلى القرآن. ويدل عليه (والذين كفروا بآيات ربهم). لأن آيات ربهم هي القرآن. أى هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل أى كامل في الرجولية. (لهم عذاب من ربح) — هو أشد العذاب — (أليم) بالرفع مكى ويعقوب وحفص صفة لعذاب. وغيرهم بالخر صفة لربح.

(٢) (بأمره) بإذنه. (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى.

(٣) (جميعاً) هو تأكيد (مافي السموات). وهو مفعول (سخر). وقيل (جميعاً) نصب على الحال. (منه) حال. أى سخر هذه الأشياء كأنه (منه) حاصلة من عنده. أو خبر مبتدأ محذوف. أى هذه النعم كلها (منه). أو صفة للمصدر أى تسخيراً (منه).

(٤) أى (قل) لهم اغفروا (يفغروا) — محذوف المقول لأن الجواب يدل عليه. ومعنى (يفغروا) يعفوا ويصفحوا. وقيل أنه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا. فهو أمر مستأنف. وجاز حذف اللام للدلالة على الأمر — (للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه. من قولهم لوقائع العرب "أيام العرب". وقيل لا يؤملون الأوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها. قيل نزلت في عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى غفار فهم أن يبطش به.

لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ<sup>(١)</sup> مِنْ عَمَلٍ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ  
فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ<sup>(٢)</sup> وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ<sup>(٣)</sup>  
وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ<sup>(٤)</sup> مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ<sup>(٥)</sup>

(١) تعليل للأمر بالمغفرة. أي إنما أمر وأبان يغفروا ليوقيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة. وتنكير (قوما) على المدح لهم. كأنه قيل (ليجزى) أي ما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم — (لنجزى) شامئ وحزمة وعلى. (ليجزى قوما) يزيد. أي (ليجزى) الخير (قوما). فاضمر الخير لدلالة الكلام عليه، كما أضمر الشمس في قوله (حتى توارت بالحجاب) لأن قوله (إذ عرض عليه بالعشي) دليل على توارى الشمس. وليس التقدير (ليجزى) الجزء (قوما) لأن المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح. أما إقامة المفعول الثاني مقام الفاعل بخائر وأنت تقول جزاك الله خيرا — (بما كانوا يكسبون) من الإحسان.

(٢) أي لها الثواب وعليها العقاب.

(٣) أي إلى جزائه

(٤) التوراة.

(٥) الحكمة والفقهاء أو فصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم.

(٦) خصها بالذكر لكثرة الأنبياء عليهم السلام فيهم.

(٧) مما أحل الله لهم وأطاب من الأرزاق.

(٨) على عالمي زمانهم.

وَأَتَيْنَهُم بِبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ  
 الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا  
 فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا  
 وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ  
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ  
 الْمُتَّقِينَ ﴿١٢﴾ هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٣﴾

(١٠) (وأتيناهم) آيات ومعجزات (من الأمر) من أمر الدين (فما اختلفوا) فمواقع الخلاف  
 بينهم في الدين (إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أى إلا من بعد ما جاءهم ما هو موجب  
 لزوال الخلاف وهو العلم. وإنما اختلفوا لبغى حدث بينهم أى لعداوة وحسد بينهم. (إن ربك يقضى  
 بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون). قيل المراد اختلافهم في أوامر الله ونواهيه في التوراة  
 حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون الإنسان به معذورا. (ثم جعلناك) بعد اختلاف أهل  
 الكتاب (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الأمر) من أمر الدين. فاتبع شريعتك النابتة  
 بالحجج والدلائل. ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة.  
 وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع إلى دين آبائك. إن هؤلاء الكافرين (لن يغنوا عنك من  
 الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) وهم موالوه. وما أبين الفضل  
 بين الولايتين.

(١٢) (هذا) القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر  
 في القلوب كما جعل روحا وحياة (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يوقنون)  
 لمن آمن وأيقن بالبعث.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥﴾

(١) (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسابان .

(٢) اكتسبوا المعاصي والكفر . ومنه الجوارح ، وفلان جارحة أهله أى كاسبهم .

(٣) (أن نجعلهم) أن نصيرهم . وهو من جعل المتعدى إلى مفعولين . فأولها الضمير والثاني الكاف  
في (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) . والجملة التي هي (سواءً محياهم ومماتهم) بدل من الكاف  
لأن الجملة تقع مفعولاً ثانياً فكانت في حكم المفرد . (سواءً) على وحزمة وحفص بالنصب على الحال  
من الضمير في (نجعلهم) . ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء . وقرأ الأعمش (ومماتهم) بالنصب . جعل  
(محياهم ومماتهم) ظرفين كمقدم الحاج . أى سواء في محياهم وفي مماتهم . والمعنى إنكار أن يستوى  
المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مماتاً لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام  
بالطاعات وأولئك على اقتراف السيئات ، ومماتاً حيث مات هؤلاء على البشرية بالرحمة والكرامة ،  
وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة . وقيل معناه إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة  
في الرزق والصحة .

(٤) بئس ما يقضون إذا حسبوا أنهم كالمؤمنين . فليس من أقعد على بساط الموافقة ، كمن  
أقعد على مقام المخالفة . بل نفرق بينهم فعلى المؤمنين ونخزي الكافرين . وعن تميم الدارى  
رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد إلى الصباح  
(سواء ما يحكمون) . وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددتها ويبكى ويقول يا فضيل ليت شعري  
من أى الفريقين أنت .

(٥) (وخلق الله السموات والأرض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) — معطوف على هذا  
المعلل المحذوف — (كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) .

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهَ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ  
 وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ<sup>(١)</sup>  
 وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ<sup>(٢)</sup>

(١) أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه فكأنه يعبد كما يعبد الرجل إلهه (وأصله الله على علم) منه باختياره الضلال. أو أنشأ فيه فعل الضلال (على علم) منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقاً (وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عبرة - (غشوة) حمزة وعلى - (فمن يهديه من بعد الله) من بعد إضلال الله آياه (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص . وغيرهم بالتشديد . فأصل الشر متابعة الهوى والخير كله في مخالفته . فنعم ما قال :

إذا طلبتك النفس يوماً بشهوة \* وكان إليها للخلاف طريق

فدعها وخالف ماهويت فإتما \* هو لك عدو والخلاف صديق

(٢) (ماهى) أى ما الحياة - لأنهم وعدوا حياة ثانية - (إلا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها .

(٣) (نموت) نحن (ونحيا) ببقاء أولادنا . أو يموت بعض ونحيا بعض . أو نكون مواتا نطفافى الأصلاب ونحيا بعد ذلك . أو يصيبنا الأمران الموت والحياة - يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها - وليس وراء ذلك حياة . وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى موات فيحيا به .

(٤) كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالى هو المؤثر فى هلاك الأنفس ، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بإذن الله . وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان . وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان . ومنه قوله عليه السلام "لا تستبوا الدهر فإن الله هو الدهر" . أى فإن الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر .

وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ <sup>(١)</sup> وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ <sup>(٢)</sup> قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(٣)</sup> وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُوسِّدُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ <sup>(٤)</sup> وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلِّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(٥)</sup>

(١) وما يقولون ذلك من علم ويقين ، ولكن من ظن وتخمين .

(٢) (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات) — أى القرآن . يعنى ما فيه من ذكر البعث — (ما كان حجتهم) — وسعى قولهم حجة وإن لم يكن حجة لأنه في زعمهم حجة — (إلا أن قالوا أتتوا بآياتنا) أى أحيوهم (إن كنتم صادقين) في دعوى البعث . و (حجتهم) خبر كان . واسمها (أن قالوا) . والمعنى (ما كان حجتهم إلا) مقالتهم (أتوا بآياتنا) . وقرئ (حجتهم) بالرفع على أنها اسم (كان) و (أن قالوا) الخبر .

(٣) (قل الله يحييكم) في الدنيا (ثم يميتكم) فيها عند انتهاء أعماركم (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة) أى يبعثكم يوم القيامة جميعا . ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الإتيان بآياتكم ضرورة (لا ريب فيه) أى في الجمع (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قدرة الله على البعث لإعراضهم عن التفكير في الدلائل .

(٤) عامل النصب في (يوم تقوم) هو (يحسر) . و (يومئذ) بدل من (يوم تقوم) .  
(٥) جالسة على الركب . يقال جئنا فلان يحنو إذا جلس على ركبته وقيل (جائية) مجتمعة .

(٦) (كل أمة) — بالرفع على الابتداء . (كل) بالفتح يعقوب على الإبدال من (كل أمة) — (تدعى إلى كتابها) إلى صحائف أعمالها — فاكتفى باسم الجلس — فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا .

والسفر فهو يوم  
رأى على ما هو عليه من فرض في الدنيا بل لا يسهل ليعرف ليعرف في كل حصة من الأجر  
وذلك لئلا يسهل وهو السعى فهو تسمى لقل الله يحييكم ثم يميتكم ، إلى

هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ فَأَمَّا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
 الْمُبِينُ ﴿٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتلىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ  
 وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٥﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا  
 قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِقِنِينَ ﴿٦﴾

(١) أضيف الكتاب إليهم للاستهية أيام لأن أعمالهم مثبتة فيه ، وإلى الله تعالى لأنه مالكة والامر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده .

(٢) يشهد عليكم بما عملتم ( بالحق ) من غير زيادة ولا نقصان .

(٣) أى نستكتب الملائكة أعمالكم . وقيل نسخت واستنسخت بمعنى . وليس ذلك ينقل من كتاب . بل معناه ثبت .

(٤) جنته .

(٥) (وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليك) . والمعنى (أ) لم يأتكم رسول (فلم تكن آياتي تتلى عليكم) — فحذف المعطوف عليه — (فاستكبرتم) عن الإيمان بها (وكنتم قوما مجرمين) كافرين .

(٦) (وإذا قيل إن وعد الله) بالجزاء (حق والساعة) — بالرفع عطف على محل إن واسمها (والساعة) حمزة . عطف على (وعد الله) — (لا ريب فيها قلم ما ندرى ما الساعة) أى شيء (الساعة إن نظن إلا ظنا) . أصله نظن ظنا ومعناه إثبات الظن فحسب . فأدخل حرف النفي والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه . وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله (وما نحن بمستيقنين) .

أما نقص الظن أو ما نقصه إلا ظنا ضعيفا

هذا لا يأتى هذا الرفع أنه من الظن أنه نقصه فليس له اللفظ  
 عام ولا يفسر والظن هم استنسخه لظن

المراد بالوعد الموعود  
 وكلمة معن هو  
 ما أتى ليرى  
 تفسيره  
 يراد منه الخبر المرغوب  
 وهو صفة الظن

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١﴾  
 وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِكُمَا كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ  
 وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّكُمْ أَتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا  
 وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣﴾  
 فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ  
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

(١) ظهر لهؤلاء الكفار (سيئات ما عملوا) قبائح أعمالهم . أو عقوبات أعمالهم السيئات

كقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) .

(٢) ونزل بهم جزاء استهزائهم .

(٣) أي تركتم في العذاب كما تركتم عتدة لقاء يومكم . وهي الطاعة . وإضافة اللقاء إلى اليوم بإضافة المكر في قوله ( بل مكر الليل والنهار ) أي (نسيتم لقاء) الله تعالى في (يومكم هذا)

ولقاء جزائه . *ناصره بسند فخر مرفوع بالرواية عنه لضمه منع منه ظهورها بالبار*

(٤) أي متزلكم . *الجليل في صرف الروايات*

(٥) (ذلكم) العذاب (بأنكم) بسبب أنكم (اتخذتم آيات الله هزواً) وغرتكم الحياة الدنيا .

(٦) (لا يخرجون) حمزة وعلى . *عدله في خطاب الإغنية لذكرهم ما دخل النار من هزواً بالفتحة*

(٧) ولا يطلب منهم أن يعتبروا ربهم أي يرضوه .

(٨) أي فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والأرض والعالمين فإن مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مرئوب . *والمراد بالرب الرب الرباني*

(٩) وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والأرض (وهو العزيز) في انتقامه (الحكيم) في أحكامه .

*المراد بالبار  
ظهور أعمالهم السيئة  
حسنة على صبر  
بسيئة هذا  
ونظير بأضربهم  
الضبية*



## سورة الأحقاف مكية

وهي خمس وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ  
 كَفَرُوا عَمَّا أَنْذَرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَشْتُونِي  
 بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾

(١) متبئسا (بالحق) . أو المسمى للقول أو مضمورا لطفقا  
 رتقوا ملبسة بالهم

(٢) (و) بتقدير (أجل مسمى) ينتهي إليه . وهو يوم القيامة .

(٣) (والذين كفروا عما أنذروا) ه من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل مخلوق من انتهائه  
 إليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له . ويجوز أن تكون (ما) مصدرية . أي  
 عن إنذارهم ذلك اليوم .

(٤) أخبروني (ما تدعون من دون الله) تعبدونه من الأصنام : (أروني ما ذا خلقوا من  
 الأرض) أي شيء خلقوا مما في الأرض إن كانوا آلهة ؟ (أم لهم شرك في السموات) شركة  
 مع الله في خلق السموات والأرض ؟ (أثبتوني بكتاب من قبل هذا) أي من قبل  
 هذا الكتاب وهو القرآن يعني أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك . وما من

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿١﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا  
لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا  
بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٣﴾

كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك . فأتوا بكتاب واحد منزل من  
قبله شاهد بصحة ما أتم عليه من عبادة غير الله (أو إثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم  
من علوم الأوائل (إن كنتم صادقين) أن الله أمركم بعبادة الأوثان .

(١) (وهم عن دعائهم غافلون) أي أبدا . (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أي  
الأصنام لعبدتها (وكانوا) أي الأصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون ما دعوناهم  
إلى عبادتنا . ومعنى الاستفهام في (من أضل) إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا  
من عبدة الأوثان حيث يتركون دعاء السميع الحبيب القادر على كل شيء ويدعون من دونه  
جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة  
(وإذا) قامت القيامة (و حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا) عليهم ضدا . فليسوا في الدارين  
إلا على نكد ومضرة ؛ لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة ، وفي الآخرة تعاديهم ، وتجحد عبادتهم بحراب لمعاداة  
ولمّا أسند إليهم ما يسند إلى أولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل (من) و (هم) . ووضفهم  
ترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهمك بها وعبادتها . ونحوه قوله تعالى (إن تدعوهم  
لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) .

(٢) جمع بينة . وهي الحجّة والشاهد . أو واضحات مبيّنات .

(٣) المراد بالحق الآيات ، وبالذين كفروا المتلوق عليهم . فوضع الظاهران موضع الضميرين أو كسارهم  
للتسجيل عليهم بالكفر ، ولتلقوا بالحق .

(٤) أي بادوه بالجود ساعة أتاهاهم وأول ما سمعوه من غير إجابة فكر ولا إعادة نظر .

(٥) ظاهر أمره في البطلان لا شبهة فيه .

استجيب له  
العاقل في غير طاق  
هم شبه الأوثان  
نزلت الآية  
العاقل  
وهي مستقلة للعاقل  
يستفاد بهم  
لربنا .

أول  
بحراب لمعاداة  
لهم وللجواب  
الظاهر  
على سبيل المثال  
والضمير  
نقابة فهدوا  
على سبيل الهدى  
تأويلهم على سبيل الهدى

أَمْ يَقُولُونَ <sup>(١)</sup> أَفْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِن <sup>(٢)</sup> أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ  
 أَعْلَمُ بِمَا <sup>(٣)</sup> تَفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ <sup>(٤)</sup> شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ <sup>(٥)</sup> الْغَفُورُ  
 الرَّحِيمُ <sup>(٦)</sup> قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا <sup>(٧)</sup> أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بِيَوْمِ

أَمْ تَنْظُرُونَ (١) إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا إلى ذكر قولهم إن تمجدا عليه السلام (اقتراه) أي اختلقه وأضافه إلى الله كذبا . والضمير للفق والمراذبه الآيات .

(٢) أي (إن افتريته) على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرعون على كفه عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شيء من عقابه . فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه ؟

(٣) أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى .

(٤) يشهد لي بالصدق والبلاغ ، ويشهد عليكم بالجحود والإنكار .

ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم .

(٥) موعدة بالغفران والرحمة إن تابوا عن الكفر وآمنوا .

(٦) أي بديعا كالحيف بمعنى الخفيف . والمعنى إني لست بأقول مرسل فتذكروا نبوتى .

(٧) أي (ما) يفعل الله (بى و) بكم فيما يستقبل من الزمان . وعن الكلبي : "قال له أصحابه —

وقد ضجروا من أذى المشركين — حتى متى نكون على هذا؟ فقال : (ما أدري ما يفعل بى ولا بكم) أترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لى ورأيتهما — يعنى فى منامه — ذات نخيل وشجر؟" و (ما) فى (ما يفعل) يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة . وإتما دخل (لا) فى قوله (ولا بكم) ، مع أن (يفعل) مثبت غير منفى ، لتناول النفى فى (ما أدري) ما وما فى حيزه .

دليل على ذلك  
 وهو الفاعل  
 على أنه مرفوع  
 أى ذابح

إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ  
 إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
 عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾

هو عبد الله بن سلام عند الجمهور. ولهذا قيل إن هذه الآية مدنية لأن إسلام ابن سلام بالمدينة. روى أنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب، قال له إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد يتزعج إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أول أشرط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت. وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعته، وإن سبق ماء المرأة نزعته. نال أشهد أنك رسول الله حقاً - (على مثله) الضمير للقرآن. أي مثله في المعنى. وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك. ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتكم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله (فأمن) عند الله وكفرتكم به) أستم ظالمين. ويدل على هذا المحذوف (إن الله لا يهدي القوم الظالمين). والواو الأولى عاطفة لكفرتكم على فعل الشرط. وكذلك الواو الأخيرة عاطفة لاستكبرتم على (شاهد شاهد). وأما الواو في (وشهد) فقد عطفت جملة قوله (شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم) على جملة قوله (كان من عند الله وكفرتكم به) والمعنى (قل) أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله فأيمان به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به، أستم أضل الناس

وأظلمهم؟

سأهو متفق عليه على ما هو مشكور فيه وهو ربه والمصطفى النبي هو الربان والاستكبار والعداوة  
 وجماعها منهم كفوا بسننهم على غير الله على اعتقادهم وكذلك استكبارهم إلى

من ما كتب به عاصم بن زيد  
 سبب النزول فيه  
 وهو أن نزلت عليه  
 لفرشته  
 الموعود بالجنة  
 عادان  
 التراف أنتم للهدى  
 تمته مطول  
 أنه قد صرح  
 سبب على هذا  
 ظم في التوراة  
 على ذلك يكون  
 بسبب النزول التوراة

بالتزود والشك  
 ما هو بها مطول  
 في حال هذا  
 لربنا  
 به لفضل  
 مطول على ما  
 فيه استبان  
 كوكب يطف

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا  
 بِهِ فَمَسِيقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ <sup>(٣)</sup> وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا  
 كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ <sup>(٧)</sup>

<sup>(١)</sup> أي لأجسامهم. وهو كلام كفار مكة. قالوا إن عاقبة من يتبع محمدًا السقاط. يعنون  
 الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود.

<sup>(٢)</sup> (لو كان) ما جاء به محمد (خيرًا ما) سبقنا إليه هؤلاء. <sup>(١)</sup> راسب لنزول أول آية ليهود وبنو إسرائيل  
<sup>(٣)</sup> العامل في (إذ) محذوف لدلالة الكلام عليه. تقديره (وإذ لم يهتدوا به) ظهر بهجته واسلم قبائل  
 عنادهم. وقوله (فمسيقولون هذا إنك قديم) مسبب عنه. وقولهم (إنك قديم) أي كذب  
 متقدّم كقولهم أساطير الأوثان.

<sup>(٤)</sup> (ومن قبله) أي القرآن (كتاب موسى) أي التوراة. وهو مبتدأ و (من قبله)  
 ظرف واقع خبرًا مقدمًا عليه. وهو ناصب (إمامًا) على الحال نحو في الدار زيد قائمًا. ومعنى  
 (إمامًا) قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام. (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما  
 فيه.

<sup>(٥)</sup> (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من  
 جميع الكتب.

<sup>(٦)</sup> كحال من ضمير الكتاب في (مصدق). والعامل فيه (مصدق) أو من (كتاب)  
 لتخصّصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة. وجوز أن يكون مفعولًا لمصدق. أي يصدق  
 ذا لسان عربي. وهو الرسول.

<sup>(٧)</sup> (لينذر) أي الكتاب - (لتنذر) مجازي وشامي - (الذين ظلموا) كفروا  
 (وبشري) - في محل النصب معطوف على محل (لينذر) لأنه مفعول له - (للمحسنين)  
 للمؤمنين المطيعين.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا بِمَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا  
وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ

(١) (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على توحيد الله وشريعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فلا خوف عليهم) في القيامة (ولا هم يحزنون) عند الموت .

(٢) حال من (أصحاب الجنة) والعامل فيه معنى الإشارة الذي دل عليه (أولئك) .

(٣) (جزاء) مصدر لفعل دل عليه الكلام أى جوزوا (جزاء) *بمعنى بطله بجزوه*

(٤) كوفي . أى وصيئناه بأن يحسن (بوالديه إحساناً) . (حسناً) غيرهم . أى وصيئناه *بمعنى بطله بجزوه*

بوالديه أمراً إذا حسن أو بأمر ذى حن . فهو فى موضع البدل من قوله (بوالديه) وهو من بدل الاشتغال .

(٥) ويفتح الكافين مجازى وأبو عمرو . وهما لغتان فى معنى المشقة . وانتصابه على الحال . أى ذات كره أو على أنه صفة للصدر . أى حملاً ذا كره .

(٦) ومدة حملة وفضامه (ثلاثون شهراً) . وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر

لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله تعالى (حولين كاملين) بقيت للحمل ستة أشهر . وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله . وقال أبو حنيفة رضى الله عنه المراد به الحمل بالأ كفى *بمعنى بطله بجزوه*

(وفصله) يعقوب . والفصل والفصال كالفظم والفظام بناء ومعنى .

(٧) هو جمع لا واحد له من لفظه . وكان سيبويه يقول واحده شدة . وبلوغ الأشد أن

يكتهل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله . وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح

الأربعين . وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة . ووجهه أن يكون ذلك أزل الأشد وغايته

الأربعون .

بالمعنى والمراد بالكره المشقة والمراد بالانضة الحسنة

بمعنى بطله بجزوه

وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ  
 عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي  
 إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١﴾ أَوْلَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ  
 عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ  
 وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ

(١١) اللهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) - المراد به نعمة التوحيد والإسلام. وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليهما نعمة عليه - (وأن أعمل صالحا لترضاه) - قيل هي الصلوات الخمس - (وأصلح لي في ذريتي) أى اجعل ذريتي موقعا للصلاح ومظنة له (إني تبت إليك) من كل ذنب (وإني من) المخلصين .

(١٢) ( أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم ) - حمزة وعلى وحفص . ( يتقبل . ويتجاوز . أحسن ) غيرهم - ( في أصحاب الجنة ) هو كقولك أكرمني الأمير في ناس من أصحابه . تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم . ومحله النصب على الحال على معنى كائنين ( في أصحاب الجنة ) ومعدودين فيهم . ( وعد الصدق ) مصدر مؤكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز (الذي كانوا يوعدون) في الدنيا .

وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي أبيه أبي خنيفة وأمه أم الخير وفي أولاده، واستجابة دعائه فيهم . فإنه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . ودعا لها وهو ابن أربعين سنة . ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو والوالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر رضي الله عنه .

(١٣) (والذي قال لوالديه) مبتدأ خبره (أولئك الذين حق عليهم القول). والمراد بالذي قال الجندب القائل ذلك القول . ولذلك وقع الخبر مجموعا . وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث . وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قبل إسلامه . ويشهد

الأنساب...  
 البرج...  
 قال رب أوزعني...  
 والبراب...  
 في ذريتي...  
 في أصحاب الجنة...  
 وعد الصدق...  
 كانوا يوعدون...  
 في الدنيا...  
 وقيل نزلت...  
 واستجابة...  
 فدعا لها...  
 ولم يكن...  
 هو والوالداه...  
 وبنوه وبناته...  
 غير أبي بكر...  
 رضي الله عنه...  
 (١٣) (والذي...  
 الجندب...  
 المكذب...  
 وقيل نزلت...  
 ويشهد

أَفٍ لَكُمْ أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا  
 يَسْتَهْزِئَانِ اللَّهُ وَيَلِكْ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ  
 الْأُولِينَ ﴿٣﴾ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَّتِ  
 (٢)

لبطلانه كتاب معاوية إلى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد . فقال عبد الرحمن بن أبي بكر :

”لقد جئتم بها هرقلية . أتبايعون لأبنائكم“؟ فقال مروان : يأتيها الناس هذا الذي قال الله تعالى  
 فيه (والذي قال لوالديه أف لكما) . فسمعت عائشة رضي الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به .  
 ولو شئت أن أسميه لسميته . ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت في صلبه . فانت فضض من  
 لعنة الله . أي قطعة .

(١) مدني وحفص (أف) مكي وشامي (أف) غيرهم . وهو صوت إذا صوت به  
 الإنسان علم أنه متضجر، كما إذا قال حس علم أنه متوجع . واللام للبيان . أي هذا التأفيف  
 لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما .

(٢) (أتعداني أن) أبعث و(أخرج) من الأرض (وقد خلت القرون من قبلي) ولم يبعث  
 منهم أحد .

(٣) أبواه (يستهزئان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك — وهو استعظام لقوله —  
 ويقولان له (ويلك) — دعاء عليه بالثبور . والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لاحقيقة  
 الهلاك — (آمن) بالله وبالبعث (إن وعد الله) بالبعث (حق) صدق . (فيقول) لهما  
 (ما هذا) القول (إلا أساطير الأولين) .

(٤) أي (لأملائك جهنم) .

(٥) (في) جملة (أمم) قد مضت .

والذي قال لوالديه أف لكما  
 الذي قال لوالديه أف لكما  
 الذي قال لوالديه أف لكما



مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١﴾ وَلِكُلِّ  
 دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢﴾  
 وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْ طَبِيبَاتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ  
 الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ  
 تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٣﴾

(١) (ولكل) من الجنسين المذكورين الأبرار والفجار (درجات مما عملوا) أى منازل  
 ودرجات (من) جزاء (ما عملوا) من الخير والشر . أو (من) أجل (ما عملوا) منهما . وإتما  
 قال (درجات) ، وقد جاء " الجنة درجات والنار درجات " ، على وجه التغليب .

(٢) (وليؤفقههم أعمالهم) - بالياء مكى وبصرى وعاصم - (وهم لا يظلمون) . أى  
 (وليؤفقههم أعمالهم) ولا يظلمهم حقوقهم ، قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم بفعل الثواب  
 درجات والعقاب درجات . فاللام متعلقة بمحذوف .

(٣) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به .  
 وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم "عرضت الناقة على الحوض" يريدون عرض الحوض  
 عليها فقبلوا . والمراد من لفظ (تذاهن)

(٤) أى يقال لهم (أذهبتهم) - وهو ناصب الظرف - (طبيباتكم فى حياتكم الدنيا) .  
 أى ما كتب لكم حظ من الطبيبات إلا ما قد أصبتموه فى دنياكم . وقد ذهبت به وأخذتموه .  
 فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شىء منها . وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لكنت  
 أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى أستبق طبيباتى .

(٥) بالطيبات .

(٦) أى الهوان . وقرئ به .

(٧) تتكبرون (فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) أى باستكباركم وفسقكم .

x وَأَذْكَرَ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ  
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ  
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا  
 بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ  
 اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا مَجْهُولُونَ ﴿٣﴾

(١) (واذكر أخا عاد) أى هودا (إذ أنذر قومه بالأحقاف) - جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج . عن ابن عباس رضى الله عنهما هو واد بين عمان ومهرة - (وقد خلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار (من بين يديه ومن خلفه) من قبل هود ومن خلف هود . وقوله (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) وقع اعتراضا بين (أنذر قومه) وبين (ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) . والمعنى (واذكر) إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك .

(٢) (قالوا) أى قوم هود (أجئتنا لنأفكنا) لتصرفنا - فلاؤك الصريف . يقال أفكته عن رأيه - (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتينا بما تعدنا) من معالجة العذاب على الشرك (إن كنت من الصادقين) فى وعيدك . (قال إنمنا العلم) بوقت مجيء العذاب (عند الله) ولا علم لى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم .

(٣) وبالتخفيف أبو عمرو . أى الذى هو شأنى أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف .

(٤) أى ولكمكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه .

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطِرُنَا بَلْ هُوَ  
 مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ <sup>(١)</sup> تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا <sup>(٢)</sup>  
 فَأَصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَسْكِنَهُمْ <sup>(٣)</sup> كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ <sup>(٤)</sup> وَلَقَدْ  
 مَكَّنَّاهُمْ فِيهَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ <sup>(٥)</sup> وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً <sup>(٦)</sup>

(١) (فلما رأوه) الضمير يرجع إلى (ما تعدنا) أو هو مبهم وضع أمره بقوله (عارضاً) —  
 إما تمييزاً أو حالاً. والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء — (مستقبل أوديتهم) قالوا  
 هذا عارض مطرنا). روى أن المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا  
 هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحاً. وإضافة مستقبل ومطر مجازية غير معروفة ،  
 بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفا للنكرة . إضافة لفظية

(٢) أى قال هود (بل هو) . ويدل عليه قراءة من قرأ (قال هود بل هو ما استعجلتم  
 به) من العذاب . ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء) تهلك من نفوس عاد  
 وأموالهم الجثم الكثير . فعبر عن الكثرة بالكناية (بأمر ربها) رب الريح .

(٣) عاصم وحزمة وخلف . أى (لا يرى) شيء (إلا مساكنهم) . غيرهم (لا ترى إلا  
 مساكنهم) والخطاب للرائى من كان .

(٤) أى مثل ذلك (نجزي) من أجرم مثل جرمهم . وهو تحذير لمشركي العرب . عن  
 ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما تلذّه  
 الأنفس وإنها لتتر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة .

(٥) (إن) نافية . أى فيما ما مكناكم فيه . إلا أن (إن) أحسن في اللفظ لما في مجامعة  
 ما مثلها من التكرير المستبشع . ألا ترى أن الأصل في مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف  
 هاء . وقد جعلت (إن) صلة وتؤول بأننا (مكناهم في) مثل ما (مكناكم فيه) . والوجه هو  
 الأول . لقوله تعالى (هم أحسن أناثا ورثيا . كانوا أكثر منهم واشد قوة وأثارا) . و (ما) بمعنى  
 الذى أو نكرة موصوفة . <sup>المصنف في شيء</sup>

(٦) أى آلات الدرك والفهم .

فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَعْيُنُهُمْ مِمَّنْ شَاءَ  
 إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ  
 وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ  
 يَرْجِعُونَ ﴿٣﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا لِلهِ  
 ءَالِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكِ إِفْكَهُمُ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٤﴾

(١) أى (من شىء) من الإغناء وهو القليل منه .

بمعنى (من شىء) أى (من شىء) من الإغناء وهو القليل منه .  
 (إذ) نصب بقوله (فما أغنى) . وجرى مجرى التعليل لاستواء مؤدى التعليل والظرف  
 في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء . لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته  
 فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك .

ونزل بهم (ما كانوا به يستهزئون) جزاء استهزأهم . وهذا تهديد لكفار مكة . ثم  
 زادهم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة) (من القرى) نحو حجر ثمود وقرى  
 قوم لوط . والمراد أهل القرى . ولذلك قال (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) أى كررنا عليهم  
 الحجج وأنواع العبر (لعلهم يرجعون) عن الطغيان إلى الإيمان فلم يرجعوا .

(٤) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما تقرب به إلى الله  
 تعالى . أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله تعالى حيث نالوا هؤلاء شفعاءنا عند الله . وأحد  
 مفعولى اتخذ الراجع إلى الذين محذوف . أى اتخذوهم . والثانى (آلهة) . و (قربانا) حال .

(٥) غابوا عن نصرتهم .

(٦) (وذلك) إشارة إلى امتناع نصره آلهتهم وضلالهم عنهم . أى (وذلك) أثر (إفكهم)

الذى هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافتراءهم على الله الكذب .



وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ  
 أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ <sup>(١)</sup> أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يُقَدِّرْ عَلَىٰ أَنْ يُمْسِكَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ  
 شَيْءٍ قَدِيرٌ <sup>(٢)</sup> وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ <sup>(٣)</sup>

عليه السلام - (مصداقا لما بين يديه) من الكتب (يهدى إلى الحق) إلى الله تعالى  
 (وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيئوا داعي الله) أي محمدا صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به  
 يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم). قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ثواب لهم إلا  
 النجاة من النار لهذه الآية. وقال مالك وابن أبي ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب  
 والعقاب. وعن الضحاك أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى (لم يطمئن  
 لمن قبلهم ولا جات)

(١) أي لا ينبغي منه مهرب. <sup>(٢)</sup> هو كقوله (وما مسنا من لغوب). ويقال عيبت بالأمر إذا لم تعرف وجهه.  
 (٣) محله الرفع لأنه خبر أت. يدل عليه قراءة عبد الله (قادر). وإنما دخلت الباء لاشتمال  
 النفي في أول الآية على أت وما في حيزها. وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أت زيدا بقائم جاز  
 كأنه قيل أليس الله بقادر. ألا ترى إلى وقوع (بلى) مقترنة للقدرة على كل شيء من البعث  
 وغيره لا لرؤيتهم.  
 (٤) هو جواب للنفي.

(٥) (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يقال لهم (أليس هذا بالحق). فناسب  
 الظرف القول المضمرة. و(هذا) إشارة إلى العذاب.

قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١﴾  
 فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ  
 يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمَّا يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةٌ مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَمَهْلُكَ  
 إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾

الفضيلة  
 هي صبر  
 لقرون  
 المار صبرهم  
 فاصبر  
 صبر

(١) بكفركم في الدنيا . صبر به وضع مرصدا

(٢) أولو الجدة والثبات والصبر .

المزم ونبأ

(٣) من للتبعيض . والمراد بأولى العزم ما ذكر في الأحزاب : ( وإذ أخذنا من النبيين

ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ) . ويونس ليس منهم لقوله ( ولا تكن كصاحب الحوت ) . وكذا آدم لقوله ( ولم نجد له عزما ) . أو لليان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم .

(٤) ( ولا تستعجل ) لكفار قريش بالعذاب . أى لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر .

(٥) أى أنهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوا ساعة من نهار .

(٦) هذا ( بلاغ ) . أى هذا الذى وعظتم به كفاية في الموعظة . أو هذا تبليغ من الرسول .

(٧) ( فهل يهلك ) هلاك عذاب . والمعنى فإن يهلك بعذاب الله ( الآ القوم الفاسقون )

أى المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه . قال عليه السلام من قرأ سورة الأحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا .

وقيل المراد بأولى  
 العزم أولو البهائم  
 والرسول والرسول  
 ونوح

الاستعجال  
 وليس له عزم  
 لها صبر

## سورة محمد صلى الله عليه وسلم

وقيل سورة القتال مدنيّة . وقيل مكّيّة

وهي ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ <sup>(١)</sup> وَالَّذِينَ ءَامَنُوا <sup>(٢)</sup>  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ <sup>(٣)</sup>

(١) أى أعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام. أو صدّوا غيرهم عنه. قال الجوهريّ  
صدّ عنه يصدّه صدودا أعرض. وصدّه عن الأمر صدّا منعه وصرّفه عنه . وهم المطعمون يوم  
بدر. أو أهل الكتاب . أو عامّ فى كلّ من كفر وصدّ .

(٢) أبطلها وأحبطها . وحقيقته جعلها ضالّة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثب عليها  
كالضالّة من الإبل . وأعمالهم ما عملوه فى كفرهم من صلة الأرحام وإطعام الطعام وعمارة  
المسجد الحرام . أو ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصدّ عن سبيل الله .

(٣) هم ناس من قريش ، أو من الأنصار ، أو من أهل الكتاب ، أو عامّ .

(٤) (وآمنوا بما نزل على محمد) وهو القرآن. وتخصيص الإيمان بالمتزل على رسوله من  
بين ما يجب الإيمان به لتعظيم شأنه . وأكّد ذلك بالجملة الاعتراضية وهى قوله ( وهو الحق  
من ربهم ) أى القرآن . وقيل إن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره .

المعنى يقتضيه المتأخرين ولما فى الآية من قوله على محمد نزل أول ما نزل أول ما نزل  
المراد بالآية ما نزل على محمد قبل كل شئ وهو ما نزل



كَفَرُ عَنْهُمْ سِعَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالِهِمْ ﴿١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا  
 الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ  
 لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٢﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴿٣﴾

(١) ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم .

(٢) أى (وأصلح) حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصره والتأييد .

(٣) ( ذلك ) مبتدأ . وما بعده خبره . أى ( ذلك ) الأمر - وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثانى والإصلاح - كائن بسبب اتباع هؤلاء ( الباطل ) وهو الشيطان وهؤلاء ( الحق ) وهو القرآن .

(٤) مثل ذلك الضرب ( يضرب الله ) أى يبين الله ( للناس أمثالهم ) . والضمير راجع إلى الناس . أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم . وقد جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين . أو جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز الأبرار .

(٥) من اللقاء وهو الحرب .

(٦) أصله فاضربوا الرقاب ضربا تخذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه . مضافا إلى المفعول . وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأن ذكر المصدر وتدل على الفعل بالصبة التى فيه . و ( ضرب الرقاب ) عبارة عن القتل لا أن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء . ولأن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبته .

اعرف أصناف الكفرة  
 وهو الله المحرم فنهى  
 ولقوله في قوله  
 من تعليمه لهم على  
 لئلا يضلوا  
 كما في قوله  
 والقرآن  
 كذلك

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا آلَوثَاقَهُمْ فِيمَا بَعَدُ وَإِمَّا فِدَاءً  
حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا<sup>(٣)</sup>

(١) (حتى إذا) أكثرتم فيهم القتل. فأسروهم. والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به. والمعنى (فشدوا) وناق الأسارى حتى لا يفتلوا منكم .

(٢) (فإما منا بعد) أى بعد أن تأسروهم (وإما فداء). (منا) و (فداء) منصوبان بفعليهما مضميرين أى (فإما) تمنون (منا) أو تندون (فداء). والمعنى التخيير بين الأمرين بعد الأسر: بين أن يمتنوا عليهم فيطلقوهم ، وبين أن يفادوهم . وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق . والمن والفداء المذكوران فى الآية منسوخ بقوله ( اقتلوا المشركين ) لأن سورة براءة من آخر ما نزل . وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق . أو المراد بالمتن أن يمتن عليهم بترك القتل ويسترقوا . أو يمتن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية . وبالفداء أن يفادى بأسارهم أسارى المسلمين . فتمد رواه الطحاوى - مذهبا عن أبى حنيفة رحمه الله وهو قولها . والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا . وعند الشافعى رحمه الله تعالى للإمام أن يختار أحد الأمور الأربعة القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمتن .

(٣) أنقلها وآلاتها التى لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع . وقيل (أوزارها) آتامها . يعنى (حتى) يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا . و (حتى) لا يخلو من أن يتعلق بالضرب والشدة أو بالمتن والفداء . فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعى رحمه الله أنهم لا يزالون على ذلك أبدا إلى ألا يكون حرب مع المشركين . وذلك إذا لم يبق لهم شوكة . وقيل إذا نزل عيسى عليه السلام . وعند أبى حنيفة رحمه الله إذا علق بالضرب والشدة فالمعنى أنهم يقتلون ويأسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار . وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين . وإذا علق بالمتن والفداء فالمعنى أنه يمتن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها . إلا أن يتأول المتن والفداء بما ذكرنا من التأويل .



ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَلَهُمْ ﴿١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا  
 فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ  
 عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ  
 وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ  
 هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلِكَ اللَّهُمَّ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿٥﴾

(١) أى النعس والضلال ( بأنهم كرهوا ما أنزل الله ) أى القرآن .

(٢) ( أفلم يسيروا ) يعنى كفاراً أمتك ( فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم ) أهلكتهم هلاك استئصال ( وللكافرين ) مشركى قريش ( أمثالها ) أمثال تلك الهلكة لأن التدمير يدل عليها .

(٣) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين ( بأن الله مولى الذين آمنوا ) وليهم وناصرهم ( وأن الكافرين لا مولى لهم ) أى لا ناصر لهم فإن الله مولى العباد جميعاً من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم ، ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة .

(٤) ( والذين كفروا ) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياماً قلائل ( ويأكلون ) غافلين غير متفكرين فى العاقبة ( كما تأكل الأنعام ) فى معالفها ومسارحها غافلة عما هى بصدد من النحر والذبح ( والنار مثوى لهم ) منزل ومقام .

(٥) أى وكم ( من قرية ) - للتكثير . وأراد بالقرية أهلها . ولذلك قال ( أهلكتهم ) - ( هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك ) - أى وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك - ( أهلكتهم فلا ناصر لهم ) أى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم .

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا  
 أَهْوَاءَهُمْ ﴿١١﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ  
 آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن نَّخْرٍ لَّدَّةٍ لِلشَّرْبِ  
 وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ  
 كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿٢١﴾

(١١) أى (أفمن كان على) حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات .  
 يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ( كمن زين له سوء عمله ) هم أهل مكة الذين زين لهم  
 الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله . وقال ( سوء عمله واتبعوا أهواءهم ) للحمل على لفظ  
 ( من ) ومعناه .

(٢١) صفة الجنة العجيبة الشأن ( التى وعد المتقون ) عن الشرك ( فيها أنهار ) — داخل  
 فى حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى إلى صحة قولك التى فيها أنهار . أو حال — أى مستقرّة  
 ( فيها أنهار من ماء غير آسن ) غير متغير اللون والريح والطعم — يقال آسن الماء إذا تغير  
 طعمه وريحه . ( آسن مكيّ ) — ( وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ) كما تتغير ألبان الدنيا إلى الحموضة  
 وغيرها ( وأنهار من نحر لذة ) تأنيث لذ وهو اللذيذ ( للشاربين ) . وما هو إلا التسليذ  
 الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا نحر ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر ( وأنهار من عسل  
 مصفى ) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره . ( مثل ) مبتدأ خبره ( كمن هو خالد  
 فى النار وسقوا ماء حميما ) حارّا فى النهاية ( فقتع أمعاءهم ) . والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء  
 من هو خالد فى النار . وهو كلام فى صورة الإثبات ومعناه النفى لانطوائه تحت حكم كلام  
 مصدر بحرف الإنكار ودخوله فى حيزه . وهو قوله ( أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له  
 سوء عمله ) وفائدة حذف حرف الإنكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة  
 والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الأنهار وبين النار  
 التى يسقى أهلها الحميم .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا نَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ  
 مَآذَا قَالَ أَنفَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١﴾  
 وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿٢﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ  
 أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿٣﴾  
 فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿٤﴾

(١) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونته ولا يلقون له بالآتهاونا منهم . فإذا خرجوا قالوا لأولى العلم من الصحابة : ماذا قال الساعة ؟ على جهة الاستهزاء .

(٢) (والذين اهتدوا) بالإيمان واستماع القرآن (زادهم) الله (هدى) أى بصيرة وعلمها أو شرح صدورهم (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها . أو آتاهم جزاء تقواهم . أو بين لهم ما يتقون .

(٣) أى ينتظرون .

(٤) أى إتيانها . فهو يدل اشتمال من الساعة .

(٥) بغاة . حال من يفضيل لغيره بعد على الساعة

(٦) علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان . وقيل : قطع الأرحام ، وقلة الكرام ، وكثرة اللثام .

(٧) قال الأخفش : التقدير فأتى لهم ذكراهم إذا جاءتهم .

(٨) (فاعلم) أن الشان (لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) . والمعنى فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على ذنبك . وفى شرح التأويلات : جاز أن يكون له ذنب فأمره بالاستغفار له ولكننا لا نعلمه . غير أن ذنب الأنبياء ترك الأفضل دون مباشرة القبيح . وذنوبنا مباشرة القبايح من الصغائر والكبائر .

وقيل : الفاءات فى هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال .

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۖ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ  
 سُورَةٌ فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ذِكْرًا لِمَن يَتَّقِي  
 أَن تَكُونَ لَكُم مَّرَضٌ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ  
 طَاعَةٌ ۖ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۖ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ  
 فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۗ

(١) يعلم متقلبكم في معاشكم ومتاجرکم (ومثواکم) ويعلم حيث تستقرون من منازلکم .  
 أو (متقلبکم) في حياتکم (ومثواکم) في القبور . أو (متقلبکم) في أعمالکم (ومثواکم) في الجنة  
 والنار . ومنه حقيق بأن بتقی ويخشي وأن يستغفر . وسئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم  
 فقال : ألم تسمع قوله (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) فأمر بالعمل بعد العلم .

(٢) ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) فيها ذكر الجهاد (فإذا نزلت سورة) في معنى  
 الجهاد (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها إلا وجوب القتال - وعن قتادة كل سورة  
 فيها ذكر القتال فهي محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح  
 والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة - (وذكر فيها القتال) أي أمر فيها بالجهاد  
 (رأيت الذين في قلوبهم مرض) نفاق . أي رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (ينظرون  
 إليك نظر المغشى عليه من الموت) أي تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته  
 القشية عند الموت .

(٣) وعيد بمعنى فويل لهم . وهو أفضل من الولي وهو القرب . ومعناه الدعاء عليهم بأن  
 يليهم المكروه .

(٤) كلام مستأنف . أي (طاعة وقول معروف) خير لهم .

(٥) فإذا جد الأمر ولزمهم فرض القتال (فلو صدقوا الله) في الإيمان والطاعة (لكان)  
 الصديق (خيرا لهم) من كراهة الجهاد . ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب بضرب من التوبيخ  
 والإرهاب فقال : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) أي فلهلككم ،

والمعروف  
 طاعة وقول  
 ضلهم أو أمرنا  
 وقول معروف  
 أخبار  
 ليعرض  
 محزون  
 أولي لهم  
 علم ليس  
 وأصل  
 فوزانه  
 وهو من  
 للعلمية  
 وهو مبتدأ  
 وأصل  
 إلى أفضل  
 وهو الولي  
 والله  
 معقول  
 وهو  
 وقال  
 فصل  
 وهو  
 وهو  
 وهو  
 وهو

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿١١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ  
 الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن  
 بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ  
 بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ

إن أعرضتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ، أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا وواد البنات . وخبر عسى ( أن تفسدوا ) والشرط اعتراض بين الاسم والخبر . والتقدير فهل عسىم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم إن توليتم .

(١١) ( أولئك ) إشارة إلى المذكورين ( الذين لعنهم الله ) أبعدهم عن رحمته ( فأصمهم ) عن استماع الموعظة ( وأعمى أبصارهم ) عن إبصارهم طريق الهدى . ( أفلا يتدبرون القرآن ) فيعرفوا ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ؟ و ( أم ) في ( أم على قلوب أقفالها ) بمعنى بل . وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر . ونكرت القلوب لأن المراد على قلوب قاسية مبهمة أمرها في ذلك . والمراد بعض القلوب . وهى قلوب المنافقين . وأضيفت الأفعال إلى القلوب لأن المراد الأفعال المختصة بها . وهى أفعال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع .

(١٢) ( إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ) — هم المنافقون رجعوا إلى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم — ( الشيطان سؤل ) زين لهم — جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لأن نحو إن زيدا عمرو مرتبه — ( وأملى لهم ) ومد لهم في الآمال والأمانى . ( وأملى ) أبو عمرو . أى أمهلوا ومدّ في عمرهم .

(١٣) أى المنافقون قالوا لليهود ( سنطيعكم في بعض الأمر ) أى عداوة محمد والقعود عن نصرته .



وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿١﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يُضْرَبُونَ  
 وَجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا  
 رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ  
 أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَعْضَانَهُمْ ﴿٤﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَتَعْرِفَنَّهُمْ  
 بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٥﴾

(١) على المصدر من أسرّ ، حمزة وعلى وحفص . (أسرارهم) غيرهم . جمع سرّ .

(٢) أى ( فكيف ) يعملون ؟ وما حيلتهم حينئذ ؟

(٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوقى أحد على معصية إلا يضرب من الملائكة

في وجهه ودبره .

(٤) (ذلك) — إشارة إلى التوقى الموصوف — (بأنهم) بسبب أنهم (اتبعوا ما أسخط الله)

من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصرة المؤمنين .

(٥) أحقادهم . والمعنى أظن المنافقون أن الله تعالى لا يبرز بغضهم وصدائهم للمؤمنين ؟

(٦) لتعرفنا بهم ودلائك عليهم .

(٧) (لتعرفتهم) بعلامتهم . وهو أن يسمهم الله بعلامة يعلمون بها . وعن أنس رضى الله عنه

”ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين . كان يعرفهم

بسيماهم“ . (ولتعرفتهم في لحن القول) في نحوه وأسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لأنهم كانوا

لا يتدرون على كتابان ما فى أنفسهم . واللام فى (لتعرفتهم) داخله فى جواب (لو) كالتى

فى (لأريناكمهم) كتررت فى المعطوف . وأما اللام فى (ولتعرفتهم) فواقعة مع النون فى جواب

قسم محذوف . (والله يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرها .

وَلْتَبْلُوْنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِيْنَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِيْنَ وَنُبَلِّغُواْ الْاَخْبَارَكُمْ <sup>(١)</sup>  
 اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَاَشَاقُوْا الرَّسُوْلَ مِنْۢ بَعْدِ  
 مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدٰى لَنْ يَضُرُّوْا اللّٰهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ اَعْمَلُهُمْ <sup>(٢)</sup> بِمَا يَفْعَلُوْنَ  
 الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اَطِيعُوْا اللّٰهَ وَاَطِيعُوْا الرَّسُوْلَ وَلَا تَبْطُلُوْا اَعْمَالَكُمْ <sup>(٣)</sup> اِنَّ  
 الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ثُمَّ مَاتُوْا وَهُمْ كُفٰرًا فَاَنْ يَغْفِرَ  
 اللّٰهُ لَهُمْ <sup>(٤)</sup> فَلَا تَهِنُوْا وَتَدْعُوْا اِلٰى السَّلٰمِ وَاَنْتُمْ الْاٰغْلُوْنَ وَاللّٰهُ مَعَكُمْ <sup>(٥)</sup>  
<sup>(٦)</sup>

من ادمن بغير علم  
الذي هو صيرورة

<sup>(١)</sup> (ولتبلونكم) بالقتال إعلاما لا استعلاما . او نعاملكم معاملة المختبر ليكون ابلغ  
 في اظهار العدل ( حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ) على الجهاد . اى نعلم كائنا ما علمناه  
 انه سيكون (ونبلوا اخباركم) اسراركم . ( وليبلونكم حتى يعلم . ويبلوا ) ابو بكر . وعن الفضيل انه  
 كان اذا قرأها بكى وقال " اللهم لا تبلىنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت اُستارنا وعذبتنا "

اللقاء اضافة في  
صواب قسم فقد  
للتقدير وتالله  
للتحسين

<sup>(٢)</sup> ( ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول ) وعادوه — يعنى المطعمين  
 يوم بدر . وقد مر — ( من بعد ما تبين لهم الهدى ) من بعد ما ظهر لهم انه الحق وعرفوا  
 الرسول ( لن يضرؤا الله شيئا وسيحيط اعمالهم ) التي عملوها في مشاققة الرسول . اى سيبتلها  
 فلا يصلون منها الى اغراضهم .

للتصديق بالاسم  
في الخبرين  
سببهم ايجابا  
من تحت علم الاسباب  
على الناس ترتيب  
به لتوابع العقاب  
ليس المقصود ان يذلوا امتناعه

<sup>(٣)</sup> ( ولا تبطلوا اعمالكم ) بالنفاق أو بالرياء .

<sup>(٤)</sup> قيل هم أصحاب القليب . والظاهر العموم .

<sup>(٥)</sup> فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو .

<sup>(٦)</sup> ( السلم ) بالكسر حمزة وأبو بكر . وهما المسالمة . اى ولا تدعوا الكفار الى الصالح  
 ( وَاَنْتُمْ الْاٰغْلُوْنَ ) اى الاغلبون . ( وتدعوا ) مجزوم لدخوله في حكم النهى . ( والله معكم ) بالنصرة .

للمعنى الذي يعلم  
ما يقرب الربيب للعدو  
لعل يأخذوا وسألوا  
ليس المقصود اصابه  
يعلم ذلك المقصود منه  
لعمل سيادة  
من دخل تحت علمه  
لاضطرارهم للمسلمين اى ناصرهم

من ياتوا وما يكونون  
مقصودهم ليعلموا  
في قوله تعالى



وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ  
ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ

(١) أى أنه لا يأمر بذلك لحاجته إليه لأنه غنى عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم  
إلى الثواب .

(٢) وإن تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والإتفاق في سبيله — وهو  
معتوف على ( وإن تؤمنوا وتتقوا ) — يخلق قوما خيرا منكم وأطوع وهم فارس . وسئل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على نغذه وقال هذا  
وقومه . والذي نفسى بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناله رجال من فارس .

(٣) أى ( ثم لا يكونوا ) فى الطاعة ( أمثالكم ) بل أطوع منكم .  
وقال بعضهم فى القوم  
أنهم هم الذين رأوا بعمر أو أهل فارس

# سورة الفتح مدنية

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا <sup>(١)</sup> لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ <sup>(٢)</sup>

(١) الفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب. لأنه، فالحق ما لم يظفر به. فإذا ظفر به فقد فتح. ثم قيل هو فتح مكة. وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح. وجرى به على لفظ على الماضي لأنها في تحققها بمنزلة الكائنة. وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر عنه وهو الفتح ما لا يخفى. وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا. وقال الزجاج كان في فتح الحديبية آية للمسلمين عظيمة وذلك أنه نزع ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه في البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس. وقيل هو فتح خيبر. وقيل معناه قضينا لك قضاء بيننا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة.

(٢) قيل الفتح ليس بسبب لانفرة. والتقدير (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) فاستغفر (ليغفر لك الله). ومثله (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى قوله (فستبج بحمد ربك واستغفره). ويجوز أن يكون فتح مكة - من حيث إنه جهاد للعدو - سببا للغفران. وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز. ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو أعظم النعم. كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة أو كذا لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل.

(٣) يريد جميع ما فرط منك. أو (ما تقدم) من حديث مارية (وما تأخر) من امرأة زيد.

وضان الفتح الإلهي  
لأنه لا يتم إلا بموافقة  
لغيره من الفتح  
والمعنى أن الله تعالى  
يستفتح لك إلى  
بأنه ذلك لما كان  
وإفصاحه لفظا  
على صفة التي

ببئس  
وهو  
وهو  
علة الفتح  
خبري

يا  
لأن  
الرجل  
فمن  
لأنه  
الذي

الفتح  
هو  
وهو  
لأنه  
الذي

وهو مارية فمثل ما تقدم سديته

وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا <sup>(٢)</sup> وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا  
عَزِيزًا <sup>(٣)</sup> هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدَّهُمْ إِيمَانًا  
مَعَ إِيمَانِهِمْ <sup>(٤)</sup> وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا  
لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا <sup>(٥)</sup> وَيُعَذِّبُ  
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ <sup>(٦)</sup>

(١) ويتم نعمته عليك (بإعلاء دينك وفتح البلاد على يدك .

(٢) ويثبتك على الدين المرضي .

(٣) قويا متيناً لا ذل بعده أبدا . <sup>(٤)</sup> السكينة للسكون كالبهية للبهتان . أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة .

(٤) السكينة للسكون كالبهية للبهتان . أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة . بسبب الصلح ليزدادوا يقينا إلى يقينهم . وقيل السكينة الصبر على ما أمر الله والثقة بوعده .

(٥) أي (ولله جنود السموات والأرض) يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه قوله وحكمته . ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصالح الحديدية ووعدهم أن يفتح لهم . وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهه .

(٦) وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده . يقال فعل سوء أي مسخوط فاسد . والمراد ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحها .

من ذلك وكرهه .

هنرة وقهرا .

منافق الذين بسبب غلظهم وكذا بسبب تألمهم أيضا

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلَعَنَهُمْ وَوَعَدَ لَهُمْ جَهَنَّمَ  
 وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ  
 عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٣﴾ لِيُؤْمِنُوا  
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴿٥﴾

(١) (عليهم دائرة السوء) مكى وأبو عمرو. أى ما يظنونه ويتبصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم. والسوء الهلاك والدمار. وغيرهما (دائرة السوء) بالفتح. أى الدائرة التى يذمونها ويسخطونها. السوء والسوء كالكره والكره والضعف والضعف. إلا أن المفتوح غالب فى أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شىء. وأما السوء بفتح الجيم الذى هو تقيض الخير.

(٢) (وساءت مصيرا) جهنم. (ولله جنود السموات والأرض) فيدفع كيد من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها. (وكان الله عزيزا) غالبا فلا يرد بأسه (حكيمًا) فيما دبر.

(٣) تشهد على أمتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين من النار.

(٤) (ليؤمنوا بالله ورسوله) — الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأئمة — (وتعزروه) وتقويه بالنصر (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) من التسبيح أو من السبحة — بمعنى الصلاة والضمائر لله عز وجل. والمراد بتعزيز الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر بفعل الأقران للنبي صلى الله عليه وسلم فقد أبعد. (ليؤمنوا) مكى وأبو عمرو. والضمير للناس وكذا الثلاثة الأخيرة بالياء عندهما — (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) الصلوات الأربع.

(٥) (إن الذين يبايعونك) أى بيعة الرضوان. ولما قال (إنما يبايعون الله) أكدته تاكيذا على طريقة التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم). يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه

فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ  
 فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا  
 أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّتْرِ ۖ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ

وسلم التي تعلق أيدي المبايعين هي يد الله والله منزّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام . وإتّما  
 المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله ( من يطع  
 الرسول فقد أطاع الله ) . و ( إتّما يبايعون الله ) خبر إق .

(١) ( فمن ) نقض العهد ولم يف بالبيعة ( فإنّما ينكث على نفسه ) فلا يعود ضرر  
 نكثه إلّا عليه . قال جابر بن عبد الله « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على  
 الموت وعلى ألا نفرز : فما نكث أحد منا البيعة إلّا جدّ بن قيس وكان منافقا . اختبأ تحت بطن  
 بعيره ولم يسر مع القوم » .

(٢) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به . ومنه قوله ( أوفوا بالعقود . والموفون بعهدهم ) .  
 ( عليه الله ) حفص . ( فسيؤتيه ) — وبالتون حجازي — وشامي — ( أجرا عظيما ) الجنة

(٣) ( سيقول لك ) إذا رجعت من الحديبية ( المخلفون من الأعراب ) هم الذين خلفوا  
 عن الحديبية . وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والدئل . وذلك أنه عليه السلام  
 حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل  
 البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت . وأحرم  
 هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد حربا . فتناقل كثير من الأعراب  
 وقالوا يذهب إلى قوم غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم . وظنّوا أنه يهلك  
 فلا ينقلب إلى المدينة .

(٤) ( شغلنا أموالنا وأهلونا ) — هي جمع أهل . اعتلوا بالشغل بأهليهم وأموالهم وأنه  
 ليس لهم من يقوم بأشغالهم — ( فاستغفر لنا ) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك .

(٥) تكذيب لهم في اعتذارهم ، وأن الذي خلفهم ليس ما يقولون وإتّما هو الشك في الله  
 والنفاق . فطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة .

عنه لا يطع  
 نقض مع  
 الرسول على  
 ما نقضت  
 لعنه  
 على ما نقضت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالسنة  
 بالتصميم  
 بالتصميم  
 بالتصميم



قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ  
 نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ  
 الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ﴿٢﴾  
 وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿٣﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
 فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿٤﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾

ضرا

(١) فمن يملككم من مشيئة الله وقضائه (إن أراد بكم) ما يضركم من قتل أو هزيمة - على فرضه فانكروا أهل  
 و أنفسكم و قلوبكم

على فرضه ذهبا لم مع محمد صلى الله عليه وسلم

(٢) زينه الشيطان .

(٣) من علو الكفر وظهور الفساد .

(٤) جمع بائر كمانذ وعوذ . من بار الشيء هلك وفسد أى ( وكنتم قوما ) فاسدين -  
 فى أنفسكم و قلوبكم و نيائكم لا خير فيكم . أو هالكين عند الله مستحقين لسخطه و عقابه .

(٥) ( أعتدنا للكافرين ) أى لهم . فأقيم الظاهر مقام الضمير للإيدان بأن من لم يجمع بين  
 الإيمان بالله و الإيمان برسوله فهو كافر . و نكر ( سعيرا ) لأنها نار مخصوصة .  
 كما نكر ( نارا تطفى ) .

(٦) يدبره تدبير قادر حكيم .

(٧) يغفر و يعذب بمشيئته و حكمته . و حكمته المغفرة للمؤمنين و التعذيب للكافرين .

(٨) سبقت رحمته غضبه .

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا  
 نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ نَتَّبِعُونَكَ كَذَلِكَ  
 قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ  
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ  
 أَوْلَى بِأَسْ شَدِيدِ تَقَاتُلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ  
 أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢﴾

(١) (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ) الذين تخلفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم إلى مغانم) إلى غنائم  
 خيبر (لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) . (كلم الله) حمزة وعلى . أى  
 يريدون أن يغيروا موعدهم لله لأهل الحديبية . وذلك أنه وعدهم أن يعرضهم من مغانم مكة  
 مغانم خيبر إذا قتلوا مواعدين لا يصيبون منهم شيئاً .

(٢) (لَنْ نَتَّبِعُونَكَ) إلى خيبر . وهو إخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه .

(٣) (قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) انصرفهم إلى المدينة إن غنيمه خيبر لمن شهد الحديبية دون  
 غيرهم .

(٤) أى لم يأمرهم الله به (بل تحسدوننا) أن تشارككم في الغنيمه . (بل كانوا لا يفقهون)  
 من كلام الله (إلا قليلاً) إلا شيئاً قليلاً . يعنى مجرد القول . والفرق بين الإضرابين أن الأول ردة  
 أن يكون حكم الله ألا يتبعوهم وإثبات الحسد ، والثانى إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد  
 إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه .

(٥) هم الذين تخلفوا عن الحديبية .

(٦) (ستدعون إلى قوم) — يعنى بنى حنيفة قوم مسيامة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر  
 رضى الله عنه . لأن مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف .  
 وقيل هم فارس وقد دعاهم عمر رضى الله عنه — (تقاتلونهم أو يسلمون) أى يكون أحد

١  
 مضمون قوله  
 وتنفذوا  
 بغيره  
 بغيره

(٤)  
 وفي الآية دليل على  
 صحة إضراب النبي  
 فدية ذلك من الله  
 ما ترضى من أهل مكة

بعضهم إلى بعض رضى أهل فارس ورضوا منهم أهل بنى حنيفة وغيرهم  
 بال بعضهم إلى بعض رضى أهل فارس ورضوا منهم أهل بنى حنيفة وغيرهم  
 بال بعضهم إلى بعض رضى أهل فارس ورضوا منهم أهل بنى حنيفة وغيرهم

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ<sup>(١)</sup>  
 وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ  
 يَعْذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا<sup>(٢)</sup> لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ  
 الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

الأميرين إما المقاتلة أو الإسلام . ومعنى (يسلمون) على هذا التأويل يتقادون . لأن فارس  
 مجوس تقبل منهم الجزية . وفي الآية دلالة صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على  
 طاعة الداعي عند دعوته بقوله (فإن تطيعوا) من دعاكم إلى قتاله (يؤتكم الله أجرا حسنا)  
 فوجب أن يكون الداعي مفترض الطاعة . (وإن تتولوا كما توليتم من قبل) أى عن الحديبية  
 (يعذبكم عذابا أليما) فى الآخرة .

(١) نفى الحرج عن ذوى العاهات فى التخلف عن الغزو .

(٢) (ومن يطع الله ورسوله) فى الجهاد وغير ذلك (يدخله جنات تجري من تحتها  
 الأنهار ومن يتول) يعرض عن الطاعة (يعذب به عذابا أليما) . (ندخله . نعدبه) مدنى وشامى .

(٣) هى بيعة الرضوان . سميت بهذه الآية . وقصتها أن النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل  
 بالحديبية بعث جواسيس بن أمية الخزاعى رسولاً إلى مكة . فهموا به . فتمعه الأحابيش . فلما  
 رجع دعا بعمر لبيعته . فقال لى أخافهم على نفسى لما عرف من عداوتى إياهم . فبعث عثمان  
 ابن عفان فخبّرهم أنه لم يأت لحرب . وإنما جاء زائرا للبيت . فوقروه واحتبس عندهم .  
 فأرجف بأنهم قتلوه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبرح حتى نناجز القوم . ودعا  
 الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على أن يناجزوا قريشا ولا يفزوا . وكانت سمره . وكان  
 عدد المبايعين ألفا وأربعمائة .

(٤) (فعلم ما فى قلوبهم) من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فأنزل السكينة  
 عليهم) أى الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم (وأثابهم) وجازاهم (فتحا قريبا)  
 هو فتح خيبر غلب انصرافهم من مكة .

بأبوابهم  
 ومعهما لطفى  
 وعبر بالماض  
 استخفوا راضين  
 لصورة بالماض

وكانت صروفه  
 وقيل حتى نبوه

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا <sup>(١)</sup> وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا <sup>(٢)</sup> وَعَدَّكُمْ اللَّهُ  
 مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا <sup>(٣)</sup> فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ <sup>(٤)</sup> وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ  
 عَنْكُمْ <sup>(٥)</sup> وَلِتَكُونَ آيَةً <sup>(٦)</sup> لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ <sup>(٧)</sup> صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا <sup>(٧)</sup> وَأُخْرَى  
 لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا <sup>(٨)</sup> وَكَانَ اللَّهُ تَدَلَّى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا <sup>(٩)</sup>

(١) هي مغانم خيبر . وكانت أرضا ذات عقار وأموال . فقسّمها عليهم .

(٢) (عزيزا) منيعا فلا يغالب (حكيمًا) فيما يحكم فلا يعارض .

(٣) هي ما أصابوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يوم القيامة .

(٤) (فعجل لكم هذه) المغانم . يعني مغانم خيبر .

(٥) يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أمد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم . فقدف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا . وقيل أيدي أهل مكة بالصلح .

(٦) (ولتكون) هذه الكفّة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله عز وجل بمكان ، وأنه ضامن نصرتهم والفتح عليهم ، فعل ذلك .

(٧) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله .

(٨) معطوفة على (هذه) . أي (فعجل لكم هذه) المغانم ... (و) مغانم (أخرى) — هي مغانم هوازن في غزوة حنين — (لم تقدروا عليها) لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها . ويجوز في (أخرى) النصب بفعل مضمّر يفسره (قد أحاط الله بها) تقديره (و) قضى الله (أخرى) قد أحاط بها . وأما (لم تقدروا عليها) (نصفه) لأخرى . والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بـ (لم تقدروا) . و(قد أحاط الله بها) خبر المبتدأ .

(٩) قادرا .

وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلْيًا وَلَا  
 نَصِيرًا ﴿١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ  
 تَبْدِيلًا ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ  
 مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٣﴾

(١) (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا - أو من حلفاء أهل خير -  
 (لولوا الأدبار) لغلبوا وانهمزوا (ثم لا يجدون ولياً) إلى أمرهم (ولا نصيراً) ينصرهم .

(٢) في موضع المصدر المؤكد . أى سن الله غلبة أنبيائه سنة . وهو قوله (لأغابن أنا  
 ورسلى) .

(٣) تغييراً .

(٤) أى (كف) أيدى أهل مكة (وأيديكم عنهم) عن أهل مكة . يعنى قضى بينهم  
 وبينكم المكافاة والمجازة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة . وذلك يوم الفتح . وبه استشهد  
 أبو حنيفة رضى الله عنه على أن مكة فتحت عنوة لا صلحاً . وقيل كان فى غزوة الحديبية  
 لما روى أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
 هزمه وأدخله حيطان مكة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أظهر المسلمين عليهم بالحجارة  
 حتى أدخلوهم البيوت .

(٥) أى بمكة . أو بالحديبية لأن بعضها منسوب إلى الحرم .

(٦) أى أقدركم وسلطكم .

(٧) وبالبياء أبو عمرو .



إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى<sup>(٣)</sup>

لو تفرقوا وتميز المسامون من الكافرين (لعذبنا الذين كفروا منهم) من أهل مكة (عذابا أليما). وجواب (لولا) محذوف أغنى عنه جواب (لو). ويجوز أن يكون (لو تزيلوا) كالتركيز لـ (لولا رجال مؤمنون) لمرجمهما إلى معنى واحد، ويكون (لعذبنا الذين كفروا) هو الجواب. تقديره (ولولا) أن تطئوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف. *أليما* بمعنى *أشد*

(١) أى قريش. العامل في (إذ)، (لعذبنا) أى لعذبناهم في ذلك الوقت. أو اذكر.

(٢) المراد بحمىة الذين كفروا - وهى الأتفة - وسكينة المؤمنين - وهى الوقار - ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام. ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا. فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه: اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم). فقال سهيل وأصحابه: ما نعرف هذا. ولكن اكتب باسمك اللهم. ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة. فقالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك. ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة. فقال عليه السلام: اكتب ما يريدون. فأنا أشهد أنى رسول الله وأنا محمد بن عبد الله. فهتم المسامون أن يأبوا ذلك ويشتمروا منه. فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا.

(٣) الجمهور على أنها كلمة الشهادة. وقيل (بسم الله الرحمن الرحيم). والإضافة إلى التقوى باعتبار أنها سبب التقوى وأساسها. وقيل (كلمة) أهل (التقوى).

وإذ لا تزيلوا  
من المؤمنين  
وذلك مقبول

من  
أه كلمة التقوى  
وإن الوفا بالوعد  
أو أن رسول الله  
لمراد الزايم للصبر  
بمعنى الصلح بهود

وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا <sup>(١)</sup> لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ <sup>(٢)</sup> رَسُولَهُ الرَّعْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ <sup>(٣)</sup> إِنْ شَاءَ اللَّهُ <sup>(٤)</sup> آمَنِينَ مَخْلِقِينَ <sup>(٥)</sup>

حال ثابته من قوله  
وكانوا احق بها  
والله بكل شيء عليم  
المراد من قوله  
المراد من قوله  
المراد من قوله

(١) (وكانوا) أى المؤمنون (أحق بها) من غيرهم (وأهلها) بتأهيل الله ليأهم (وكان

الله بكل شيء عليم) فيجرى الأمور على مصالحها .

(٢) أى صدقه في رؤياه ولم يكذبه - تعالى الله عن الكذب - فحذف الجاز وأوصل

التعل كقوله (صدقوا ما عاهدوا الله عليه) . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل

خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا . فقص الرؤيا

على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم . وقالوا : إن رؤيا رسول الله صلى الله

عليه وسلم حق . فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وغيره : والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا

المسجد الحرام . فزلت .

(٣) (بالحق) متعلق بصدق . أى صدقه فيما رأى ، وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا

(بالحق) أى بالحكمة البالغة . وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين

من في قلبه مرض . ويجوز أن يكون (بالحق) قسما إقما بالحق الذى هو تقيض الباطل ،

أو بالحق الذى هو من أسمائه . وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) . وعلى الأول هو جواب

قسم محذوف .

(٤) حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لأصحابه وقص عليهم . أو تعليم لعباده أن يقولوا

في عدااتهم مثل ذلك متأدين بأدب الله ومقتدين بسنته .

(٥) حال والشرط معترض .

(٦) حال من الضمير في (آمنين) .

للام ذالك  
أداة شرط فتكون  
سؤلية للقس  
شرطية مطلقة  
لتدريبتهم وأما  
هنا فموضع  
مخوف ولتدريبتهم  
لقد صدق الله  
والله ما حلقنا ولا  
قصرنا ولا رأينا  
المسجد الحرام  
فكذلك رسول الله  
مخبر صدقته الحديث



رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا بِفَعَلٍ مِنْ  
 دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا <sup>(١)</sup> هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأَهْدَى  
 وَدِينٍ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا <sup>(٢)</sup> مُحَمَّدٌ  
 رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ <sup>(٣)</sup>

(١) (مخلفين رؤوسكم) أى جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها .

(٢) حال مؤكدة .

(٣) (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة فى تأخير فتح مكة إلى العام القابل .

(٤) (بفعل من دون) فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر، لتستروح إليه قلوب

المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود .

(٥) (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالتوحيد (ودين الحق) أى الإسلام (ليظهره)

ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين . يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين وأهل  
 الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه . فإنك لا ترى ديناً قط إلا وللإسلام دونه العزة والغلبة .  
 وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الأرض كافر . وقيل هو إظهاره  
 بالهجوم والآيات . (وكفى بالله شهيدا) على أت ما وعده كائن . وعن الحسن شهد على نفسه أنه  
 سيظهر دينه . والتقدير وكفاه الله شهيدا . و (شهيدا) تمييز أو حال .

(٦) (محمد) خبر مبتدأ . أى هو (محمد) لتقدم قوله (هو الذى أرسل رسوله) . أو مبتدأ

خبره (رسول الله) . وقف عليه نصير . (والذين معه) - أى أصحابه - مبتدأ . والخبر (أشداء  
 على الكفار) . أو (محمد) مبتدأ . و (رسول الله) عطف بيان (والذين معه) عطف على  
 المبتدأ . و (أشداء) خبر عن الجميع . ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون . وهو خبر ثان .  
 وهما جمعا شديد ورحيم . ونحوه (أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) . وبلغ من تشدهم  
 على الكفار أنهم كانوا يتحززون من ثيابهم أن تلتزق بثيابهم ، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم .  
 وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صالحه وعانقه .

أشداء بالضم  
 من نصير  
 هو على الصلة  
 وهو الخبر الثانى  
 وأما أشداء  
 فمعنى

تَرْتَهُمْ رُكْعًا مُبْتَدَأً يَسْتَعُونَ<sup>(٣)</sup> فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ  
 فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ<sup>(٤)</sup> ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ  
 فِي الْإِنْجِيلِ كَرْرَعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ  
 يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا<sup>(٥)</sup>

(١) راكعين .

(٢) ساجدين .

(٣) حال كما أت (ركعاً) و (بمبتدأ) كذلك فإنه يصير ركعاً أو صلياً أو ركعاً أو ركعاً

(٤) علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) أي من التأثير الذي يؤثره السجود . وعن  
 معطاء : استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل ، لقوله عليه السلام : من كثرت صلواته  
 بالليل حسن وجهه بالنهار .

لثقتة ربيته  
 لصلاة النهار  
 فاستغله  
 أرضه لوجه  
 وبياضه  
 من كثرة الصلاة

(٥) أي المذكور صفتهم .

(٦) وعليه وقف .

(٧) (ومثلهم في الإنجيل) مبتدأ خبره (كررع أخرج شطأه) فراخه . يقال أشطأ الزرع  
 إذا فترخ (فآزره) قواه . (فآزره) شامح . (فاستغلاظ) فصار من الرقة إلى الغلاظ (فاستوى  
 على سوقه) فاستقام على قصبه . جمع ساق . (يعجب الزرع) يتعجبون من قوته . وقيل مكتوب  
 في الإنجيل : سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وعن

خير سبب لمؤثره أن هم كرع أمه الله أشطأه كلفه إلى شدة  
 ولا يملكه الله  
 فاستغله  
 وهو كرع  
 خير سبب لمؤثره

عزيمة (أخرج شطاه) بأبي بكر (فأزره) بعمر (فاستغلف) بعثمان (فاستوى على سوقه) بعلي  
 رضوان الله عليهم . وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوى  
 واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى  
 الطاقة الأولى من الزرع ما يختف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزرع . (ليغيظ بهم الكفار)  
 تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة . ويجوز أن يعلل به  
 (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا) لأن الكفار إذا سمعوا  
 بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك . (ومن) في (منهم) للبيان  
 كما في قوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) يعني (فاجتنبوا الرجس) الذي هو الأوثان .  
 وقولك أنفق من الدراهم . أي اجعل نفقتك هذا الجنس . وهذه الآية ترد قول الروافض  
 لأنهم كفروا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . إذ الوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم إنما يكون  
 إن لو ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته .

ويعلمون أن الله  
 لا يهدي القوم  
 الظالمين  
 لما يرضون عليه  
 من

في زعم الروافض أنه لم يفرقه بعد الموت لأنهم واصلوا عليه كقولهم لم يفرق الله بينه وبين المؤمنين  
 وهم لزوم كما نزلت آية عليه لما يفرق على ما بين الحبيب والمحب والله ما ذكره في حقه من صفات الله تعالى  
 كقولهم لا يفرق الله بين الحبيب والمحب والله ما ذكره في حقه من صفات الله تعالى  
 والله كفراً أصيبوا به صابغة أن يردوه على خير وبركة على المسلمين وليست كفراً كما يدعي هؤلاء  
 فإنه من ادعى كفره لغيرهم يكون حيدر المشركين دنياهم الله سبحانه وتعالى

## سورة الحجرات مدنية

وهي ثمان عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ  
اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ <sup>(١)</sup>

<sup>الدال</sup> (١) قدمه وأقدمه متقولان بثقل الحشو والهمزة من قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى  
(يَقْدِمُ قُوَّةً) . وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع في النفس مما يقدم من القول أو الفعل .  
وجاز ألا يقصد مفعول ، والنهي متوجه إلى نفس التقدمة . كقوله (هو الذي يحيي ويميت) .  
أو هو من قدم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه . ومنه مقدمة الجيش . وهي الجماعة المتقدمة  
منه . ويؤيده قراءة يعقوب (لَا تَقْدِمُوا) بحذف إحدى تاءي تقدموا (بين يدي الله ورسوله)  
حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن تجلس بين الجهتين المسامتين يمينه وشماله قريبا منه .  
فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء  
عند قوله المبارك باسم غيره إذا جاوره . وفي هذه العبارة ضرب من المجاز الذي يسمى تمثيلا . وفيه فائدة جليلة  
وهي تصوير المهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على  
أمثلة الكتاب والسنة . ويجوز أن يجري مجرى قولك سررتني زيد وحسن حاله . أي سررتني  
حسن حال زيد . فكذلك هنا المعنى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفائدة هذا  
الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص . ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله  
بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا المسلك . وفي هذا تمهيد لما تقيم منهم من رفع أصواتهم  
فوق صوته عليه السلام لأن من فضله الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى  
ما يجب له من التهيّب والإجلال أن ينخفض بين يديه الصوت . وعن الحسن أت أناسا ذبحوا

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ

يوم الأضحى قبل الصلاة . فزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحاً آخر . وعن عائشة رضى الله عنها أنها نزلت في النهى عن صوم يوم الشك . (واتقوا الله) فإنكم إن أتقيتموه عاقبكم التقوى عن التقديم المنهى عنها (إن الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون . وحق مثله أن يتقى .

(١) إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم .

(٢) أى إذا نطق ونطقتم فعليكم ألا تبغوا بأصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته ، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عالياً لكلامكم ، وجهره باهراً لجهركم ، حتى تكون مزيته عليكم لأخيه ، وسابقته لديكم واضحة .

(٣) أى إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيت عنه من رفع الصوت . بل عليكم ألا تبغوا به الجهر الدائر بينكم ، وأن تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر . أولاً تقولوا له يا محمد ، يا أحمد . وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم . ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر إلا كأخى السرار . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس . وكان فى أذنه وقر . وكان جهورى الصوت . وكان إذا كلم رفع صوته . وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فينادى بصوته . وكاف التشبيه فى محلّ النصب . أى (لا تجهروا له) جهراً مثل (جهر بعضكم لبعض) . وفى هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقاً حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالخافتة . وإنما نهوا عن جهر مخصوص . أعنى الجهر المنعوت بمائلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم . وهو الخلق من مراعاة أهية النبوة وجلالة مقدارها .

(٤) منصوب الموضع على أنه المفعول له متعلق بمعنى النهى . والمعنى اتهاوا عما نهيت عنه لحبوط أعمالكم . أى الخشية جبوطها ، على تقدير حذف المضاف .

نزلت في ثابت بن قيس  
والنبي صلى الله عليه وسلم  
كل من يرفع يده عليه  
بالسرور

الآية للرسول  
وأصحابه  
للرسول  
لأن ذلك  
الرسول  
وغير ذلك  
كسبغ إذا نماز  
رسول بذلك  
شكراً وطمأنينة  
بما فيه

وَأَنْتُمْ لَا تَسْعُرُونَ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ  
 اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ  
 عَظِيمٌ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾

(١) تم اسم (إن) عند قوله (رسول الله). والمعنى يخفضون أصواتهم في مجلسه تعظيماً له. (أولئك) مبتدأ، خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى). وتم صلة (الذين) عند قوله (للتقوى). و (أولئك) مع خبره خبر (إن). والمعنى أخلصها للتقوى. من قولهم امتحن الذهب وقتنه إذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه ونقاؤه. وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدتها مخلصه. وعن عمر رضي الله عنه: أذهب الشهوات عنها. والامتحان افتعال من محنه. وهو اختبار يبلغ أو بلاء جهيد. (لهم مغفرة وأجر عظيم) جملة أخرى. قيل نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت. وهذه الآية - بنظمها الذي رتب عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسماً لأن المؤكدة، وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفين معا، والمبتدأ اسم الإشارة، واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم، وإيراد الجزاء لكرة مبهما أمره - دالة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم. وفيها تعريض لعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم.

(٢) نزلت في وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد ولهم الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا أخرج إلينا يا محمد. فإن مدحنا زين، وذمنا شين. فاستيقظ وخرج. والوراء الجهة التي يوارىها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام. و (من) لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان. والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بمحاط يحوط عليها. وهي فعلة بمعنى مفعولة كالتقبضة. وجمعها الحجرات بضمين، والحجرات بفتح الجيم. وهي قراءة يزيد. والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت لكل منهن حجرة. ومنادياتهم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلين له أو نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها. ولكنها جمعت لإجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم. والفعل وإن كان مستنداً إلى

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)

جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم . وكان الباقيون راضين فكأنهم تولوه جميعا . (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثنائه . ويحتمل أن يكون المراد النفي العام إذ القلة تقع موقع النفي .

دل

و ورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه مالا يخفى من بينات إجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم . منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل . ومنها إيقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقبله مع بعض نسائه . ومنها التعريف باللام دون الإضافة . ولو تأمل متأمل من أول السورة إلى آخر هذه الآية لوجدتها كذلك . فتأمل كيف ابتداء بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير تقييد . ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر ، كأن الأول بساط للثاني . ثم أثنى على الغاضبين أصواتهم ليدل على عظيم موقعه عند الله . ثم عقبه بما هو أطم ، وهجته أتم من الصباح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته . من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لئنه على فظاعة ما جسروا عليه . لأن من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا .

(١) أي (ولو) ثبت صبرهم . ومحل (أنهم صبروا) الرفع على الفاعلية . والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها . قال الله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) . وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس . وقيل الصبر مرة ، لا يتجرعه إلا حر . وقوله (حتى تخرج إليهم) يفيد أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم . (الكان) الصبر (خيرا لهم) في دينهم . (والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فإن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنبأوا .

داني لرببة للبرعة  
من وجهه لتعظيم  
لرب رسوان في  
لأحبابه آخر العالم  
سه لهذا النوع

٤٥  
فأفقه فحوت  
أدوات الشرط  
بليغ الألفاظ





وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ <sup>(١)</sup>  
 أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ <sup>(٢)</sup> فَضَلَّأَ مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ <sup>(٣)</sup>  
 حَكِيمٌ <sup>(٤)</sup> وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله (ولكن الله حبيب إليكم الإيمان) وقيل هم (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى). ولما كانت صفة الذين حبيب الله إليهم الإيمان غيرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت (لكن) في حاق موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيًا وإثباتًا.

(١) (وكره إليكم الكفر) وهو تغطية نعم الله وغطها بالمحود (والفسوق) وهو الخروج عن محبة الإيمان بركوب الكبائر (والعصيان) وهو ترك الاتقياء لما أمر به الشارع.

(٢) أى (أولئك) المستنون (هم الراشدون) يعنى أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة. والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه. من الرشادة. وهى الصخرة.

(٣) الفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام. والانتصاب على المفعول له. أى حبيب وكره للفضل والنعمة *بمعنى يرفع يدها ويضع يدها* <sup>بمعنى يرفع يدها ويضع يدها</sup>

(٤) (والله عليم) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على الأفاضل.

(٥) وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك ابن أبي بنه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نته. فقال عبد الله بن رواحة والله إن بول حمارة لأطيب من مسكك. ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبأ وتجادلوا وجاء قوما هما - وهما الأوس والخزرج - فتجادلوا بالعصى وقيل بالأيدى والنعال والسعف. فرجع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاح بينهم ونزلت. وجمع (اقتتلوا) حملا على المعنى لأن الطائفتين فى معنى القوم والناس. وثنى فى (فأصلحوا بينهما) نظرا إلى اللفظ.

*الكتاب  
 وعمل  
 المخرج  
 بفضلهم  
 وعلمهم  
 عندهم  
 لغيرهم  
 من الأوس  
 والخزرج  
 فبال  
 الحمار  
 فأمسك  
 ابن أبي  
 بنه  
 فقال  
 عبد الله  
 بن رواحة  
 والله  
 إن بول  
 حمارة  
 لأطيب  
 من مسكك  
 ومضى  
 رسول  
 الله  
 صلى  
 الله  
 عليه  
 وسلم  
 وطال  
 الخوض  
 بينهما  
 حتى  
 استبأ  
 وتجادلوا  
 وجاء  
 قوما  
 هما  
 - وهما  
 الأوس  
 والخزرج  
 فتجادلوا  
 بالعصى  
 وقيل  
 بالأيدى  
 والنعال  
 والسعف  
 فرجع  
 إليهم  
 رسول  
 الله  
 صلى  
 الله  
 عليه  
 وسلم  
 فأصاح  
 بينهم  
 ونزلت  
 وجمع  
 (اقتتلوا)  
 حملا  
 على  
 المعنى  
 لأن  
 الطائفتين  
 فى  
 معنى  
 القوم  
 والناس  
 وثنى  
 فى  
 (فأصلحوا  
 بينهما)  
 نظرا  
 إلى  
 اللفظ*

فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى  
 أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
 الْمُقْسِطِينَ ﴿٣١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
 لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٢﴾ يٰ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ  
 عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ

(١) البغى الاستطالة والظلم وإباء الصلح .

(٢) (حتى تفيء) أى ترجع - والفيء الرجوع . وقد سمي به الظل والغنيمة لأن الظل يرجع  
 بعد نسخ الشمس ، والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار إلى المسلمين . وحكم الفئة الباغية وجوب  
 قتالها ما قاتلت . فإذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت - (إلى أمر الله) المذكور  
 في كتابه من الصلح وزوال الشحنة . (فإن فاءت) عن البغى إلى أمر الله (فأصلحوا بينهما  
 بالعدل) بالإنصاف (وأقسطوا) واعدلوا . وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم  
 بعد ما أمر به في إصلاح ذات البين .

(٣) العادلين . والقسط الجور . والقسط العدل . والفعل منه أقسط . وهمزته للسلب  
 أى أزال القسط وهو الجور .

(٤) هذا تقرير لما أزمه من تولى الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاققة من المؤمنين  
 وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل  
 الأخوة لم ينقص عنها . ثم قد جرت العادة على أنه إذا نشب مثل ذلك بين الأخوين ولاد الزم  
 السائر أن يتناهضوا في رفعه وإزاحته بالصلح بينهما . فالإخوة في الدين أحق بذلك . (إخوتكم)  
 يعقوب . (واتقوا الله لعلكم ترحمون) أى (واتقوا الله) فالتقوى تحملكم على التواصل والاتلاف  
 وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم مرجوا . والآية تدل على أن البغى لا يزيل اسم  
 الإيمان لأنه سماهم مؤمنين مع وجود البغى .

(٥) التوم الرجال خاصة لأنهم التوام بأمر النساء . قال الله تعالى (الرجال قوامون على  
 النساء) . هو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر . واختصاص القوم بالرجال

سأناض  
 القوم بضم  
 ل  
 نزلت بضم  
 ل  
 لضم  
 و  
 و  
 و

وقال لا يسخرونكم  
 بضم الهمزة  
 بضم الهمزة

وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ (١)

صريح في الآية إذ لو كانت النساء داخلة في (قوم) لم يقل (ولا نساء) وحقق ذلك زهير  
في قوله .

وما أدري ولست إخال أدري \* أقوم آل حصن أم نساء

وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد، هم الذكور والإناث، فليس لفظ القوم بمتعاط للفرقيين .  
ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن . وتنكير القوم والنساء  
يحتمل معنيين أن يراد (لا يسخر) بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض، وأن يقصد إفادة  
الشياع، وأن يصير كل جماعة منهم منبهة عن السخرية . وأما لم يقل رجل من رجل ولا  
امرأة من امرأة على التوحيد إعلاما بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نساءهم  
على السخرية، واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه . وقوله (عسى أن يكونوا خيرا منهم) كلام  
مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهي . وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله  
بالفاء . والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساحر  
إذ لا اطلاع للناس إلا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر . والذي يزن عند الله خلوص الضمائر .  
فينبغي ألا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه  
أو غير لبيب في محادثته . فلعله أخلص ضميرا ، أو أتق قلبا ممن هو على ضد صفته . فيظلم  
نفسه بتحقير من وقره الله تعالى . وعن ابن مسعود رضي الله عنه "البلاء موكل بالقول . لو سخرت  
من كلب لحشيت أن أحول كلبا " .

(١) ولا تطعنوا أهل دينكم . واللز الطعن والضرب باللسان . (ولا تلمزوا) يعقوب  
وسهل . والمؤمنون كنفس واحدة . فإذا عاب المؤمن المؤمن فكأتما عاب نفسه . وقيل  
معناه لا تفعلوا ما تلمزون به . لأن من فعل ما استحق به اللز فقد لزم نفسه حقيقة .

(٢) التناز بالألقاب التداعي بها . والنبز لقب السوء . والتلقيب المنهى عنه هو ما يتداخل  
المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذمنا له . فأما ما يحبه فلا بأس به . وروى أن قوما  
من بني تميم استهزوا ببلال وخباب وعمار وصهيب . فنزلت . وعن عائشة رضي الله عنها أنها  
كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة . وعن أنس رضي الله عنه عيرت نساء

يُنْسِ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢)  
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا (٤)

النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالفصر . وروى أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر . فكانوا يوسعون له في مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع . فأتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لرجل تنح . فلم يفعل . فقال من هذا؟ فقال الرجل أنا فلان . فقال بل أنت ابن فلانة . يريد أما كان يعيرها في الجاهلية فنجبل الرجل . فنزلت . فقال ثابت لا أخفر على أحد في الحسب بعدها أبدا .

(١) (الاسم) ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم . وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس . كأنه قيل بنس الذكر المرتفع للؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق . وقوله ( بعد الإيمان ) استقباح للجمع بين الإيمان وبين الفسق الذي يحظره الإيمان كما تقول بنس الشأن بعد الكثرة الصبوة . وقيل كان في شاتمهم لمن أسلم من اليهود يهودى يافاسق . فنهوا عنه . وقيل لهم بنس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه .

(٢) (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فأولئك هم الظالمون) . وحّد و جمع للفظ (من) ومعناه .

(٣) يقال جنبه الشر إذا أبعد عنه . وحقيقته جعله في جانب . فيعدى إلى مفعولين . قال الله تعالى ( واجنبي وبنى أن نعبد الأصنام ) . ومطأوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا . والمأمور باجتنابه بعض الظن . وذلك البعض موصوف بالكثرة . ألا ترى إلى قوله ( إن بعض الظن إثم ) . قال الزجاج هو ظنك بأهل الخير سوءا . فأما أهل الفسق فلنا أن نظن فيهم مثل الذى ظهر منهم . أو معناه اجتنابا ( كثيرا ) أو احترزوا من الكثير ليقع التحرز عن البعض . والإثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب . ومنه قيل لعقوبته الأثام فعال منه كالنكال والعذاب .

(٤) أى لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايهم . يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه . تفعل من الجسس . وعن مجاهد : خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله . وقال سهل لا تجسوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده .

والله اعلم  
بما فى الصدور  
والله اعلم  
بما فى الصدور  
والله اعلم  
بما فى الصدور

والله اعلم  
بما فى الصدور  
والله اعلم  
بما فى الصدور

وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّبِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ  
وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ﴿٤﴾

(١) الغيبة الذكـر بالعيب ، في ظهر الغيب . وهي من الاغتيال ، كالغيلة من الاغتيال  
وفي الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره . فإن كان فيه فهو غيبة . وإلا فهو بهتان . وعن  
ابن عباس الغيبة إدام كلاب الناس .

(٢) (ميتا) مدني . وهذا تمثيل وتصوير لما يناله الميت من عرض الميت على أخش  
وجه . وفيه مبالغات منها الاستفهام الذي معناه التقرير . ومنها جعل ما هو في الغاية من  
الكراهة موصولا بالحبة . ومنها إسناد الفعل إلى (أحدكم) والإشعار بأن أحدا من الأعديين  
لا يجب ذلك . ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتيال بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان  
أخا . ومنها أن لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعل ميتا . وعن قتادة كما تكره إن وجدت جيفة  
مدوية أن تأكل منها ، كذلك فأكـر لحم أخيك وهو حي . وانتصب (ميتا) على الحال من  
اللحم أو من أخيه . ولما قرأهم بأن أحدا منهم لا يجب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله  
الغائب للنسب (فكرهتموه) أي فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل . فليتحقق أن تكرهوا ما هو نظيره  
من الغيبة باستقامة الدين .

(٣) التواب البليغ في قبول التوبة . والمعنى (واتقوا الله) بترك ما أمرتم باجتنابه والندم  
على ما وجد منكم منه فإنكم إن أتيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين .  
وروى أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما . فنام عن شأنه يوما .  
فبعثاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما إداما . وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله  
عليه وسلم . فقال ما عندى شيء . فأخبرهما سلمان . فقالا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها .  
فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما ؟ فقالا  
ما تناولنا لحما . قال إنكما قد اغتبتما . ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه . ثم قرأ الآية .  
وقيل : غيبة الخلق ، إنما تكون من الغيبة عن الحق .

(٤) من آدم وحواء . أوكل واحد منكم من أب وأم . فما منكم من أحد إلا وهو يدلى  
بمثل ما يدلى به الآخر سواء بسواء . فلا معنى للتفاخر والتفاضل في النسب

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ  
 اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّهٗ تَوَمَّنَا وَأَلَكِن  
 قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

(١) الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب. وهي الشعب والقبيلة  
 والعمارة والبطن والفضذ والفصيلة. فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العائر. والعمارة تجمع  
 البطون. والبطن تجمع الأنفاز. والفضذ تجمع الفصائل. خزيمه شعب. وكثانة قبيلة. وقريش  
 عمارة. وقصى بطن. وهاشم نخذ. والعباس فصيلة. وسميت الشعوب لأن القبائل  
 تشعبت منها.

(٢) أى إمتا رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضهم نسب بعض فلا يعتري إلى غير  
 آبائه لا أن تتفانحوا بالآباء والأجداد وتدعوا التفاضل في الأنساب. ثم بين الخصلة التي  
 يفضل بها الإنسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)  
 في الحديث من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله. وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم  
 الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى. وروى أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله  
 وأثنى عليه. ثم قال الحمد لله الذى أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يأتيها الناس إمتا الناس  
 رجال مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله. ثم قرأ الآية. وعن يزيد بن شجرة مر رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشتراى فعلى شرط أن  
 لا يمنعنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاشتراه بعضهم فمرض فعاده  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفى فحضر دفنه. فقالوا في ذلك شيئا فنزلت. (إن الله عليم  
 كرم القلوب وتقواها (خبير) بهم النفوس في هواها.

(٣) (قالت الأعراب) — أى بعض الأعراب. لأن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم  
 الآخر. وهم أعراب بنى أسد. قدموا المدينة في سنة جدبة فآظفروا الشهادة يريدون الصدقة  
 ويمنون عليه — (أمنا) أى ظاهرا وباطنا. (قل) لهم يا محمد (لم تؤمنوا) لم تصدقوا بقلوبكم

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٠٩﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ  
بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٠﴾

(ولكن قولوا أسلمنا) فالإيمان هو التصديق . والإسلام الدخول في السلم والخروج من أن  
يكون حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين . ألا ترى إلى قوله (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)  
فأعلم أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطاة القلب فهو إسلام ، وما واطأ فيه القلب  
اللسان فهو إيمان . وهذا من حيث اللغة . وأما في الشرع فالإيمان والإسلام واحد لما  
عرف . وفي (لما) معنى التوقع . وهو دال على أن بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد . والآية  
تنقض على الكرامية مذهبهم أن الإيمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان . فإن قلت مقتضى نظم  
الكلام أن يقال (قل) لا تقولوا آمنا (ولكن قولوا أسلمنا) . أو (قل لم تؤمنوا) ولكن أسلمتم .  
قلت أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا فليل (قل لم تؤمنوا) مع أدب حسن فلم يقل  
كذبتهم تصريحاً ووضع (لم تؤمنوا) الذي هو نفى ما ادعوا إثباته موضعه واستغنى بقوله (لم  
تؤمنوا) عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول  
بالإيمان . ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم (آمنا)  
كذلك . ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به . وليس قوله  
(ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) تكريرا لمعنى قوله (لم تؤمنوا) فإن فائدة قوله (لم تؤمنوا)  
تكذيب لدعواهم ، وقوله (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) توقيت لما أمروا به أن يقولوه .  
كأنه قيل لهم (ولكن قولوا أسلمنا) حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لألسنتكم . لأنه كلام واقع  
موقع الحال من الضمير في (قولوا) . (وإن تطيعوا الله ورسوله) في السر بترك النفاق (لا يأتكم)  
بصرى (من أعمالكم شيئا) أى لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيئا . ألت يأت والأت  
يأت ولات يلبت بمعنى وهو النقص (إن الله غفور) بستر الذنوب ، (رحيم) بهدائيتهم للتوبة  
عن العيوب .

(١) وصف المؤمنين المخلصين ، فقال (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله  
ثم لم يرتابوا) - ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة . والمعنى أنهم آمنوا

رد فاعلمة محرمه  
شما اذا كانت  
نقلا صرحت  
واذا كانت  
بما تقول  
فصل  
في الآية  
على ان  
شأن ما  
المراد  
لم يقل  
لأنه  
لأنه  
صحيح  
يريد الله  
سنة  
بصحة

يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ  
 أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾

ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهم لما صدقوه . ولما كان الإيقان وزوال  
 الريب ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه . وعطف على الإيمان  
 بكلمة التراخي إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا - (وجاهدوا  
 بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) يجوز أن يكون المجاهد منوياً وهو العدو المحارب أو الشيطان  
 أو الهوى ، وأن يكون جاهد مبالغة في جهد . ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو ، وأن  
 يتناول العبادات بأجمعها ، وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان في جيش العسرة ، وأن يتناول  
 الركة وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر . وخبر المبتدأ الذي هو (المؤمنون) ، (أولئك هم  
 الصادقون) أي الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد . أو هم الذين  
 إيمانهم إيمان صدق وحق . وقوله (الذين آمنوا) صفة لهم . ولما نزلت هذه الآية جاءوا  
 وحلفوا أنهم مخلصون فترل (قل آمنون الله بدينكم) أي أتخبرونه بتصديق قلوبكم (والله يعلم  
 ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم) من النفاق والإخلاص وغير ذلك .

(١) أي (يؤمنون عليك) ب (أن أسلموا) يعني بإسلامهم . والمتى ذكر الأيادي تعريضا  
 للشكر .

(٢) أي المنة لله عليكم (أن هداكم) بأن هداكم أولاً (هداكم للإيمان إن كنتم صادقين)  
 إن صح زعمكم وصدقت دعواكم . إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه . وجواب الشرط  
 محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره (إن كنتم صادقين) في أفعالكم الإيمان بالله فله المنة عليكم .  
 وقرئ (إن هداكم) .

(٣) وبالياء مكى وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم . يعني أنه تعالى يعلم كل  
 مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سرهم وعلايتكم لا يخفى عليه منه شيء . فكيف  
 يخفى عليه ما في ضمائرهم وهو علام الغيوب ؟



## سورة ق مكية

وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ  
الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝

(١) الكلام في (ق والقراءان المجيد بل عجبوا) كالكلام في (ص والقراءان ذى الذكر بل الذين كفروا) سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد. و (المجيد) ذو المجد والشرف على غيره من الكتب. ومن أحاط علما بمعانيه، وعمل بما فيه، مجد عند الله وعند الناس. وقوله (بل عجبوا) أى كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) أى محمد صلى الله عليه وسلم، إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب. وهو أن ينذره بالخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته. ومن كان كذلك لم يكن إلا ناصحا لقومه خائفا أن ينالهم مكروه. وإذا علم أن نخوفا أظلمهم لزمه أن ينذرهم. فكيف بما هو غاية المخاوف؟ وإنكار لتعجبهم مما أنذروهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وإقرارهم بالنشأة الأولى مع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء. ثم عول على أحد الإنكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شيء عجيب أنذا متنا وكنا ترابا) ، دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار. ووضع (الكافرون) موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم. و (هذا) إشارة إلى الرجوع. و (إذا) منصوب بمضمرة معناه أحيان موت ونبلى ترجع؟ (متنا) نافع وعلى وحمة وحفص. (ذلك رجوع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد. أى بعيد من الوهم والعادة. ويجوز أن يكون الرجوع بمعنى المرجوع وهو الجواب ، ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث. والوقف على (ترابا) على هذا حسن. وناصب الظرف إذا كان الرجوع بمعنى المرجوع ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث .

تقول هذا الرجوع  
من قول الله تعالى  
فقال الكافرون  
هذا شيء عجيب  
وهو من كلام الله  
تعالى (لأن)







وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۖ وَنُفِخَ  
 فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۖ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ  
 وَشَهِيدٌ ۖ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ  
 فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۖ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ۖ  
 أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۖ مِّنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۖ

(١) لما ذكر إنكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم أن ما أنكروه هم لا قوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة. ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضي. وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) أى شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بالحق) أى بحقيقة الأمر أو بالحكمة. *وَلِيَا لِلشَّرِيبِ*

(٢) الإشارة إلى الموت. والخطاب للإنسان فى قوله (ولقد خلقنا الإنسان) على طريق الالتفات. (تحيد) تنفر وتهرب.

(٣) يعنى نفخة البعث.

(٤) أى وقت (ذلك يوم الوعيد) على حذف المضاف. والإشارة إلى مصدر (نفخ).

(٥) أى ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله. ومحل (معها سائق) النصب على الحال من (كل) لتعرفه بالإضافة إلى ما هو فى حكم المعرفة.

(٦) أى يقال لها (لقد كنت فى غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفتنا عنك غطاءك) أى فأزلنا غفلتك بما تشاهده (فبصرك اليوم حديد). جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا. فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر مالم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفته حديدا لتيقظه.

(٧) (وقال قرينه) الجمهور على أنه الملك الكاتب الشهيد عليه. (هذا) أى ديوان عمله — مجاهد: شيطانه الذى قيص له فى قوله (نقيض له شيطانا فهو له قرين). (هذا)

الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (١)  
 قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢)  
 قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٣)

أى الذى وكلت به - ( ما لدى عتيد ) . ( هذا ) مبتدأ . ( وما ) نكرة بمعنى شيء . والظرف *وصح* بعده وصف له . وكذلك ( عتيد ) . و ( ما ) وصفتها خبر ( هذا ) . والتقدير ( هذا ) شيء ثابت *أصله* ثابت ( ما لدى عتيد ) . ثم يقول الله تعالى ( ألقيا ) - والخطاب للسائق والشهيد . أو لمالك . وكانت *لورم* الأصل ألقى ألقى . فتاب ( ألقيا ) عن ألقى ألقى . لأن الفاعل كالجزم من الفعل فكانت *لورم* تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل . وقيل أصله ألقى ألقى . والألف بدل من النون إجراء للوصل *لورم* بجرى الوقف دليله قراءة الحسن ( ألقى ) - ( فى جهنم كل كفار ) بالنعمة والمنعم ( عتيد ) معاند بجانب للحق معاد لأهله ( متاع للخير ) كثير المنع للمال عن حقوقه . أو متاع لجنس *لورم* الخير أن يصل إلى أهله ( معتد ) ظالم متخبط للحق ( مريب ) شاك فى الله وفى دينه .

(١) ( الذى ) مبتدأ متضمن معنى الشرط ، خبره ( فألقىاه فى العذاب الشديد ) . أو بدل من ( كل كفار ) و ( فألقىاه ) تكرير للتوكيد . ولا يجوز أن يكون صفة لـ ( كفار ) لأن النكرة لا توصف بالموصول .

(٢) ( قال ) شيطانه الذى قرن به . وهو شاهد لمجاهد . وإنما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الأولى ، لأن الأولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول . أعنى مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال . وأما هذه فهى مستأنفة كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاوى كما فى مقابلة موسى وفرعون . فكانت الكافر قال رب هو أطغانى فـ ( قال قرينه ربنا ما أطعته ولكن كان فى ضلال بعيد ) أى ما أوقعته فى الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى .

(٣) هو استئناف مثل قوله تعالى ( قال قرينه ) كأن قائلاً قال فماذا قال الله ؟ فقيل ( قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد ) أى لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب . فلا فائدة فى اختصاصكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان

وَلَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِزِينَةٍ وَلَا لِجَمَلَةٍ وَلَا لِيُذَمَّرَ بِكَ مِنَ النَّاسِ وَلَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذَرِينَ (١)

مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ

هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٢﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣﴾

غَيْرِ بَعِيدٍ ﴿٤﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٥﴾ مَنْ

كُفِرَ بِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَلَمْ يَخْلُقْنَا مِنْ ذَلِكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

Handwritten marginal notes in Arabic script, including phrases like 'كيفية تفسيره', 'سبب نزولها', and 'تفسير قوله'.

Handwritten marginal notes in Arabic script, including phrases like 'تفسير قوله' and 'تفسير قوله'.

خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿١﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلْمٍ ذَلِكَ يَوْمُ  
 الْخُلُودِ ﴿٢﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا  
 قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٤﴾  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٥﴾

(١) الخشية ازعاج القلب عند ذكر الخطيئة . وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة  
 للثناء البالغ على الخاشي . وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أتى عليه بأنه خاش مع  
 أن الخشي منه غائب .

(٢) حال من المفعول . أى خشيته وهو غائب . أو صفة لمصدر خشي . أى خشيه خشية  
 ملتبسة بالغيب ، حيث خشي عقابه وهو غائب . الحسن : "إذا أغلق الباب وأرغى الستر".

(٣) راجع إلى الله . وقيل بسريرة مرضية ، وعقيدة صحيحة .

(٤) أى سالمين من زوال النعم وحلول النقم . أى سالمين من زوال النعم وحلول النقم . أى سالمين من زوال النعم وحلول النقم .

(٥) أى يوم تقدير الخلود كقوله ( فادخلوها خالدين ) أى مقدرين الخلود .

(٦) ( ولدينا مزيد ) على ما يشتهون . والجمهور على أنه رؤية الله تعالى بلا كيف .

(٧) ( وكم أهلكت ) قبل قومك ( من قرن ) من القرون الذين كذبوا رسلهم ( هم أشد )

من قومك قوة وسطوة ( فنقبوا ) فخرقوا ( فى البلاد ) وطافوا . والتنقيب التنقيب عن الأمر

والبحث والطلب . ودخلت الفاء للتسبب عن قوله ( هم أشد منهم بطشا ) أى شدة بطشهم

أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه . ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة فى أسفارهم ومسارهم

فى بلاد القرون . فهل رأوا لهم محيضا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم ؟ ويدل عليه قراءة من قرأ

( فنقبوا ) على الأمر . فنقبوا هم ذهبوا لغير بطشهم ونقبوا لغير أشد منهم

(٨) مهرب من الله أو من الموت بمحض القول بخلاف ما قاله من لم يحسن

(٩) ( إن فى ذلك ) المذكور ( لذكرى ) تذكرة وموعظة ( لمن كان له قلب ) واع لأن

من لا يعى قلبه فكأنه لا قلب له ( أو ألقى السمع ) أصغى إلى المواعظ ( وهو شهيد ) حاضر

بفطته . لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب .

تميزكم لغيره

ويعجز الله ربهم مع لغيره  
 لنقبوا الى أهل  
 لقرون لغيره  
 ويعجز الله ربهم الى  
 أهل مكة وبعضه  
 قراءة فنقبوا لغيره



وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ  
 لُغُوبٍ ۖ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ  
 الْغُرُوبِ ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ۖ وَأَسْتَمِعِ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ

(١) إعياء . قيل نزلت في اليهود - لعنت - تكذيباً لقولهم خلق الله السموات  
 والأرض في ستة أيام أوطأ الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش .  
 وقالوا إن الذي وقع من التشبيه في هذه الأمة إنما وقع من اليهود . ومنهم أخذ . وأنكر اليهود  
 التربع في الجلوس وزعموا أنه جلس تلك الجلسة يوم السبت . *والغروب بمعنى السب*

(٢) أى على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه . أو على ما يقول المشركون  
 في أمر البعث . فإن من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم . *(أول ما قاله المشركون)*

(٣) (وسبِّح) حامداً ربك . والتسبيح محمول على ظاهره . أو على الصلاة . فالصلاة (قبل  
 طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل) العشاءان أو التهجد (وأدبار  
 السجود) التسبيح في آثار الصلوات - والسجود والرکوع يعتبر بهما عن الصلاة - وقيل النوافل  
 بعد المكتوبات . أو الوتر بعد العشاء . والأدبار جمع دبر . (وإدبار) حجازى وحمزة وخلف .  
 من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت . ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم أتيتك خفوق  
 النجم . *وأدبار أعقاب السجود من التراب والنوافل*

(٤) (واستمع) لما أخبرك به من حال يوم القيامة . وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر  
 به . وقد وقف يعقوب عليه وانتصب (يوم يناد المناد) بما دل عليه (ذلك يوم الخروج)  
 أى (يوم يناد المنادى) يخرجون من القبور . وقيل تقديره (واستمع) حدث (يوم ينادى  
 المنادى) . (المنادى) بالياء في الحاليين مكى وسهل ويعقوب ، وفي الوصل مدنى وأبو عمرو .  
 وغيرهم بغير ياء فيهما . والمنادى إسرا فيل ينفخ في الصور وينادى أيتها العظام البالية ،  
 والأوصال المنقطعة ، واللحم المتمزقة ، والشعور المتفرقة إن الله يأمرك أن تجتمعن لفصل  
 القضاء . وقيل إسرا فيل ينفخ ، وجبريل ينادى بالحشر .

*سبح بحمده  
 والعاقل في يوم كحرف  
 دل عليه ذلك يوم كحرف  
 والقدر كحرف يوم  
 ينادى الح  
 وقيل لئلا ينادى  
 وليس ينادى  
 اليقين  
 منادى كحرف  
 اليوم كحرف*

(١) مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿١١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿١٢﴾  
 إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ  
 سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿١٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ  
 بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِدِ ﴿١٥﴾

(١) من صحرة بيت المقدس . وهي أقرب الأرض إلى السماء باثني عشر ميلا . وهي  
 والاولى انه لصيحة  
 يراد فلا انه لسبع  
 كل اناس سواد  
 كانه بيت المقدس  
 اذ غرقه سبع  
 لانه

(٢) (يوم يسمعون) - بدل من (يوم يناد) - (الصيحة) النفخة الثانية (الحق) متعلق  
 بالصيحة . والمراد به البعث والحشر للجزاء . (ذلك يوم الخروج) من القبور .

(٣) (نحيي) الخلق ونميتهم في الدنيا (والينا) مصيرهم (يوم تشقق) - خفيف كوفي  
 وأبو عمرو . وغيرهم بالتشديد - (الأرض عنهم) أي تصدع الأرض فتخرج الموتى من صدوعها  
 (سراعا) حال من المجرور . أي مسرعين .  
 الصيحة صيحة  
 تشقق الأرض تشقق  
 مسرعين إلى القادريين

(٤) هين . وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أي لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم  
 إلا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن .

(٥) (نحن أعلم بما يقولون) فيك وفينا . تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه  
 وسلم .

(٦) كقوله (بمسيطر) . أي ما أنت بمسلط عليهم . إنما أنت داع و باعث . وقيل هو  
 من جبره على الأمر بمعنى أجبره . أي ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان .

(٧) كقوله (إنما أنت منذر من يخشاها) لأنه لا ينفع إلا فيه . والله أعلم .

## سورة الذاريات مكية

وهي ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) وَالذَّارِيَاتِ ذُرُورًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾  
فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

(١) (والذاريات) الرياح لأنها تذر والتراب وغيره . وبادغام التاء في الذال حمزة وأبو عمرو .

(٢) (ذروا) مصدر والعامل فيه اسم الفاعل . (فالحميلات) (السحاب لأنها تحمل المطر . (وقرا) (والجاريات) (فالجاريات) (الفلك . (يسرا) (جريا ذائسرا أى ذا سهولة . (فالمقسمات أمرا) الملائكة . لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما . أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك . أو تتولى تقسيم أمر العباد بغيريل للغظة ، وميكائيل للرحمة ، وملك الموت لقبض الأرواح ، وإسرافيل للنفخ . ويجوز أن يراد الرياح لا غير لأنها تنشئ السحاب ، وتقله وتصرفه ، وتجري في الجوف جريا سهلا ، وتقسم الأمطار بتصريف السحاب . ومعنى الفاء على الأول أنه أقسم بالرياح ، فبالسحاب التي تسوقه ، فبالفلك التي تجريها ، بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعها . وعلى الثاني أنها تبتدىء في الهبوب ، فتذر والتراب والحصباء ، فتقل السحاب ، فتجري في الجوف بأسطة له ، فتقسم المطر .

(٣) (إن ما توعدون) — جواب القسم . و (ما) موصولة أو مصدرية . والموعود البعث — (لصادق) وعد صادق كعيشة راضية أى ذات رضا

(٤) (وإن) الجزاء على الأعمال (لواقع) لكائن .

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحَبْكِ <sup>(١)</sup> إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ <sup>(٢)</sup> يُؤَفِّكُ <sup>(٣)</sup>  
عَنْهُ مَنْ أْفِكَ <sup>(٤)</sup> قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ <sup>(٥)</sup> الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ <sup>(٦)</sup>  
يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الَّذِينَ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ <sup>(٧)</sup>

(١) هذا قسم آخر. (ذات الحبك) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح. وكذلك حبك الشعر آثار تشبهه وتكسره. جمع حبيكة كطريقة وطرق. ويقال إن خلقة السماء كذلك. وعن الحسن حبكها نجومها. جمع جباك. أو هبيلة. *والمعنى ذات الحبكة واللفظ ذات البسطة وزيته وانقاله في البنيان*

(٢) أى قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون ، وفى القرآن سحر وشعر وأساطير الأولين. *المختلف أو المعنوية*

(٣) الضمير للقرآن أو الرسول. أى يصرف عنه من صرف الذى لا صرف

أشد منه وأعظم. أو يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يعرعى. ويجوز أن يكون الضمير ل (ما توعدون) أو ل (ملدين) أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم فى قول مختلف فى وقوعه. فمنهم شاك ومنهم جاحد. ثم قال (يؤفك) عن الإقرار بأمر القيامة من هو مأفوك *بالتصريف هنا أفك لده به أفك أى مريضة*

(٤) لعن. وأصله الدعاء بالقتل والهلاك. ثم جرى مجرى لعن. *أما هذا القول المختلف*

(٥) الكذابين المقدرين ما لا يصح. وهم أصحاب القول المختلف. واللام إشارة إليهم كأنه

قيل (قتل) هؤلاء (الخرصاصون).

(٦) (الذين هم) فى جهل يغمرهم غافلون عما أمروا به (يسألون) فيقولون (أيان

يوم الدين) أى متى يوم الجزاء. وتقديره أيان وقوع يوم الدين لأنه إنما تقع الأحيان ظروفًا

للحدثان. وانتصب اليوم الواقع فى الجواب بفعل مضمّر دلّ عليه السؤال أى يقع (يوم

هم على النار يفتنون). ويجوز أن يكون مفتوحًا لإضافته إلى غير متمكن وهو الجملة. ومحلّه

نصب بالمضمّر الذى هو يقع ، أو رفع على هو (يوم هم على النار يفتنون) يحرفون ويعذبون.

*والرفع قرين أى يوم هم على النار يفتنون*

*والمعنى ذات الحبكة واللفظ ذات البسطة وزيته وانقاله في البنيان*

*المختلف ليس ممنوع والسموات ذات الحبكة والظرفه انه قول مختلف عن قوله سماء والاصح وطرفه على السمع أو الله لفظ قول مختلف عنه رسول وقولهم عنه انه ساحر وشاعر*

*المختلف أو المعنوية*  
*بالتصريف هنا أفك لده به أفك أى مريضة*  
*أما هذا القول المختلف*

*غير مقدم على*

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ  
 فِي جَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿٢﴾ ءَاخِذِينَ مَاءً تَنْهَمُ بِهِ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ  
 ذَلِكَ مُجْسِمِينَ ﴿٣﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٤﴾ وَبِالْأَسْحَارِ  
 هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٥﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٥﴾

(١) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا) عذابكم وإحراقكم بالنار. (هذا) مبتدأ خبره (الذى). أى (هذا) العذاب هو (الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا بقولكم (فاتنا بما تعدنا).

(٢) ذكر حال المؤمنين فقال (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) أى تكون العيون وهى الأنهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا أنهم فيها (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به. و(آخذين) حال من الضمير فى الظرف. وهو خبر (إِنَّ).

(٣) (أنهم كانوا) قبل دخول الجنة فى الدنيا (مجسمين) قد أحسنوا أعمالهم. وتفسير إحسانهم مابعد: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) ينامون. و(ما) مزيدة للتوكيد. و(يهمجون) (يهمجون) خبر كان. والمعنى كانوا يهمجون فى طائفة قليلة من الليل — أو مصدرية. والتقدير كانوا قليلاً من الليل همجونهم. فيرتفع همجونهم لكونه بدلا من الواو فى (كانوا)، لا قليلاً لأنه لما صار موصوفاً بقوله (من الليل) خرج من شبه الفعل. وعمله باعتبار المشابهة. أى كان همجونهم (قليلاً من الليل). ولا يجوز أن تكون (ما) نافية على معنى أنهم لا يهمجون من الليل قليلاً ويحيونه كله. لأن (ما) النافية لا يعمل مابعداً فيها قبلها لا تقول زيدا ما ضربت.

(٤) وصفهم بأنهم يحيون الليل متهمجين. فإذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليالهم الجرائم. والسحر السدس الأخير من الليل. وصلى استغفار عليهم على طريقتهم المبالغة

(٥) (وفى أموالهم حق) لمن يسأل لحاجته (والمحروم) أى الذى يترضى ولا يسأل حياء.



هَلْ أَتَتْكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ <sup>(١)</sup> إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا <sup>(٢)</sup>  
 سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>

مزينة . وعن الأصمعي أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعودي . فقال  
 من الرجل ؟ فقلت من بني أصمع . قال من أين أقبلت ؟ قلت من موضع يتلى فيه كلام الله .  
 قال اتل عليّ . فتلوت ( والذاريات ) فلما بلغت قوله ( وفي السماء رزقكم ) قال حسبك .  
 فقام إلى ناقته فحراها ووزعها علي من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرها ووتى .  
 فلما حجبت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فإذا أنا  
 بالأعرابي وقد نحل واصفر فسلم عليّ واستقرأ السورة . فلما بلغت الآية صاح وقال ( قد  
 وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ) ثم قال وهل غير هذا ؟ فقرأت ( فرب السماء والأرض إنه لحق )  
 فصاح وقال ياسبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف ؟ لم يصدقوه بقوله حتى  
 حلف . قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه .

(١) (هل أتاك) - تفخيم للحديث وتنبه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم . وإنما عرفه بالوحي . وانتظامها بما قبلها باعتبار أنه قال ( وفي الأرض آيات ) وقال  
 في آخر هذه القصة ( وتركا فيها آية ) - (حديث ضيف إبراهيم) - الضيف للواحد والجماعة  
 كالصوم والزور لأنه في الأصل مصدر ضافه . وكانوا اثني عشر ملكا . وقيل تسعة عاشرهم  
 جبريل . وجعلهم ضيفا لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم . أولادهم  
 كانوا في حسابانه كذلك - (المكرمين) عند الله لقوله (بل عباد مكرمون) . وقيل لأنه خدمهم  
 بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى .

(٢) نصب بالمكرمين إذا فسر بإكرام إبراهيم لهم . ولألفاظهم اذ كر .

(٣) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه . وأصله نسلم عليكم سلاما .

(٤) أى عليكم (سلام) فهو مرفوع على الابتداء . وخبره محذوف . والعدول إلى الرفع  
 للدلالة على إثبات السلام . كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله .  
 وهذا أيضا من إكرامه لهم . حمزة وعليّ (سلم) . والسلام السلام .

اذ تصور فيه عمل  
 فيه حبه في أرض  
 الملائكة  
 إبراهيم  
 ونصحه  
 به ليعمل  
 اذ كر

قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿١﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢﴾ فَقَرَّبَهُ  
 إِلَيْهِمْ قَالِ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٣﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا نَخَفُ  
 وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٤﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا  
 وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٥﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾

(١) أى أتم (قوم منكرون) فعزفوني من أتم . فهو نكرة ضمة خبر سبب المحرف من اسم قوم

(٢) فذهب إليهم في خفية من ضيوفه . ومن أدب المضيف أن يخفى أمره ، وأن يسادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه . وكان عاتمة مال إبراهيم عليه السلام البقر (بجاء بعجل سمين فقربه إليهم) لياكلوا منه فلم ياكلوا (قال ألا تاكلون) أنكروا عليهم ترك الأكل أو حثهم عليه . ( فأوجس ) فاضمر ( منهم خيفة ) خوفا لأن من لم ياكل طعامك ، لم يحفظ ذمامك . عن ابن عباس رضى الله عنهما : وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) إنا رسل الله . وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بأتمه

(٣) أى يبلغ ويعلم . والمبشر به إسحق عند الجمهور .

(٤) في صيحة . من صر القلم والباب . قال الزجاج الصرّة شدة الصياح ههنا . وعلمة النصيب على الحال . أى بجاءت صارة . وقيل فأخذت في صياح . وصرتها قولها (يا ويلتنا) . فلطمت بسط يديها . وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب .

(٥) أى أنا (عجوز) فكيف ألد؟ كما قال في موضع آخر (ألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا) .

(٦) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أى إئنا نخبرك عن الله تعالى والله

قادر على ما تستبعدين (إنه هو الحكيم) في فعله (العليم) فلا يخفى عليه شيء . وروى أن جبريل قال لها حين استبعدت : انظرى إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جودعه مورقة مثمرة .

فذهب إلى أهل  
 فصار بعجل سمين  
 فدخلة وخيفة  
 أى رضى الله عنه  
 البصر لغيره  
 فصار فرغ  
 فصره للووم محمد  
 صر الذرارة رضى  
 الم سبحانه وتعالى  
 رضى الله عنه  
 رضى الله عنه  
 رضى الله عنه  
 رضى الله عنه  
 رضى الله عنه



قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٢﴾  
 لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣﴾ مَسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٤﴾  
 فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ  
 مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ  
 الْأَلِيمَ ﴿٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾

(١) لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون إلا بأمر الله رسلا في بعض الأمور (قال فما خطبكم) أي فاشأنكم وما طلبتكم وفيهم أرسلتم (أيها المرسلون) : أرسلتم بالبشارة خاصة، أولا أمر آخر أو لها؟ (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) أي قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أريد السجيل . وهو طين طبخ كما يطبخ الأجر حتى صار في صلابة الحجارة .

(٢) معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به . (داسومة بمنزلة

(٣) في ملكه وسلطانه .

(٤) ستمهم مسرفين كما ستمهم عادين لإسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيع لهم .

(٥) في القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة .

(٦) يعني لوطا ومن آمن به .

(٧) أي غير أهل بيت . وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد . لأن الملائكة

سموهم مؤمنين ومسلمين هنا . *بب التزيين والتزيين بسبب الحارة لها معنى*

(٨) (وتركنا) في قراهم (آية للذين يخافون العذاب الأليم) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم . قيل هي ماء أسود متين .

(٩) معطوف على (وفي الأرض آيات) . أو على قوله (وتركنا فيها آية) على معنى (و جعلنا) (في موسى) آية كقوله \* علفتها تبنا وماء باردا \*

(١٠) بحجة ظاهرة . وهي اليد والعصا . *وإن حسب إلا فضل محزون وهو ذكر على أنه أسفرون به*

إنهم ملائكة  
 سورة  
 لوط  
 قصة  
 (المرسلين) كلمة تدل على أنهم  
 لا أتوا أرسلهم  
 ثم بعد ذلك جعل  
 ما ليس ما فعلوا  
 الرسل إرسالهم  
 ثم بعد ذلك جعل  
 لهم الاسم  
 عكس ولم يفعل  
 لأنه لم يرد  
 الجملان للرسول  
 والتزيين  
 بعد القلب



وَقَوْمٍ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا  
بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٢﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٣﴾ وَمِنْ  
كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ  
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

(١) أى (و) أهلكتنا (قوم نوح) لأن ما قبله يدل عليه . أو (و) اذكر (قوم نوح) .

وبالجزء أبو عمرو وعلى وحزمة . أى (و) فى (قوم نوح) آية . ويؤيده قراءة عبدالله (وفى قوم

نوح من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (إنهم كانوا قوما فاسقين) كافرين .

(٢) (والسما) نصب بفعل يفسره (بيناها بأيد) بقوة . والأيد القوة .

(٣) تقادرون . من الوسع وهى الطاقة . والموسع القوى على الإنفاق . أو (لموسعون)

ما بين السماء والأرض .

(٤) بسطناها ومهدناها . وهى منصوبة بفعل مضمرة . أى فرشنا الأرض وفرشناها

(فنعلم الماهدون) نحن .

(٥) (ومن كل شىء) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى . وعن الحسن السماء والأرض ،

والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والبر والبحر ، والموت والحياة . فعددت أشياء وقال كل اثنين

منها زوج . والله تعالى فرد لا مثل له .

(٦) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج لتتذكروا فتعرفوا

الخالق وتعبدوه .

(٧) أى من الشرك إلى الإيمان بالله . أو من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن . أو مما سواه إليه .

(٨) التكرير للتوكيد . والإطالة فى الوعيد أبلغ . وهذا ضعيف لإصحاحه أنه لما سبى

وقيل يفسرون على  
فى قبل أو تركنا  
أما سبأ  
فى قبل أو تركنا  
أما سبأ  
فى قبل أو تركنا  
أما سبأ

وقيل يفسرون  
فى قبل أو تركنا  
أما سبأ  
فى قبل أو تركنا  
أما سبأ  
فى قبل أو تركنا  
أما سبأ

كذالك ما أتى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ (١)  
 اتَّوَصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٢) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٣) وَذَكَرَ  
 فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٤) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥)

لطف خبر سيد محمد (١) الأمر مثل ذلك . وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنونا .  
 ثم فسر ما أجمل بقوله ( ما أتى الذين من قبلهم ) من قبل قومك ( من رسول إلا قالوا ) هو ( ساحر  
 أو مجنون ) . وهو موم بالسحر أو الجنون لجهلهم .

(٢) الضمير للقول . أى أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين  
 عليه .

أى لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعهم العلة الواحدة وهى الطغيان  
 والظلمة والفساد .

(٤) فأعرض عن الذين كذرت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادا .  
 فلا لوم عليك فى إعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة .  
 وعظ بالقرآن ( فإن الذكرى تنفع المؤمنين ) بأن تزيد فى (\* ) عملهم .

(٥) العبادة إن تحملت على حقيقتها فلا تكون الآية عاقمة . بل المراد بها المؤمنون من  
 الفريقين . دليله السياق أعنى ( وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ) وقراءة ابن عباس رضى  
 الله عنهما ( وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين ) وهذا لأنه لا يجوز أن يخلق الذين علم  
 منهم أنهم لا يؤمنون ، للعبادة . لأنه إذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أن توجد  
 منهم . فإذا لم يؤمنوا علم أنه خلقهم لجهنم كما قال ( ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن  
 والإنس ) . وقيل ألا لأمرهم بالعبادة . وهو منقول عن على رضى الله عنه . وقيل ألا ليكونوا  
 عبادا لى . والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كل  
 عبادة فى القرآن فهى توحيد . والكلى يوحدونه فى الآخرة لما عرف أن الكفار كلهم  
 مؤمنون موحدون فى الآخرة . دليله قوله ( ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا

قدم الجبه على الأذن لا يمشى  
 لمصرا أولا للأشرف لغيره  
 به المذنب ولم يذكر الذنوب  
 أن الله أراد من خلقه الناس لعبادة  
 أراد الله لم يتحققه والجراب  
 والذين لم يفرقوا بين الأذن والوجه  
 فى نسخة عملهم .  
 والذين لم يفرقوا بين الأذن والوجه  
 والذين لم يفرقوا بين الأذن والوجه

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ  
 ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ۗ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ  
 فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ۗ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۗ

عنية وتفصل  
 مشركين . نعم قد أشرك البعض في الدنيا لكن مدة الدنيا بالإضافة إلى الأبد أقل من يوم .  
 ومن اشترى غلاما وقال ما اشتريته إلا للكفاية كان صادقا في قوله ما اشتريته إلا للكفاية  
 وإن استعمله في يوم من عمره لعمل آخر .

(١) ما خلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادي .

(٢) قال ثعلب أن يطعموا عبادي . وهي إضافة تخصيص كقوله عليه السلام خيرا عن  
 الله تعالى " من أكرم مؤمنا فقد أكرمني . ومن آذى مؤمنا فقد آذاني " .

(٣) الشديد القوة . و ( المتين ) بالرفع صفة لذو . وقرأ الأعمش بالجر صفة للقوة على  
 تأويل الاقنطار .

(٤) ( فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ) رسول الله بالتكذيب من أهل مكة ( ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ )  
 نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظراتهم من القرون المهلكة - قال الزجاج الذنوب  
 في اللغة النصيب - ( فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ) نزول العذاب . وهذا جواب النضر وأصحابه حين استعجلوا  
 العذاب . ( لِيُعَذَّبَنِي ) أن يطعموني . فلا يستعجلوني ) بالياء في الحالين يعقوب . وافقه  
 سهل في الوصل . الباقيون بغير ياء .

(٥) أي من يوم القيامة . وقيل من يوم بدر . والله أعلم .

استراوتان) أنه ظهر الامل بالعبادة ففكره أعماله مطلة - وأفعاله ليست ذات غرضه بل هي من تلقا  
 على الآية التي في النقص في الرضا محال وبما بانة اللام لام لغاية وليست لام لعل .  
 وما خلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادي

(١) يطعمهم ليرزقوا أنفسهم  
 أو عبادي محلا ما دون  
 ذلك استعجلوا العذاب  
 ليعذبواهم به  
 والمراد منه نصيبه  
 وأغبروا ما  
 المراد من نصيبه نصيب العذاب ليس من يوم بدر  
 كسب مع ذان أرو  
 رخصان صواب  
 في يوم بدر  
 واللام لام لغاية وليست لام لعل .  
 وما خلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادي

### سورة الطور مكية

وهي تسع وأربعون آية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝  
 وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝  
 مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝

(١) (والطور) - هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين - (وكتاب مسطور) - هو القرآن . ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب . أو اللوح المحفوظ أو التوراة - (في رق) - هو الصحيفة أو الجلد الذي يكتب فيه - (منشور) مفتوح لاختم عليه . أو لألح (والبيت المعمور) - أي الضراح . وهو بيت في السماء حيال الكعبة . وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة . روى أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لا يعودون إليه أبدا . وقيل الكعبة لكونها معمورة بالجنات والعمارة - (والسقف المرفوع) أي السماء أو العرش (والبحر المسجور) المملوء أو الموقد . والواو الأولى للقسم والبواقي للعطف . وجواب القسم (إن عذاب ربك) أي الذي أوعد الكفار به (لواقع) لتازل . قال جبير ابن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلته في الأسارى . فلقيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور . فلما بلغ (إن عذاب ربك لواقع) أسلمت خوفا من أن يتزل العذاب .

(٢) (ماله من دافع) لا يمنع مانع . والجملة صفة (لواقع) أي واقع غير مدفوع . والعامل في (يوم) ، (لواقع) أي يقع في ذلك اليوم . أو اذ كر (يوم تمور) تدور كالرحى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) في الهواء كالمسح لانتها تصير هباء مشورا .

ارسم واسمعه

بإيمانه على كل ما

أو قوله دافعه كونه  
 في لوائح ذلك من سماء  
 سرورته بل مظهره

صفة الواقع

والمعنى فيها  
 هي التي نزلت في  
 نصيب عليه بعد  
 ذلك

وصف لك سعة بين  
 القسم وهو  
 أنه إن السماء  
 صغر أو التوراة  
 في كل منقسم  
 العذاب والبيت  
 عصر الذي بناها  
 رسم واسمعه

بإيمانه على كل ما  
 بعثت بالإله  
 لصف مناسب  
 من هو نصيب  
 من الله على الفرق

فَوَيْلٌ لِلْيَوْمِيَّةِ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۖ يَوْمَ  
 يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ۖ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۖ  
 أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۖ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا  
 سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزِنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ إِنَّ الْمُتَّقِينَ  
 فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۖ فَكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ  
 عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ

(١) غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله (وكنّا نخوض مع الخائضين).  
 ويبدل (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) من (يوم تمور). والدع الدع العنيف. وذلك أن خزنة  
 النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ويدفعونهم إلى النار دفعا على  
 وجوههم وزخا في أفتيتهم فيقال لهم (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا.

(٢) (هذا) مبتدأ و (سحر) خبره . يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر (أفسح هذا)؟  
 يريد أهدا المصداق أيضا سحر؟ - ودخات الفاء لهذا المعنى - (أم أنتم لاتبصرون) كما كنتم  
 لاتبصرون في الدنيا . يعني أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر؟ وهذا تفريع  
 وتهم .

(٣) خبر (سواء) محذوف أي (سواء عليكم) الأمران الصبر وعدمه . وقيل على  
 العكس. وظل استواء الصبر وعدمه بقوله (إنما تجزون ما كنتم تعملون) لأن الصبر إنما يكون له  
 منزلة على الجزع لنتفه في العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير . فأما الصبر على العذاب  
 الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا منزلة له على الجزع .

(٤) (إن المتقين في) آية (جنات و) أي (نعيم) بمعنى الكمال في الصفة. أو (في جنات  
 ونعيم) مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة. (فاكهيين) حال من الضمير في الظرف. والظرف خبر.  
 أي متلذذين (بما آتاهم ربهم) . وعطف قوله (ووقاهم ربهم) على (في جنات) أي (إن

مُتَكِينٍ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ  
 مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٥﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ  
 بِفِكَهَةٍ ۖ وَلَحْمٍ مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٦﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا ۙ ﴿٧﴾

المتقين ( في جنات ... .. ووقاهم ربهم ) أو على ( آتاهم ربهم ) على أن تجعل  
 ( ما ) مصدرية . والمعنى ( فإكهن ) بإيتائهم ربهم ووقايتهم ( عذاب الجحيم ) . أو الواو للحال  
 "وقد" بعدها مضمرة . يقال لهم ( كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ) أكلوا وشربوا ( هنيئا ) .  
 أو طعاما وشربا ( هنيئا ) . وهو الذي لا تنغيص فيه .

(١) ( متكئين ) حال من الضمير في ( كلوا واشربوا ) . ( على سرر ) جمع سرير . ( مصفوفة )  
 موصول بعضها ببعض .

(٢) وقرآنهم ( بحور ) جمع حوراء ( عين ) عظام الأعين حسانها .

(٣) ( والذين ) مبتدأ . و ( ألحقنا بهم ) خبره . ( وأتبعناهم ) أبو عمرو . ( ذريتهم )  
 أولادهم . ( بإيمان ) حال من الفاعل . أي يلحق الأولاد بإيمانهم وأعمالهم درجات الآباء وإن قصرت  
 أعمال الذرية عن أعمال الآباء . وقيل إن الذرية وإن لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الإيمان استدلالا  
 وإمّا تلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون بالآباء . ( ذريتهم . ذرياتهم ) مدني ( ذرياتهم . ذرياتهم )  
 أبو عمرو . ( ذرياتهم ذرياتهم ) شامي .

(٤) ( وما ) نقصناهم ( من ) ثواب ( عملهم من شيء ) ( ألتناهم ) مكى . ألت يألت يألت يأل  
 لغتان . ( من ) الأولى متعلقة بـ ( ألتناهم ) ، والثانية زائدة .

(٥) أي مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به .

(٦) وزدناهم في وقت بعد وقت ( بفأكهة ولحم مما يشتهون ) وإن لم يقترحوا .

(٧) نحرا . أي يتعاطون ويتعاورون هم وجلسائهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس

من يد هذا وهذا من يد هذا .



لَا لَعْنُو فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ <sup>(١)</sup> وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ  
 مَّكَنُونٌ <sup>(٢)</sup> وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ <sup>(٣)</sup> قَالُوا إِنَّا كُنَّا  
 قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ <sup>(٤)</sup> فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ  
 السَّمُومِ <sup>(٥)</sup> إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ <sup>(٥)</sup>

(١) (لا لغو) في شربها (ولا تأتيم) أي لا يجرى بينهم ما يلغى يعني لا يجرى بينهم باطل ، ولا ما فيه إثم لو فعله فاعل في دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشاربي نحر الدنيا لأن عقولهم ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن. (لا لغو فيها ولا تأتيم) مكى وبصرى .

(٢) (ويطوف عليهم غلمان) مملوكون (لهم) مخصوصون بهم (كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) في الصدف. لأنه رطباً أحسن وأصفى. أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة. في الحديث : — "إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف بيا به ليك ليك" .

(٣) يسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله .

(٤) (إننا كنا) في الدنيا (في أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله. أو خائفين من نزع الإيمان وفوت الأمان. أو من رد الحسنات، والأخذ بالسيئات (فمن الله علينا) بالمغفرة والرحمة (ووقدنا عذاب السوموم) هي الريح الحارّة التي تدخل المسام فسميت بها فار جهنم لأنها بهذه الصفة .

(٥) (إننا كنا من قبل لقاء الله تعالى والمصير إليه) — يعنون في الدنيا — (ندعوه) نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الرقاية (إنه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذي إذا عبد أثاب ، وإذا مثل أجاب . (أنه) بالفتح مدنى وعلى أى بآته أو لآته .

فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِبِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ<sup>(١١)</sup> أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ  
 نَتَرَبَّصُ بِهِ<sup>(١٢)</sup> رَيْبَ الْمُنُونِ<sup>(١٣)</sup> قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ  
 الْمُتَرَبِّصِينَ<sup>(١٤)</sup> أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ<sup>(١٥)</sup> أَمْ يَقُولُونَ  
 تَقَوْلُهُ<sup>(١٦)</sup> بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ<sup>(١٧)</sup> فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ<sup>(١٨)</sup>

(١١) فأنبت على تذكير الناس وموعظتهم (فما أنت) برحمة (ربك) وإنعامه عليك بالنبوة  
 ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما زعموا . وهو في موضع الحال والتقدير لست كاهنا  
 ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك .

(١٢) (أم يقولون) هو (شاعر تربص به ريب المنون) حوادث الدهر أي نتظر  
 نوائب الزمان فيملك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابعة . و (أم) في أوائل هذه الآي  
 منقطعة بمعنى بل والهمزة .

(١٣) أتربص هلاككم كما ترَبصون هلاكى .

(١٤) (أم تأمرهم) عقولهم (بهذا) التناقض في القول — وهو قولهم كاهن وشاعر مع  
 قولهم مجنون . وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى — (أم هم قوم طاغون) مجاوزون  
 الحد في العناد مع ظهور الحق لهم . وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز .

(١٥) اختلقه مجد من تلقاء نفسه .

(١٦) رد عليهم . أي ليس الأمر كما زعموا . (بل لا يؤمنون) . فكفروهم وعنادهم يرمون  
 بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد إلا واحد  
 من العرب . (فليأتوا بحديث) مخلق مثل القرآن (إن كانوا صادقين) في أن محمدا  
 تقوله من تلقاء نفسه لأنه باسانهم وهم فصحاء .

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿١﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٢﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ أَمْ هُمْ  
 الْمَصِيطِرُونَ ﴿٣﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعَهُمْ بِسُلْطَانٍ  
 مُبِينٍ ﴿٤﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ  
 مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٦﴾

(١) (أم) أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم (من غير شيء) من غير مقدر (أم هم)  
 الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق . وقيل أخلقوا من أجل لاشيء من جزاء ولا  
 حساب (أم هم الخالقون) فلا يأتمرون (أم خلقوا السموات والأرض) فلا يعبدون  
 خالقهما .

(٢) أى لا يتدبرون فى الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والأرض .

(٣) (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاءوا بما شاءوا  
 (أم هم المصيطرون) الأرباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية وينبوا الأمور على  
 مشيقتهم . وبالسين مكى وشامى . (أم لهم سلم) منصوب يرتقون به إلى السماء (يستمعون فيه)  
 كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على  
 هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون . قال الزجاج (يستمعون فيه) أى عليه .

(٤) بجهة واضحة تصدق استماع مستمعهم .

(٥) سقاه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكاء عند أنفسهم .

(٦) (أم تسألهم أجرا) على التبليغ والإنذار (فهم من مغرم مثقلون) المغرم أن يلتم  
 الإنسان ما ليس عليه . أى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك (أم عندهم  
 الغيب) أى اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لم  
 نعدب .

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ (١) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ  
 اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا  
 يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٣) فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ  
 يُصْعَقُونَ (٤) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٥)  
 وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦)

(١) وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله وبالمؤمنين .

(٢) إشارة إليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله تعالى .

(٣) هم الذين يعوذ عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرمهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر . أو  
 المغلوبون في الكيد من كايده فكدته .

(٤) (أم لهم إله غير الله) يمنهم من عذاب الله .

(٥) الكسف القطعة . وهو جواب قولهم (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) .  
 يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا (سحاب ماركوم) — قد ركم أي  
 جمع بعضه على بعض — يطرنا ، ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب .

(٦) بضم الياء عاصم وشامى . الباقون بفتح الياء . يقال صعقه فصعق . وذلك عند النفخة  
 الأولى نفخة الصعق .

(٧) (وإن) لهؤلاء الظالمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة . وهو القتل ببدر والقحط  
 سبع سنين وعذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك .

وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١١﴾  
 وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿١٢﴾

(١١) أمره بالصبر إلى أن يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فإنك بأعيننا) أى بحيث نراك ونكؤك. وجمع العين لأن الضمير بلفظ الجماعة . ألا ترى إلى قوله (ولتصنع على عيني). (وسبح بحمد ربك حين تقوم) للصلاة وهو ما يقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك. أو من أى مكان قمت. أو من منامك . (ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم) وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل . (وأدبار) زيد . أى فى أعقاب النجوم وآنارها إذا غربت . والمراد الأمر بقول سبحان الله وبحمده فى هذه الأوقات . وقيل النسبح الصلاة إذا قام من نومه (ومن الليل) ، صلاة العشاءين ، (وإدبار النجوم) صلاة الفجر . وبالله التوفيق .

## سورة النجم مكية

وهي اثنان وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ  
 الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾

(١) أقسم بالثريا — أو بجنس النجوم — (إذا هوى) إذا غرب أو انتثر يوم القيامة .  
 وجواب القسم (ماضئ) عن قصد الحق (صاحبكم) أى محمد صلى الله عليه وسلم — والخطاب  
 لقريش — (وما غوى) فى اتباع الباطل . وقيل الضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد .  
 أى هو مهتد راشد . وليس كما تزعمون من نسبتكم آياه إلى الضلال والغى .

(٢) وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه إنما هو وحى من عند  
 الله يوحى إليه . ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنباء عليهم السلام . ويجاب بأن الله  
 تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد وقزرهم عليه كان كالوحى لا نطقا عن الهوى .

(٣) علم محمدا عليه السلام (شديد القوى) ملك شديد قواه . والإضافة غير حقيقية لأنها  
 إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها . وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور . ومن قوته أنه اقتلع  
 قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها . وصاح صيحة  
 بثمود فأصبحوا جامئين .

ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۖ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۖ فَكَانَ  
 قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۖ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۖ  
 مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۖ

(١) (ذو) منظر حسن - عن ابن عباس - (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلها هبط بالوحي . وكان ينزل في صورة دحية . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها (فاستوى) له في الأفق الأعلى - وهو أفق الشمس - فلا الأفق - وقيل مارآه أحد من الأنبياء عليهم السلام في صورته الحقيقية سوى محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء - (وهو) أي جبريل عليه السلام (بالأفق الأعلى) مطلع الشمس (ثم دنا) جبريل من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فزاد في القرب - والتدلى هو النزول بقرب الشيء - (فكان قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين . وقد جاء التقدير بالفوس والرح والسوط والذراع والباع . ومنه لاصلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رحين . وفي الحديث "لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها" . والفد السوط . وتقديره (فكان) مقدار مسافة قربه مثل (قاب قوسين) - حذفت هذه المضافات - (أو أدنى) أي على تقدير كم كقوله (أو يزيدون) . وهذا لأنهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رحين أو أنقص . وقيل بل (أدنى فأوحى) جبريل عليه السلام (إلى عبده) إلى عبد الله - وإن لم يجر لاسمه ذكر لأنه لا يلتبس . كقوله (ماترك على ظهرها) - (ما أوحى) تفخيم للوحي الذي أوحى إليه . قيل أوحى إليه "إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك" . (ما كذب) فؤاد محمد (ما رأى) مارآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام . أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك . ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه . يعني أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أن مارآه حق . وقيل المرئي هو الله سبحانه . رآه بعين رأسه . وقيل بقلبه .

أَفْتَمَّرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ <sup>(١)</sup> وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ  
الْمُنْتَهَىٰ <sup>(٢)</sup> عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ <sup>(٣)</sup> إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ <sup>(٤)</sup>  
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ <sup>(٥)</sup> لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ <sup>(٦)</sup>

(١) أفتجادلونه . من المرء وهو المجادلة . واشتقاقه من مرى الناقة . كأت كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه . (أفتمرونه) حمزة وعلى وخلف ويعقوب . أفتغلبونه في المرء من ماريته فمريته . ولما فيه من معنى الغلبة قال (على ما يرى) فعدي بعل كما تقول غلبته على كذا . وقيل (أفتمرونه) أفتجحدونه يقال مريته حقه إذا جحدته . وتعديته بعل لانصح إلا على مذهب التضمين .

(٢) (ولقد) رأى محمد جبريل عليهما السلام (نزلة أخرى) مرة أخرى من النزول . نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لأن الفعل اسم للمرة من الفعل . فكانت في حكمها . أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى في صورة نفسه فرآه عليها . وذلك ليلة المعراج (عند سدره المنتهى) الجمهور على أنها شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش . و (المنتهى) بمعنى موضع الانتهاء . أو الاتهاء . كأنها في منتهى الجنة وآخرها . وقيل لم يجاوزها أحد . وإليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم . ولا يعلم أحد ما وراءها . وقيل تنتهى إليها أرواح الشهداء .  
(٣) أى الجنة التى يصير إليها المتقون . وقيل تأوى إليها أرواح الشهداء .

(٤) أى رآه (إذ يغشى السدره ما يغشى) وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها . فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف . وقيل يغشاها الجح الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها . وقيل يغشاها فراس من ذهب .

(٥) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها . ويمكن منها (وما طغى) وما جاوز ما أمر برؤيته .

(٦) والله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) الآيات التى هى كبرها وعظماها . يعنى حين رقى به إلى السماء فأرى عجائب الملكوت .



أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ﴿٢﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ  
 وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمُوهَا  
 أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا  
 تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٥﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٦﴾

(١) أى أخبرونا عن هذه الأشياء التى تعبدونها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة؟ اللات والعزى ومناة أصنام لهم. وهى مؤنثات. فاللات كانت لثقيف بالطائف. وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش. وهى فعلة من لوى لأنهم كانوا يلون عليها ويعكفون للعبادة. والعزى كانت لظفان. وهى سمررة وأصلها تأنيث الأعرز. وقطعها خالد بن الوليد. ومناة سخرة كانت لهذيل وخزاعة. وقيل لثقيف. وكأنتها سميت مناة لأن دمها النساءك كانت تمنى عندها أى تراق. (ومناة) مكى. مفعلة من النوى. كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها. (الآخري) هى صفة ذم أى المتأخرة الوضعية المقدار كقوله وقالت أنحرهم لأولاهم. أى وضعائهم لرؤسائهم وأشرفهم. ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم اللات والعزى.

(٢) كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لهم فتميل لهم (ألكم الذكروله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى). أى جعلكم لله البنات ولكم البنين (قسمة ضيزى) أى جائزة من ضازه يضيزه إذا ضامه. و (ضيزى) فعلى إذ لا فعل فى النعوت. فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود. (ضزى) بالهمز مكى من ضازه مثل ضازه. (إنهى) ما الأصنام (إلا أسماء) ليس تحتها فى الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شىء منها وأشد منافاة لها. (سَمِيَتْهُمُوهَا) أى سَمِيَتْ بِهَا — يقال سَمِيَتْ زَيْدًا وَسَمِيَتْهُ زَيْدًا — (أتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) حجة (إن يتبعون إلا الظن) ألا توهم أن ما هم عليه حق (وما تهوى الأنفس) وما تشتهيه أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به.

(٣) هى أم المنقطعة. ومعنى الهمزة فيها الإنكار. أى ليس (للإنسان) يعنى الكافر (ماتمنى) من شفاعة الأصنام، أو من قوله (ولئن رجعت إلى ربى إت لى عنده للسنى). وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبى.

فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۗ ﴿١١﴾ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ  
 شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۗ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
 لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَىٰ ۗ وَمَا لَهُمْ بِهِ  
 مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۗ ﴿١٣﴾  
 فَأَعْرَضَ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ ﴿١٤﴾  
 ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ  
 أَعْلَمُ بِمَن أَهْتَدَىٰ ۗ ﴿١٥﴾

(١١) أى هو مالهما وله الحكم فيهما يعطى النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لامن تمنى .

(١٢) يعنى أن أمر الشفاعة ضيق . فإن الملائكة مع قربتهم وكثرتهم لوشفعاوا بأجمعهم  
 لأحد لم تغن شفاعتهم شيئا قط ولا تنفع (إلا) إذا شفعاوا (من بعد أن يأذن الله) لهم في الشفاعة  
 (لمن يشاء) الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له . فكيف تشفع الأصنام إليه لعبدتهم ؟

(١٣) أى (ليسمون) كل واحد منهم (تسمية الأنثى) لأنهم إذا قالوا للملائكة بنات الله فقد  
 سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الأنثى (وما لهم به من علم) أى بما يقولون . وقرئ (بها) أى  
 بالملائكة والتسمية (إن يتبعون إلا الظن) هو تقليد الآباء (وإن الظن لا يغني من الحق شيئا)  
 أى إنما يعرف الحق الذى هو حقيقة الشيء وما هو عليه ، بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم

(١٤) (فأعرض عن من) رأيتهم معرضا عن ذكر الله أى القرآن .

(١٥) (ذلك) أى اختيارهم الدنيا والرضا بها (مبلغهم من العلم) منتهى دلتهم .

(١٦) أى (هو أعلم) بالضال والمهتدى وبجازيها .

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ اَسْعٰوْا بِمَا عَمَلُوْا  
 وَيَجْزِيَ الَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا بِالْحَسَنٰى <sup>(١)</sup> الَّذِيْنَ يَجْتَنِبُوْنَ كَبِيْرَ الْاِثْمِ وَالْفَوٰحِشِ <sup>(٢)</sup>  
 اِلَّا اللَّعْمَ اِنَّ رَبَّكَ وَّاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ اَعْلَمُ بِكُمْ اِذَا اَنْشَأْتُمْ مِنَ الْاَرْضِ وَاِذَا  
 اَنْتُمْ اَجْنَةٌ فِيْ بُطُوْنِ اُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا اَنْفُسَكُمْ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ اٰتَقٰى <sup>(٣)</sup>

(١) (ليجزى الذين أساءوا ب) عقاب (ما عملوا) من سوء . أو بسبب ما عملوا من سوء  
 (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمشيئة الحسنى وهى الجنة . أو بسبب الأعمال الحسنى . والمعنى  
 أن الله عز وجل إنما خلق العالم وسوى هذه الملكوت ليجزى المحسن من المكافين والمسيء  
 منهم . إذ الملك أهل لنصر الأولياء وقهر الأعداء .

(٢) (الذين) بدل . أو فى موضع رفع على المدح . أى هم (الذين يجتنبون كبائر الإثم) أى  
 الكبائر من الإثم لأن الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر . والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها .  
 (كبير) حمزة وعلى . أى النوع الكبير منه .

(٣) ما فحش من الكبائر . كأنه قال (والفواحش) منها خاصة . قيل الكبائر ما أوعده الله  
 عليه النار . والفواحش ما شرع فيها الحد .

(٤) أى (إلا) الصغائر . والاستثناء منقطع لأنه ليس من الكبائر والفواحش . وهو كالنظرة  
 والقبلة واللثة والغمزة . (إن ربك واسع المغفرة) فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة .

(٥) (إذ أنشأكم) أى أباكم (من الأرض) إذ أتم أجنة) جمع جنين (فى بطون أمهاتكم  
 فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوا إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو إلى الزكاة والطهارة  
 من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها . فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولاً وآخراً قبل أن يخرجكم  
 من صلب آدم عليه السلام وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم . وقيل كان ناس يعملون  
 أعمالاً حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وسجنا فنزلت . وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب  
 أو الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فإنه جائز . لأن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر  
 (هو أعلم بمن اتقى) فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس .

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۖ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ  
فَهُوَ يَرَى ۖ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۖ<sup>(١)</sup>  
أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۖ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۖ وَأَنْ سَعَيْهِ  
سَوْفَ يُرَى ۖ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ۖ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ۖ<sup>(٢)</sup>

(١) (أفرايت الذي) أعرض عن الإيمان (وأعطى قليلا وأكدي) قطع عطية وأسك. وأصله إكداء الحافر. وهو أن تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر. عن ابن عباس رضي الله عنهما فيمن كفر بعد الإيمان. وقيل في الوليد بن المغيرة. وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيره بعض الكافرين، وقال له تركت دين الأشياخ وزعمت أنهم في النار. قال إني خشيت عذاب الله. فضمن له، إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه، أن يتحمل عنه عذاب الله. ففعل وأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل به ومنعه. (أعنده علم الغيب فهو يرى) فهو يعلم أن ما ضمنه من عذاب الله حق؟ (أم لم ينبا) يخبر (بما في صحف موسى) أي النوراة (وإبراهيم) أي وفي صحف (إبراهيم الذي وفى) أي وفر وأتم. كقوله (فأتمهن). وإطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية. وقرئ مخففا. والتشديد مبالغة في الوفاء. وعن الحسن ما أمره الله بشيء إلا وفى به. وعن عطاء بن السائب: عهد ألا يسأل مخلوقا. فلما أذف في النار قال له جبريل ألك حاجة؟ فقال أما إليك فلا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم. وفى عمله كل يوم أربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى. وروى ألا أخبركم لم ستمى الله خليله (الذي وفى)؟ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى (فسبحان الله حين تمسون) إلى (حين تظهرون). وقيل: وفى سهام الإسلام وهي ثلاثون: عشرة في التوبة (التائبون) وعشرة في الأحزاب (إن المسامين) وعشرة في المؤمنين (قد أفلح المؤمنون).

(٢) أعلم بما في صحف موسى وإبراهيم فقال: (ألا تزر وازرة وزر أخرى). (تزر) من وزر يزر إذا اكتسب وزرا وهو الإثم. و(أن) مخففة من الثقيلة. والمعنى أنه (لا تزر). والضمير ضمير الشأن. ومحل (أن) وما بعدها الجزأ بدلا من (ما في صحف موسى) أو الرفع على هو (أن لا تزر) كأت قائلا قال وما في صحف موسى وإبراهيم؟ فقيل (ألا تزر وازرة

وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَبُكَ وَأَبْكَى <sup>(١)</sup> وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا <sup>(٢)</sup> وَأَنَّهُ خَلَقَ  
 الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى <sup>(٣)</sup> مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى <sup>(٤)</sup> وَأَنَّهُ عَلَّمَهُ الْغَنَاءَ  
 الْأُخْرَى <sup>(٥)</sup> وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى <sup>(٦)</sup> وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى <sup>(٦)</sup>

وزر أخرى) أى لا تحمل نفس ذنب نفس (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) إلا سعيه . وهذه أيضا مما فى صحف إبراهيم وموسى وأما ما صح فى الأخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل إن سعى غيره لما لم ينفعه إلا مبنياً على سعى نفسه — وهو أن يكون مؤمناً — كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تابعاً له وقائماً بقيامه . ولأن سعى غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه . ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه . (وأن سعيه سوف يرى) أى يرى هو سعيه يوم القيامة فى ميزانه (ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه — يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله — بحذف الجاز وإيصال الفعل . ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الأوفى) أو أبدله عنه . (وأن إلى ربك المنتهى) هذا كله فى الصحف الأولى . والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء . أى ينهى إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله (والى الله المصير) .

(١) خلق الضحك والبكاء . وقيل خلق الفرح والحزن . وقيل (أضحك) المؤمنين فى العقبي بالمواهب ، وأبكاهم فى الدنيا بالنوائب .

(٢) قيل (أمات) الآباء ، (وأحيا) الأبناء . أو (أمات) بالكفر (وأحيا) بالإيمان . أو (أمات) هنا (وأحيا) ثمة .

(٣) إذا تدفقت فى الرحم . يقال منى وأمنى .

(٤) الإحياء بعد الموت .

(٥) وأعطى القنينة . وهى المال الذى تأثلته وعزمت ألا تخرجه من يدك .

(٦) هو كوكب يطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر . وكانت خراة تعبدها . فأعلم الله أنه ربّ معبودهم هذا .

وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۖ وَثَمُودًا ۖ فَمَا أَبْقَىٰ ۚ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ  
 إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۚ وَأَطْغَىٰ ۙ وَأَلْمَمْتُ فَكَةً أَهْوَىٰ ۚ فَغَشَّاهَا  
 مَا غَشَّىٰ ۖ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۚ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ۚ

(١) هم قوم هود . وعاد الأخرى إرم . (عَادَ أُولَى) مدني وبصري غير سهل بادغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضممتها إلى لام التعريف .

(٢) حمزة وعاصم . الباقون (وثمودًا) . وهو معطوف على (عادا) . ولا ينصب بـ (فما أبقى) لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول زيدا فضربت . وكذا ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله . والمعنى وأهلك ثمود فما أبقاهم .

(٣) أى (و) أهلك (قوم نوح من) قبل عاد وثمود (لأنهم كانوا هم الظالمين) من عاد وثمود لأنهم كانوا يضر بونه حتى لا يكون به حراك ، وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه .

(٤) والقرى التي استفكت بأهلها — أى انقلبت . وهم قوم لوط . يقال أفكته فأنفكت — (أهوى) أى رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض أى أسقطها . (والمؤتفكة) منصوب بـ (أهوى) .

(٥) ألبسها (ماغشى) . تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود .

(٦) (فبأي آلاء ربك) أيها المخاطب (تتمارى) تتشكك؟ بما أولاك من النعم؟ أو بما كفاك من النقم؟ أو بأى نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تشكك؟

(٧) أى مجد منذر (من النذر الأولى) من المنذرين الأولين . وقال (الأولى) على تأويل الجماعة . أو (هذا) القرآن (نذير من النذر الأولى) أى إنذار من جنس الإنذارات (الأولى) التي أنذرها من قبلكم .

أَزْفَتِ الْأَزْفَةُ<sup>(١)</sup> لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ<sup>(٢)</sup> أَفَنَ هَذَا الْحَدِيثِ  
تَعْجَبُونَ<sup>(٣)</sup> وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ<sup>(٣)</sup> وَأَنْتُمْ سَلْمُودُونَ<sup>(٣)</sup> فَاسْجُدُوا لِلَّهِ  
وَأَعْبُدُوا<sup>(٤)</sup>

(١) قربت الموصوفة بالتقرب في قوله ( اقتربت الساعة ) .

(٢) أى ( ليس لها ) نفس كاشفة أى مبيّنة متى تقوم . كقوله ( لا يجليها لوقتها إلا هو )  
أو ( ليس لها ) نفس كاشفة أى قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله تعالى . غير أنه لا يكشفها .  
(٣) أى ( أفن ) القرآن ( تعجبون ) إنكاراً - ( وتضحكون ) استهزاء ( ولا تبكون ) خشوعاً  
( وأنتم سلمودون ) غفلون أو لاهون لاجبون . وكانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا  
الناس عن استماعه .

(٤) أى ( فاسجدوا لله ) واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة . والله أعلم .

## سورة القمر مكية

وهي خمس وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ <sup>(١)</sup> وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ <sup>(٢)</sup> وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ مُّسْتَقِرٌّ <sup>(٣)</sup>

(١) قربت القيامة (وانشق) القمر نصفين. وقرئ (وقد انشق). أي (اقتربت الساعة) وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه . قال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر . وقيل معناه ينشق يوم القيامة . والجمهور على الأول وهو المروى في الصحيحين . ولا يقال لو انشق لما خفى على أهل الأفطار . ولو ظهر عندهم لنقلوه متوازرا لأن الطباع جبلت على نشر العجائب . لأنه يجوز أن يحجبه الله عنهم بغيره .

(٢) (وإن يروا) يعنى أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الإيمان به (ويقولوا سحر مستمر) محكم قوى من المزة القوة . أو دائم مطرد . أو ما زاهب يزول ولا يبق .

(٣) (وكذبوا) النبي صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره . (وكل أمر) وعدمه الله (مستقر) كائن في وقته . وقيل (كل) ما قدر واقع . وقيل (كل أمر) من أمرهم واقع (مستقر) أي سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب .



وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿١﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴿٢﴾ فَمَا تُغْنِ  
النُّذُرُ ﴿٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِيَ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٤﴾ خَشَعًا أَبْصَرَهُمْ ﴿٥﴾  
يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٦﴾

(١) (ولقد جاءهم) أهل مكة (من الأنباء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (ما فيه مزدجر) ازدجار عن الكفر. تقول زجرته وازدجرته أى منعه وأصله ازتجر. ولكن التاء إذا وقعت بعد زاي ساكنة أبدلت دالا. لأن التاء حرف مهموس، والزاي حرف مجهور. فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا. وهذا في آخر كتاب سيديويه.

(٢) بدل من (ما) أو على هو (حكمة).

(٣) نهاية الصواب أو (بالغة) من الله إليهم.

(٤) (ما) نفي. والنذر جمع نذير. وهم الرسل، أو المنذر به. أو النذر. صدر بمعنى الإنذار (فتول عنهم) لعلك أت الإنذار لا يعنى فيهم.

(٥) نصب (يوم) يخرجون أو بإضمار اذ كر. (الداعى. إلى الداعى) سهل ويعقوب ومكيّ فيها. وافق مدنيّ وأبو عمرو في الوصل. ومن أسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها. وحذف الواو من (يدعو) في الكتابة لمتابعة اللفظ. و (الداعى) إسرافيل عليه السلام.

(٦) منكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله. وهو هول يوم القيامة. (نكر) بالتخفيف مكيّ.

(٧) (خاشعا) عراقى غير عاصم. وهو حال من الخارجين. وهو فعل للأبصار. وذكري كما تقول يخشع أبصارهم — غيرهم (خشعا) على يخشعن أبصارهم. وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث. ويجوز أن يكون فى (خشعا) ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه. وخشوع الأبصار دأية عن الذلة لأن ذلة الدليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما.

(٨) (يخرجون) من القبور (كأنهم جراد منتشر) فى كثرتهم وتفرقتهم فى كل جهة. والجراد مثل فى الكثرة والتموج. يقال فى الجيش الكثير المأجج بعضه فى بعض جاءوا كالجراد.

مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ <sup>(٢)</sup> كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ  
 قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ <sup>(٣)</sup> وَازْدَجَرُوا <sup>(٤)</sup> فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ  
 فَأَنْتَصِرْ <sup>(٥)</sup> فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ <sup>(٦)</sup> وَبِخَرْنَا الْأَرْضَ  
 عَيْونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قَدِرْتُمْ <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup> <sup>(١٠)</sup>

(١) مسرعين مآدى أعناقهم إليه .

(٢) صعب شديد .

(٣) ( كذبت ) قبل أهل مكة ( قوم نوح فكذبوا عبدنا ) نوحا عليه السلام . ومعنى تكرار التكذيب أنهم كذبوه تكديبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت ( قوم نوح ) الرسل ( فكذبوا عبدنا ) أى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لأنه من جملة الرسل .

(٤) أى هو ( مجنون ) . ( وازدجر ) زجر عن أداء الرسالة بالشمه وهدد بالقتل . أو هو من جملة قيلهم . أى ( قالوا ) هو ( مجنون ) وقد ازدجرته الحق وتخبطه وذهبت بلبته .

(٥) أى باتى ( مغلوب ) غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من إجابتهم لى ( فانتصر ) فانتقم لى منهم بعذاب تبعته عليهم .

(٦) ( ففتحننا ) شامى ويزيد وسهل ويعقوب .

(٧) منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما .

(٨) وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر . وهو أبلغ من قولك وبخرنا عيون الأرض .

(٩) أى مياه السماء والأرض . وقرئ ( الماءان ) أى النوعان من الماء السماوى

والأرضى .

(١٠) على حال قدرها الله كيف شاء . أو ( على أمر قد قدر ) فى اللوح المحفوظ أنه يكون . وهو

هلاك قوم نوح بالطوفان .

وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرُ<sup>(١)</sup> تَجْرِي<sup>(٢)</sup> بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ  
كُفِرَ<sup>(٣)</sup> وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ<sup>(٤)</sup> فَكَيْفَ كَانَ  
عَذَابِي وَنَذِيرٍ<sup>(٥)</sup> وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ<sup>(٦)</sup>

(١) أراد السفينة. وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنبو منهاها وتؤدى مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها. ونحوه "ولكن قيصى مسرودة من حديد" أراد ولكن قيصى درع. ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح. وهذا من فصيح الكلام وبديعه. والدرج جمع دسار وهو المسار. فغال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه.

(٢) بمرأى منا أو بحفظنا. أو (بأعيننا) حال من الضمير في (تجري) أى محفوظة بنا.

(٣) (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده. أى لعنا ذلك (جزاء لمن كان كافر) وهو نوح عليه السلام. وجعله مكفورا لأن النبي نعمة من الله ورحمة. قال الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فكان نوح نعمة مكفورة.

(٤) أى السفينة أو الفعلة. أى جعلناها (آية) يعتبر بها. وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة. وقيل على الجودي دهرًا طويلًا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة.

(٥) متعظ يتعظ ويعتبر. وأصله مذتكر بالذال والتاء. ولكن التاء أبدلت منها الدال. والدال والذال من موضع. فأدغمت الذال في الدال.

(٦) جمع نذير وهو الإنذار. (ونذرى) يعقوب فيهما. وافقه سهل في الوصل. غيرهما بغير ياء. وعلى هذا الاختلاف ما بعده إلى آخر السورة.

(٧) سهلناه للآذكار والآعاط بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرّفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من مدكر) متعظ يتعظ؟ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه. فهل من طالب لحفظه ليعان عليه؟ ويروى أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل والزبور لا يتلوها أهلها إلا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن.

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي <sup>(١)</sup> إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا  
 فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ <sup>(٢)</sup> تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ <sup>(٣)</sup>  
 فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي <sup>(٤)</sup> وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْفُرْعَانَ لِلدِّكْرِ فَهَلْ مِنْ  
 مَّدْكِرٍ <sup>(٥)</sup> كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ <sup>(٦)</sup> فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا  
 إِذَا لَنِي ضَلَّلِ وَسُعِرٍ <sup>(٧)</sup> أَتَلَقَى الدِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ  
 أَشْرٌ <sup>(٨)</sup> سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ <sup>(٩)</sup>

(١) أى وإنذارى لهم بالعذاب قبل نزوله . أو وإنذارى فى تعذيبهم لمن بعدهم .

(٢) (إنا أرسلنا عليهم ريحا) باردة أو شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمتر) دائم

الشر . فقد استمر عليهم حتى أهلكهم . وكان فى أربعاء فى آخر الشهر .

(٣) تعلقهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون أخذوا بعضهم بأيدى بعض ويتداخلون  
 فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فنزعهم وتكبيهم وتلقى رقابهم (كأنهم) حال  
 (أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقعر عن مغارسه . وشبهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت  
 تقطع رهوسهم فتبقى أجسادا بلا رهوس فيتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال  
 (كأنهم أعجاز نخل) وهى أصولها بلا فروع . وذكر صفة (نخل) على اللفظ . ولو حملها على  
 المعنى لأنت كما قال (كأنهم أعجاز نخل خاوية) .

(٤) انتصب (بشرا) بفعل يفسره (تبعه) تقديره أتبع بشرا منا واحدا (إنا إذا لنى ضلال  
 وسعر) كان يقول إن لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق (وسعر) ونيران . جمع سعي . فعكسوا  
 عليه فقالوا إن اتبعناك كنا إذا كما تقول . وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب ، والسعر  
 الجنون . وقولهم (أبشرا) إنكار لأن يتبعوا مثلهم فى الجنسية وطلبوا أن يكون من الملائكة  
 وقالوا (منا) لأنه إذا كان منهم كانت الملائكة أقوى . وقالوا (واحدا) إنكارا لأن تتبع الأمة رجلا  
 واحدا . أو أرادوا (واحدا) من أبنائهم ليس من أشرفهم وأفضلهم . ويدل عليه قوله (ألقى

إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ <sup>(١)</sup> وَبَيْنَهُمْ أَنْ أَلْمَاءَ  
 قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ <sup>(٢)</sup> فَنَادَوْا صَاحِبِهِمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ <sup>(٣)</sup>  
 فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي <sup>(٤)</sup> إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً  
 فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ <sup>(٥)</sup>

الذكر عليه من بيننا) أى أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة  
 (بل هو كذاب أشر) بطر متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك . (سيعلمون  
 غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الأشر) أصالح أم من كذبه؟ (ستعلمون)  
 شامى وحمة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم . أو هو كلام الله على سبيل الالتفات .

<sup>(١)</sup> (إننا) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوها (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء . وهو مفعول  
 له أو حال . (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تعجل حتى  
 يأتيك أمرى .

<sup>(٢)</sup> مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم . وقال (بينهم) تغليبا للعقلاء .

<sup>(٣)</sup> محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما .

<sup>(٤)</sup> (فنادوا) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم  
 غير مكترث له (فعقر) الناقة . أو فتعاطى الناقة فعقرها . أو فتعاطى السيف . وإنما قال (فعقروا  
 الناقة) فى آية أخرى لرضاهم به . . أولأنه عقر بمعوتهم .

<sup>(٥)</sup> (إننا أرسلنا عليهم) فى اليوم الرابع من عقرها (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل عليه  
 السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) . والحشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر . و(المحتظر) الذى  
 يعمل الحظيرة . وما يحتظر به يبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم . وقرأ  
 الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة .

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ  
 بِالنَّذْرِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ ﴿٣﴾  
 نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتْنَا فَتَمَارَوْا  
 بِالنَّذْرِ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي  
 وَنُذْرِي ﴿٦﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةٌ عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٧﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٨﴾  
 وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩﴾

(١) يعني (أرسلنا) على قوم لوط (حاصبا) ريحا تحصبهم بالجاراة أى ترميمهم (إلا آل لوط) ابنتيه ومن آمن معه (نجيناهم بسحر) من الأستحار . ولذا صرفه . ويقال لقيته بسحر إذا لقيته في سحر يومه . وقيل هما سحران . فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر . والآخر عند انصداعه .  
 (٢) (نعمة) مفعول له أى إنعاما (من عندنا كذلك نجزي من شكر) نعمة الله بإيمانه وطاعته .

(٣) (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين .

(٤) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) أعميناهم . وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق . روى أنهم لما عابجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا (إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط .

(٥) (ف) قلت لهم على السنة الملائكة (ذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة) أول النهار (عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضى بهم إلى عذاب الآخرة .

وفائدة تكرير (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) أن يحدوا عند استماع كل نيا من أنباء الأولين ادكارا وأعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ <sup>(١)</sup> كَذَبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ  
عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ <sup>(٢)</sup> أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيكُمْ <sup>(٣)</sup> أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ <sup>(٤)</sup>  
أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ <sup>(٥)</sup> سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ <sup>(٦)</sup>  
بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةِ أَهْوَى <sup>(٧)</sup> وَأَمْرٌ <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup>

الحث على ذلك والبعث عليه . وهذا حكم التكرير في قوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) عند كل نعمة عطاها ، وقوله (ويل يومئذ للكافرين) عند كل آية أوردتها . وكذلك تكرير الأنبياء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان ، مذكرة غير منسية في كل أوان .

(١) موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء . أو هو جمع نذير وهو الإنذار .

(٢) (كذبوا) بالآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شيء .

(٣) (أكفاركم) يأهل مكة (خير من أولئك) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون . أى أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا ؟ أو أقل كفرا وعنادا ؟ يعنى أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم .

(٤) (أم) أنزلت عليكم يأهل مكة (براءة) في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمتمم بتلك البراءة ؟

(٥) (نحن جميع) — جماعة أمرنا مجتمع — (منتصر) ممتنع لانرام ولا نضام .

(٦) (سيهزم) جمع أهل مكة (ويولون الدبر) أى الأدبار كما قال \* كلوا في بعض بطونكم تعقوا \* أى ينصرفون منهزمين . يعنى يوم بدر . وهذه من علامات النبوة .

(٧) موعد عذابهم بعد بدر .

(٨) أشد من موقف بدر . والداهية الأمر المنكر الذى لا يهتدى لدوائه .

(٩) (وأمر) مذاقا من عذاب الدنيا وأشد . من المزة .

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿١﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ  
ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿١﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٢﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ  
كَلِمَةً بِالْبَصْرِ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا شَيْئًا عَمَّا فَهَمَّ بِهَا مَن مَّدِينٍ ﴿٤﴾

(١) (إن المجرمين في ضلال) عن الحق في الدنيا (وسعر) ويران في الآخرة. أو في هلاك  
ويران (يوم يسحبون في النار) يحزون فيها (على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) كقولك  
وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب . لأن النار إذا أصابتهم بجزءها فكأنها تمسهم مساً بذلك .  
(و سقر) غير منصرف للتأنيث والتعريف لأنها علم لجهنم من سقرته النار إذا لوحته .

(٢) (كل) منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر . وقرئ بالرفع شاذاً . والنصب أولى  
لأنه لو رفع لأمكن أن يكون (خلقناه) في موضع الجز وصفاً لشيء ويكون الخبر (بقدر)  
وتقديره (إننا كل شيء) مخلوق لنا كائن (بقدر) . ويحتمل أن يكون (خلقناه) هو الخبر  
وتقديره (إننا كل شيء) مخلوق لنا (بقدر) . فلما تردد الأمر في الرفع عدل إلى النصب .  
وتقديره إننا خلقنا كل شيء بقدر . فيكون الخلق عاقماً لكل شيء وهو المراد بالآية . ولا يجوز  
في النصب أن يكون (خلقناه) صفة لشيء لأنه تفسير الناصب والصفة لا تعمل في الموصوف .  
والقدر والقدر التقدير . أي بتقدير سابق . أو خلقنا كل شيء مقدراً محكماً مرتباً على حسب  
ما اقتضته الحكمة . أو مقدراً مكتوباً في اللوح معلوماً قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه .  
قال أبو هريرة جاء مشركو قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر . فنزلت  
الآية . وكان عمر يحلف أنها نزلت في القدرية .

(٣) (وما أمرنا) إلا كلمة واحدة . أي (وما أمرنا) لشيء نريد تكوينه إلا أن نقول  
له كن فيكون (كلمة بالبصر) على قدر ما يباح أحدكم ببصره . وقيل المراد بأمرنا القيامة  
كقوله (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر) .

(٤) (ولقد أهلكنا) أشباهكم في الكفر من الأمم (فهلم من مذكر) متعظ ؟



وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿١١﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿١٢﴾ إِنَّ  
 الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿١٣﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿١٤﴾

(١١) (فعلوه) أى أولئك الكفار . أى (وكل شيء) مفعول لهم ثابت (في الزبر) في دواوين  
 الحفظة : ففعلوه في موضع جر نعت لشيء . و(في الزبر) خبر لكل . (وكل صغير وكبير) من  
 الأعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور في اللوح .

(١٢) وأنهار . اكنفى باسم الجنس . وقيل هو السعة والضياء . ومنه النهار .

(١٣) في مكان مرضى . (عند ملك) عندية منزلة وكرامة لامتسافة ومماسة ، (مقتدر)  
 قادر . وفائدة التنكير فيما أن يعلم أن لا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته . وهو على كل  
 شيء قدير .

## سورة الرحمن جلّ وعلا مدنيّة

وهي ستّ وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَيْهِ الْبَيَانُ ﴿٤﴾<sup>(١)</sup>  
 الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾<sup>(٢)</sup>

(١) (خلق الإنسان) أي الجذس أو آدم أو محمدا عليهما السلام .

عدّد الله عزّ وجلّ الآءه. فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهي نعمة الدين. فقدم من نعمة الدين ما هو سنام في أعلى مراتبها وأقصى مراقبها. وهو إنعامه بالقرآن وتزويله وتعليمه لأنه أعظم وحى الله رتبة ، وأعلاه منزلة ، وأحسنه في أبواب الدين أثرا . وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها ، والعيار عليها . وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره . ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين ، وليحيط علما بوجبه وكتبه . وقدم ما خلق الإنسان من أجله عليه . ثم ذكر ما يميّزه من سائر الحيوان من البيان . وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير . و (الرحمن) مبتدأ . وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وإخلاؤها من العاطف لمحيبها على نمط التعديد . كما تقول زيد أغناك بعد فقر ، أعزك بعد ذل ، كثرك بعد قلّة ، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد . فما تنكر من إحسانه ؟

(٢) (بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى يجريان في بروجهما ومنازلها . وفي ذلك منافع للناس . منها علم السنين والحساب . (والنجم) النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له . كالبقول (والشجر) الذي له ساق — وقيل النجم نجوم السماء — (يسجدان) ينقادان لله تعالى

وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا<sup>(١)</sup> وَوَضَعَ الْمِيزَانَ<sup>(٢)</sup> ۖ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۖ وَأَقِيمُوا<sup>(٤)</sup>  
الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُحْسِرُوا الْمِيزَانَ<sup>(٣)</sup> ۖ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۖ

فما خلقا له تشبيها بالساجد من المكلفين في اقياده . واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه . والسجود له لا لغيره ، كأنه قيل ( الشمس والقمر ) بحسبانه ، ( والنجم والشجر يسجدان ) له . ولم يذكر العاطف في الجمل الأولى ثم جيء به بعد ، لأن الأولى وردت على سبيل التعديد تبيكتنا لمن أنكر آلاءه كما يبيكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال المذكور . ثم رُدَّ الكلام الى منهاجه بعد التبيكت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف . وبيان التناسب أن الشمس والقمر سماويان ، والنجم والشجر أرضيان . فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل . وإن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين . وإن جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الاقياد لأمر الله . فهو مناسب لسجود النجم والشجر .

(١) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ، ومصدر قضاياه ، ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه . ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكوته وسلطانه .

(٢) أى كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون وميكال ومقياس . أى خلقه موضوعا على الأرض حيث علق به أحكام عبادته من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم .

(٣) لئلا تطغوا . أو هي ( أن ) المفسرة . ( وأقيموا الوزن بالقسط ) وقوموا وزنكم بالعدل ( ولا تحسروا الميزان ) ولا تنقصوه . أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ، وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان . وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه .

(٤) خفضها مدحوة على الماء ( للأنام ) للخلق ، وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة . وعن الحسن الإنس والجن . فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها .

فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ  
 وَالرَّيْحَانُ ﴿٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ  
 مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿٥﴾  
 فَبِأَيِّ آيَةِ الْآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿٦﴾

(١) (فيها) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الأكام) هي أوعية الثمر. الواحد كيم بكسر الكاف. أو كل ما يكتم أي يغطى من ليفه وسعفه وكفراه. وكله منتفع به كما ينتفع بالمكوم من ثمره وجماره وجذوعه (والحب ذو العصف) هو ورق الزرع أو التبن (والريحان) الرزق وهو اللب. أراد (فيها) ما يتلذذ به من الفواكه، والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل، وما يتغذى به وهو الحب. (والريحان) بالجر حمزة وعلى أي (والحب ذو العصف) الذي هو علف الأنعام، (والريحان) الذي هو مطعم الأنعام. والرفع على (و) ذو (الريحان) فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقيل معناه (و) فيها (الريحان) الذي يشتم (والحب ذو العصف والريحان) شامى أي وخلق الحب والريحان. أو وأخص الحب والريحان.

(٢) أي النعم مما عدد من أول السورة. جمع آلى وإلى.

(٣) الخطاب للتقلين بدلالة الأنام عليهما.

(٤) (من) طين يابس له صلصلة (كالفخار) أي الطين المطبوخ بالنار. وهو الخزف. ولا اختلاف في هذا وفي قوله (من حملاً مسنون. من طين لازب. من تراب) لاتفاقها معنى. لأنه يفيد أنه خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حملاً مسنوناً ثم صلصلاً.

(٥) (وخلق) أبا الحنن - قيل هو إبليس - (من مارج) - هو اللهب الصافي الذي لا دخان فيه. وقيل المختلط بسواد النار. من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط - (من نار) هو بيان لما رج كأنه قيل من صاف (من نار) أو مختلط (من نار) أو أراد (من نار) مخصوصة كقوله (فأنذرتكم نارا تلتظي).

(٦) أراد مشرق الشمس في الصيف والشتاء ومغربيها.

فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿١﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿٢﴾ بَيْنَهُمَا  
 بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٣﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٤﴾ يُخْرِجُ مِنْهُمَا  
 اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ ﴿٥﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٦﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ  
 الْمُنشَعَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٨﴾  
 كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٩﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٠﴾

(١) أى أرسل البحر المالح والبحر العذب متجاورين متلاقين لا فصل بين المائين في مرأى العين .

(٢) حاجز من قدرة الله تعالى .

(٣) لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالمزجة .

(٤) (يُخْرِجُ) مدنى وبصرى .

(٥) (اللوؤلؤ) بلا همز، أبو بكر ويزيد . وهو بكار الدر (والمرجان) صفاره . وأما قال منهما وهما يخرجان من الملح، لأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما، كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ، ولكن من بعضه . وتقول خرجت من البلد، وأما خرجت من محلة من محاله . وقيل لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب .  
 (٦) ولله (الجوار) السفن . جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء . والاختيار وصلها وإن وقف عليها واقف بغير ياء فذا جائز على بعد . ولكن يروم الكسر في الراء ليدل على حذف الياء  
 (٧) المرفوعات الشُّرُوع . (المنشآت) بكسر الشين ، حمزة ويحى ، الرافعات الشُّرُوع .  
 أو اللاتي ينشئن الأمواج ببحرين .

(٨) جمع علم . وهو الجبل الطويل .

(٩) (كل من) على الأرض (فان ويبقى وجه ربك) ذاته (ذو الجلال) ذو العظمة والسلطان — وهو صفة الوجه — (والإكرام) بالتجاوز والإحسان . وهذه الصفة من عظيم صفات الله . وفي الحديث "أَلْظَوْا بِيَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" وروى أنه عليه السلام مرّ برجل وهو يصلى ويقول إذا الجلال والإكرام فقال "قد استجيب لك" .

فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ ﴿١﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢﴾

(١) النعمة في الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون إلى النعيم السرمد . وقال يحيى بن معاذ  
”حبذا الموت فهو الذي يقرب الحبيب إلى الحبيب“ .

(٢) وقف عليها نافع . كل من أهل السموات والأرض مفتقرون إليه فيسأله أهل  
السموات ما يتعلق بدينهم ، وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم وديناهم .

(٣) ( كل ) ينتصب ظرفا بما دل عليه ( هو في شأن ) أى كل وقت وحين يحدث أمورا  
ويحدث أحوالا . كما روى أنه عليه السلام تلاها فقليل له وما ذلك الشأن؟ فقال ”من شأنه  
أن يفر ذنبا، ويفرح كربا، ويرفع قوما، ويضع آخرين“ . وعن ابن عيينة ”الدهر عند الله  
يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا . فشأنه فيه الأمر والنهى ، والإحياء والاماتة ،  
والإعطاء والمنع . والآخر يوم القيامة . فشأنه فيه الجزاء والحساب“ . وقيل نزلت في اليهود حين  
قالوا إن الله لا يقضى يوم السبت شأننا . وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهاه  
إلى الغد . وذهب كثيلا يفكر فيها . فقال غلام له أسود : يا مولاي أخبرنى ما أصابك  
لعل الله يسهل لك على يدى . فأخبره . فقال أنا أفسرها للك . فأعلمه . فقال ”أيها الملك شأن الله  
أنه يوبج الليل فى النهار ، ويوبج النهار فى الليل ، ويخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت  
من الحى ، ويشفى سقيا ، ويسقم سايا ، ويبتل معافى ، ويعافى مبتلى ، ويعز ذليلا ،  
ويذل عزيزا ، ويفقر غنيا ، ويفنى فقيرا“ . فقال الأمير ”أجسنت“ وأمر الوزير أن يخلع عليه  
ثياب الوزارة . فقال ”يا مولاي هذا من شأن الله“ . وقيل سوق المقادير إلى المواقيت . وقيل  
إن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له ”أشكلت على ثلاث آيات دعوتك  
لتكشفها لى : قوله ( فأصبح من النادمين ) وقد صح أن الندم توبة ، وقوله ( كل يوم هو فى شأن )  
وقد صح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وقوله ( وأن ليس للإنسان إلا ما سعى )  
فما بال الأضعاف؟“ فقال الحسين يجوز ألا يكون الندم توبة فى تلك الأئمة . وقيل إن ندم  
قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله . وكذا قيل ( وأن ليس للإنسان إلا ما سعى )  
مخصوص بقوم إبراهيم وموسى عليهما السلام . وأما قوله ( كل يوم هو فى شأن ) فإنها  
شؤون يبدئها لا شؤون يبتدئها . فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه .

فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٢﴾ فَبِأَيِّ  
 آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣﴾ يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا  
 مِن أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٤﴾ فَبِأَيِّ  
 آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٥﴾

(١) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك يريد سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلي عنه . والمراد التوفر على النكاية فيه ، والانتقام منه . ويجوز أن يراد ستنهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله ( كل يوم هو في شأن ) فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل . ( سيفرغ ) حمزة وعلى .  
 أى الله تعالى .

(٢) الإنس والجن . سميَا بذلك لأنهما ثقلا الأرض .

(٣) هو كالترجمة لقوله ( أيها الثقلان ) .

(٤) أى إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هربا من قضائي فاتخرجوا . ثم قال ( لا تنفذون ) لا تقدرتون على النفوذ ( إلا بسطان ) بقوة وقهر وغلبة .  
 وأنى لكم ذلك ؟ وقيل دلهم على العجز عن قوتهم للحساب غدا بالعجز عن نفوذ الأقطار اليوم .  
 وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحمدق بهم الملائكة . فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجها إلا وجدوا الملائكة احتاطت به .

(٥) ( شواط ) بكسر الشين مكى . وكلاهما اللهب الخالص . ( ونحاس ) أى دخان . ( ونحاس )  
 مكى وأبو عمرو . فالرفع عطف على ( شواط ) . والجزر على ( نار ) . والمعنى إذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكم لهب خالص من النار ودخان يسوقكم إلى المحشر ( فلا تنتصران ) فلا تمنعان منهما .

فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبُّكَ تُكْذِبَانِ ﴿١﴾ فَإِذَا أَنْشَقَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً  
 كَالدِّهَانِ ﴿٢﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبُّكَ تُكْذِبَانِ ﴿٣﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ  
 ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٤﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبُّكَ تُكْذِبَانِ ﴿٥﴾ يُعْرِفُ  
 الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٦﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبُّكَ  
 تُكْذِبَانِ ﴿٧﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكْذَبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ يَطُوفُونَ  
 بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَإِنْ ﴿٩﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبُّكَ تُكْذِبَانِ ﴿١٠﴾

﴿١﴾ (فإذا) انفك بعضها من بعض لقيام الساعة (فكانت وردة) فصارت كلون الورد الأحمر - وقيل أصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقاء - (كالدهان) كدهن انزيت - كما قال (كالمهل) وهو دردى الزيت . وهو جمع دهن . وقيل (الدهان) الأديم الأحمر - فيوم تنشق السماء (لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) أى ولا جن . فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده . والتقدير لا يسأل إنس ولا جان عن ذنبه . والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله (فوربك لنسألنهم أجمعين) وقوله (وقفوهم إنهم مسؤلون) أن ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون فى موطن ولايسألون فى آخر . وقال قتادة قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . وقيل (لا يسأل عن ذنبه) ليعلم من جهته ، ولكن يسأل للتوبيخ .

﴿٢﴾ بسواد وجوههم وزرقة عيونهم .

﴿٣﴾ أى يؤخذ تارة بالنواصي وتارة بالأقدام .

﴿٤﴾ ماء حار قد انتهى حره . أى يعاقب عليهم بين التصليية بالنار وبين شرب الحميم .

﴿٥﴾ النعمة فى هذا نجاة الناجى منه بفضلها ورحمته ، وما فى الإنذار به من التنبيه .



(١)

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فِيهَا ۖ أَلۡأۡءَ رَبِّكَ ۖ تُكۡذِبَانِ ﴿١﴾  
 ذَوَاتَا أَفۡئَانٍ ۖ فِيهَا ۖ أَلۡأۡءَ رَبِّكَ ۖ تُكۡذِبَانِ ﴿٢﴾ فِيهِنَّ عِینَانِ ۖ تَجۡرِيَانِ ﴿٣﴾  
 فِيهَا ۖ أَلۡأۡءَ رَبِّكَ ۖ تُكۡذِبَانِ ﴿٤﴾ فِيهِنَّ مِنْ كُلِّ فِئۡكِهِمَہِ زَوۡجَانِ ۖ فِيهَا ۖ أَلۡأۡءَ رَبِّكَ ۖ تُكۡذِبَانِ ﴿٥﴾ مُتَكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبْرَقٍ ﴿٦﴾  
 وَجَنَىٰ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٦﴾

(١) (ولمن خاف مقام ربه) فترك المعاصي أو فادى الفرائض (جنتان) جنة الإنس وجنة الجن لأن الخطاب للنفلين وكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجنى . (مقام ربه) موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة . وقيل هو مقحم كقوله "ونفيت عنه مقام الذئب" أى نفيت عنه الذئب .

(٢) أغصان . جمع فن . وخص الأفئان لأنها هى التى تورق وتثمر . فمنها تمتد الظلال ، ومنها تجتنى الثمار . أو ألوان . جمع فن . أى له فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين . قال :  
 ومن كل أفئان اللذاذة والصبأ \* لهوت به والعيش أخضر ناضر

(٣) فى الجنتين (عينان تجريان) حيث شاءوا فى الأعلى والأسافل . وعن الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى الساسبيل .

(٤) صنفان صنف معروف وصنف غريب .

(٥) (متكئين) - نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لأن (من خاف) فى معنى الجمع - (على فرش) جمع فراش (بطائنها) - جمع بطانة - (من إستبرق) ديباج ثخين وهو معزب . قيل ظهائرها من سندس وقيل لا يعلمها إلا الله .

(٦) وثمرها قريب يناله القائم والقاعد والمتكئ .

فِي أَيِّ ءِالَاءٍ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ﴿١﴾ فِيهِنَّ قَصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ  
 وَلَا جَانٌّ ﴿٢﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءٍ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ﴿٣﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٤﴾  
 فِي أَيِّ ءِالَاءٍ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ﴿٥﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦﴾  
 فِي أَيِّ ءِالَاءٍ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ﴿٧﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٨﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءٍ رَبِّكَ  
 تُكذِّبَانِ ﴿٩﴾ مُدَّهَامَتَانِ ﴿١٠﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءٍ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ﴿١١﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ  
 نَضَّاخَتَانِ ﴿١٢﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءٍ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ﴿١٣﴾ فِيهِمَا فَلَكَهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿١٤﴾  
 فِي أَيِّ ءِالَاءٍ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ﴿١٥﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنٌ ﴿١٦﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءٍ رَبِّكَ  
 تُكذِّبَانِ ﴿١٧﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿١٨﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءٍ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ﴿١٩﴾  
 لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٢٠﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءٍ رَبِّكَ تُكذِّبَانِ ﴿٢١﴾

(١) في الجنة — لاشتمالها على أماكن وقصور ومجالس . أو في هذه الآلاء المعدودة من الجنة والعينين والفاكهة والفرش والجنى — (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم .

(٢) (لم يطمئن) — بكسر الميم الدوري . وعلى بضم الميم . والطمث الجماع بالتدمية — (إنس قبلهم ولا جان) . وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس .

(٣) (كأنهنّ الياقوت والمرجان) بياضا . فهو أبيض من اللؤلؤ .

(٤) (هل جزاء الإحسان) في العمل (إلا الإحسان) في الثواب . وقيل ما جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة . وعن إبراهيم الخواص فيه : هل جزاء الإسلام ، إلا دار السلام .

(٥) (ومن) دون تينك الجنة الموعودتين للقرين ، (جتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (مداهمتان) سوداوان من شدة الخضر . قال الخليل الدهمة السواد . (فيهما عينان

مُتَكِينٍ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿١١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا  
تُكَذِّبَانِ ﴿١٢﴾ تَبَّرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٣﴾

نضًاختان ( فوارتان بالماء لاتنقطعان . ( فيهما فاكهة ) ألوان الفواكه ( ونخل ورمان ) .  
والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه للعطف ، ولأن التمر فاكهة  
وغذاء ، والرمان فاكهة ودواء . فلم يخلصا للتفكه . وهما قالا إنما عطفنا على الفاكهة لفضلهما  
كأنهما جنسان آثران لما لهما من المزية كقوله ( وجبريل وميكال ) . ( فيهن خيرات حسان )  
أى خيرات نغفقت . وقرئ ( خيرات ) على الأصل . والمعنى فاضلات الأخلاق حسان الخلق  
( حور مقصورات فى الخيام ) أى مختدرات — يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة .  
قبل الخيام من الدرّ المحجوف — ( لم يطمئنّ لئس قبلهم ) قبل أصحاب الجنتين . ودلّ عليهم  
ذكر الجنتين .

﴿١١﴾ ( متكئين ) — نصب على الاختصاص — ( على رفرف ) — هو كل ثوب عريض .  
وقيل الوسائد — ( خضر وعبقري حسان ) ديباج أو طنافس .

وإنما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأولين حتى قيل ( ومن دونهما ) ، لأن  
( مدهامتان ) دون ( ذواتا أفنان ) ، و ( نضًاختان ) دون ( تجريان ) ، و ( فاكهة ) دون  
( كل فاكهة ) . وكذلك صفة الحور والمتكأ .

﴿١٢﴾ ( ذى العظمة — ذو الجلال ) شامى صفة للاسم — ( والإكرام ) لأوليائه بالإعظام .  
روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن فقال : ما لى أراكم سكوتا ؟ ! الجن  
كانوا أحسن منكم ردا . ما أتيت على قول الله ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) إلا قالوا « ولا  
بشئ من نعمك ربنا نكذب . فلك الحمد ، ولك الشكر » . وكررت هذه الآية فى هذه السورة  
إحدى وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه  
ومبدأ الخلق ومعادهم ؛ ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب  
جهنم ؛ وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنتين وأهلها على عدد أبواب الجنة ؛ وثمانية  
أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما . فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب  
الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم . نعوذ بالله منها . والله أعلم .

## سورة الواقعة مدنية

وهي سبع وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ <sup>(١)</sup> لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَازِبَةٌ <sup>(٢)</sup> خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ <sup>(٣)</sup>  
 إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا <sup>(٤)</sup> وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا <sup>(٥)</sup>

(١) (إذا) قامت القيامة. وقيل وصفت بالوقوع لأنها تقع لاحتمال. فكأنه قيل : إذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها. ووقوع الأمر نزوله . يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله . وانتصاب (إذا) باضمار اذكر .

(٢) نفس (كاذبة) . أى لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة . وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات . واللام مثلها في قوله تعالى ( ياليتنى قدمت لحياتى ) .

(٣) أى هي (خافضة رافعة) ترفع أقواما وتضع آخرين .

(٤) حركة تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء . وهو بدل من (إذا وقعت) . ويجوز أن ينتصب بـ (خافضة رافعة) . أى تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال .

(٥) وفتنت حتى تعود كالسويق . أو سبقت . من بس الغنم إذا ساقها كقوله (وسيرت الجبال) .

فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ فَاصْحَبْ الْمُيمِنَةَ  
 مَا اصْحَبْ الْمُيمِنَةَ ۖ وَاصْحَبْ الْمُشْعَمَةَ مَا اصْحَبْ الْمُشْعَمَةَ ۖ  
 وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۖ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۖ  
 ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ ۖ وَقَابِلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۖ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۖ

(١) (فكانت) غبارا متفرقا (وكنتم أزواجا) أصنافا — يقال للأصناف التي بعضها من بعض أويذكر بعضها مع بعض، أزواج — (ثلاثة) صنفان في الجنة وصنف في النار . ثم قسّر الأزواج فقال (فاصحاب الميمنة) — مبتدأ . وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيامهم — (ما اصحاب الميمنة) مبتدأ وخبر . وهما خبر المبتدأ الأول . وهو تعجيب من حالهم في السعادة ، وتعظيم لشأنهم . كأنه قال ما هم وأي شيء هم ؟ (واصحاب المشأمة) أي الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم . أو اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية الحسيسة . من قولك فلان منى باليمن وفلان منى بالشمال إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعفة . وذلك لتعظيمهم بالميامن وتساؤلهم بالشمائل . وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمن وبأهل النار ذات الشمال .

(٢) أي أي شيء هم ؟ وهو تعجيب من حالهم بالشقاء .

(٣) (والسابقون) — مبتدأ — (السابقون) خبره . تقديره (السابقون) إلى الخيرات (السابقون) إلى الجنة . وقيل الثاني تأكيد للأول . والخبر (أولئك المقربون) والأول أوجه .

(٤) أي هم (في جنات النعيم) .

(٥) أي هم (ثلاثة) . والثلاثة الأمة من الناس الكثيرة . والمعنى أن السابقين كثير (من الأولين) وهم الأمم من لدن آدم إلى نبينا محمد عليهما السلام (وقليل من الآخرين) وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل (من الأولين) من متقدمي هذه الأمة ، و (من الآخرين) من متأخريها . وعن النبي صلى الله عليه وسلم "الثلاثان جميعا من أمتي" .

(٦) جمع سرير ككثيب وكثب .

(٧) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت .

مُتَّكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ<sup>(١)</sup> يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ<sup>(٢)</sup>  
 بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ<sup>(٣)</sup> مِنْ مَّعِينٍ<sup>(٤)</sup> لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا<sup>(٥)</sup>  
 وَلَا يُنْزِفُونَ<sup>(٦)</sup> وَفَلَكَهَاتِمَاتٍ يَتَخَبَّرُونَ<sup>(٧)</sup> وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ<sup>(٨)</sup>

(١) (متكئين) حال من الضمير في (على) وهو العامل فيها . أى استقرّوا عليها (متكئين عليها متقابلين) ينظر بعضهم في وجوه بعض ولا ينظر بعضهم في أفضاء بعض . وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق وصفاء المودة . و (متقابلين) حال أيضا .

(٢) يخدمهم (ولدان) غلمان — جمع وليد — (مخلّدون) مبقون أبدا على شكل الولدان لا يتحوّلون عنه . وقيل مقرطون . والخلدة القرط . قيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها . وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة .

(٣) جمع كوب . وهى آنية لا عروة لها ولا خرطوم .

(٤) جمع إبريق . وهو ما له خرطوم وعروة .

(٥) وقدح فيه شراب . وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس .

(٦) من نحر تجرى من العيون .

(٧) أى بسببها . وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها . أو لا يفرقون عنها .

(٨) (ولا ينزفون) ولا يسكرون . نُزِفَ الرجل ذهب عقله بالسكر . (ولا ينزفون) بكسر

الزاي كوفى أى لا ينفد شرابهم . يقال أنزف القوم إذا فنى شرابهم .

(٩) يأخذون خيره وأفضله .

(١٠) يتمنون .

وَحُورٌ عِينٌ ﴿١﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكْنُونِ ﴿١﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلاً سَلَامًا  
سَلَامًا ﴿٣﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٤﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٤﴾  
وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ﴿٥﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٦﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٧﴾

(١) (و حور) جمع حوراء (عين) جمع عيناء . أى (و) فيها (حور عين) أو (و) لهم  
(حور عين) . ويجوز أن يكون عطفًا على (ولدان) . (و حور) يزيد و حمزة و على عطفًا على  
(جنات النعيم) كأنه قال هم في جنات النعيم... وفاكهة... ولحم... و حور (كأمثال اللؤلؤ)  
في الصفاء والنقاء (المكنون) المصون وقال الزجاج كأمثال الدر حين يخرج من صدفه  
لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال .

(٢) (جزاء) مفعول له . أى يفعل بهم ذلك كله لجزاء أعمالهم . أو مصدر . أى يجوزون  
(جزاء) .

(٣) (لا يسمعون) في الجنة (لغوا) باطلا (ولا تأتينا) هذيانا (إلا قيلاً سلاماً سلاماً)  
إلا قولاً ذا سلامة . والاستثناء منقطع . و (سلاماً) بدل من (قيلاً) أو مفعول به لقيلاً . أى  
(لا يسمعون فيها) إلا أن يقولوا (سلاماً سلاماً) . والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون  
سلاماً بعد سلام .

(٤) السدر شجر النبق . والمخضود الذى لا شوك له كأنما خضد شوكه .

(٥) الطلح شجر الموز . والمنضود الذى نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق  
بارزة .

(٦) ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس .

(٧) جار بلا حد ولا خد أى يجرى على الأرض فى غير أخدود .

وَفَكِهَةٌ كَثِيرَةٌ ۖ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مُنْعُوعَةٌ ۖ (١) وَفُرْشٌ مَرْفُوعَةٌ ۖ  
 إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ۖ (٢) بِجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ (٣) عُرُبًا أَتْرَابًا ۖ (٤) لِأَصْحَابِ  
 الْيَمِينِ ۖ (٥) ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ۖ (٦) وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۖ (٧)

(١) أى كثيرة الأجناس (لا مقطوعة) لا تنقطع في بعض الأوقات كفوا كه الدنيا بل هي دأمة. (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه. وقيل (لا مقطوعة) بالأزمان، (ولا ممنوعة) بالآثمان .

(٢) (وفرش) ربيعة القدر. أو نضدت حتى ارتفعت. أو (مرفوعة) على الأسرة. وقيل هي النساء. لأن المرأة يكنى عنها بالفراش. (مرفوعة) على الأرائك. قال الله تعالى (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون). ويدل عليه قوله (إنا أنشأناهن إناشاً) ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة . فلما أن يراد اللاتي ابتدئ إناشأهن أو اللاتي أعيد إناشأهن . وعلى غير هذا التأويل أضمر لهن لأن ذكر الفرش وهي المضاجع دلّ عليهن .

(٣) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا .

(٤) (عرباً) حمزة وخلف ويحيى وحماد. جمع عرب وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعّل .

(٥) مستويات في السنّ بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهنّ كذلك .

(٦) من صلة (أنشأنا) .

(٧) أى أصحاب اليمين (ثلاثة من الأولين وثلاثة من الآخريين). فإن قلت كيف قال قبل هذا (وقليل من الآخريين) ثم قال هنا (وثلاثة من الآخريين) ؟ قلت ذلك في السابقين . وهذا في أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخريين جميعا . وعن الحسن سابقو الأمم أ كثر من سابقي أمتنا وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمة .



وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ <sup>(١)</sup> فِي سُمُومٍ <sup>(٢)</sup> وَحَمِيمٍ <sup>(٣)</sup> وَظِلٍّ <sup>(٤)</sup>  
 مِّنْ يَّحْمُومٍ <sup>(٥)</sup> لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ <sup>(٦)</sup> إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ  
 مُتْرَفِينَ <sup>(٧)</sup> وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ <sup>(٨)</sup> وَكَانُوا يَقُولُونَ  
 إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ <sup>(٩)</sup> أَوْ آبَاءُنَا الْأَوْلُونَ <sup>(١٠)</sup>

(١) الشمال والمشامة واحدة .

(٢) في حرّ نار ينفذ في المسام .

(٣) وماء حارّ متناهي الحرارة .

(٤) من دخان أسود .

(٥) نفى لصفتي الظلّ عنه يريد أنه ظلّ ولكن لا كسائر الظلال . سماه ظلّاً ثم نفى عنه  
 برد الظلّ وروحه ونفعه من يأوى إليه من أذى الحزّ— وذلك كرمه— ليحقق ما في مدلول الظلّ  
 من الاسترواح إليه . والمعنى أنه ظلّ حارّ ضارّ .

(٦) (إنهم كانوا) في الدنيا (مترفين) منعمين . فمنهم ذلك من الانزجار، وشغلهم عن  
 الاعتبار (وكانوا يصرتون) يداومون (على الحنث العظيم) أي على الذنب العظيم . أو على الشرك  
 لأنه تقض عهد الميثاق . والحنث نقض العهد المؤكّد باليمين . أو الكفر بالبعث . بدليل قوله  
 (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) .

(٧) تقديره (أ) نبعث (إذا متنا) . وهو العامل في الظرف . وجاز حذفه إذ (مبعوثون)  
 يدلّ عليه . ولا يعمل فيه (مبعوثون) لأنّ (إنّ) والاستفهام يمنعان أن يعمل ما بعدهما فيما  
 قبلهما .

(٨) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف . وحسن العطف على المضمر  
 في (لمبعوثون) من غير توكيد بنحن ، للفاصل الذي هو الهمزة ، كما حسن في قوله (ما أشركنا  
 ولا آباؤنا) لفصل الهمزة للنفي . (أو آباؤنا) مدنيّ وشاميّ .

قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ  
مَّعْلُومٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٣﴾ لَأَكُونَنَّ مِنْ شَجَرٍ  
مِّن زُقُومٍ ﴿٤﴾ فَسَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنْ  
الْحَمِيمِ ﴿٦﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ ﴿٧﴾ هَذَا نُزُّهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨﴾

(١) إلى ما وقَّعت به الدنيا من يوم معلوم . والإضافة بمعنى من تكاتم فضة . والميقات ما وقت به الشيء أى حد . ومنه مواقيت الإحرام . وهى الحدود التى لا يجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرما .

(٢) (ثم إنكم أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث — وهم أهل مكة ومن فى مثل حالهم — (لأكلون من شجر) — (من) لابتداء الغاية — (من زقوم) — (من) لبيان الشجر — (فسالون منها البطون فشاربون عليه من الحميم) — أنت ضمير الشجر على المعنى ، وذكره على اللفظ فى (منها) و(عليه) — (فشاربون شرب) — بضم الشين مدنى وعاصم وحمزة وسهل . وفتح الشين غيرهم . وهما مصدران — (الهميم) هى إبل عطاش لا ترى . جمع أهيم وهيماء . والمعنى أنه يسقط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذى هو كالمهل . فإذا ماتوا منه البطون سلق عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم . وإتما صح عطف الشارين على الشارين — وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان — لأن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهى الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب ، وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا . فكانتا صفتين مختلفتين .

(٣) (هذا نزهم) — هو الرزق الذى يعد للنازل تكربة له — (يوم الدين) يوم الجزاء .

نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿١﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ ﴿٢﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ﴿٣﴾  
 أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٤﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٥﴾  
 عَلَيَّ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ  
 عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٨﴾

(١) فهلا (تصدقون) تحضيض على التصديق إماما بالخلق — لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به — وإما بالبعث . لأن من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا .

(٢) ما تمنونه أى تقدفونه فى الأرحام من النطف .

(٣) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا .

(٤) (نحن قدرنا بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الأرزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا . فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط . (قدرنا) بالتخفيف مكي . سبقته بالشىء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه . فعنى قوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) أنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه — و (أمثالكم) جمع مثل . أى (على أن نبدل) منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق — (وننشئكم فيما لا تعلمون) — (و) على أن (ننشئكم فى) خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها . يعنى أنا نقدر على الأمرين جميعا على خلق ما يمانئكم وما لا يمانئكم . فكيف نعجز عن إعادتهم ؟ ويحوز أن يكون (أمثالكم) جمع مثل . أى (على أن نبدل) ونغير صفاتكم التى أتم عليها فى خلقكم وأخلاقكم ونشئكم فى صفات لا تعلمونها .

(٥) (النشأة) مكي وأبو عمرو .

(٦) (فلولا تذكرون) أت من قدر على شىء مرة لم يمتنع عليه ثانيا . وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى .

(٧) ما تحرثونه من الطعام أى تثيرون أرضه وتلقون فيها بذره .

ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزَّرْنَاهُ (١) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا (٢)  
 فَظَلَّمْتُمْ تَفَكُّهًا (٣) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٤) بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ (٥)  
 أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ  
 أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٧) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٨)

(١) (أنتم) تنبتونه وتردونه نباتا (أم نحن) المنبتون . وفي الحديث " لا يقولن أحدكم زرعت . وليقل حرثت " .

(٢) هشيما متكسرا قبل إدراكه .

(٣) تعجبون أو تندمون على تعبك فيهم وإنفاقكم عليه أو على ما اقترعتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها .

(٤) أى تقولون (إننا) - (أئنا) أبو بكر - (لمغرمون) للمزمون غرامة ما أنفقنا . أو مهلكون لهلاك رزقنا . من الغرام وهو الهلاك . (بل نحن) قوم (محرمون) محارفون محدودون لا محدودون لا حظ لنا ولا نجت لنا . ولو تكنا محدودين لما جرى علينا هذا .

(٥) أى (أفرأيتم الماء) العذب الصالح للشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) - السحاب الأبيض وهو أعذب ماء - (أم نحن المنزلون) بقدرتنا ؟

(٦) (لو نشاء جعلناه) ملحا أو مرًا لا يقدر على شربه . فهلا (تشكرون) . ودخلت اللام على جواب (لو) في قوله (لجعلناه حطاما) وزعت منه هنا لأن (لو) لما كانت داخلية على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزء بالشرط ولم تكن مخصصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها وإتساوى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضمونى جملتها أن الثاني امتنع لامتناع الأول ، افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك . ولما شهر موقعه لم يبال بإسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به وتساوى حالى حذفه وإثباته . على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية .

أَفْرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿١﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ  
 جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمْتًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ فَلَا أَقْسِمُ  
 بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾

ولأن هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب ، وأن الوعيد يفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للطعوم . ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب .

(١) (أفرايتم النار التي) تفدحونها وتستخرجونها من الزناد — والعرب تفدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزنذة شبهوهما بالفحل والطروقة — (أنتم أنشأتم شجرتها) التي منها الزناد (أم نحن) الخالقون لها ابتداء . (نحن جعلناها) أي النار (تذكرة) تذكيرا للنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به (ومتاعا) ومنفعة (للقوم) للسافرين النازلين في القواء وهي القفر . أو للذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام . من قولهم أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها .

بدأ بذكر خلق الإنسان فقال (أفرايتم ما تمنون) لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم . ثم بما به قوامه وهو الحب فقال (أفرايتم ما تحرثون) ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء . ثم بما يخبز به وهو النار . فحصول الطعام يجمع الثلاث ولا يستغنى عنه الجسد ما دام حيا .

(٢) فتره ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل . أو أراد بالاسم الذكر . أي (فسبح) بذكر (ربك العظيم) صفة للضاف أو للضاف إليه . وقيل قل سبحان ربّي العظيم . وجاء مرفوعاً أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها في ركوعكم .

(٣) أي فأقسم — و(لا) مزيدة مؤكدة مثلها في قوله (لئلا يعلم أهل الكتاب) . وقرئ (فلا أقسم) ومعناه فلأنا أقسم . اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر

فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٢﴾ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٣﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٥﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ ﴿٦﴾

وهي أنا أقسم ثم حذف المبتدأ . ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأن حقها أن تقرن بها النون المؤكدة — (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغارها . (بموقع) حمزة وعلى . ولعل الله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة ، أو للملائكة عبادات موصوفة ، أو لأنه وقت قيام المهتجرين ونزول الرحمة والرضوان عليهم ، فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله ( وإِنَّه لقسَم لو تعلمون عظيم ) وهو اعتراض في اعتراض . لأنه اعترض به بين القسم والمقسم عليه . وهو قوله ( إِنَّه لقرآن كريم ) — حسن مرضى ، أو نفاع جم المنافع . أو (كريم) على الله — واعترض بـ (لو تعلمون) بين الموصوف وصفته .

(١) أى اللوح المحفوظ .

(٢) مصون عن أن يأتيه الباطل . أو من غير المقرين من الملائكة لا يطالع عليه من سواهم .  
(٣) ( لا يمسه إلا المطهرون ) من جميع الأدناس أدناس الذنوب وغيرها إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح . وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا يذبح أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس . والمراد مس المكتوب منه .

(٤) (تنزيل) صفة رابعة للقرآن . أى منزل ( من رب العالمين ) . أو وصف بالمصدر . لأنه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل . ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه . ف قيل جاء في التنزيل كذا ، ونطق به التنزيل . أو هو (تنزيل) على حذف المبتدأ .

(٥) أى (أفبهذا) القرآن (أتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن في بعض الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به .

(٦) أى تجعلون شكر رزقكم التكذيب . أى وضعتم التكذيب موضع الشكر . وفي قراءة على رضى الله عنه وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وتجعلون شكركم أنكم تكذبون ) أى (تجعلون شكركم) لنعمة القرآن (أنكم تكذبون) به . وقيل نزلت في الأنواء ونسبتهم السقيا

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿١﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٢﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ  
 إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٤﴾  
 تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٦﴾  
 فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٧﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٨﴾  
 فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩﴾

إليها . والرزق المطر . أى ( وتعملون ) شكر ما يرزقكم الله من الغيث ( أنكم تكذبون ) بكونه  
 من الله حيث تنسبونه إلى النجوم .

(١) ( فلولا إذا بلغت ) النفس أى الروح عند الموت ( الحلقوم ) ممز الطعام والشراب  
 ( وأنتم حينئذ تنظرون ) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة ( ونحن أقرب إليه ) إلى المحتضر  
 ( منكم ولكن لا تبصرون ) لا تعقلون ولا تعملون ( فلولا إن كنتم غير مدنين ) مربوطين  
 — من دان السلطان الرعية إذا ساسهم — ( ترجعونها ) تردون النفس وهى الروح إلى الجسد بعد  
 بلوغ الحلقوم ( إن كنتم صادقين ) أنكم غير مربوطين مقهورين . ( فلولا ) فى الآيتين  
 للتحضيض يستدعى فعلا وذا قوله ( ترجعونها ) واكتفى بذكره مرة . وترتيب الآية  
 ( فلولا ) ترجعونها ( إذا بلغت الحلقوم ) إن كنتم غير مدنين . و ( فلولا ) الثانية مكررة للتأكيد .  
 ( ونحن أقرب إليه منكم ) بأهل الميت بقدرتنا وعلمنا ، أو بملائكة الموت . والمعنى أنكم  
 فى جحودكم آيات الله فى كل شئ : إن أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر واقترأ ، وإن أرسل  
 إليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب ، وإن رزقكم مطرا يحبسكم به قلتم صدق نوء كذا على  
 مذهب يؤدى إلى الإهمال والتعطيل . فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم  
 إن لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيى الميت المبدئ المعيد ؟

(٢) ( فأما إن كان ) المتوفى ( من المقربين ) من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة  
 فى أول السورة ( فروح ) فله استراحة ( وريحان ) ورزق ( وجنة نعيم ) .

(٣) أى ( فسلام لك ) يا صاحب يمين ( من ) إخوانك ( أصحاب اليمين ) أى يسمون

عليك كقوله ( إلا قبيلا سلاما سلاما ) .

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ <sup>(١)</sup> فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ <sup>(٢)</sup> وَتَصْلِيَةً  
 جَحِيمٍ <sup>(٣)</sup> إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ <sup>(٤)</sup> فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ <sup>(٥)</sup>

(١) هم الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم في هذه السورة (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون).

(٢) أى إدخال فيها . وفي هذه الآيات إشارة إلى أن الكفر كله ملء واحدة ، وأن أصحاب الجبار من أصحاب اليمين لأنهم غير مكذبين .

(٣) (إن هذا) الذى أنزل في هذه السورة (لهو حق اليقين) أى الحق الثابت من اليقين .  
 روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه فى مرض موته فقال له : ما تشكى ؟ فقال : ذنوبى . فقال : ما تشهى ؟ قال : رحمة ربى . قال : أفلا تدعو الطيب ؟ قال : الطيب أمرضى . فقال : ألا تأمر بعطائك ؟ قال : لا حاجة لى فيه . قال : ندفعه إلى بناتك . قال : لا حاجة لهنّ فيه . قد أمرتهنّ أن يقرأن سورة الواقعة . فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا" . وليس فى هذه السور الثلاث ذكر الله (اقتربت ، الرحمن ، الواقعة) . والله أعلم .



## سورة الحديد مكية

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ <sup>(٣)</sup> لَهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ <sup>(٤)</sup>

(١) جاء في بعض الفوائد (سبح) بلفظ الماضي، وفي بعضها بلفظ المضارع، وفي بنى إسرائيل بلفظ المصدر، وفي الأعلى بلفظ الأمر، استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها. وهي أربع المصدر والماضي والمضارع والأمر. وهذا الفعل قد عدى باللام تارة، وبنفسه أخرى في قوله (وتسبحوه). وأصله التعدى بنفسه لأن معنى سبحته بعدته من سوء، منقول من سبح إذا ذهب وبعده فاللام إما أن تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له، وإما أن يراد بـ (سبح لله) اكتسب التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصاً.

(٢) ما يتأتى منه التسبيح ويصح.

(٣) (وهو العزيز) المتقن من مكلف لم يسبح له عنادا، (الحكيم) في مجازاة من سبح له انقيادا.

(٤) (له ملك السموات والأرض) لاغيره. وموضع (يحيي) رفع. أي هو (يحيي) الموتى (ويميت) الأحياء. أو نصب أي (له ملك السموات والأرض) يحييا ويميتا.

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ  
 وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ  
 وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ  
 مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٣﴾

(١١) هو القديم الذي كان قبل كل شيء (والآخر) الذي يبقى بعد هلاك كل شيء (والظاهر) بالأدلة الذاتية عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس وإن كان مرئياً . والواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولى والآخرة ، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء ، وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأولين ومجموع الصفتين الآخرين . فهو مستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية . وهو في جميعها ظاهر وباطن . وقيل (الظاهر) العالی على كل شيء الغالب له — من ظهر عليه إذا علاه وغلبه — (والباطن) الذي بطن كل شيء أى علم باطنه .

(٢) عن الحسن "من أيام الدنيا" . ولو أراد أن يجعلها في طرفة عين لفعل . ولكن جعل الستة أصلاً ليكون عليها المدار .

(٣) (ثم) استولى (على العرش يعلم ما يلیج في الأرض) ما يدخل في الأرض من البذر والقطر والكنوز والموتى (وما يخرج منها) من النبات وغيره (وما ينزل من السماء) من الملائكة والأمطار (وما يعرج فيها) من الأعمال والدعوات (وهو معكم أينما كنتم) بالعلم والقدرة عموماً وبالفضل والرحمة خصوصاً ( والله بما تعملون بصير ) فيجازيكم على حسب أعمالكم .

لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ  
 فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢﴾ ءَامِنُوا  
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا  
 مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ  
 يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾

(١) يدخل الليل في النهار بأن ينقص من الليل ويزيد في النهار .

(٢) يحتمل الزكاة والإنفاق في سبيل الله .

(٣) يعنى أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها . وإنما مؤلّم  
 إياها للاستمتاع بها ، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها . فليست هي بأموالكم في الحقيقة ،  
 وما أتم فيها إلا بمتلة الوكلاء والنواب . فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى ، ولهين عليكم الإنفاق  
 منها كما يهون على الرجل الإنفاق من مال غيره إذا أذن له فيه . أو (جعلكم مستخلفين) من كان  
 قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم وسينقله منكم إلى من بعدكم . فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به .

(٤) فالذين آمنوا بالله ورسوله .

(٥) (لا تؤمنون بالله) حال من معنى الفعل في (مالكم) كما تقول مالك قائماً بمعنى  
 ما تصنع قائماً . أى (ومالكم) كافرين بالله . والواو في (والرسول يدعوكم) واو الحال .  
 فهما حالان متداخلتان . والمعنى وأى عذر لكم في ترك الإيمان (والرسول يدعوكم لتؤمنوا  
 بربكم وقد أخذ ميثاقكم) (و) قبل ذلك (قد أخذ) الله (ميثاقكم) بقوله (ألست بربكم)  
 أو بما ركب فيكم من العقول ، ومكنكم من النظر في الأدلة . فإذا لم تبق لكم علة بعد أدلة  
 العقول وتنبه الرسول ، فما لكم لا تؤمنون (إن كنتم مؤمنين) لموجب ما ؟ فإن هذا الموجب  
 لا مزيد عليه . (أخذ ميثاقكم) أبو عمرو .

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ  
النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ <sup>(١)</sup> وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ  
قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ أَوْلَادَكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ  
بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ <sup>(٢)</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ <sup>(٣)</sup>

(١) هو الذي ينزل على عبده (محمد صلى الله عليه وسلم) آيات بينات (يعنى القرآن) ليخرجكم من الظلمات إلى النور أو محمد بدعوته (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (وإن الله بكم لرؤوف بالمد والهمزة ، حجازى وشامى وحفص . الرأفة أشد الرحمة .

(٢) (ومالكم) فى (ألتنفقوا فى سبيل الله والله ميراث السموات والأرض) يرث كل شىء فىهما لا يبقى منه باقى لأحد من مال وغيره . يعنى وأى غرض لكم فى ترك الإنفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم . وهو من أبلغ البعث على الإنفاق فى سبيل الله . ثم بين التفاوت بين المتفقين منهم فقال (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أى فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، ومن أنفق من بعد الفتح . حذف لأن قوله (من الذين أنفقوا من بعد) يدل عليه . (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح — (و) هم (السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) الذين قال فىهم النبي صلى الله عليه وسلم "لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدأ أحدهم ولا نصيفه" — (أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا) أى كل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات . (وكلا) مفعول أول لوعده . و (الحسنى) مفعول ثان . (وكل) شامى أى (وكل وعد) (الله الحسنى) : نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق فى سبيل الله . ونيه دليل على فضله وتقدمه .

(٣) فيجاز بكم على قدر أعمالكم .

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ <sup>(١)</sup> وَلَهُ <sup>(٢)</sup> أَجْرٌ كَرِيمٌ <sup>(٣)</sup>  
يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ <sup>(٤)</sup>  
بُشْرًا كَمَا الِیَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ <sup>(٥)</sup>  
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ <sup>(٦)</sup> يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا <sup>(٧)</sup>  
أَنْظِرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup>

(١) بطيب نفسه. والمراد الإنفاق في سبيله. واستعير لفظ القرض ليدل على الترام الجزاء  
(٢) أى يعطيه أجره على إنفاقه أضعافا مضاعفة من فضله. (فيضعفه) مكى (فيضعفه)  
شامى (فيضاعفه) عاصم وسهل (فيضاعفه) غيرهم. فالنصب على جواب الاستفهام والرفع  
على فهو يضاعفه، أو عطف على (يقرض).

(٣) أى وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف (كريم) فى نفسه.

(٤) ظرف لقوله (وله أجر كريم) أو منصوب بإضمار اذ كر تعظيما لذلك اليوم.

(٥) يضى (نورهم) نور التوحيد والطاعات. وإنما قال (بين أيديهم وبأيمنهم) لأن  
السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم  
فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا، وبصحائفهم البيص  
أفلحوا. فإذا ذهب بهم إلى الجنة وصروا على الصراط يسعون، سعى بسعيهم ذلك النور، وتقول  
لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات) أى دخول جنات لأن البشارة تقع بالأحداث دون الجنث.  
(٦) هو بدل من (يوم ترى).

(٧) أى انتظرونا لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة. (أنظرونا) حمزة من النظرة.

وهى الإمهال. جعل أتادهم فى المضى إلى أن يلحقوا بهم إنظارا لهم.

(٨) نصب منه. وذلك أن يلحقوا بهم فيستنبروا به.

(٩) طرد لهم ونهكم بهم. أى تقول لهم الملائكة أو المؤمنون (ارجعوا) إلى الموقف إلى

حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس. أو (ارجعوا) إلى الدنيا (فالتمسوا نورا)  
بتحصيل سببه وهو الإيمان.

فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُٗ بِابٍٓ بَاطِنُهُٗ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُٗ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ <sup>(١)</sup> يَنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ <sup>(٢)</sup> فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبئسَ الْمَصِيرُ <sup>(٣)</sup> أَلَمْ يَأْنِ <sup>(٤)</sup>

(١) (فضرب) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بمخاطب حائل بين شق الجنة وشق النار — قيل هو الأعراف — (له) لذلك السور (باب) لأهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أو الباب . وهو الشق الذي يلي الجنة (فيه الرحمة) أى النور أو الجنة (وظاهره) ما ظهر لأهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) أى الظلمة أو النار .

(٢) أى ينادى المنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) يريدون مرافقتهم فى الظاهر (قالوا) أى المؤمنون (بلى) ولكنكم فتنتم أنفسكم) محتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتهم) وشككتهم فى التوحيد (وغرَّتكم الأمانى) طول الآمال، والطمع فى امتداد الأعمار (حتى جاء أمر الله) أى الموت (وغرَّتكم بالله الغرور) وغرَّتكم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم ، أو بأنه لا بعث ولا حساب .

(٣) (لا تؤخذ) — بالتاء شامى — (منكم) أيها المنافقون (فدية) ما يشتدى به (ولامن الذين كفروا. مأواكم النار) مرجعكم . (هى مولاكم) هى أولى بكم . وحقيقة (مولاكم) محراكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم أى مكان لقول القائل إنه لكرم . (وبئس المصير) النار .

(٤) من أنى الأمر يانى إذا جاء إناه أى وقته . قيل كانوا مجدين بمكة . فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة . فقتروا عما كانوا عليه . فنزلت . وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين . وعن أبى بكر رضى الله عنه إن هذه الآية قرئت بين يديه وعندده قوم من أهل ايمامة فبكوا بكاء شديدا . فنظر إليهم فقال هكذا نحا حتى قست القلوب .

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَحْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِدِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا  
كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ  
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٤﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ  
بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ  
وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٩﴾

(١) (نزل) بالتخفيف، نافع وحفص. الباقون (نزل). و(ما) بمعنى الذي. والمراد بالذكر  
(وما نزل من الحق) القرآن. لأنه جامع للأمرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء.  
(٢) القراءة بالياء عطف على (تحشع). وبالطاء ورش على الالتفات. ويجوز أن يكون  
نهيها لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا. وذلك أن بني إسرائيل كان  
الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم.  
فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة، واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف  
وغيره.

(٣) (فطال عليهم) الأجل أو الزمان (فقست قلوبهم) باتباع الشهوات.

(٤) خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين. أى وقليل منهم مؤمنون.

(٥) قيل هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب وأنه يبيها كما يحيي الغيث الأرض.

(٦) بتشديد الدال وحده، مكى وأبو بكر. وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا

الله ورسوله. . . . . . الباقون بتشديد الصاد والدال. وهو اسم فاعل من تصدق  
فأدغمت التاء في الصاد. وقرئ على الأصل.

(٧) هو عطف على معنى الفعل في (المصدقين) لأن اللام بمعنى الذين واسم الفاعل

بمعنى الفعل وهو اصدقوا. كأنه قيل (إن) الذين اصدقوا (وأقروا). والقرض الحسن أن يتصدق  
من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة.

(٨) (يضعف) مكى وشامى.

(٩) أى الجنة.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١﴾  
 أَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٢﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

(١) يريد أن المؤمنين بالله ورسوله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء — وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله — (لهم أجرهم ونورهم) أى مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم . ويجوز أن يكون (والشهداء) مبتدأ و (لهم أجرهم) خبره .

(٢) (اعلموا أن الحياة الدنيا لعب) كلعب الصبيان ، (ولهو) كلهو الفتيان ، (وزينة) كزينة النسوان ، (وتفاخر بينكم) كتفاخر الأقران ، (وتكاثر) كتكاثر الدهقان (في الأموال والأولاد) أى مباحة بهما — والتكاثر ادعاء الاستكثار — (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً) بعد خضرته (ثم يكون حطاماً) متفتتاً . شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها ، بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوى وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات . فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاماً ، عقوبة لهم على جمودهم ، كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنة . وقيل الكفار الزراع . (وفي الآخرة عذاب شديد) للكفار (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين . يعنى أن الدنيا وما فيها ليست إلا من محقرات الأمور . وهى اللعب والهوى والزينة والتفاخر والتكاثر . وأما الآخرة فها هى إلا أمور عظام . وهى العذاب الشديد ، والمغفرة والرضوان من الله الحميد . والكاف في (كمثل غيث) فى محل رفع على أنه خبر بعد خبر أى الحياة الدنيا مثل غيث . (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) لمن ركن إليها واعتمد عليها . قال ذو النون : "يا معشر المريرين



وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ  
 وَرُسُلِهِ <sup>(٢)</sup> ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ <sup>(٣)</sup>  
 مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ  
 مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ <sup>(٤)</sup> لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى  
 مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ <sup>(٥)</sup>

لا تطلبوا الدنيا . وإن طلبتموها فلا تحبوها . فإن الزاد منها ، والمقل في غيرها . ولما حقر  
 الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة ، بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك  
 وهي المغفرة المنتجية من العذاب الشديد ، والفوز بدخول الجنة ، بقوله (سابقوا) أى بالأعمال  
 الصالحة ( إلى مغفرة من ربكم ) . وقيل سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم في المضمار .

<sup>(١)</sup> قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الأرضين . وذكر العرض دون الطول  
 لأن كل ما له عرض وطول فإن عرضه أقل من طوله . فإذا وصف عرضه بالبسطة عرف  
 أن طوله أبسط . أو أريد بالعرض البسطة . وهذا ينفي قول من يقول إن الجنة في السماء الرابعة  
 لأن التي في إحدى السموات لا تكون في عرض السموات والأرض .

<sup>(٢)</sup> وهذا دليل على أنها مخلوقة .

<sup>(٣)</sup> ( ذلك ) الموعود من المغفرة والجنة ( فضل الله يؤتيه من يشاء ) وهم المؤمنون . وفيه  
 دليل على أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله ( والله ذو الفضل العظيم ) .

<sup>(٤)</sup> بين أن كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله ( ما أصاب من مصيبة في الأرض )  
 من الجذب وآفات الزروع والثمار — وقوله ( في الأرض ) في موضع الجر أى ( ما أصاب  
 من مصيبة ) ثابتة ( في الأرض ) — ( ولا في أنفسكم ) من الأمراض والأوصاب وموت الأولاد ( إلا  
 في كتاب ) في اللوح — وهو في موضع الحال — أى إلا مكتوبا في اللوح ( من قبل أن نبرأها )  
 من قبل أن نخلق الأنفس ( إن ذلك ) إن تقدير ذلك وإثباته في كتاب ( على الله يسير ) وإن كان

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ  
الْحَمِيدُ (١) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ (٢)

عسيرا على العباد. ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (ليكلا تأسوا) تحزنوا حزنا يطغىكم (على ما فاتكم) من الدنيا وسعتها. أو من العافية وصحتها (ولانفروا) فرح المختال الفخور (بما آتاكم) أعطاكم. من الإيتاء. أبو عمرو (آتاكم) أى جاءكم. من الإتيان. يعنى أنكم إذا علمتم أن كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل آساكم على الفسائت وفرحكم على الآتى. لأن من علم أن ما عنده مضمود لا محالة لم يتفاهم جزعه عند فقدده لأنه وطن نفسه على ذلك. وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نياله. وليس أحد إلا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به. ولكن ينبغى أن يكون الفرح شكرا، والحزن صبرا. وإتما يذم من الحزن الجزع المنافى للصبر، ومن الفرح الأشتر المطغى الملهى عن الشكر. (والله لا يحب كل مختال فخور) لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه، اختال وافترحه وتكبر على الناس.

(١) (الذين) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من (كل مختال فخور). كأنه قال (لا يحب) الذين يبخلون. يريد الذين يفرحون الفرح المطغى إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبتهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به.

(٢) ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم فى الإمساك.

(٣) (ومن) يعرض عن الإنفاق أو عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الأسى على الفسائت والفرح بالآتى (فإن الله هو الغنى) عن جميع المخلوقات — فكيف عنه؟ — الحميد) فى أفعاله. (فإن الله الغنى) بترك (هو) مدنى وشامى.

(٤) يعنى أرسلنا الملائكة إلى الأنبياء (بالبينات) بالمجيب والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى الوحي. وقيل الرسل الأنبياء. والأول أولى، لقوله (معهم). لأن الأنبياء ينزل عليهم الكتاب.

وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ <sup>(١)</sup> وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ  
لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ <sup>(٢)</sup>  
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ <sup>(٣)</sup>  
فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ <sup>(٤)</sup> ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ <sup>(٥)</sup>

(١) روى أن جبريل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال مر قومك ينزوا به (ليقوم الناس) ليتعاملوا بينهم بإيحاء واستيفاء (بالقسط) بالعدل ولا يظلم أحد أحدا .

(٢) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميعة والمطرقة والإبرة . وروى معه المتر والمسحاة . وعن الحسن ( وأنزلنا الحديد ) خلقناه ( فيه بأس شديد ) وهو القتال به ( ومنافع للناس ) في مصالحهم ومعاشهم وصنائعهم . فما من صناعة إلا (و) الحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد ( ليعلم الله من ينصره ورسله ) باستعمال السيوف والرمح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين . وقال الزجاج ( ليعلم الله ) من يقاتل مع رسوله في سبيله ( بالغيب ) غائبا عنهم ( إن الله قوي ) يدفع بقوته ، بأس من يعرض عن ملته ( عزيز ) يربط بعزته جأش من يتعرض لنصرته

والمناسبة بين هذه الأشياء الثلاثة أن الكتاب قانون الشريعة ودستور الأحكام الدينية ، يبين سبل المرشد والعهود ، ويتضمن جوامع الأحكام والحدود ، ويأمر بالعدل والإحسان ، وينهى عن البغي والطغيان ، واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم إنما يقع بآلة يقع بها التعامل ، ويحصل بها التساوى والتعادل . وهي الميزان . ومن المعلوم أن الكتاب الجامع للأوامر الإلهية ، والآلة الموضوع للتعامل بالتسوية ، إنما تحض العاقمة على اتباعهما بالسيف ، الذي هو حجة الله على من جحد وعند ، ونزع عن صفقة الجماعة اليد . وهو الحديد ، الذي وصف بالبأس الشديد .  
(٣) خصا بالذكر لأنهما أبوان لآل نبياء عليهم السلام . ( وجعلنا في ذريتهما ) أولادهما ( النبوة والكتاب ) الوحي . وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخط بالقلم . يقال كتب كتابا وكتابة .  
(٤) فن الذرية أو المرسل إليهم - وقد دل عليهم ذكر الإرسال والمرسلين - ( مهتد وكثير منهم فاسقون ) . هذا تفصيل لحالم . أى ( فمنهم ) من اهتدى باتباع الرسل و ( منهم ) من فسق أى خرج عن الطاعة . والغلبة للفساق .

(٥) أى نوح وإبراهيم ومن مضى من الأنبياء .

بُرْسِلْنَا وَقَفِينَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَعَاثَيْنَهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ  
 الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً<sup>(١)</sup> ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ  
 رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ  
 وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ<sup>(٢)</sup> يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَعَاْمِنُوا بِرَسُولِهِ  
 يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ<sup>(٣)</sup>

(١) (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) مودة ولينا (ورحمة) تعطفنا على إخوانهم كما قال  
 في صفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (رحماء بينهم) .

(٢) (ورهبانية) هي ترهبهم في الجبال فاترين من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة . وهي  
 الفعلة المنسوبة إلى الرهبان . وهو الخائف . فعلان من رهب ، تخشيان من خشى . وانتصاها  
 بفعل مضمر بفسره الظاهر تقديره (و) ابتدعوا (رهبانية ابتدعوها) أى أخرجوها من عند  
 أنفسهم ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضا نحن عليهم (إلا ابتغاء رضوان الله) استثناء .  
 منقطع . أى ولكنهم ابتدعوها (ابتغاء رضوان الله) فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناظر  
 رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحل نكثه .

(٣) أى أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام أو الذين آمنوا بمحمد صلى الله  
 عليه وسلم (وكثير منهم فاسقون) الكافرون .

(٤) الخطاب لأهل الكتاب . (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم) الله  
 (كفلين) نصيبين (من رحمته) لإيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وإيمانكم بمن قبله (ويجعل لكم)  
 يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور في قوله (يسعى نورهم) الآية (ويغفر لكم)  
 ذنوبكم .

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ لَيْسَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ  
 مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ <sup>(١)</sup> وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ  
 الْعَظِيمِ <sup>(٢)</sup>

(١) ليعلم (أهل الكتاب) الذين لم يساموا - و (لا) مزيدة - (أن لا يقدرُونَ). (أن) مخففة  
 من الثقلية أصله أنه (لا يقدرُونَ). . يعنى أن الشأن (لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله) أى  
 لا ينالون شيئاً كما ذكر من فضل الله من الكفيلين والنور والمغفرة لأنهم لم يؤمنوا برسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلاً قط .

(٢) (وَأَنَّ الْفَضْلَ) - عطف على (أَن لا يقدرُونَ) - (بيد الله) أى فى ملكه  
 وتصرفه (يؤتيه من يشاء) من عباده (والله ذو الفضل العظيم) . والله أعلم .

## سورة المجادلة مدنية

وهي اثنان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ  
تَحَاوُرَ كَمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ (٢)

(١) تحاورك . وقرئ بها . وهي خولة بنت ثعلبة ، امرأة أوس بن الصامت ، أخت عبادة .  
رأها وهي تصلي . وكانت حسنة الجسم . فلما سأمت راودها ، فأبت فغضب ، فظاهر منها .  
فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت إن أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب في . فلما خلا  
سنني ووثرت بطني - أي كثر ولدي - جعلني عليه كأمه . وروى أنها قالت إن لي صبوية صغارا  
إن ضممتهم إليهم ضاعوا ، وإن ضممتهم إلي جاؤا . فقال صلى الله عليه وسلم ما عندي في أمرك  
شيء . وروى أنه قال لها حرمت عليه . فقالت يا رسول الله ماذا كرت طلاقا . وإنما هو أبو ولدي  
وأحب الناس إلي . فقال حرمت عليه . فقالت أشكو إلى الله فاقني ووجدني . كلما قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم "حرمت عليه" ، هتفت وشكت ، فنزلت .

(٢) في شأنه ومعناه .

(٣) تظهر ما بها من المكروه .

(٤) مراجعتكما الكلام . من حار إذا رجع .

(٥) (إن الله سميع) يسمع شكوى المضطر (بصير) بحاله .

(٦) (يظَاهِرُونَ) عاصم (يظَاهِرُونَ) حجازي وبصري . فيهم (يظَاهِرُونَ) . وفي (منكم)  
تو بئخ للعرب لأنه كان من إيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم .

(٧) زوجاتهم .

مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ <sup>(١)</sup> إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا  
 مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ <sup>(٢)</sup> وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ  
 نِسَائِهِمْ <sup>(٣)</sup> ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ <sup>(٤)</sup> مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا <sup>(٥)</sup>

(١) (أُمَّهَاتِهِمْ) المنفصل . الأول مجازي والثاني تيمى .

(٢) يريد أن الأمهات على الحقيقة الوالدات . والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة  
 الرضاع . وكذا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمتهن . وأما الزوجات فأبعدشء  
 من الأمومة . فلذا قال ( وإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ ) تنكره الحقيقة والأحكام الشرعية  
 ( وزورا ) وكذبا باطلا منحرفا عن الحق ( وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ) لما سلف منهم .

(٣) بين في الآية الأولى أن ذلك من قائله منكر وزور . وبين في الثانية حكم الظهار .

(٤) العود الصيرورة ابتداء أو بناء . فن الأول قوله تعالى ( حتى عاد كالعرجون القديم )  
 ومن الثاني ( وإن عدتم عدنا ) . ويعتدى بنفسه كقولك عدته إذا أتمته وصرت إليه ،  
 وبحرف الجر بىلى وعلى وفى واللام كقوله ( ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ) ومنه ( ثم يعودون  
 لما قالوا ) أى ( يعودون لـ ) نقض ( ما قالوا ) أو لتداركه على حذف المضاف . وعن ثعلبة  
 ( يعودون ) لتحليل ما حرّموا على حذف المضاف أيضا . غير أنه أراد بما قالوا ما حرّموه  
 على أنفسهم بلفظ الظهار ، تنزيلا للقول منزلة المقول فيه ، كقوله ( وزنه ما يقول ) أراد المقول فيه  
 وهو المسال والولد . ثم اختلفوا أن النقص بما ذا يحصل ؟ فنحننا بالعزم على الوطء وهو قول  
 ابن عباس والحسن وقتادة . وعند الشافعى بمجرد الإمساك . وهو ألا يطلقها عقيب الظهار .

(٥) فعليه إعتاق رقبة مؤمنة أو كافرة . ولم يميز المدبر وأم الولد والمكاتب الذى أدى شيئا .

(٦) الضمير يرجع إلى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها . والمماسة الاستمتاع  
 بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر إلى فرجها بشهوة .

ذَلِكَ تَوْعُظُونَ بِهِ<sup>(١)</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠٠﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ  
 مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ  
 لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>(٣)</sup> وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ<sup>(٤)</sup>  
 إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ<sup>(٥)</sup>

(١) (ذلکم) الحکم (توعظون به) لأن الحکم بالكفارة دليل على ارتكاب الجنایة .  
 فيجب أن تتعظوا بهذا الحکم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتحافوا عقاب الله عليه .

والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمي . وإذا وضع موضع أنت عضوا  
 منها يعبر به عن الجملة ، أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر إليه من الأتم كالبطن والفخذ ،  
 أو مكان الأتم ذات رحم محرم منه بنسب أو رضاع أو صهر أو جماع — نحو أن يقول أنت  
 على كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أم امرأتي أو ابنتها —  
 فهو مظاهر . وإذا امتنع المظاهر من الكفارة ، للمرأة أن ترفعه . وعلى القاضی أن يجبره على أن  
 يكفر وأن يحبسه . ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار . لأنه يضرب  
 بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع . فإن مس قبل أن يكفر استغفر الله ولا يعود حتى  
 يكفر . وإن أعتق بعض الرقبة ثم مس ، عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رضي الله عنه .

(٢) (فمن لم يجد) الرقبة (ف) عليه (صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) فمن لم  
 يستطع (الصيام) (ف) عليه (إطعام ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع  
 من غيره . ويجب أن يقدمه على المسيس . ولكن لا يستأنف إن جامع في خلال الإطعام .

(٣) (ذلك) البيان والتعليم للأحكام (لتؤمنوا) لتصدقوا (بالله ورسوله) في العمل  
 بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم .

(٤) (وتلك) الأحكام التي وصفنا في الظهار والكفارة (حدود الله) التي لا يجوز تعديها  
 (وللكافرين) الذين لا يتبعونها (عذاب أليم) مؤلم .

(٥) (إن الذين) يعادون ويتشاقون (الله ورسوله كبتوا) أجزوا وأهلكوا (كما كبت  
 الذين من قبلهم) من أعداء الرسل .



وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ  
 اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
 شَهِيدٌ ﴿٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ  
 مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ  
 ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٤﴾

(١) (وقد أنزلنا آيات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزيم وكبرهم .

(٢) (يوم) — منصوب بهمين، أو باضمار اذكر، تعظيما لليوم — (يبعثهم الله جميعا) كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) تنجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يمتنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد .  
 (٣) أحاط به عددا لم يفته منه شيء (ونسوه) لأنهم تهاونوا به حين ارتكبه وإتسا تحفظ معظمت الأمور (والله على كل شيء شهيد) لا يغيب عنه شيء .

(٤) (ما يكون) من كان الناقمة. أى ما يقع (من نجوى ثلاثة) — النجوى التناجى . وقد أضيفت إلى ثلاثة — أى (من نجوى ثلاثة) نفر (الآ هو) أى الله (رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى) ولا أقل (من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم) يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه — وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا — (أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) فيجازيهم عليه .

وتخصيص الثلاثة والخمسة لأنها نزلت في المنافقين . وكانوا يتحلقون للتناجى مغاظة للمؤمنين على هذين العديدين . فقبل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة (ولا أدنى من) عدديهم (ولا أكثر) إلا والله معهم يسمع ما يقولون . ولأن أهل التناجى في العادة طائفة من أهل الرأى والتجارب . وأول عددهم الاثنان فصاعدا إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته الحال . فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال (ولا أدنى من ذلك) فدل على الاثنان والأربعة، وقال (ولا أكثر) فدل على ما يقارب هذا العدد .

إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ  
 لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ  
 حَيُّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ<sup>(٢)</sup> وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا  
 نَقُولُ حَسِبْتُمْ جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا  
 تَنَجَّجْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّجُوا بِالْبِرِّ  
 وَالتَّقْوَى وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٤﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنْ  
 الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ<sup>(٥)</sup>

(١) كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين  
 ويريدون أن يغيظوهم ويوهموهم في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم ظلوا وأن أقاربهم قتلوا .  
 ففهام رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعادوا لمثل فعلهم . وكان تناجيهم بما هو إثم  
 وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته . ( ويتنجون ) حمزة وهو بمعنى الأول .  
 (٢) يعنى أنهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد . والسام الموت . والله تعالى يقول  
 (وسلام على عباده الذين اصطفى) ويا أيها الرسول ويا أيها النبي .

(٣) أى يقولون فيما بينهم لو كان نبياً لعاقبنا الله بما نقوله . فقال الله تعالى ( حسبهم  
 جهنم ) عذابا ( يصلونها ) حال أى يدخلونها ( فبئس المصير ) المرجع ، جهنم .

(٤) ( يا أيها الذين آمنوا ) بألسنتهم وهو خطاب للمنافقين . والظاهر أنه خطاب للمؤمنين .

(٥) أى ( إذا تناجيتم ) فلا تشبهوا باليهود والمنافقين في تناجيهم بالشر ( وتناجوا بالبر ) بأداء  
 الفرائض والطاعات ( والتقوى ) وترك المعاصي ( وآتقوا الله الذى إليه تحشرون ) للحساب  
 فيجازيكم بما تناجون به من خير أو شر . ( إنما النجوى ) بالإثم والعدوان ( من الشيطان )  
 من تزيينه ( ليحزن ) - أى الشيطان . وبضم الياء نافع - ( الذين آمنوا وليس ) الشيطان  
 أو الحزن ( بضارهم شيئا إلا بإذن الله ) بعلمه وقضائه وقدره .

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ <sup>(١)</sup> يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا  
فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ <sup>(٢)</sup> وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ <sup>(٣)</sup> وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ <sup>(٤)</sup>

(١) أى يكون أمرهم إلى الله ويستعينون به من الشيطان .

(٢) ( إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس ) توسعوا فيه - ( في المجالس ) عاصم ونافع .  
والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانوا يتضامون فيه تنافسا على التقرب منه  
وحرصا على استماع كلامه . وقيل هو المجلس من مجالس القتال ، وهى مراكر الغزاة .  
كقوله ( مقاعد للقتال ) . مقاتل : في صلاة الجمعة - ( فافسحوا ) فوسعوا .

(٣) مطلق في كل ما يتبغى الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير  
ذلك .

(٤) ( وإذا قيل ) انهمضوا للتوسعة على المقبلين - أو انهمضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم  
إذا أمرتم بالنهوض عنه . أو انهمضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير - ( فأنشروا ) - بالضم - فيهما مدنى  
وشامى وعاصم غير حماد - ( يرفع الله الذين آمنوا منكم ) بامثال أو امره وأوامر رسوله ( والذين  
أوتوا العلم ) والعالمين منهم خاصة ( درجات ) . وفي الدرجات قولان . أحدهما في الدنيا في المرتبة  
والشرف ، والآخر في الآخرة . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان إذا قرأها قال : " يا أيها  
الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم " . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : " فضل العالم على  
العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب " . وعنه صلى الله عليه وسلم " عبادة العالم  
يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة " . وعنه صلى الله عليه وسلم " يشفع يوم القيامة ثلاثة  
الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء " . فأعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : " خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال  
والملك ، فاختار العلم . فأعطى المال والملك معه " . وقال صلى الله عليه وسلم : " أوحى الله إلى  
إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم نى عليم أحب كل عليم " . وعن بعض الحكماء : " ليت شعرى  
أى شىء أدرك من فاته العلم ؟ وأى شىء فات من أدرك العلم ؟ " وعن الزبيرى : " العلم ذكرفلا  
يحببه إلا ذكورة الرجال " . والعلوم أنواع فأشرفها وأشرفها معلوما .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةٌ<sup>(١)</sup>  
 ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>(٢)</sup> ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ  
 تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا<sup>(٣)</sup>  
 الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ<sup>(٤)</sup>

(١) إذا أردتم مناجاته (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أى قبل نجواكم . وهى استعارة  
 ممن له يدان . كقول عمر رضى الله عنه "من أفضل ما أوتيت العرب ، الشعر يقدمه الرجل  
 أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستترل به اللئيم" يريد قبل حاجته .

(٢) (ذلك) التقديم (خير لكم) فى دينكم (وأطهر) لأن الصدقة طهرة . (فإن لم تجدوا)  
 ما تتصدقون به (فإن الله غفور رحيم) فى ترخيص المناجاة من غير صدقة . قيل : كان ذلك  
 عشر ليال ثم نسخ . وقيل : ما كان إلا ساعة من نهار ثم نسخ . وقال على رضى الله عنه :  
 "هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلى ، ولا يعمل بها أحد بعدى . كان لى دينار فصرفته .  
 فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم ، وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فأجابنى  
 عنها . قلت يارسول الله ما الوفاء ؟ قال التوحيد وشهادة لا إله إلا الله . قلت وما الفساد ؟  
 قال الكفر والشرك بالله . قلت وما الحق ؟ قال الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك .  
 قلت وما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة . قلت وما على ؟ قال طاعة الله وطاعة رسوله . قلت  
 وكيف أدعو الله تعالى ؟ قال بالصدق واليقين . قلت وماذا أسأل الله ؟ قال العافية . قلت  
 وما أصنع لنجاة نفسى ؟ قال : كل حلالا ، وقل صدقا . قلت وما السرور ؟ قال الجنة .  
 قلت وما الراحة ؟ قال لقاء الله . فلما فرغت منها نزل نسخها" .

(٣) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق الذى تكرهونه ؟

(٤) (فإذ لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم (وتاب الله عليكم) أى خفف عنكم وأزال  
 عنكم المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذة بالذنب عن التائب عنه (فأقيموا  
 الصلوة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) أى فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات  
 والله خبير بما تعملون) وهذا وعد ووعيد .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ  
 عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ  
 مُّهِينٌ ﴿٥﴾ لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ  
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ  
 كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٧﴾

(١) كان المنافقون يتولون اليهود - وهم الذين غضب الله عليهم في قوله (من لعنه الله وغضب عليه) - وينقلون إليهم أسرار المؤمنين .

(٢) (ما هم منكم) يامسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود . كقوله (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) .

(٣) أى يقولون والله إنا لمسلمون لا منافقون (وهم يعلمون) أنهم كاذبون منافقون .

(٤) نوعا من العذاب متفاقما .

(٥) (لأنهم) كانوا في الزمان الماضى مصرتين على سوء العمل . أو هى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة .

(٦) (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فصدوا) الناس فى خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والإيمان به .

(٧) وعدهم العذاب المخزى لكفرهم وصدتهم كقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب) .

(٨) (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من) عذاب (الله شيئا) قليلا من الإغناء .

(٩) (فيحلفون له) أى لله فى الآخرة أنهم كانوا مخلصين فى الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا على ذلك (ويحسبون أنهم) فى الدنيا (على شيء) من النفع . أو يحسبون أنهم على شيء من النفع ثم بأيمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا . (ألا إنهم هم الكاذبون) حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة .

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ <sup>(١)</sup> أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ <sup>(٢)</sup>  
 الْآيَةَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ <sup>(٣)</sup> إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ <sup>(٤)</sup> أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى <sup>(٥)</sup> كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي  
 إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ <sup>(٦)</sup> لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
 يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ  
 أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ <sup>(٧)</sup>

(١) استولى عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله. قال شاه الكرمانى "علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشارب والملابس، ويشغل قلبه عن التفكير في آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها، ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان، ويشغل لبه عن التفكير والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها".

(٢) جنده .

(٣) في جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذل منهم .

(٤) (كتب الله) في اللوح (لأغلبن أنا ورسلي) بالهجة والسيف أو بأحدهما (إن الله قوي) لا يمتنع عليه ما يريد (عزيز) غالب غير مغلوب .

(٥) (يوادون) — هو مفعول ثان لتجد. أو حال أو صفة لقوما. و (تجد) بمعنى تصادف على هذا — (من حاد الله) خالفه وعاداه (ورسوله) . أى من الممتنع أن يتجد قوما مؤمنين يوالون المشركين . والمراد أنه لا ينبغي أن يكون ذلك . وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال . مبالغة في الزجر عن ملاسته والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم . وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) ، وبقوله (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) أى أثبتته فيها ، وبمقابلة قوله (أولئك حزب الشيطان) (أولئك حزب الله) .

وَأَيُّهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
 فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ  
 الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾

(١) أى بكتاب أنزله ، فيه حياة لهم . ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أى (روح) من الإيمان ، على أنه فى نفسه روح ، حياة القلوب به .

وعن الثورى أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب الساطان . وعن عبد العزيز ابن أبى رواد أنه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه . وتلاها . وقال سهل "من صحح إيمانه وأخلص توحيدده فإنه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسده ويظهر له من نفسه العداوة . ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن . ومن أجاب مبتدعا لطاب عز الدنيا أو غناها أذله الله بذلك العز وأفقره بذلك الغنى . ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه . ومن لم يصدق فليجرب" .

(٢) (رضى الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بشوابه الجسيم فى الآخرة أو بما قضى عليهم فى الدنيا .

(٣) أنصار حقه ودعاة خلقه .

(٤) الباقون فى النعم المقيم ، الفائزون بكل محبوب ، الآمنون من كل مرهوب .

## سورة الحشر مدنيّة

وهي أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ <sup>(١)</sup>  
 هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ <sup>(٢)</sup>

(١) روى أن هذه السورة نزلت بأسرها في بني النضير . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا يكونوا عليه ولاله . فلما ظهر يوم بدر ، قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة . فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابو ونكتوا . فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا إلى مكة . مخالف أبا سفيان عند الكعبة . فأمر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعبا غيلة . ثم خرج صلى الله عليه وسلم مع الجيش إليهم فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة . وأمر بقطع نخيلهم . فلما قذف الله الرعب في قلوبهم طلبوا الصلح . فأبى عليهم إلا الجلاء ، على أن يجعل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من متاعهم . فخلوا إلى الشام إلى أريحاء وأذرعاء .

(٢) يعني (أخرج) يهود بنو النضير (من ديارهم) بالمدينة . واللام في (لأول الحشر) تتعلق بأخرج . وهي اللام في قوله تعالى (باليثني قدمت حياتي) وقولك جئت لوقت كذا . أي أخرج الذين كفروا عند أول الحشر . ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشام . وكانوا



مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ <sup>(٢)</sup>  
فَأْتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ <sup>(٤)</sup>

من سبط لم يصيبهم جلاء قط . وهم أول من أخرج من أهل الكآب من جزيرة العرب إلى الشام . أو هذا أول حشرهم . وآخر حشرهم إجماع عمر إياهم من خيبر إلى الشام . أو آخر حشرهم حشر يوم القيامة . قال ابن عباس رضى الله عنهما من شك أن الحشر بالشام فليقرأ هذه الآية . فهم الحشر الأول وسائر الناس الحشر الثانى . وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخرجوا : " امضوا فإنكم أول الحشر ونحن على الأثر " . قتادة : " إذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس إلى أرض الشام وبها تقوم عليهم القيامة " . وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ( ما ظنتم أن يخرجوا ) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقه حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم .

(٢) أى ( ظنوا ) أن حصونهم تمنعهم من بأس الله . والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذى جاء عليه أن فى تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم ، وفى تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى مغازاتهم . وليس ذلك فى قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم .

(٣) أى ( فاتاهم ) أمر الله وعقابه . وفى الشواذ ( فاتاهم الله ) أى فاتاهم الهلاك ( من حيث لم يحتسبوا ) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم . وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف فرزة على يد أخيه رضاعا .

(٤) الخوف .

يُحْرَبُونَ بِيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾  
 وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ  
 عَذَابٌ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ  
 اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا ﴿٥﴾

(١) (يُحْرَبُونَ) أبو عمرو . والتخريب والإحراق والإفساد بالنقض والهدم . والخربة  
 الفساد . وكانوا يحربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وألا  
 تبقى لهم بالمدينة دار ، ولا منهم ديار . والذي دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب  
 والمجارة ليستدوا بها أفواه الأزقة ، وألا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين ،  
 وأن ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم من جيد الخشب والساج . وأما المؤمنون فداعيتهم إلى  
 التخريب إزالة متحصنهم ، وأن يتسع لهم مجال الحرب . ومعنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين  
 أنهم لما عرضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمرهم به وكلفوهم إياه .

(٢) أى فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذى استحقوا به ذلك . فاحذروا أن تفعلوا  
 مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم . وهذا دليل على جواز القياس .

(٣) (واولوا أن كتب الله عليهم) الخروج من الوطن مع الأهل والولد (لعذبهم في الدنيا)  
 بالقتل والسبي كما فعل بنى قريظة (ولهم) سواء أجلوا أو قتلوا (في الآخرة عذاب النار)  
 الذى لا أشد منه .

(٤) أى إنما أصابهم ذلك بسبب أنهم (شاقوا الله) خالفوه (ورسوله ومن يشاق الله)  
 ورسوله (فإن الله شديد العقاب) .

(٥) (من لينة) بيان لما قطعتم . ومحل (ما) نصب بقطعتم . كأنه قيل أى شئ (قطعتم) .  
 وأنت الضمير الراجع إلى (ما) فى قوله (أوتركتموها) لأنه فى معنى اللينة . واللينة النخلة ، من الألوان .  
 ويأؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها . وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين .

قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ  
رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ  
عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ  
الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿٤﴾

(١) فقطعها وتركها بإذن الله .

(٢) وليذل اليهود ويغظهم ، أذن في قطعها .

(٣) (وما) جعله فيئاً له خاصة (منهم) من بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل  
ولا ركاب) فلم يكن ذلك بإيجاف خيل أو ركاب منكم على ذلك . والركاب الإبل . والمعنى  
(فما أوجفتم) على تحصيله وتغذيته خيلاً ولا ركاباً ولا تعبت في القتال عليه . وإنما مشيتم إليه  
على أرجلكم لأنه على ميلين من المدينة . وكان صلى الله عليه وسلم على حمار فحسب .

(٤) يعني أن ما حوّل الله رسوله من أموال بنى النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة .  
ولكن ساطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسقط رسوله على أعدائهم . فالأمر فيه مفوض  
إليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهراً . فقسمها  
بين المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة منهم لفقيرهم .

(٥) إنما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى . فهي منها غير أجنبية عنها .  
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس  
من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة . وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال الآية  
الأولى نزلت في أموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة ؛ وهذه الآية في غنائم كل  
قرية تؤخذ بقوة الغزاة . وفي الآية بيان مصرف خمسها فهي مبتدأة .

كَيَّ لَا يَكُونُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ  
 وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ <sup>(٢)</sup> ﴿١٠٠﴾ لِلْفُقَرَاءِ  
 الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ  
 اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ <sup>(٤)</sup> وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ <sup>(٦)</sup> ﴿١٠١﴾

(١) (تكون دولة) يزيد، على كان التامة . والدولة والدولة ما يدول للإنسان أى يدور  
 من الحد. ومعنى قوله (كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) كى لا يكون الفى ، الذى حقه أن  
 يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها ، جدًا بين الأغنياء يتكاثرون به .

(٢) أى ما أعطاكم من قسمة غنيمة أو فىء (نخذوه) فاقبلوه (وما نهاكم عنه) عن أخذه  
 منها (فانتهاوا) عنه ولا تطلبوه (واتقوا الله) أن تخالفوه وتهاونوا بأوامره ونواهيهِ (إن الله  
 شديد العقاب) إن خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم . والأجود أن يكون داما فى كل  
 ما آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه . وأمر الفى داخل فى عمومهِ .

(٣) (للفقراء) — بدل من قوله (ولذى القربى) والمعطوف عليه . والذى منع الإبدال  
 من (لله وللرسول) وإن كان المعنى لرسول الله ، أن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء  
 فى قوله (وينصرون الله ورسوله) وأنه يرفع برسول الله عن التسمية بالفقير ، وأن الإبدال  
 على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عز وجل — (المهاجرين الذين أخرجوا  
 من ديارهم وأموالهم) بمكة . وفيه دليل على أن الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لأن  
 الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع أنه كانت لهم ديار وأموال .

(٤) (يبتغون) — حال — (فضلا من الله ورضوانا) أى يطلبون الجنة ورضوان الله .

(٥) أى (ينصرون) دين الله (و) يعينون (رسوله) .

(٦) (الصادقون) فى إيمانهم وجهادهم .

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ  
 فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ<sup>(٥)</sup>

(١) (والذين) معطوف على المهاجرين . وهم الأنصار (تبوءوا الدار) توطنوا المدينة (والإيمان) وأخلصوا الإيمان كقوله \* علفتها تبنا وماء باردا \* أو جعلوا الإيمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكّنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك . أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه .

(٢) من قبل المهاجرين ، لأنهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والإيمان . وقيل من قبل هجرتهم .

(٣) (يحبون من هاجر إليهم) حتى شاطروهم أموالهم وأنزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن إحداهما حتى تزوج بها رجل من المهاجرين .

(٤) (ولا يعلمون في أنفسهم) طلب محتاج إليه مما أوتي المهاجرون من الفئء وغيره . والمحتاج إليه يسمى حاجة . يعني أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح إلى شيء منه محتاج إليه . وقيل (حاجة) حسدا مما أعطى المهاجرون من الفئء حيث خصهم النبي صلى الله عليه وسلم به . (و) قيل (لا يجدون في صدورهم) مس (حاجة من) فقد (ما أوتوا) لحذف المضافان .

(٥) فقر . وأصلها خصاص البيت وهي فروجه . والجملة في موضع الحال . أى مفروضة خصاصتهم . روى أنه نزل برجل منهم ضيف فنوم الصبية وقرب الطعام وأطفا المصباح ليصبح ضيفه ولا يأكل هو . وعن أنس أهدى لبعضهم رأس مشوى وهو مجهود فوجهه إلى جاره فتداولته تسعة أنفس حتى عاد إلى الأول . أبو زيد قال لى شاب من أهل بلخ ما الزهد عنكم ؟ قلت إذا وجدنا أكلنا ، وإذا فقدنا صبرنا . فقال هكذا عندنا كلاب بلخ . بل إذا فقدنا صبرنا وإذا وجدنا أمرنا .

وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ<sup>(١)</sup> وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ<sup>(٢)</sup>  
يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا  
غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ<sup>(٣)</sup> أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ  
لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ  
وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ<sup>(٤)</sup>

(١) الظافرون بما أرادوا . والشح اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزرة حريصة على المنع .  
وأما البخل فهو المنع نفسه . وقيل الشح أكل مال أخيك ظلما . والبخل منع مالك . وعن  
كسرى الشح أضر من الفقر . لأن الفقير يتسع إذا وجد بخلاف الشحيح .

(٢) عطف أيضا على ( المهاجرين ) وهم الذين هاجروا من بعد . وقيل التابعون  
بإحسان . وقيل من بعدهم إلى يوم القيامة . قال عمر رضى الله عنه دخل في هذا الفء كل  
من هو مولود إلى يوم القيامة في الإسلام . بفعل الواو للعطف فيهما . وقرئ ( للذين ) فيهما .  
(٣) قيل هم المهاجرون والأنصار . عائشة رضى الله عنها "أمروا بأن يستغفروا لهم فسبواهم" .

(٤) ( ولا تجعل في قلوبنا ) حقا ( للذين آمنوا ) يعنى الصحابة . وقيل لسعيد بن المسيب  
"ما تقول في عثمان وطلحة والزبير ؟" قال "أقول ما قولنك الله" . وتلا هذه الآية .

(٥) تجب نيته . أى ( ألم تر ) يا محمد ( إلى ) عبد الله بن أبى وأشياعه ( يقولون )  
لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ( يعنى بنى النضير . والمراد أخوة الكفر ) ( لئن أخرجتم )  
من دياركم ( لنخرجن معكم ) . روى أن ابن أبى وأصحابه دسوا إلى بنى النضير حين حاصرهم  
النبي صلى الله عليه وسلم لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فجنح معكم لا نخذلكم ( و لئن  
أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم ) فى قتالكم ( أحدا أبدا ) من رسول الله والمسلمين  
إن حملنا عليه . أو فى خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصرة . ( وإن قوتلتم لننصرنكم والله  
يشهد أنهم لكاذبون ) فى مواعيدهم لليهود . وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغييب .

لِيَنْ أُنْحَرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلِيَنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَإِنْ نَصَرَهُمْ  
 لِيُؤَلِّمُوا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ ﴿١﴾ لَا أَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ  
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى  
 مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ  
 شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 ﴿٤﴾

(١) إنما قال (ولئن نصرهم) بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم ، على الفرض والتقدير.  
 كقوله (إن أشركت ليحبطن عملك). وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون.  
 والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزم المنافقون (ثم لا ينصرون) بعد ذلك . أى يهلكهم  
 الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم . أو لينهزم اليهود ثم لا ينفعهم نصره المنافقين .

(٢) أى أشد رهوبة . مصدر رهب المبنى للفعل . وقوله (في صدورهم) دلالة على  
 نفاقهم . يعنى أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأتم أهيب (في صدورهم من الله  
 ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) لا يعلمون الله وعظمتته حتى يخشوه حق خشيته .

(٣) لا يقدرُونَ على مقاتلتكم (جميعاً) - مجتمعين يعنى اليهود والمنافقين - (إلا) كائنين  
 (في قرى محصنة) بالحنادق والدروب (أو من وراء جدر) . (جدار) مكي وأبو عمرو .

(٤) يعنى أن البأس الشديد الذى يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا . ولو قاتلوكم لم  
 يبق لهم ذلك البأس والشدة لأن الشجاع يهين عند محاربة الله ورسوله .

(٥) (تحسبهم) أى اليهود والمنافقين (جميعاً) مجتمعين ذوى ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى)  
 متفرقة لا ألفة بينها . يعنى أن بينهم إحنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد . وهذا  
 تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم .

(٦) (ذلك) (التفرق) (بأنهم قوم لا يعقلون) أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم  
 ويعين على أرواحهم .

(٧) أى مثلهم كمثل أهل بدر . لخذف المبتدأ .

قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ<sup>(٢)</sup> كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ  
 لِلْإِنْسَانِ أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ  
 الْعَالَمِينَ<sup>(٣)</sup> فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ مُخَلَّدِينَ فِيهَا<sup>(٤)</sup> وَذَلِكَ جَزَاءُ  
 الظَّالِمِينَ<sup>(٥)</sup> يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ<sup>(٦)</sup>

(١) أى استفتروا ( من قبلهم ) زمنا ( قريبا ) .

(٢) ( ذاقوا ) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم . من قولهم كلاً\*  
 وبيل وخيم سيء العاقبة . يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا ( ولهم عذاب أليم ) أى ولهم  
 مع ذلك فى الآخرة عذاب النار .

(٣) أى مثل المنافقين فى إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إياهم النصر ثم متاركتهم  
 لهم وإخلافهم ، كمثل الشيطان إذ استغوى الإنسان بكيدته ثم تبرأ منه فى العاقبة . وقيل المراد  
 استغواؤه قريشا يوم بدر . وقوله لهم ( لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ) إلى قوله  
 ( إنى برىء منكم ) .

(٤) ( فكان ) عاقبة الانسان الكافر والشيطان ( أنهما فى النار خالدين فيها ) . ( عاقبتهما )  
 خبر ( كان ) مقدم . وأن مع اسمها وخبرها ، أى ( فى النار ) ، فى موضع الرفع على الاسم .  
 و ( خالدين ) حال .

(٥) ( اتقوا الله ) فى أوامره فلا تخالفوها .

(٦) نكر النفس تقليلا لئلا\* نفس النواظر فيما قدمن للآخرة .

(٧) يعنى يوم القيامة . سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له . أو عبر عن الآخرة بالغد .  
 كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد . وتنكيره لتعظيم أمره . أى ( لغد ) لا يعرف كنهه لعظمه .  
 وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمننا خسرنا ما خلقنا .



وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
 نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢﴾ لَا يَسْتَوِي  
 أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٣﴾  
 لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ  
 خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِنَّاسٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤﴾

(١) كَرَّرَ الْأَمْرَ بِالتَّقْوَى تَأْكِيدًا . أَوْ ( اتَّقُوا اللَّهَ ) فِي آدَاءِ الْوَاجِبَاتِ لِأَنَّهُ قَرْنَ بِمَا هُوَ  
 عَمَلٌ ( وَاتَّقُوا اللَّهَ ) فِي تَرْكِ الْمَعَاصِي لِأَنَّهُ قَرْنَ بِمَا يَجْرِي مَجْرَى الْوَعِيدِ وَهُوَ ( إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ  
 بِمَا تَعْمَلُونَ ) . وَفِيهِ تَحْرِيزٌ عَلَى الْمُرَاقَبَةِ لِأَنَّ مِنْ عِلْمٍ وَقْتِ فَعَلَهُ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا يَرْتَكِبُ  
 مِنَ الذُّنُوبِ يَمْتَنِعُ عَنْهُ .

(٢) تَرَكُوا ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ .

(٣) فَتَرَكَهُمْ مِنْ ذِكْرِهِ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ .

(٤) الْخَارِجُونَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ .

(٥) هَذَا تَنْبِيهُ لِلنَّاسِ وَإِذْ بَانَ بِأَنَّهُمْ لَفَرَطٍ غَفَلْتَهُمْ وَقَلَّةِ فِكْرِهِمْ فِي الْعَاقِبَةِ وَتَهَالُكِهِمْ عَلَى  
 إِشَارِ الْعَاجِلَةِ وَأَتْبَاعِ الشَّهْوَاتِ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبُؤْسِ الْعَظِيمِ بَيْنَ  
 أَصْحَابِهَا وَأَنَّ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ مَعَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ مَعَ أَصْحَابِ النَّارِ فَمَنْ حَقَّقَهُمْ أَنَّ  
 يَعْلَمُوا ذَلِكَ وَيَنْبَهُوا عَلَيْهِ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ يَعْقُ أَبَاهُ هُوَ أَبُوكَ تَجْعَلُهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ فَتَنْبَهُ  
 بِذَلِكَ عَلَى حَقِّ الْأَبْوَةِ الَّذِي يَقْتَضِي الْبِرَّ وَالتَّعَطُّفَ . وَقَدْ اسْتَدَلَّتِ الشَّافِعِيَّةُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ  
 الْمُسْلِمَ لَا يَقْتُلُ الْكَافِرَ وَأَنَّ الْكَافِرَ لَا يَمْلِكُ مَالِ الْمُسْلِمِ بِالِاسْتِیْلَاءِ . وَقَدْ أَجَبْنَا عَنْ مِثْلِ هَذَا  
 فِي أَصُولِ الْفِقْهِ وَالْكَافِي .

(٦) أَيْ مِنْ شَأْنِ الْقُرْآنِ وَعَظْمَتِهِ أَنَّهُ لَوْ جَعَلَ فِي الْجَبَلِ تَمِيزًا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ لَخَشَعُ  
 أَيْ لَخَضَعَ وَتَطَاطَا وَتَصَدَّعَ أَيْ تَشَقَّقَ ( مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ) . وَجَائِزَانُ يَكُونُ هَذَا تَمَثِيلًا كَمَا فِي قَوْلِهِ

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١)  
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ (٢) السَّلَامُ (٣) الْمُؤْمِنُ (٤)  
الْمُهَيِّمُ (٥) الْعَزِيزُ (٦) الْجَبَّارُ (٧) الْمُتَكَبِّرُ (٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩)

(إنا عرضنا الأمانة). ويدل عليه قوله (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وهي إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل. والمراد توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تحشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجه.

(١) رد على من أشرك وشبهه بخلقه فقال (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) أى السر والعلانية. أو الدنيا والآخرة. أو المعدوم والموجود.

(٢) (الملك) الذى لا يزول ملكه (القدوس) المتزه عن القبائح. وفي تسبيح الملائكة سُبْحَانَ قُدُّوسِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ.

(٣) الذى سلم الخلق من ظلمه، عن الزجاج.

(٤) واهب الأمن. وعن الزجاج الذى آمن الخلق من ظلمه. أو المؤمن من عذابه من أطاعه.

(٥) الرقيب على كل شىء الحافظ له. مفعول من الأمن إلا أن همزته قلبت هاء.

(٦) الغالب غير المغلوب.

(٧) العالى العظيم الذى يذل له من دونه. أو العظيم الشأن فى القدرة والسلطان. أو القهار ذو الجبروت.

(٨) البليغ الكبرياء والعظمة.

(٩) نزه ذاته عما يصفه به المشركون.

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِي الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾

(١) (الخالق) المقدر لما يوجد (الباري) الموجد (المصور) في الأرحام (له الأسماء  
الحسنى) الدالة على الصفات العلا .

(٢) ختم السورة بما بدأ به . عن أبي هريرة رضى الله عنه "سألت حبيبي رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن الاسم الأعظم فقال عليك بأنعم الحشر فأكثر قراءته . فأعدت عليه  
فأعاد علي . فأعدت عليه فأعاد علي" .

## سورة الممتحنة مدنية

وهي ثلاث عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)  
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ

(١) (بأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء). روى أن مولاة لأبي عمرو بن صيفي ابن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فتمت لها أسلمة جئت؟ قالت لا. قال أفهاجرة جئت؟ قالت لا. قال فما جاء بك؟ قالت احتجت حاجة شديدة. فحث عليها بنى عبدالمطلب فكسوها وحملوها وزودوها. فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاه عشرة دنانير وكساها بردا واستحماها كتابا إلى أهل مكة نسخته: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة اعلموا أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطاحه والزبير والمقداد وأبا مرثد. وكانوا فرسانا. وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها. فإن أبت فاضر بوا عنقها. فادركوها فخذت وحلفت. فهدموا بالرجوع. فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل سيفه. وقال أخرجني الكتاب أو تضي رأسك. فأخرجته من عقاص شعرها. وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم. فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال: ما حملك عليه؟ فقال يا رسول الله، ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقهم ولكنتي كنت امرأة ملصقا في قريش. ولم أكن من أنفسها. وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم، غيري. فخشيت على أهلي

تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ  
 أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنَّ كُنتُمْ نَجْرْتُمْ جَهَنَّمَ فِي سَبِيلِي وَأَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي<sup>(٣)</sup>

فأردت أن أتخذ عندهم يدا، وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا. فصَدَّقَه وقبل عذره. فقال عمر رضى الله عنه: دعنى يا رسول الله، أضرب عنق هذا المنافق. فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد أطع على أهل بدر. فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. ففاضت عينا عمر رضى الله عنه. فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوئكم وعدوكم أولياء). عدوئى أتخذ إلى مفعوليه وهما (عدوئى) و (أولياء). والعدو فاعول من عدا كعفو من عفا. ولكنته على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد. وفيه دليل على أن الكبيرة لا تسلب اسم الإيمان.

(١) (تلقون) حال من الضمير فى (لا تتخذوا). والتقدير لا تتخذوهم أولياء ملقين (إليهم بالمودة). أو مستأنف بعد وقف، على التوبيخ. والإلقاء عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم. والباء فى (بالمودة) زائدة مؤكدة للتعدى كقوله (ولا تقوا بأيديكم إلى التهلكة). أو ثابتة على أن مفعول (تلقون) محذوف. معناه (تلقون إليهم) أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم (ب) سبب (المودة) التى بينكم وبينهم (وقد كفروا) — حال من (لا تتخذوا) أو من (تلقون). أى لا تتولّوهم — أو توادونهم؟ — وهذه حالهم — (بما جاءكم من الحق) دين الإسلام والقرآن. (يخرجون الرسول وإياكم) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم أو حال من (كفروا). (أن تؤمنوا) تعليل لـ (يخرجون) أى يخرجونكم من مكة لإيمانكم بالله ربكم).

(٢) متعلق بـ (لا تتخذوا). أى لا تتولّوا أعدائى (إن كنتم) أوليائى. وقول (\*) الحيويين فى مثله: هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه.

(٣) (جهادا) مصدر فى موضع الحال أى (إن كنتم نخرجتم) مجاهدين (فى سبيلى وابتغاء مَرْضَاتِي) ومبتغين مَرْضَاتِي.

(\*) القول بمعنى المقول وهو مبتدأ خبره هو شرط الخ.

تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)   
 أَيْدِيهِمْ وَالسِّنَنُتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)

(١) أى تفضون إليهم بمودتكم سرا . أو (تسرون إليهم) أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم (ب) سبب (المودة) - وهو استئناف - (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) . والمعنى أى طائل لكم فى أسراركم وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان سياتن فى علمي وأنا مطلع رسولى على ماتسرون؟ (ومن يفعله) أى هذا الأسرار (منكم فقد ضلّ سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب .

(٢) إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصى العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (ويستطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتل والشم (وودوا لو تكفرون) ونمنا لو ترتدون عن دينكم . فإذا موادة أمثالهم خطأ عظيم منكم . والماضى وإن كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة . كأنه قيل ودوا قبل كل شىء كفركم وارتدادكم . يعنى أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض . وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون لها دونه . والعدو أهم شىء عنده أن يقصد أهم شىء عند صاحبه .

(٣) (لن تنفعكم) قراياتكم (ولا أولادكم) الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون إليهم بحمامة عليهم . ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) وبين أقاربكم وأولادكم (يوم يفتز المرء من أخيه) الآية . فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفتز منكم غدا؟ (يفصل) عاصم (يفصل) حمزة وعلى . والفاعل هو الله عز وجل . (يفصل) ابن ذكوان . غيرهم (يفصل) . (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم .

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ  
 إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا  
 وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۗ إِلَّا قَوْلَ  
 إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُسَفِّرْ لَكَ (١) وَمَا أَمَلْتُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا  
 عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا  
 فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)

(١) (قد كانت لكم) قدوة في التبرى من الأهل (حسنة في إبراهيم) - أى فى أقواله. ولهذا استثنى منها (إلا قول إبراهيم) - (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم) - جمع برىء كظريف وظرفاء - (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة) بالأفعال، (والبغضاء) بالقلوب (أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فحينئذ ترك عداوتكم. (إلا قول إبراهيم لأبيه لا تسفرك لك). وذلك (لموعده وعدها إياه). أى اقتدوا به فى أقواله ولا تأتسوا به فى الاستغفار لأبيه الكافر .

(٢) أى من هداية ومغفرة وتوفيق . وهذه الجملة لاتباع الاستثناء . ألا ترى إلى قوله (قل فن يملك لكم من الله شيئا) . ولكن المراد استثناء جملة قوله لأبيه . والقصد إلى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له . كأنه قال أستغفر لك وما فى طاقى إلا الاستغفار .

(٣) متصل بما قبل الاستثناء . وهو من جملة الأسوة الحسنة . وقيل معناه قولوا (ربنا) فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه .

(٤) (وإليك) أقبلا (وإليك المصير) المرجع .

(٥) أى لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) أى

الغالب الحاكم .

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن  
 يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ<sup>(١)</sup> عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ  
 عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>(٢)</sup> لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ  
 لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ<sup>(٤)</sup>

(١) كثر الحث على الاتساء بإبراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيذا عليهم . ولذا جاء به مصدرا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد، وأبدل من قوله (لكم) قوله (لمن كان يرجو الله) أى ثوابه — أو يخشى الله، وعقبه بقوله (ومن يتول) يعرض عن أمرنا ويوال الكفار (فإن الله هو الغنى) عن الخلق (الحميد) المستحق للحمد . فلم يترك نوعا من التأكيد إلا جاء به .

(٢) لما أزلت هذه الآيات وتشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقرانهم من المشركين ، أطمعهم في تحوّل الحال إلى خلافه فقال : ( عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم ) أى من أهل مكة من أقرانكم ( مودة ) بأن يوفقهم للإيمان . فلما يسر فتح مكة أظفروهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتمّ بينهم التحاب . و( عسى ) وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للخجاج في تمام ذلك أو أريد به إطاع المؤمنين . ( والله قدير ) على تقليب القلوب وتحويل الأحوال وتمهيل أسباب المودة ( والله غفور رحيم ) لمن أسلم من المشركين .

(٣) تكرومهم وتحسنوا إليهم قولاً وفعلاً . ومحل ( أن تبرؤهم ) جرّ على البذل من ( الذين لم يقاتلوكم ) . وهو بدل اشتمال . والتقدير ( عن ) برّ ( الذين ) .

(٤) وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم . وإذا نهى عن الظلم في حقّ المشرك فكيف في حقّ المسلم ؟



إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا يَنْهَىكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكَ فِي الدِّينِ  
وَأَخْرَجُوكَ مِنْ دِينِكَ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكَ أَنْ تَوَلَّوَهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ  
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ  
مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنَّ عَلَيْهِنَّ مِثْلَ مَا  
تَرَجَعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا  
انْفَقُوا ﴿٣﴾

(١) (أن تولوهم) بدل من (الذين قاتلوكم). والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء. وإتاما ينهاكم  
عن تولي هؤلاء (ومن يتولهم) منكم (فأولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولي غير موضعه .

(٢) سماهن مؤمنات لنتققهن بكلمة الشهادة أو لأنهن مشارفات لثبات إيمانهن بالامتحان.

(٣) نصب على الحال .

(٤) فابتلوهن بالنظر في الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن . وعن ابن عباس  
امتحانها أن تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . (الله أعلم بإيمانهن) منكم . فإنكم  
وإن رزتم أحوالهن لاتعلمون ذلك حقيقة . وعند الله حقيقة العلم به .

(٥) (فإن علمتموهن مؤمنات) العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور  
الأمارات - وتسمية الظن علما يؤذن بأن الظن الغالب وما يقضى إليه القياس جار مجرى العلم  
وصاحبه غير داخل في قوله (ولا تقف ما ليس لك به علم) - (فلا ترجعوهن إلى الكفار)  
فلا تردوهن إلى أزواجهن المشركين (لأهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) أي لاحتل بين المؤمنة  
والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسامة (وآتوهم ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل  
مادفعوا إليهن من المهور . نزلت الآية بعد صلح الحديبية وكان الصالح قد وقع على أن يرد على  
أهل مكة من جاء مؤمنا منهم . فأنزل الله هذه الآية بيانا لأن ذلك في الرجال لا في النساء لأن  
المسلمة لا تحل للكافر . وقيل نسخت هذه الآية الحكم الأول .

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تَمْسِكُوا بِعِصَمِ  
 الْكُوفَرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَنْفِقُوا ذَلِكَ حَكْمَ اللَّهِ بِحُكْمِ بَيْنِكُمْ  
 وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَتاتُوا  
 الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

(١١) نفي عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات (إذا آتيتموهن أجورهن) أي  
 مهورهن لأن المهر أجز البضع . وبه احتج أبو حنيفة رضي الله عنه على أن لا عدة على  
 المهاجرة .

(١٢) (ولا تمسكوا) بصرى (بعصم الكوافر) . العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب .  
 والكوافر جمع كافرة . وهي التي بقيت في دار الحرب ، أو لحقت بدار الحرب مرتدة . أي لا يكن  
 بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية . قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امرأة  
 كافرة بمكة فلا يعتد بها من نسائه . لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه . (واسألوا  
 ما أنفقتم) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها (وليسألوا ما أنفقوا) من  
 مهور نساءهم المهاجرات ممن تزوجها منّا . (ذلكم) أي جميع ما ذكر في هذه الآية (حكم الله) .  
 (يحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير . أي يحكمه الله . أو جعل  
 الحكم حاكما على المبالغة . وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لا منّا ولا منهم .

(١٣) وإن انفلت أحد منهن إلى الكفار — وهو في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه  
 (أحد) — (فعاقبتهم) فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم — عن الزجاج — (فاتوا الذين  
 ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا) فأعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار  
 الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة . وقيل هذا الحكم منسوخ أيضا .

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا  
وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ  
أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ  
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

(١) (إذا جاءك المؤمنات يباعدنك) - حال - (على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين  
ولا يقتلن أولادهن) يريدوا البنات (ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن) - كانت المرأة  
تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك . كنى بالبهتان المفتري بين يديها ورجلها عن  
الولد الذي تلصقه بزوجه كذبا . لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين  
الرجلين - (ولا يعصينك في معروف) طاعة الله ورسوله (فبايعهن واستغفر لهن الله) عما مضى  
(إن الله غفور) بتحقيق ما سلف ، (رحيم) بتوفيق ما أنتفت . وروى أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر  
قاعد أسفل منه يباعدن عنه بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة  
خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنعت بحمزة . فقال عليه السلام "أبايعكن  
على أن لا تشركن بالله شيئا" فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئا فقال عليه السلام  
"ولا يسرقن" فقالت هند إن أبا سفيان رجل شحيح . وإني أصبت من ماله هنات . فقال  
أبو سفيان . ما أصبت فهو لك حلال . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعرفها  
فقال لها "إنك لهند" قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك . فقال "ولا يزنين"  
فقال أو تزني الحرة ؟ فقال "ولا يقتلن أولادهن" فقالت ربناهم صغارا وقتلتهم كبارا .  
فأتم وهم أعلم . وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر . فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فقال "ولا يأتين بهتان" فقالت والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا  
إلا بالرشد ومكارم الأخلاق . فقال "ولا يعصينك في معروف" فقالت والله ما جلسنا  
بجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء . وهو يشير إلى أن طاعة الولاة لا تجب في المنكر .

(٢) ختم السورة بما بدأ به . قيل هم المشركون .

قَدْ يَأْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَأْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ <sup>(١١)</sup>

(١١) (قد يأسوا) من نوابها لأنهم ينكرون البعث ( كما يأس الكفار) أى كما يأسوا — إلا أنه وضع الظاهر موضع الضمير — (من أصحاب القبور) أن يرجعوا إليهم. أو كما يأس أسلافهم الذين هم فى القبور من الآخرة. أى هؤلاء كسلفهم. وقيل هم اليهود أى (لا تتولوا قوما) مغضوبا عليهم (قد يأسوا من) أن يكون لهم حظ فى (الآخرة) لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت فى التوراة ( كما يأس الكفار من) موتهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء. وقيل (من أصحاب القبور) بيان للكفار أى ( كما يأس الكفار) الذين قبروا من خير الآخرة. لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم. والله أعلم.

## سورة الصف مدنية

وهي أربع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

(١) (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روى أنهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه . فزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فزلت (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) ؟ (لم) هي لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك يم وفيم ومم وعم وإلام وعلام . وإنما حذف الألف لأن ما واللام أو غيرها كشيء واحد . وهو كثير الاستعمال في كلام المستفهم . وقد جاء استعمال الأصل قليلا قال \* على ما قام يشتمني جرير \* والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان . ومن أسكن في الوصل فلا جرائه مجرى الوقف .

(٢) قصد في (كبر) التعجب من غير لفظه كقوله \* قلت نأب كليب بواؤها \* ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره . وأسند إلى (أن تقولوا) ونصب (مقتا) على التمييز . وفيه دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه . والمعنى (كبر) قولكم ما لا تفعلون مقتا عند الله . واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض . وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا . فقال أتأمروني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله ؟

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُدِينٌ مَرُوصٌ <sup>(٢)</sup>  
 وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَلْقَوْنِي لِمَ تُوذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
 إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ <sup>(٣)</sup>  
 وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا  
 لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ <sup>(٤)</sup>

(١) أعلم الله عز وجل ما يحبّه فقال (إن الله يحب الذين يقتلون في سبيله صفا) أى صافين أنفسهم . مصدر وقع موقع الحال .

(٢) لاصق بعضه ببعض . وقيل أريد به استواء نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان الذى رصّ بعضه إلى بعض . وهو حال أيضا .

(٣) (وإذ) — منصوب باذكر — (قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني) ببحود الآيات والقذف بما ليس في (وقد تعلمون) في موضع الحال أى (لم تؤذونني) عالمن علما يقينا (أتى رسول الله إليكم) وقضية علمكم بذلك توقيري وتعظيمي لا أن تؤذوني .

(٤) (فلما) مالوا عن الحق (أزاع الله قلوبهم) من الهداية . أو لما تركوا أوامره نزع نور الإيمان من قلوبهم . أو فلما اختاروا الزيف (أزاع الله قلوبهم) أى خذلهم وحرهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى لا يهدى من سبق في علمه أنه فاسق .

(٥) ولم يقل يا قوم كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه .

(٦) أى أرسلت إليكم في حال تصديق ماتقدمنى من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتى من بعدى . يعنى أن ديني التصديق بكتب الله وأنيامه جميعا من تقدم وتأخر . (بعدي) مجازى وأبو عمرو وأبو بكر . وهو اختيار الخليل وسيبويه . وانتصب (مصداقا) (ومبشرا) بما في الرسول من معنى الإرسال .

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ <sup>(١)</sup> وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ  
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
 الظَّالِمِينَ <sup>(٢)</sup> يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ <sup>(٣)</sup>  
 وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ <sup>(٤)</sup> هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ  
 الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ <sup>(٥)</sup> وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ <sup>(٦)</sup> يَأْتِيهَا  
 الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ <sup>(٦)</sup> مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ <sup>(٦)</sup>

(١) (فلما جاءهم) عيسى أو محمد عليهما السلام (بالبينات) بالمعجزات (قالوا هذا سحر  
 مبین). (ساحر) حمزة وعلى .

(٢) وأتى الناس أشد ظلمها ممن يدعو ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة  
 الدارين فيجعل، مكان إجابته إليه، اقتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده  
 إلى الحق : (هذا سحر) ، والسحر كذب وتمويه .

(٣) هذا تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن (هذا سحر). مثلت حالهم  
 بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه. والمفعول محذوف. واللام للتعليل. والتقدير (يريدون)  
 الكذب (ليطفئوا نور الله بأفواههم) أى بكلامهم (والله متم نوره) مكى وحمزة وعلى وحفص.  
 (متم نوره) غيرهم . أى متم الحق ومبلغه غايته .

(٤) أى الملة الحنيفية .

(٥) ليعليه (على الدين كله) على جميع الأديان المخالفة له . ولعمري لقد فعل. فما بقى دين  
 من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام. وعن مجاهد إذا نزل عيسى لم يكن فى الأرض  
 إلا دين الإسلام .

(٦) (تنجيكم) شامى .

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ (٣)

(١) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل؟ فقال (تؤمنون). وهو بمعنى آمنوا عند سيدييه. ولهذا أوجب بقوله ( يغفر لكم ) . ويدل عليه قراءة ابن مسعود : ( آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا). وإتما جاء به على لفظ الخبر للإيذان بوجود الامتثال وكأنه امتثل فهو يجز عن إيمان وجاهاد موجودين .

(٢) أى ما ذكر من الإيمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (إن كنتم تعلمون) أنه خير لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وأنفسكم فتفلاحون وتخلصون .

(٣) أى إقامة وخلود . يقال عدن بالمكان إذا أقام به . كذا قيل .

(٤) (و) لكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة (أخرى) عاجلة محبوبة إليكم . ثم فسرها بقوله ( نصر من الله وفتح قريب ) أى عاجل . وهو فتح مكة والنصر على قريش . أو فتح فارس والروم . وفى ( تحبونها ) شىء من التوبيخ على محبة العاجل . وقال صاحب الكشاف (\*) "معناه (هل أدلكم على تجارة تنجيكم) (و) على تجارة (أخرى تحبونها) . ثم قال (نصر) أى هى (نصر) ."

(٥) عطف على (تؤمنون) لأنه فى معنى الأمر . كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم ، (و) بشرى ) يارسول الله (المؤمنين) بذلك . وقيل هو عطف على "قل" مرادا قبل (يا أيها الذين آمنوا هل أنلكم) .

(\*) فى بعض النسخ الكتياف وجماعته لم توجد فيه هذه العبارة .



يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ  
 مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ  
 مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ  
 فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ <sup>(٢)</sup>

(١) أى (أنصار) دينه . (أنصاراً لله) حجازى وأبو عمرو .

(٢) ظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى (من أنصاري إلى الله) . ولكنه محمول على المعنى :  
 أى (كونوا أنصاراً لله كما) كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم (من أنصاري إلى الله) .  
 ومعناه (من) جندي متوجه (إلى) نصرته (الله) ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قال الحواريون  
 نحن أنصار الله) أى نحن الذين ينصرون الله . ومعنى (من أنصاري) من الأنصار الذين يختصون  
 به ويكونون معي في نصرته الله . و (الحواريون) أصفياؤه . وهم أول من آمن به . وكانوا اثني عشر  
 رجلاً . وحواري الرجل صفيه وخالسته . من الحور وهو البياض الخالص . وقيل كانوا قصارين  
 يخورون الثياب أى يبيضونها . (فآمنت طائفة من بنى إسرائيل) بعيسى وكفرت طائفة به .  
 فقوتنا مؤمنهم على كفارهم . فغلبوا عليهم . والله ولي المؤمنين . والله أعلم .

## سورة الجمعة مدنية

وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ  
 الْحَكِيمُ <sup>(١)</sup> هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ  
 وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ <sup>(٢)</sup>

(١) التسبيح إما أن يكون تسبيح خلقه . يعنى إذا نظرت إلى كل شيء دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتزيهه عن الأشباه . أو تسبيح معرفة بأن يجعل الله بلطفه في كل شيء ما يعرف به الله تعالى ويتزهه . ألا ترى إلى قوله ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ) . أو تسبيح ضرورة بأن يجرى الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك .

(٢) ( هو الذى ) أرسل ( فى الأميين رسولا منهم ) أى بعث رجلا أمتيا فى قوم أميين . وقيل ( منهم ) كقوله ( من أنفسكم ) يعلمون نسبه وأحواله . والأمتى منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرءون من بين الأمم . وقيل بدئت الكتابة بالطائف . وهم أخذوها من أهل الحيرة . وأهل الحيرة من أهل الأنبار .

(٣) ( يتلوا عليهم ) القرآن ( ويزكئهم ) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ( ويعلمهم الكتاب ) القرآن ( والحكمة ) السنة أو الفقه فى الدين ( وإن كانوا من قبل ) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم ( انى ضلال مبين ) كفر وجهالة . ( وإن ) مخففة من الثقيلة . واللام دليل عليها . أى كانوا فى ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه .

وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ <sup>(١)</sup> وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ <sup>(٢)</sup> ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ  
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ <sup>(٣)</sup> وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ <sup>(٤)</sup> مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ  
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ <sup>(٥)</sup>

(١) مجرور معطوف على (الأميين) يعنى أنه بعثه (في الأميين) الذين على عهده (و) في (آخرين) من الأميين (لما يلحقوا بهم) أى لم يلحقوا بهم بعد وسيأحقون بهم . وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم . أو هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين . وقيل هم العجم . أو منصوب معطوف على المنصوب في (و يعلمهم) أى يعلمهم (و) يعلم (آخرين) . لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله فكأنه هو الذى تولى كل ما وجد منه .

(٢) (وهو العزيز الحكيم) في تمكينه رجلا أقيا من ذلك الأمر العظيم وتأيدته عليه واختياره آياته من بين كافة البشر .

(٣) (ذلك) الفضل الذى أعطاه محمداً — وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغواير — هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) إعطاءه وتفضيحه حكمته .

(٤) (مثل الذين) كلفوا علمها والعمل بما فيها ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع سفر وهو الحجاب الكبير . و (يحمل) في محل النصب على الحال . أو الجز على الوصف لأن الحمار كاللئيم في قوله \* ولقد أمرت على اللئيم يسبني \*

شبه اليهود في أنهم حملوا التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها — وذلك أن فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به فلم يؤمنوا به — بالحمار حمل كتباً كباراً من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدرى منها إلا ما يمرّ بجانبه وظهره من الكد والتعب . وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله .

(٥) أى (بئس) مثلاً (مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) . أو (بئس مثل القوم) المكذبين مثلهم . وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ  
 أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ ﴿٢﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ إِذَا بَدَأُ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
 بِالظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ  
 إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ

(١) أى وقت اختيارهم الظلم . أو (لا يهدى) من سبق فى علمه أنه يكون ظالما .

(٢) هاد يهود إذا تهود .

(٣) كانوا يقولون (نحن أبناء الله وأحباؤه) . أى إن كان قولكم حقا وكنتم على ثقة  
 فتمنوا على الله أن يمتكم وينقلكم سريعا إلى دار كرامته التى أعدها لأولياؤه . ثم قال (ولا  
 يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أى بسبب ماقدموا من الكفر . ولا فرق بين لا ولن فى أن  
 كل واحدة منهما نفى للمستقبل ، إلا أن فى لن تأكيدا وتشديدا ليس فى لا . فأتى مرة بلفظ  
 التاكيد (ولن يتمنوه) ومرة بغير لفظه (ولا يتمنونه) . (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم .

(٤) (إن الموت الذى تفرون منه) ولا تجسرون أن تمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال  
 كفركم (فإنه ملائكم) لا محالة — والجملته خبر (إن) ودخلت الفاء لتضمن (الذى) معنى  
 الشرط — (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم بما أتم  
 أهله من العقاب .

(٥) النداء الأذان . و (من) بيان لإذا وتفسير له ويوم الجمعة سيد الأيام . وفى الحديث

” من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر “ .

فَاسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾  
 فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا  
 اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا ﴿٣﴾

(١) فامضوا . وقرئ بها . وقال الفراء السعي والمضي والذهاب واحد . وليس المراد به السرعة في المشي .

(٢) أى إلى الخطبة عند الجمهور . وبه استدل أبو حنيفة رضى الله عنه على أن الخطيب إذا اقتصر على " الحمد لله " جاز .

(٣) أراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا . وإتما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال . فقيل لهم : بادروا تجارة الآخرة ، واركبوا تجارة الدنيا ، واسعوا إلى ذكر الله الذى لا شىء أنفع منه وأربح ، (وذروا البيع) الذى نفعه يسير .

(٤) أى السعى إلى ذكر الله (خير لكم) من البيع والشراء .

(٥) أى ( فإذا ) أدت ( الصلاة فانتشروا فى الأرض ) — أمر بإباحة — ( وابتغوا من فضل الله ) الرزق ، أو طلب العلم ، أو عيادة المريض ، أو زيارة أخ فى الله .

(٦) واشكروه على ما وفقكم لأداء فرضه .

(٧) تفرقوا عنك إليها . وتقديره ( وإذا رأوا تجارة ) انفضوا إليها ( أو لهوا ) انفضوا إليه . فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه . وإتما خص التجارة لأنها كانت أهم عندهم .

روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء ، فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام ، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه فما بقى معه إلا ثمانية أو اثنا عشر . فقال صلى الله عليه وسلم " والذى نفس محمد بيده لو نخرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادى نارا " وكانوا إذا أقبأت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق . فهو المراد باللهو .

وَتَرَكُوكَ قَائِمًا<sup>(١)</sup> قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ  
 خَيْرُ الرَّازِقِينَ<sup>(٢)</sup>

(١) (وتركوك) على المنبر (قائما) تخطب . وفيه دليل على أن الخطيب ينبغي أن يخطب

قائما .

(٢) (ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة) . والله خير الرازقين (أى

لا يفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين . والله أعلم .

## سورة المنافقون مدنية

إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
 إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ائْتَدُوا  
 أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

(١) أرادوا شهادة واطأت فيها قلوبهم أستمهم .

(٢) أى ( والله يعلم ) إن الأمر كما يدل عليه قولهم ( إنك لرسول الله . والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ) فى ادعاء المواطأة . أو إنهم ( لكاذبون ) فيه لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة . فهم كاذبون فى تسميته شهادة . أو إنهم ( لكاذبون ) عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم ( إنك لرسول الله ) كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه .

(٣) وقاية من السبي والقتل . وفيه دليل على أن أشهد يمين .

(٤) ( فصدوا ) الناس ( عن سبيل الله ) عن الإسلام بالتنفير\* ( وإلقاء الشبه ) إنهم ساء ما كانوا يعملون ( من نفاقهم وصدتهم الناس عن سبيل الله . وفى ( ساء ) معنى التعجب الذى هو تعظيم أمرهم عند السامعين .

(\*) فى بعض النسخ بالتنفير بالعين المعجمة أى بالصياح .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا  
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْتَدَدٌ ﴿٥﴾

(١) (ذلك) إشارة إلى قوله (ساء ما كانوا يعملون). أى (ذلك) القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالاً (؛) سبب (أنهم آمنوا ثم كفروا). أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستعجان بالآيمان. أى ذلك كله (؛) سبب (أنهم آمنوا) أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام (ثم كفروا) ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم إن كان ما يقوله محمد حقاً فنحن حير، ونحو ذلك. أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام. كقوله (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) الآية .

(٢) نغم عليها حتى لا يدخلها الإيمان جزاء على نفاقهم .

(٣) لا يتدبرون أو لا يعرفون صحة الإيمان .

(٤) الخطاب لرسول الله أو لكل من يخاطب. كان ابن أبي رجلا جسيماً صبيحاً فصيحاً، وقوم من المنافقين في مثل صفته . فكانوا يحضرون مجالس النبي صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن. فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم .

(٥) رفع على هم (كأنهم خشب) — أو كلام مستأنف لا محل له — (مستددة) إلى الحائط. شبهوا في استنادهم — وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير — بالخشب المستددة إلى الحائط. لأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع . ومادام متروكا غير متفعب به أسند إلى الحائط . فشبهوا به في عدم الانتفاع . أولاً أنهم أشباح بلا أرواح ، وأجسام بلا أحلام . (خشب) أبو عمرو غير عباس وعلى ، جمع خشبة كبذنة وبدن . و (خشب) كثمرة ومسر .



يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ  
 أَنِّي يُؤْفِكُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ  
 اللَّهِ لَوَا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾

(١) (كل صيحة) مفعول أول . والمفعول الثاني (عليهم) . وتم الكلام . أى (يحسبون كل صيحة) واقعة (عليهم) وضارة لهم لحقيقتهم ورعبهم . يعنى إذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعا بهم . ثم قال (هم العدو) أى هم الكاملون فى العداوة لأن أعدى الأعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولا تغتر بظواهرهم .

(٢) دعاء عليهم . أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك .

(٣) كيف يعدلون عن الحق ؟ تعجبا من جهلهم وضلاتهم .

(٤) عطفوها وأمالوها إعراضا عن ذلك واستكبارا . (لوا) بالتخفيف نافع .

(٥) يعرضون (وهم مستكبرون) عن الاعتذار والاستغفار .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بنى المصطلق على المريسيق — وهو ماء لهم — وهزمهم وقتلهم ، ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر ، وسانان الجهنى حليف لابن أبي واقتتلا . فصرخ جهجاه : يا المهاجرين ! وسانان : يا الأنصار ! فأعان جهجاهما جعال من فقراء المهاجرين ، ولطم سنانا . فقال عبد الله لجعال : وأنت هناك ! وقال : ” ما صحبنا محمدا إلا لنلطم . والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال : ستمن كلبك يا كلك . أما والله (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) ” عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال لقومه : ” والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم . فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ  
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١١﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ  
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا <sup>(٢)</sup> وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ <sup>(٣)</sup>

حول محمد“ فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث . فقال : ” أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك . ومحمد على رأسه تاج المعراج ، في عزم من الرحمن ، وقوة من المسلمين “ . فقال عبدالله : ” اسكت ! فإني كنت ألعب “ . فأخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر رضي الله عنه : ” دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله “ . فقال : ” إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب “ . قال : ” فإن كرهت أن يقتله مهاجري ، فأمر به أنصارياً “ . قال : ” فكيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ “ وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله . ” أنت صاحب الكلام الذي بلغني “ . قال : ” والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك ، وإن زيدا لكاذب “ . فهو قوله ( اتخذوا أيمانهم جنة ) . فقال الحاضرون : ” يا رسول الله . شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم “ . فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد : ” يا غلام إن الله قد صدقك وكذب المنافقين “ . فلما بان كذب عبد الله قيل له : ” قد نزلت فيك آي شداد . فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك ، فلوى رأسه . فقال : أمرتموني أن أومن فأمنت وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت . وما بقي لي إلا أن أسجد لمحمد “ . فنزل ( وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ) ولم يلبث إلا أياماً حتى اشتكى ومات .

(١) أى ( لن يغفر الله لهم ) ماداموا على النفاق . والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم . أولاً أن الله لا يغفر لهم . وقرئ ( استغفرت ) على حذف حرف الاستفهام . لأن ( أم ) المعادلة تدل عليه .

(٢) يتفرقوا .

(٣) أى وله الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم .

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ <sup>(١)</sup> يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ  
لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ <sup>(٢)</sup>  
وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(٣)</sup> يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ  
ءَأْمَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْخَاسِرُونَ <sup>(٤)</sup> وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ <sup>(٥)</sup>

(١) ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهدون بما يزين لهم الشيطان .

(٢) (لئن رجعنا) من غزوة بنى المصطلق .

(٣) (ولله) الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين . وهم الأخصاء  
بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين . وعن بعض الصالحات  
وكانت في هيئة رثة : "ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه؟"  
وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلا قال له : "إن الناس يزعمون أن فيك تيبها" .  
قال "ليس بتيه . ولكنه عزة" . وتلا هذه الآية .

(٤) لا تشغلكم (أموالكم) والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها بالنماء وطلب التاج (ولا  
أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤونتهم (عن ذكر الله) أي عن الصلوات  
الجمعة أو عن القرآن .

(٥) يريد الشغل بالدنيا عن الدين . وقيل : من يشتغل بتثمير أمواله ، عن تدبير أحواله ،  
وبمراضاة أولاده عن إصلاح معاده ، (فأولئك هم الخاسرون) في تجارتهم حيث باعوا الباقي  
بالفاني .

(٦) (من) للتبعض . والمراد بالإلفاق الواجب .

(٧) أي (من قبل أن) يرى دلائل الموت ، ويعاين ما يئس معه من الإمهال ، ويتعذر  
عليه الإلفاق .

فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ <sup>(١)</sup>  
 وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ <sup>(٢)</sup>

(١) هَلَّا أَخَّرْت مَوْتِي إِلَى زَمَانٍ قَلِيلٍ فَأَتَصَدَّقُ - وهو جواب (لولا) - (وأكن من الصالحين) من المؤمنين . والآية في المؤمنين . وقيل في المنافقين . (وأكون) أبو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ . والجزم على موضع (فأصدقت) كأنه قيل إن أخرتني أصدقت وأكن .

(٢) (ولن يؤخر الله نفسا) عن الموت (إذا جاء أجلها) المكتوب في اللوح المحفوظ (والله خير بما تعملون) - (يعملون) حماد ويحيى - والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه وأنه هاجم لا محالة وأن الله عليم بأعمالكم فجاز عليها من منع واجب وغيره ، لم يبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى . والله أعلم بالصواب .

## سورة التغابن

ثمانى عشرة آية مختلف فيها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ  
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ  
 مُؤْمِنٌ ﴿٢﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ

(١) قدم الظرفان ليدل بتقديمها على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل. وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء والقائم به. وكذا الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه. وأما ملك غيره فتسليط منه واستراء، وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده.

(٢) أى فنكم آت بالكفر وفاعل له، ومنكم آت بالإيمان وفاعل له. ويدل عليه قوله (والله بما تعملون بصير) أى عالم وبصير بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم. والمعنى (هو الذى) تفضل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والإيجاد من العدم. وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم شاكرين. فما بالكم تفرقتم أمما (فنكم كافر ومنكم مؤمن)؟ وقدّم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم. وهو رد لقول من يقول بالمتزلة بين المتزلتين. وقيل: (هو الذى خالقكم فنكم كافر) بالخلق وهم الدهرية (ومنكم مؤمن) به.

(٣) بالحكمة البالغة. وهو أن جعلها مقارر المكافئين ليعملوا فبجازيهم.

وَصَوْرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ <sup>(١)</sup> وَإِلَيْهِ <sup>(٢)</sup> الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١﴾  
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ  
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾

(١) أى جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور . ومن حسن صورته أنه خلق متصفاً غير منكب . ومن كان دميماً مشوه الصورة سمح الحلقة فلا سماجة ثم . ولكن الحسن على طبقات . فلا نخطاها عما فوقها لا تستملح . ولكنها غير خارجة عن حد الحسن . وقالت الحكماء "شيطان لا غاية لهما الجمال والبيان" .

(٢) ( وإليه المصير ) فأحسنوا سرائركم كما أحسن صوركم .

(٣) نبه بعلمه ما فى السموات والأرض ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلمونه ثم بعلمه بذات الصدور ، أن شيئاً من الكليات والجزئيات غير خاف عليه . فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه . وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد .

وكل ما ذكره بعد قوله ( فمنكم كافر ومنكم مؤمن ) فى معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته .

(٤) الخطاب لكفار مكة .

(٥) يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط .

(٦) أى ذاقوا وبال كفرهم فى الدنيا ( ولهم عذاب أليم ) فى العقبى .

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا  
فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ <sup>(١)</sup> زَعَمَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا أَن لَّنْ يَبْعَثُوا قُلَّ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ <sup>(٢)</sup> ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ  
وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ <sup>(٣)</sup> فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي  
أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ <sup>(٤)</sup> يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ <sup>(٥)</sup>

(١) (ذلك) — إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة — (بأنه) بأن الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) أنكروا الرسالة للبشر، ولم ينكروا العبادة للحجر (فكفروا) بالرسول (وتولوا) عن الإيمان (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شيء، ومن جملة إيمانهم وطاعتهم (والله غني) عن خلقه (حميد) على صنعه.

(٢) أى (زعم) أهل مكة — والزعم ادعاء العلم. ويتعدى تعدى العلم — (أن لن يبعثوا). (أن) مع مافى حيزه قائم مقام المفعولين. وتقديره أنهم (لن يبعثوا).

(٣) هو إثبات لما بعد (لن) وهو البعث.

(٤) أكد الإخبار باليمين \* فإن قلت ما معنى اليمين على شيء أنكروه؟ قلت هو جائز لأن التهديد به أعظم موقعا في القلب. فكأنه قيل لهم ما تدكرونه كائن لا محالة.

(٥) (وذلك) البعث (على الله يسير) هين (فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذي أنزلنا) يعنى القرآن لأنه يبين حقيقة كل شيء فيهدى به كما بالنور (والله بما تعملون خبير) فراقبوا أموركم.

(٦) (يوم يجمعكم) — انتصب الظرف بقوله (لتنبؤن) أو باضمار اذكر — (ليوم الجمع) يجمع فيه الأولون والآخرون.

ذَلِكَ يَوْمِ التَّغَابُنِ <sup>(١)</sup> وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا <sup>(٢)</sup> يُكْفِرْ عَنْهُ  
 سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ <sup>(٣)</sup> جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ  
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ <sup>(٤)</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
 النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ <sup>(٥)</sup> مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ <sup>(٦)</sup> إِلَّا بِإِذْنِ  
 اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ <sup>(٧)</sup> قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ <sup>(٨)</sup> وَأَطِيعُوا اللَّهَ  
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ <sup>(٩)</sup>

(١) هو مستعار من تغابن القوم في التجارة ، وهو أن يغبن بعضهم بعضا ، لنزول  
 السعداء منازل الأشقياء التي كانوا يتزلونها لو كانوا سعداء ، ونزول الأشقياء منازل السعداء  
 التي كانوا يتزلونها لو كانوا أشقياء . كما ورد في الحديث . ومعنى ( ذلك يوم التغابن ) — وقد  
 يتغابن الناس في غير ذلك اليوم — استعظام له ، وأن تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن  
 في أمور الدنيا .

(٢) صفة للمصدر أى عملا (صالحا) .

(٣) وبالنون فيهما مدنى وشامى .

(٤) شدة ومرض وموت أهل أو شيء يقتضى هما .

(٥) (إلا) بعلمه وتقديره ومشئته . كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه .

(٦) (يهدي قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول (إنا لله وإنا إليه راجعون) أو يشرحه  
 للازدیاد من الطاعة والخير . أو (يهدي قلبه) حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطاه  
 لم يكن ليصيبه . وعن مجاهد : "إن ابتلى صبر ، وإن أعطى شكر ، وإن ظلم غفر" .

(٧) (فإن توليتم) عن طاعة الله وطاعة رسوله (فإنما على رسولنا البلاغ المبين)  
 أى فعلیه التبلیغ وقد فعل .



اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ <sup>(١)</sup> ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا  
 الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدَاؤُكُمْ لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن  
 تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ <sup>(٢)</sup> ﴿٢﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ  
 وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ <sup>(٣)</sup> ﴿٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ <sup>(٤)</sup>

(١) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه .

(٢) أى إن من الأزواج أزواجاً يعادين بعولتهن ويخاصمنهن ، ومن الأولاد أولاداً يعادون آباءهم ويعقونهم .

(٣) الضمير للعدو أو للأزواج والأولاد جميعاً . أى لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدو ، فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشركهم .

(٤) ( وإن تعفوا ) عنهم إذا اطلعتهم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها ( وتصفحوا ) تعرضوا عن التوبيخ ( وتغفروا ) تسرتوا ذنوبهم ( فإن الله غفور رحيم ) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم . قيل إن ناساً أرادوا الهجرة عن مكة فنبطهم أزواجهم وأولادهم ، وقالوا تنطلقون وتضيعوننا . فرقوا لهم ووقفوا . فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهاوا في الدين ، أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم . فزين لهم العفو .

(٥) ( إنما أموالكم وأولادكم ) بلاء ومحنة لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما ( والله عنده أجر عظيم ) أى فى الآخرة . وذلك أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم . ولم يدخل فيه ( من ) كما فى العداوة . لأن الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب . وقد يخلو بعضهم عن العداوة .

(٦) جهديكم ووسعكم . قيل هو تفسير لقوله ( حق تقاته ) .

وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ  
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ  
 لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٧﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٨﴾

(١) (واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وأنفقوا)  
 في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لأنفسكم) أى إنفاقا خيرا لأنفسكم . وقال  
 الكسائى يكن الإنفاق (خيرا لأنفسكم) . والأصح أن تقديره اتوا (خيرا لأنفسكم) وافعلوا  
 ما هو خير لها . وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر ، وبيان لأن هذه الأمور خير  
 لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا .

(٢) أى البخل بالزكاة والصدقة الواجبة .

(٣) (إن تقرضوا الله) بنية وإخلاص . وذكر القرض تلطّف في الاستدعاء .

(٤) (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرة أو سبعمائة إلى ما شاء من الزيادة  
 (ويغفر لكم والله شكور) يقبل القليل ويعطى الجزيل (حليم) يقبل الجليل من ذنب  
 البخيل . أو يضعف الصدقة لدافعها ، ولا يعجل العقوبة لمانعها .

(٥) أى يعلم ما استتر من سرائر القلوب (والشهادة) أى ما انتشر من ظواهر الخطوب  
 (العزیز) المعز بظاهر السيوب (الحكيم) فى الإخبار عن الغيوب . والله أعلم .

## سورة الطلاق مدنية

وهي اثنا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ <sup>(١)</sup> فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ <sup>(٢)</sup> وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ <sup>(٣)</sup>  
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ <sup>(٤)</sup>

(١) خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب، لأن النبي إمام أمتهم وقدوتهم . كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا لإظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه ، وأنه قدوة قومه . فكان هو وحده في حكم كلهم ، وسادا مسدا جميعهم . وقيل التقدير (يا أيها النبي) والمؤمنون . ومعنى (إذا طلقتم النساء) إذا أردتم تطليقهن وهمتم به . على تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه . كقوله عليه السلام "من قتل قتيلًا فله سلبه" . ومنه كان الماشي إلى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي .

(٢) (فطلقوهن) مستقبلات (لعدتهن) . وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم (في قبل عدتهن) . وإذا طلق المرأة في الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلية لعدتها . والمراد أن تطلق المدخول بهن من المعتدات بالحيض في طهر لم يجامعن فيه ، ثم يخلجن حتى تنقضي عدتهن . وهذا أحسن الطلاق .

(٣) واضبطوها بالحفظ وأكلوها ثلاثة أقرء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن وخوطب الأزواج لغفلة النساء .

(٤) (لا تخرجوهن) حتى تنقضي عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة . وهي بيوت الأزواج . وأضيف إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى . وفيه

إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ (١) وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ  
نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (٢) فَإِذَا بَلَغَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ  
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ (٤) وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ (٦)

دليل على أن السكنى واجبة ، وأن الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما إذا  
حلف لا يدخل داره . ومعنى الإخراج ألا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن  
أو لحاجة لهم إلى المساكن ، وألا يأذنوا لهن في الخروج إذا طلبن ذلك ، إيذانا بأن إذهبن  
لا أثره في رفع الحظر . ( ولا يخرجن ) بأنفسهن إن أردن ذلك .

(١) قيل هي الزنا . أى إلا أن يزينا فيخرجن لإقامة الحد عليهن . وقيل خروجها قبل  
انقضاء العدة فاحشة في نفسه .

(٢) أى الأحكام المذكورة .

(٣) ( لا تدرى ) أيها المخاطب ( لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ) بأن يقلب قلبه من بغضها  
إلى محبتها ، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه ، فيراجعها .  
والمعنى ( فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ) ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون .

(٤) ( فإذا ) قاربن آخر العدة فأتتم بالخيار إن شتم فالرجعة والإمساك بالمعروف  
والإحسان . وإن شتم فترك الرجعة والمفارقة وأتقاء الضرر . وهو أن يراجعها في آخر عدتها  
ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها .

(٥) يعنى ( وأشهدوا ) عند الرجعة والفرقة جميعا — وهذا الإشهاد مندوب إليه لثلا يقع  
بينهما التباحث — ( ذوى عدل منكم ) من المسلمين .

(٦) لوجهه خالصا . وذلك أن يقيموها لا للشهود له ولا للشهود عليه ولا لغرض من  
الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الضرر .

ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ  
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ  
يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ

(١) (ذلكم) الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالتقسط (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى إنما ينتفع به هؤلاء .

(٢) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة . والمعنى (ومن يتق الله) فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتياط فأشهد (يجعل) الله (له مخرجا) مما فى شأن الأزواج من الغنوم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويعطه الخلاص (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه . ويجوز أن يحاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله (ذلكم يوعظ به) . أى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) ومخلصا من غنوم الدنيا والآخرة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها ، فقال (مخرجا) من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة . وقال صلى الله عليه وسلم "إنى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتمهم : (ومن يتق الله)". فإزال يقرؤها ويعيدها . وروى أن عوف بن مالك أسر المشركون ابنا له فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابنى وشكا إليه الفاقة . فقال : ما أمسى عند آل محمد إلا مدم . فاتق الله واصبر وأكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . فعاد إلى بيته وقال لامرأته إن رسول الله أمرنى وإياك أن نستكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . فقالت : نعم ما أمرنا به . فجعلوا يقولان ذلك . فبينما هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستاقها . فترلت هذه الآية .

(٣) (ومن) يكمل أمره إليه عن طمع ذيره وتدبير نفسه (فهو حسبته) كافيه فى الدارين .

(٤) حفص . أى منفذ أمره . غيره (بالغ أمره) . أى يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب .

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا <sup>(١)</sup> وَاللَّيْلِ يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ تَسَائِكُمْ <sup>(٢)</sup> إِنْ آرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ <sup>(٣)</sup> وَاللَّيْلِ لَمْ يَحِضْنَ <sup>(٤)</sup> وَأَوْلَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلَهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ <sup>(٥)</sup> وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ إِسْرًا <sup>(٦)</sup> ذَلِكَ أَمْرٌ اللَّهُ أَنْزَلَهُ <sup>(٧)</sup> وَإِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا <sup>(٧)</sup>

(١) تقديرًا وتوقيتًا . وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه ، لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل .

(٢) روى أن ناسًا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الأقران فاعدة اللأئي لم يحضن . فنزلت .

(٣) أى ( إن ) أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن ( فعدتهن ثلاثة أشهر ) أى فهذا حكمهن . وقيل ( إن ارتبتم ) فى دم البالغات مبلغ اليأس — وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين — أهو دم حيض أو استحاضة ، ( فعدتهن ثلاثة أشهر ) . وإذا كانت هذه عدة المراتب بها فغير المراتب بها أولى بذلك .

(٤) هن الصغار . وتقديره ( واللأئي لم يحضن ) فعدتهن ثلاثة أشهر . فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها .

(٥) ( وأولات الأحمال ) عدتهن ( أن يضعن حملهن ) . والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن . وعن على وابن عباس رضى الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعده الأجلين .

(٦) يسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى .

(٧) أى ما علم من حكم هؤلاء المعتدات ( أنزله إليكم ) من اللوح المحفوظ ( ومن يتق الله ) فى العمل بما أنزله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه ( يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ) .

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُوهُنَّ لِتَضْيِقُوا  
 عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ  
 حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِهِنَّ  
 بَيْنَكُمْ

(١) بين التقوى في قوله (ومن يتق الله) . كأنه قيل كيف تعمل بالتقوى في شأن المعتدات ؟ فقيل (أسكنوهن) - وكذا وكذا - (من حيث سكنتم) . هي (من) التبعية مبعضا محذوف . أي (أسكنوهن) مكانا (من حيث سكنتم) أي بعض مكان سكاكم .

(٢) هو عطف بيان لقوله (من حيث سكنتم) وتفسيره . كأنه قيل (أسكنوهن) مكانا من مسكنكم مما تطيقونه . والوجد الوسع والطاقة . وقرئ بالحركات الثلاث . والمشهور الضم .

والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة . وعند مالك والشافعي لا نفقة لبتوتة الحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها أبت طلاقها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة . وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لعليها نسيت أو شبه لها . سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة .

(٣) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) في المسكن ببعض الأسباب من إزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج .

(٤) (وإن كن) أي المطلقات (أولات حمل) ذوات أحمال (فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) . وفائدة اشتراط الحمل أن مدة الحمل ربما تطول فيظن طاق النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحامل . فنفي ذلك الوهم .

(٥) يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدا من ظنهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن أجورهن) فحكهن في ذلك حكم الأظفار . ولا يجوز الاستئجار إذا كان الولد منهن ما لم ين ، خلافا للشافعي رحمه الله .

(٦) أي تشاوروا على التراضي في الأجرة . أو ليأمر بعضهم بعضا . والخطاب للآباء والأمهات .

ولا بد من النفقة  
 وقال امرؤ القيس  
 لا شيء ولا سكنى  
 لمريم فاحتملها  
 وذهب طيفه  
 إلى النفقة

بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسْتَزِضِعْ لَهُ<sup>(١)</sup> أُنْحَرَى<sup>(٢)</sup> لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ<sup>(٣)</sup> وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا<sup>(٤)</sup> وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَمَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ<sup>(٥)</sup> فَخَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا<sup>(٦)</sup> فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا<sup>(٧)</sup> أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا<sup>(٨)</sup>

(١) بما يليق بالسنة ويحسن في المروءة . فلا يما كس الأب ولا تعاسر الأم لأنه ولدهما وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه .

(٢) ( وإن ) تضايقت فلم ترض الأم بما ترضع به الأجنبية ولم يرد الأب على ذلك ( فسترضع له أخرى ) فتستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه . وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة . وقوله ( له ) أي للأب . أي سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه .

(٣) أي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه . يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات . ومعنى ( قدر عليه رزقه ) ضيق . أي رزقه الله على قدر قوته .

(٤) أعطائها من الرزق .

(٥) ( سيجعل الله بعد ) ضيق في المعيشة سعة . وهذا وعد لذي العسر باليسر .

(٦) ( وكأين من ) أهل ( قرية عمت ) أي عصت ( عن أمر ربها ورسوله ) أعرضت عنه على وجه العتو والعتاد ( فخاسبناها حسابا شديدا ) بالاستقصاء والمناقشة ( وعدبناها عذابا نكرا ) ( نكرا ) مدني وأبو بكر . منكرا عظيما ( فذاقت وبال أمرها ) وكان عاقبة أمرها خسرا ( أي خسارا ) وهلاكا . والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر . وحيء



قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا <sup>(١)</sup> رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ  
لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ  
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا <sup>(٢)</sup> قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا <sup>(٤)</sup> اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ <sup>(٥)</sup>

به على لفظ الماضى لأن المتظر من وعد الله ووعيده ملقّ في الحقيقة . وما هو كائن فكان  
قد . ( أعد الله لهم عذابا شديدا ) تكرر للوعيد و بيان لكونه مترقبا . كأنه قال ( أعد الله لهم ) هذا  
العذاب . فليكن لكم ذلك ( يا أولى الألباب ) من المؤمنين لطفاً في تقوى الله وحذر عقابه .  
ويجوز أنه يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظة ،  
وما أصيبوا به من العذاب في العاجل ، وأن يكون ( عت ) وما عطف عليه صفة للقرية ،  
و ( أعد الله لهم ) جواباً لـ ( تكأين ) .

(١) ( ذكرنا ) أى القرآن . وانتصب ( رسولا ) بفعل مضمّر . تقديره أرسل رسولا . أو بدل  
من ( ذكرنا ) كأنه في نفسه ذكر . أو على تقدير حذف المضاف أى ( قد أنزل الله إليكم ) ذا ذكر  
( رسولا ) ، أو أريد بالذكر الشرف . كقوله ( وإنه لذكر لك ولقومك ) أى ذا شرف ومجد عند الله ؛  
وبالرسول جبريل أو مجد عليهما السلام .

(٢) ( يتلوا ) أى الرسول أو الله عزّ وجلّ ( عليكم آيات الله مبينات ليخرج ) الله ( الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات ) أى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح . أو ليخرج  
الذين علم أنهم يؤمنون ( من الظلمات إلى النور ) من ظلمات الكفر أو الجهل إلى نور الإيمان  
أو العلم .

(٣) ( يدخله ) — وبالنون مدنيّ وشاميّ — ( جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين  
فيها أبداً ) . وحدّ وجمع حملا على لفظ ( من ) ومعناه .

(٤) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب .

(٥) مبتدأ وخبر .

سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٤﴾

(١) أجمع المفسرون على أن السموات سبع . (ومن الأرض مثلهن) بالنصب عطفًا على  
(سبع سموات) قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية . وبين كل  
سمايين مسيرة خمسمائة عام . وغازط كل سماء كذلك . والأرضون مثل السموات . وقيل  
الأرض واحدة . إلا أن الأقاليم سبعة .

(٢) أى يجزى أمر الله وحكمه بينهما وما لهما ينفذ فيهن .

(٣) اللام يتعلق بخلق .

(٤) هو تمييز . أو مصدر من غير لفظ الأول . أى قد علم كل شيء علما . وهو علام

الغيوب .

## سورة التحريم مدنية

وهي اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ <sup>(١)</sup> قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ <sup>(٢)</sup>

(١) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة رضى الله عنها وعلمت بذلك حفصة . فقال لها اكنمى على . وقد حرمت مارية على نفسى . وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى . فأخبرت به عائشة . وكانتا مصادقتين . وقيل خلا بها في يوم حفصة . فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها . واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية . فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فإنها صوامة قوامة . وإنها لمن نسائك في الجنة . وروى أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له : إنا نشم منك ريح المغافير . وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل . فحرم العسل . فعناه ( لم تحرم ما أحل الله لك ) من ملك اليمين أو من العسل ( تبغى مرضات أزواجك ) تفسير لتحريم ، أو حال ، أو استثناء . وكان هذا زلة منه ، لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله . ( والله غفور ) قد غفر لك ما زلت فيه ( رحيم ) قد رحمك فلم يؤاخذك به .

(٢) قد قدر الله لكم ما تحالون به إيمانكم . وهي الكفارة . أو قد شرع لكم تحليلها بالكفارة . أو شرع الله لكم الاستثناء في إيمانكم . من قولك حلل فلان في يمينه إذا استثنى فيها وذكر إن

وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ <sup>(١)</sup> وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ  
 حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضِ  
 فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ <sup>(٢)</sup>

شاء الله عقبيها حتى لا يحنث . وتحريم الحلال يمين عندنا . وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة في تحريم مارية . وعن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وإنما هو تعليم للمؤمنين .

(١) (والله) سيدكم ومتولى أموركم . وقيل (مولاكم) أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحتة أنفع لكم من نصائحكم أنفسكم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فيما أحل وحرّم .

(٢) يعنى (وإذ أسر النبي إلى) حفصة حديث مارية وإمامة الشيخين (فلما) أفشته إلى عائشة رضى الله عنها (وأظهره الله عليه) وأطلع النبي صلى الله عليه وسلم على إفشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام ، (عرّف بعضه) أعلم ببعض الحديث (وأعرض عن بعض) فلم يخبر به تكثرما . قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام . (عرف) بالتخفيف ، على . أى جازى عليه . من قولك للمسيء لأعرفنك لك ذلك . وقيل المعروف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية . وروى أنه قال لها : ألم أقل لك اكنمى على ؟ قالت : "والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى" ، فرحا بالكرامة التى خصص الله بها أباه .

(٣) (فلما) نبأ النبي حفصة بما أفشت من السر إلى عائشة (قالت) حفصة للنبي صلى الله عليه وسلم (من أنبأك هذا قال نبأني العليم) بالسرائر (الخبير) بالضمائر .

إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ  
 مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٣)  
 عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسَلِّمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ (٤)  
 (٥)

(١) خطاب لخصمة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما . وجواب الشرط محذوف . والتقدير ( إن تتوبا إلى الله ) فهو الواجب . ودل على المحذوف ( فقد صغت ) مالت ( قلوبكما ) عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه .

(٢) (تظاهرا) بالتخفيف كوفي . وإن تعاونا عليه بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره ( فإن الله هو ) وليه وناصره — وزيادة ( هو ) إيدان بأنه يتولى ذلك بذاته — ( وجبريل ) أيضا وليه ( وصالح المؤمنين ) ومن صلح من المؤمنين . أى كل من آمن وعمل صالحا . وقيل : من برئ من النفاق . وقيل : الصحابة . قيل : واحد أريد به الجمع . كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس . وقيل أصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ .

(٣) ( والملائكة ) على تكاثر عددهم ( بعد ذلك ) بعد نصرته الله وجبريل وصالحى المؤمنين ( ظهير ) فوج مظاهر له . فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ؟ ولما كانت مظاهره الملائكة من جملة نصرته الله قال ( بعد ذلك ) تعظيما لنصرتهم ومظاهرهم .

(٤) ( يبده ) — مدنى وأبو عمرو . فالتشديد للكثرة — ( أزواجا خيرا منكنا ) . فإن قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين ؟ قلت إذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة ، وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف خيرا منهن .

(٥) مقرات مخلصات .

قَدِّمْتِ تَنبِيَّاتٍ عَابِدَاتٍ سَدَّيْحَتِ ثِيَّبَتِ وَأَبْكَارًا ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا  
 مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٢﴾  
 يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾

(١) (قائلات) مطيعات — فالقنوت هو القيام بطاعة الله. وطاعة الله في طاعة رسوله —  
 (تائبات) من الذنوب أو راجعات إلى الله وإلى أمر رسوله (عابدات) الله (سائحات) مهاجرات —  
 أو صائمات. وقيل للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد ما يطعمه.  
 فشبّه به الصائم في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره — (ثيبيات وأبكارا) — إنما وسط  
 العاطف بين الثيبيات والأبكار دون سائر الصفات لأنهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر  
 الصفات.

(٢) (قوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون  
 به أنفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لا تتقد إلا بالناس والحجارة كما يتقد  
 غيرها من النيران بالخطب (عليها) إلى أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعني الزبانية التسعة  
 عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) في أجرامهم غلظة وشدة أو غلاظ الأقوال، شداد الأفعال  
 (لا يعصون الله) في موضع الرفع على النعت (ما أمرهم) في محل نصب على البدل. أي  
 (لا يعصون) ما أمر الله. أي أمره. كقوله (أفصيت أمرى). أو لا يعصونه فيما  
 أمرهم (ويفعلون ما يؤمرون). وليست الجملة في معنى واحد. إذ معنى الأولى أنهم  
 يتقربون بأوامره ويلتزمونها، ومعنى الثانية أنهم يؤدّون ما يؤمرون به ولا يتأقلمون عنه  
 ولا يتوانون فيه.

(٣) أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار: (لا تعتذروا) لأنه لا عذر لكم أو لأنه  
 لا ينفعكم الاعتذار. (إنما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ  
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي  
اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ  
يَقُولُونَ رَبَّنَا ائْتِنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴿٢﴾

(١) صادقة ، عن الأخفش رحمه الله . وقيل خالصة . يقال غسل ناصح إذا خلص من  
الشمع . وقيل (نصوحا) من نصاحة الثوب . أى توبة ترفو خروقك في دينك وترم خلك .  
ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله  
الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها . وبضم النون حماد ويحيى . وهو مصدر . أى ذات  
(نصوح) أو تنصح نصوحا . وجاء مرفوعا " إن التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى  
الذنب إلى أن يعود اللب في الضرع" . وعن حذيفة "بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب  
ثم يعود فيه" . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : "هى الاستغفار باللسان ، والندم بالجنان ،  
والإقلاع بالأركان" .

(٢) هذا على ما جرت به عادة الملوك من الإجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع  
القطع والبت .

(٣) نصب بيدخلكم .

(٤) فيه تعريض بمن أنزاهم الله من أهل الكفر .

(٥) (نورهم) مبتدأ . (يسعى بين أيديهم وبأيمنهم) في موضع الخبر .

(٦) يقولون ذلك إذا انطفأ نور المنافقين .

(٧) (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ ، والوعد البليغ — وقيل  
بإقامة الحدود عليهم — (واغلظ عليهم) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان .

وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا  
 أَمْرَاتِ نُوحٍ وَأَمْرَاتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ  
 فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ  
 الدَّاخِلِينَ ﴿١١﴾

(١١) مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين  
 بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وإن كان  
 المؤمن الذي يتصل به الكافر نبياً، بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين  
 بإفشاء أسرارهما، فلم يغن الرسولان (عنهما) أى عن المرأتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج  
 إغناء ما من عذاب الله، (وقيل) لهما - عند موتهما، أو يوم القيامة - (ادخلا النار مع)  
 سائر (الداخِلين) الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخلها من إخوانكما من قوم نوح  
 وقوم لوط .

ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئاً من ثوابهم وزلفاهم  
 عند الله، بحال امرأة فرعون ومزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله، ومريم  
 ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين، مع أن قومها  
 كانوا كفارا .

وفي طيِّ هذين التمثيلين تعريض بأقوى المؤمنين المذكورتين في أول السورة، وما فرط  
 منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه، وتحذير لهما على أغلظ وجه،  
 وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص كهاتين المؤمنتين وآلات تتكلا على أنهما  
 زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم .



وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ  
 بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾  
 وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ  
 بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿٣﴾

(١) هي آسية بنت مزاحم . آمنت بموسى فعذبها فرعون بالأوتاد الأربعة .

(٢) (إذ قالت) وهي تعذب (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) - فكأنها أرادت الدرجة  
 العالية ، لأنه تعالى متره عن المسكان ، فعبرت عنها بقولها (عندك) - (ونجيني من فرعون  
 وعمله) أى من عمل فرعون ، أو من نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر  
 والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجيني من القوم الظالمين) من القبط كلهم . وفيه دليل على أن  
 الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل ، من سير الصالحين .

(٣) (أحصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا) فنفخ جبريل بأمرنا (فيه) فى الفرج  
 (من روحنا) المخلوقة لنا (وصدقت بكلمات ربها) أى بصحفه التي أنزلها على إدريس  
 وغيره (وكتبه) بصري وحفص يعنى الكتب الأربعة (وكانت من القانتين) . لما كان  
 الفنون صفة تشمل من قنت من القبيلين ، غلب ذكوره على إناثه . و (من) للتعبير  
 ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت (من القانتين) لأنهما من أعقاب هرون  
 أخى موسى عليهما السلام .

## سورة الملك مكية

وهي ثلاثون آية . وتسمى الوافية والمنجية لأنها تقي قارئها من عذاب القبر

وجاء مرفوعاً " من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب "

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ <sup>(١)</sup> الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ  
وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ <sup>(٢)</sup>

(١) (تبارك) تعالى وتعاضم عن صفات المخلوقين (الذي بيده الملك) أي بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود ، وهو مالك الملك يؤتیه من يشاء وينزعه من يشاء (وهو على كل شيء) من المقدورات ، أو من الإنعام والانتقام (قدير) قادر على الكمال .

(٢) (الذي خلق الموت) — خبر مبتدأ محذوف أو بدل من (الذي) قبله — (والحياة) أي ما يصح بوجوده الإحساس . والموت ضده . ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه . والمعنى (خلق) موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) ليمتحنكم بأمره ونهيه فيما بين الموت الذي يعم الأمير والأسير ، والحياة التي لاتقى بعليل ولا طيب ، فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم ، فيجازيكم على عملكم لاعلى علمه بكم . (أيكم) مبتدأ وخبره (أحسن عملاً) أي أخلصه وأصوبه فالخالص أن يكون لوجه الله . والصواب أن يكون على السنة . والمراد أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح . فما وراءه إلا البعث والجزاء الذي لا بد منه . وقدم الموت على الحياة

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا<sup>(١)</sup> مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ<sup>(٢)</sup>  
فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ<sup>(٣)</sup> ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ  
يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ<sup>(٤)</sup> وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا<sup>(٥)</sup>

لأن أقوى الناس داعيا إلى العمل من تصب موته بين عينيه. فقدم لأنه فيا يرجع إلى المسوق له الآية أهم. ولما قدم الموت الذي هو أثر صفة القهر، على الحياة التي هي أثر اللطف، قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله (وهو العزيز) أي الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل، (الغفور) السطور الذي لا يئس منه أهل الإساءة والزلل.

(١) مطابقة بعضها فوق بعض. من طابق النعل إذا خصفها طبقا على طبق. وهذا وصف بالمصدر. أو على ذات طباق. أو على طوبقت (طباقا). وقيل جمع طبق بحمل وبهال.

(٢) (ما ترى في خلق الرحمن) — الخطاب للرسول أو لكل مخاطب — (من تفوت) حمزة وعلى. ومعنى البنائين واحد كالتعاهد والتعهد. أي من اختلاف واضطراب. وعن السدي: من عيب. وحقيقة التفاوت عدم التناسب. كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه. وهذه الجملة صفة (طباقا). وأصلها (ما ترى) فيهن (من تفاوت). فوضع (خلق الرحمن) موضع الضمير، تعظيما لخلقهن وتنبها على سبب سلامتهن من التفاوت، وهو أنه خلق الرحمن، وأنه بياهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب.

(٣) (فارجع البصر) رده إلى السماء حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعينة فلا تبقى معك شبهة فيه: (هل ترى من فطور) صدوع وشقوق. جمع فطر وهو الشق.

(٤) (ثم) كثر النظر (كرتين) أي مرتين مع الأولى. وقيل سوى الأولى. فتكون ثلاث مرات. وقيل: لم يرد الاقتصار على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة. أي كثر نظرك ودققه هل ترى خلا أو عيبا. وجواب الأمر (ينقلب) يرجع (إليك البصر خاسئا) ذليلا أو بعيدا مما تريد — وهو حال من البصر — (وهو حسير) كليل معي ولم يرف فيها خلا.

(٥) القربي. أي (السماء الدنيا) منكم.

بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ <sup>(٣)</sup>  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ <sup>(٤)</sup> إِذَا الْقُورُ  
 فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ <sup>(٥)</sup> تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ <sup>(٦)</sup>

(١) بكواكب مضيئة كإضاءة الصبح. والمصابيح السرج. فسميت بها الكواكب. والناس يزيتون مساجدهم ودورهم بإيقاد المصابيح. فقيل (ولقد زيننا) سقف الدار التي اجتمعتم فيها (بمصباح) أى بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة.

(٢) أى لأعدائكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات. قال قتادة: خلق الله النجوم ثلاث: زينة للساء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به. والرجوم جمع رجم. أو هو مصدر سمي به ما يرحم به. ومعنى كونها (رجوما للشياطين) أن ينفصل عنها شهاب قبس يؤخذ من نار فيقتل الجنى أو يجلبه، لأن الكواكب لاترول عن أماكنها لأنها قازرة في الفلك على حالها.

(٣) (وأعدنا) للشياطين (عذاب السعير) فى الآخرة بعد الإحراق بالشهب فى الدنيا.

(٤) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك (وبئس المصير) المرجع، جهنم.

(٥) (إذا) طرحوا فى جهنم كما يطرح الخطب فى النار العظيمة (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا) صوتا منكرا كصوت الحجر. شبه حسيبها المنكر الفظيع بالشهيق (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه،

(٦) (تكاد) تميز عنى تتقطع وتتفرق (من الغيظ) على الكفار بفحمت كما اغتاظة عليهم

استعارة لشدة غليانها بهم.

كَلَّمَآ أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ<sup>(١)</sup>  
 قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ  
 إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ<sup>(٢)</sup> وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا  
 فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ<sup>(٣)</sup> فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ<sup>(٤)</sup> فَسُحِقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ<sup>(٥)</sup>

(١) (كلما ألقى فيها) جماعة من الكفار (سألهم خزنتها) مالك وأعوانه من الزبانية ،  
 تو بيظالم : ( ألم يأتكم نذير) رسول يخوفكم من هذا العذاب . فالنذير بمعنى الإنذار . ثم وصف به  
 منذروهم لغزهم في الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذارا .

(٢) اعتراف منهم بعلل الله وإقرار بأنه تعالى أزاح عنهم بيعث الرسل وإنذارهم  
 ما وقعوا فيه .

(٣) أي فكذبناهم (وقلنا ما نزل الله من شيء) مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك ،  
 (إن أنتم إلا في ضلال كبير) أي قال الكفار للنذيرين ما أنتم إلا في خطأ عظيم . وجاز أن يكون  
 هذا كلام الخزنة للكفار على إرادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك . أو سموا جزء الضلال  
 باسمه كما سمي جزء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء . ويسمى المشاكلة في علم البيان . أو كلام  
 الرسل لهم حكوه للخنزة . أي قالوا لنا هذا فلم تقبله .

(٤) (لو كنا نسمع) الإنذار سماع طالب الحق (أو نعقل) أي نعقله عقول متأمل  
 (ما كنا في أصحاب السعير) في جملة أهل النار . وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع  
 والعقل ، وأنهما حجتان ملزمتان .

(٥) بكفرهم في تكذيبهم الرسل .

(٦) وبضم الحاء يزيد وعلى . فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته ، اعترفوا أو بجدوا . فإن  
 ذلك لا ينفهم . وانتصابه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء .

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ<sup>(١)</sup>  
 وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ<sup>(٢)</sup> أَلَا يَعْلَمُ  
 مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ<sup>(٣)</sup> هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ  
 ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ<sup>(٤)</sup>

(١) (إن الذين يخشون ربهم) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (وأجر كبير)

أى الجنة .

(٢) ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإسرار والإجهار . ومعناه ليستو عندكم إسراركم وإجهاركم في علم الله بهما . روى أن مشركي مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوه منه . فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد . فنزلت . ثم قاله بقوله (إنه عليم بذات الصدور) أى بضمايرها قبل أن تترجم الألسنة عنها ، فكيف لا يعلم ما تكلم به ؟ .

(٣) (من) فى موضع رفع بانه فاعل يعلم . أنكر ألا يحيط علما بالمضممر والمسر والمجهر من خلقها وصفته أنه (اللطيف) أى العالم بدقائق الأشياء (الخبير) العالم بمخالفات الأشياء . وفيه إنبات خلق الأقوال ، فيكون دليلا على خلق أفعال العباد . وقال أبو بكر بن الأصم وجعفر بن حرب (من) مفعول . والفاعل مضممر . وهو الله تعالى فاحتالا بهذا لئفى خلق الأفعال .

(٤) لينة سهلة . مذلة لا تمنع المشى فيها .

(٥) (فامشوا فى) جوانبها استدلالا واستزاقا — أو جبالها ، أو طرقها — (وكلوا من رزقه) أى من رزق الله فيها (وإليه النشور) أى وإليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم .

ءَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ <sup>(١)</sup>  
 أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا <sup>(٢)</sup> فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ  
 نَذِيرٍ <sup>(٣)</sup> وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ <sup>(٤)</sup> أَوَلَمْ  
 يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ <sup>(٥)</sup>

(١) أى (أأمنتم من) ملكوته (في السماء) لأنها مسكن ملائكته ، ومنها تنزل فضايها  
 وكتبه وأوامره ونواهيها ، فكأنه قال (أأمنتم) خالق السماء وملكه . أولآتهم كانوا يعتقدون  
 التشبيه ، وأنه في السماء ، وأن الرحمة والعذاب يتزلان منه . فقيل لهم على حسب اعتقادهم  
 (أأمنتم من) تزعمون أنه (في السماء) وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الأرض)  
 كما خسف بقارون (فإذا هي تمور) تضطرب وتتحرك .

(٢) حجارة . (أن يرسل) بدل من بدل الاشتمال . وكذا (أن يخسف) .

(٣) أى إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذارى حين لا ينفعكم العلم .

(٤) (ولقد كذب الذين) من قبل قومك (فكيف كان نكير) أى إنكارى عليهم  
 إذ أهلكتهم .

(٥) نبه على قدرته على الخسف وإرسال الحاصب بقوله (أولم يروا إلى الطير) جمع  
 طائر (فوقهم) في الهواء (صافات) باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانهن (ويقبضن)  
 ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن . (ويقبضن) معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى .  
 أى يصففن (ويقبضن) ، أو (صافات) وقابضات . واختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل  
 الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء ، والهواء للطائر كالماء  
 للسباح . والأصل في السباحة ممد الأطراف وبسطها . وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار  
 به على التحرك . فجاء بسا هو طارئ بلفظ الفعل ، على معنى أنهم صافات ويكون منهن

إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ <sup>(١)</sup> أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدُ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ  
 دُونِ الرَّحْمَنِ <sup>(٢)</sup> إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ <sup>(٣)</sup> أَمَّنْ هَذَا الَّذِي  
 يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ <sup>(٤)</sup> بَلْ لَجَّوْا فِي عَتْوٍ وَنُفُورٍ <sup>(٥)</sup> أَفَمَنْ يَمْشِي  
 مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ <sup>(٦)</sup>

القبض تارة بعد تارة كما يكون من الساج . ( ما يمسهن ) عن الوقوع عند القبض والبسط  
 ( إلا الرحمن ) بقدرته . وإلا فالثقل يتسفل طبعا ولا يعلو . وكذا لو أمسك حفظه وتديره  
 عن العالم لتهافت الأفلاك . و ( ما يمسهن ) مستأنف . وإن جعل حالا من الضمير  
 في ( يقبضن ) يجوز .

(١) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب .

(٢) (من) مبتدأ خبره (هذا) . ويبدل من هذا (الذي هو جند لكم) . ومحل (ينصركم  
 من دون الرحمن) رفع نعت بلجند محمول على اللفظ . والمعنى من المشار إليه بالنصر غير الله تعالى .

(٣) أى ما هم (إلا في غرور) .

(٤) (أم من) يشار إليه ويقال (هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه) وهذا على التقدير .  
 ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون  
 ببركة آلهتهم . فكانتهم الجند الناصر والرازق .

(٥) لما لم يتعظوا أضرب عنهم فقال (بل لجوا) تمادوا (في عتو) استتجار  
 عن الحق (ونفور) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه .

(٦) ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (أفمن يمشى مكبًا على وجهه) أى ساقطًا  
 على وجهه يعثر كل ساعة ويمشى معتسفاً — وأكب مطاوع كبه يقال كبته فأكب — (أهدى)  
 أرشد — خبر (من) — (أم من يمشى سويًا) مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور  
 (على صراط مستقيم) على طريق مستو . وخبر (من) محذوف لدلالة (أهدى) عليه .  
 وعن الكلبي : عن بالمكب أبو جهل ، وبالسوى النبي عليه السلام .



قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ  
 قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ  
 تُحْشَرُونَ ﴿٢﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ قُلْ إِنَّمَا  
 أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ  
 وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٥﴾

﴿١﴾ (هو الذي) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) . خصها لأنها  
 آلات العلم . (قليلًا ما تشكرون) هذه النعم لأنكم تشكرون بالله ولا تخلصون له العبادة . والمعنى  
 (تشكرون) شكرا قليلا . و (ما) زائدة . وقيل القلة عبارة عن العدم .

﴿٢﴾ (هو الذي) خلقكم (في الأرض وإليه تحشرون) للحساب والجزاء . (ويقولون) أى  
 الكافرون للمؤمنين استهزاء : (متى هذا الوعد) الذى تعدوننا به ؟ يعنى العذاب . (إن كنتم  
 صادقين) فى كونه فأعلمونا زمانه .

﴿٣﴾ أى (قل) علم وقت العذاب (عند الله وإنما أنا نذير) مخوف (مبين) أبين لكم  
 الشرائع .

﴿٤﴾ (فلما رأوه) أى الوعد يعنى العذاب الموعود (زلفه) قريبا منهم — وانتصابها على  
 الحال — (سيئَتْ وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة والمساءة  
 وغشيتها القتر والسواد (وقيل هذا الذى) — القائلون الزبانية — (كنتم به تدعون) تفتعلون  
 من الدعاء أى تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا . أو هو من الدعوى أى كنتم بسببه  
 تدعون أنكم لا تبعثون . وقرأ يعقوب (تدعون) .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ  
 مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ <sup>(١)</sup> قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ  
 مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ <sup>(٢)</sup> قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ  
 يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ <sup>(٣)</sup>

(١) أى (إن) أمانتى الله - كقوله (إن امرؤ هلك) - (ومن معى) من أصحابى (أو رحمتنا) أو أتحرف فى آجالنا (فمن يجير) ينجى (الكافرين من عذاب أليم) مؤلم؟ كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لإحدى الحسنين إما أن نهلك كما تمنون فننقلب إلى الجنة ، أو نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو . فأنتم ما تصنعون؟ من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار؟ لا بد لكم منه .

(٢) أى الذى أدعوكم إليه (الرحمن أماناً به) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكَّلنا) فوضنا إليه أمورنا (فستعلمون) إذا نزل بكم العذاب - وبالباء، على - (من هو فى ضلال مبين) نحن أم أنتم .

(٣) غائراً ذاهباً فى الأرض لاتناله الدلاء . وهو وصف بالمصدر ، كعدل بمعنى عادل .

(٤) جار يصل إليه من أراده . وتليت عند ملحد فقال يأتى بالمعول والمعن . فذهب ماء عينه فى تلك الليلة وعمى . وقيل لأنه مجد بن زكريا المتطبب . زادنا الله بصيرة .

## سورة ن مكية

وهي اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾

(١) الظاهر أن المراد به هذا الحرف من حروف المعجم . وأما قول الحسن إنه الدواة ، وقول ابن عباس إنه الحوت الذي عليه الأرض واسمه بهموت ، فمشكل لأنه لا بد له من الإعراب سواء كان اسم جنس ، أو اسم علم . فالسكون دليل على أنه من حروف المعجم .

(٢) أى ما كتب به اللوح ، أو قلم الملائكة ، أو الذى يكتب به الناس . أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف .

(٣) أى ما يسطره الحفظة ، أو ما يكتب به من الخير من كتب . و ( ما ) موصولة أو مصدرية .

(٤) جواب القسم . ف ( أنت ) اسم ( ما ) . وخبرها ( مجنون ) . و ( بنعمة ربك ) — أى بإنعامه عليك بالنبوة وغيرها — اعتراض بين الاسم والخبر . والباء فى ( بنعمة ربك ) تتعلق بمحذوف . ومحلّه النصب على الحال ، والعامل فيها ( مجنون ) . وتقديره ( ما أنت ) مجنون منعا عليك بذلك . ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي . وهو جواب قولهم ( وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكرك إنك لمجنون ) .

الارأى آفة  
أو منعه فصل لنفسي  
والنقطة بر اشقى الي  
عندك بسبب لعمري  
ربك عذب

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ <sup>(١)</sup> وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ <sup>(٢)</sup>  
 فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ <sup>(٣)</sup> بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ <sup>(٤)</sup> إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ  
 بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ <sup>(٥)</sup> فَلَا تُطْعِ  
 الْمُكذِّبِينَ <sup>(٦)</sup> وَدَوَّاءُ لَوْ تَدَهَّنُ فَيُدْهِنُونَ <sup>(٧)</sup>

(١) (وإن لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (لأجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع ،  
 أو (غير ممنون) عليك به .

(٢) قيل هو ما أمره الله تعالى به في قوله ( خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن  
 الجاهلين). وقالت عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن" أى ما فيه من مكارم الأخلاق.  
 وإنما استعظم خلقه لأنه جاد بالكويزين وتوكل على خالقهما .

(٣) أى عن قريب ترى ويرون - وهذا وعد له ووعد لهم - (بأيكم المفتون)  
 المجنون لأنه فتن أى محن بالجنون . والباء مزيدة . أو المفتون مصدر كالمعقول أى (بأيكم)  
 الجنون . وقال الزجاج الباء بمعنى فى . تقول كنت ببلد كذا أى فى بلد كذا . وتقديره فى (أيكم  
 المفتون) أى فى أى الفريقين منكم المجنون فريق الإسلام أو فريق الكفر .

(٤) أى هو أعلم بالمجاذين على الحقيقة . وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين)  
 أى هو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون .

(٥) تهبج للتصميم على معاصاتهم . وقد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلتهم مدة  
 ويكفوا عنه غوائلهم .

(٦) (ودواء) لو تلين لهم فيلينون لك . ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التثنية لأنه عدل  
 به إلى طريق آخر . وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف . أى (ف) هم (يدهنون) أى فهم الآن  
 يدهنون لطمعهم فى إدهانك .

وَلَا تُطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١﴾ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿٢﴾ مَنَاعٍ  
لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿٣﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿٤﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ  
وَبَنِينَ ﴿٥﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾

(١) (ولا تطع كل) كثير الحلف في الحق والباطل — وكفى به مزججة لمن اعتاد الحلف —  
(مهين) حقير في الرأي والتمييز ، من المهانة وهي القلة والحقارة . أو كذاب لأنه حقير عند  
الناس (همزاز) عياب طعان مغتاب (مشاء بنميم) يقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه  
السعاية والإفساد بينهم — والنميم والنميمة السعاية — (مناع للخير) بخيل — والخير المال . أو مناع  
أهله من الخير . وهو الإسلام . والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور . وكان يقول لابنيه  
العشرة من أسلم منكم بنعتي رددى — (معتد) مجاوز في الظلم حدّه (أثيم) كثير الآثام (عتل)  
غليظ جاف (بعد ذلك) بعد ما عد له من المثالب (زنييم) دعوى . وكان الوليد دعياً في قريش  
ليس من سنخهم . ادّعاء أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده . وقيل بغت أمه ولم يعرف  
حتى نزلت هذه الآية . والنطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها . روى أنه دخل على أمه وقال  
إن محمداً وصفني بعشر صفات وجدت سمعاً في . فأما الزنييم فلا علم لي به . فإن أخبرتني بحقيقته ،  
وإلا ضربت عنقك فقالت : إن أباك عني . وخذت أن يموت فيصل ماله إلى غير ولده .  
فدعوت راعياً إلى نفسي فأنت من ذلك الراعي . قالوا لما عاب الوليد النبي صلى الله عليه وسلم  
— كاذباً — باسم واحد وهو المجنون ، سمّاه الله تعالى بعشرة أسماء صادقا . فإن كان من عدله  
أن يجرى المسمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة ، كان من فضله أن من صلى عليه  
واحدة صلى الله عليه بها عشرة .

(٢) (أن كان) متعلق بقوله (ولا تطع) . أي ولا تطعه مع هذه المثالب لـ (أن كان ذا مال) أي  
ليساره وحظه من الدنيا . ويجوز أن يتعلق بما بعده . أي لـ (أن كان ذا مال وبنين) كذب  
بآياتنا . يدل عليه (إذا تلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال أساطير الأولين) . ولا يعمل فيه (قال)  
لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله . (أن) حمزة وأبو بكر . أي لأن كان ذا مال كذب ؟  
(أن) شامى ويزيد ويعقوب وسهل .

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطومِ <sup>(١)</sup> إنا بلونهم <sup>(٢)</sup> كما بلونا أصحاب الجنة <sup>(٣)</sup>  
 إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين <sup>(٤)</sup> ولا يستثنون <sup>(٥)</sup> فطاف عليها  
 طائف من ربك وهم نائمون <sup>(٦)</sup> فأصبحت كالصريم <sup>(٧)</sup>  
 فتنادوا مصبحين <sup>(٨)</sup> إن اغدوا على حرتكم <sup>(٩)</sup> إن كنتم صرمين <sup>(١٠)</sup>

(١) سنكويه (على الخرطوم) على أنفه مهانة له وعلمها يعرف به . وتخصيص الأنف بالذكر لأن الوسم عليه أبعث . وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت سمة على خرطومه .

(٢) امتحنا أهل مكة بالتحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال "اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف" .

(٣) هم قوم من أهل الصلات كانت لأبيهم هذه الجنة بقرية يقال لها ضروان . وكانت على فرسخين من صنعاء . وكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي على الفقراء . فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ، ونحن أولو عيال . خلفوا (ليصرمنها مصبحين) في السدف ، خيفة من المساكين . ولم يستثنوا في يمينهم . فأحرق الله جنتهم . وقال الحسن كانوا كفارا . والجمهور على الأول .

(٤) حلفوا (ليصرمنها) ليقطعن ثمرها (مصبحين) داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء — حال من فاعل (ليصرمنها) — (ولا يستثنون) ولا يقولون إن شاء الله . وسمى استثناء وإن كان شرطا صورة لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث إن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ، ولا أخرج إلا أن يشاء الله ، واحد .

(٥) نزل عليها بلاء . نزل أنزل الله تعالى عليها نارا فأحرقتها (وهم نائمون) أى فى حال نومهم (فأصبحت) فصارت الجنة (كالصريم) كالليل المظلم . أى احترقت فاسودت . أو كالصبح . أى صارت أرضا بيضاء بلا شجر . وقيل كالمصرومة أى كأنها صرمت لهلاك ثمرها .

(٦) نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أن اغدوا) باكروا (على حرتكم) ولم يقل إلى حرتكم لأن الغدو إليه ليصرموه كان غدوا عليه . أو ضمن الغدو معنى الإقبال . أى فأقبلوا على حرتكم باكرين (إن كنتم صرمين) مريدين صرامه .

فَأَنْطَلِقُوا فِيهِمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿١﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ  
 مَسْكِينٌ ﴿١﴾ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَلِيلٍ ﴿٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا  
 إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٣﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٣﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ  
 لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٤﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤﴾

(١) ذهبوا (وهم يتخافتون) يتسازون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (أن لا يدخلها) أي الجنة. و(أن) مفسرة. وقرئ بطرحها بإضمار القول. أي (يتخافتون) يقولون (لا يدخلها اليوم عليكم مسكين). والنهي عن دخول المسكين نهى عن التمكين. أي لا تمكنوه من الدخول.

(٢) (وغدوا) على جد في المنع (قادرين) عند أنفسهم على المنع. كذا عن نبطويه. أو الحرد القصد والسرعة. أي (وغدوا) قاصدين إلى جنتهم بسرعة (قادرين) عند أنفسهم على صرامها وزى منفعتها عن المساكين. أو هو علم للجنة أي (غدوا على) تلك الجنة (قادرين) على صرامها عند أنفسهم.

(٣) (فلما رأوها) أي جنتهم محترقة (قالوا) في بديهة ووصولهم (إننا لضالون) أي ضللنا جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها. فلما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا (بل نحن محرومون) حرمانا خيرها بلحنا يتنا على أنفسنا.

(٤) (قال) (أعد لهم وخيرهم) (الم أقل لكم لولا تسبحون) هلا تستنون إذ الاستثناء التسبيح لانتقامها في معنى التعظيم لله. لأن الاستثناء تفويض إليه. والتسبيح تنزيه له. وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم. أو (لولا) تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم. كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك: اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الحيثية. فعصوه فعيبرهم. ولهذا (قالوا سبحان ربنا. إننا كنا ظالمين) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم إلى التكلم به أولا وأفتوا على أنفسهم بالظلم في منع المعروف وترك الاستثناء وزهوه عن أن يكون ظالما.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا  
 طَٰغِيْنَ ﴿٢﴾ عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يُّبَدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا  
 رَاغِبُونَ ﴿٣﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَٰعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا  
 يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٥﴾ أَفَنَجْعَلُ  
 الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٦﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٧﴾

(١) (أقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الحرب من  
 المساكين ويحيل كل واحد منهم الائمة على الآخر. ثم اعترفوا جميعا بأنهم تجاوزوا الحد بقوله  
 (قلوا يا ويلنا إنا كنا طاغين) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء.

(٢) (أن يبدلنا) - بالتشديد مدنى وأبو عمرو - (خيرا منها) من هذه الجنة.

(٣) طالبون منه الخير راجون لعفوه. عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها. وعن  
 ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى أنهم أخلصوا فأبدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل  
 البغل منه عقودا.

(٤) أى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه ، عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب  
 الآخرة أكبر) أعظم منه. (لو كانوا يعلمون) لما فعلوا ما يفضى إلى هذا العذاب. ثم ذكر  
 ما عنده للمؤمنين فقال (إن للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) أى فى الآخرة (جنات النعيم)  
 جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا.

(٥) استفهام إنكار على قولهم لو كان ما يقول محمداً حقاً فنحن نعطي فى الآخرة خيرا  
 مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا. فقيل لهم (أ) نحيف فى الحكم (فنجعل المسامين)  
 كالكافرين؟ ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الأعوج  
 - وهو التسوية بين المطيع والعاصى - كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه  
 بما شئتم.



أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿١﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ مَا تَحْيُرُونَ ﴿١﴾  
 أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا  
 تَحْكُمُونَ ﴿٢﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٣﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ  
 فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٢﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٣﴾

(١) (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرأون في ذلك الكتاب (إن لكم فيه ما تحيرون) أي أن ما تختارونه وتستمونه لكم . والأصل تدرسون أن لكم ما تحيرون بفتح أن لأنه مدروس لوقوع الدرس عليه . وإنما كسرت لمحيء اللام . ويجوز أن يكون حكاية للمدرس كما هو كقوله (وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح) . وتخيّر الشيء واختاره أخذ خيره .  
 (٢) (أم لكم) عهود مؤكدة بالآيمان (بالغة إلى يوم القيامة) — (بالغة) نعت (آيمان) . ويتعلق (إلى يوم القيامة) بالغة . أي أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرة لم تبطل منها بين إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم . أو بالمقدر في الظرف . أي هي ثابتة لكم علينا (إلى يوم القيامة) لا نخرج عن عهدها إلا يومئذ إذا حكمتكم وأعطيناكم ما تحكون — (إن لكم ما تحكون) به لأنفسكم . وهو جواب القسم . لأن معنى (أم لكم آيمان علينا) أم أقسمنا لكم بآيمان مغلظة متناهية في التوكيد . (سلمهم) أي المشركين (أيهم بذلك) الحكم (زعيم) كقيل بأنه يكون ذلك . (أم لهم شركاء) أي ناس يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه ؟ (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) في دعواهم . يعني أن أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه ، كما أنه لا كتاب لهم ينطق به ، ولا عهد لهم به عند الله ، ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا .

(٣) ناصب الظرف (فليأتوا) أو اذكر مضمرا . والجمهور على أن الكشف عن الساق عبارة عن شدة الأمر وصعوبة الخطب . فعنى (يوم يكشف عن ساق) يوم يشتد الأمر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق . ولكن كنى به عن الشدة لأنهم إذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق . وهذا كما تقول للاقطع الشحيع "يده مغلولة" ولا يد ثمة ولا غل وإنما هو كناية عن البخل . وإنما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان . ولو كان الأمر كما زعم المشبه لكان من حق الساق أن يعترف لأنها ساق معهودة عنده .

وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ <sup>(١)</sup> خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ  
ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ <sup>(٢)</sup> فَذَرْنِي وَمَنْ  
يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(٣)</sup>

(١) (ويدعون) أى الكفار ثمة (إلى السجود) لا تكليفا ولكن توبيخا على تركهم  
السجود فى الدنيا (فلا يستطيعون) ذلك لأن ظهورهم تصير كصيصى البقر لا تنتنى عند  
الخفض والرفع .

(٢) (خاشعة) ذليلة — حال من الضمير فى (يدعون) — (أبصارهم) . أى (يدعون) فى حال  
خشوع أبصارهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم صغار .

(٣) (وقد كانوا يدعون) على ألسن الرسل (إلى السجود) فى الدنيا (وهم سالمون)  
أى وهم أصحاء ، فلا يسجدون . فذلك منعوا عن السجود ثم .

(٤) يقال ذرنى وإياه أى كله إلى فأتى أ كفيكه . (ومن يكذب) — معطوف على المفعول  
أومفعول معه — (بهذا الحديث) بالقرآن . والمراد كل أمره إلى وخل بينى وبينه فأتى عالم بما  
ينبغى أن يفعل به مطبق له . فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه . تسلية لرسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، وتهديد للكاذبين .

(٥) سندنهم من العذاب درجة درجة . يقال استدرجه إلى كذا أى استنزله إليه درجة  
فدرجة حتى يورطه فيه . واستدرج الله تعالى العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون  
رزق الله ذريعة إلى ازدياد المعاصى .

(٦) من الجهة التى لا يشعرون أنه استدرج . قيل كما جددوا معصية جددنا لهم نعمة  
وأنسبناهم شكرها . قال عليه السلام إذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته  
فاعلم أنه مستدرج . وتلا الآية .

وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ <sup>(١)</sup> أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ  
مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ <sup>(٢)</sup> أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ <sup>(٣)</sup> فَاصْبِرْ  
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ <sup>(٤)</sup>  
لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ <sup>(٥)</sup>

(١) وأملهم (إن كيدي متين) قوى شديد. فسمى إحسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا، لكونه في صورة الكيد، حيث كان سببا للهلاك. والأصل أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن. ولا يجوز أن يسمى الله كائدا وما كرا ومستدرجا.

(٢) (أم تسألهم) على تبليغ الرسالة (أجرا فهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون؟ استفهام بمعنى النفي. أي لست تطلب أجرا على تبليغ الوحي فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك.

(٣) (أم عندهم) اللوح المحفوظ — عند الجمهور — (فهم يكتُمون) منه ما يحكون به.

(٤) (فاصبر لحكم ربك) وهو إمامهم وتأخير نصرته عليهم، لأنهم أمهلوا لم يحملوا.

(٥) (ولا تكن) كيونس عليه السلام في العجلة والغضب على القوم حتى لا تبلى ببلائه. والوقف على الحوت. لأن (إذ) ليس بظرف لما تقدمه. إذ النداء طاعة فلا ينهى عنه. بل مفعول محذوف. أي اذكر (إذ نادى) دعا ربه في بطن الحوت بـ (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

(٦) مملوء غيظا. من كظم السقاء إذا ملاه.

(٧) (لولا أن تداركه) رحمة (من ربه) أي لولا أن الله أنعم عليه بإجابة دعائه وقبول صوره (لنُبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالفضاء (وهو مذموم) معاتب بزلاته. لكنه رحم فنبذ غير مذموم.

فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ <sup>(١)</sup> وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ <sup>(٢)</sup>  
وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ <sup>(٣)</sup>

(١) اصطفاها لدعائه وعذره (بجعله من الصالحين) من المستكئين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة. وقيل: من الأنبياء. وقيل: من المرسلين. والوجه هو الأول لأنه كان مرسلًا ونبيًا قبله لقوله تعالى (وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون) الآيات .

(٢) (ليزلقونك) بفتح الياء، مدني. (إن) مخففة من الثقيلة واللام عامها. زلقه وأزلقه أزاله عن مكانه. أى قارب الكفار من شدة نظرهم إليك شزرا بعيون العداوة أن يزيلوك بأبصارهم عن مكانك ، أو يهلكوك لشدة حنقهم عليك . وكانت العين في بنى أسد . فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يميز به شيء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله إلا هلك . فأريد بعض العيانيين على أن يقول في رسول الله مثل ذلك . فقال: لم أر كاليوم مثله رجلا . فعصمه الله من ذلك . وفي الحديث : العين حق وإن العين لتدخل الجمل القدر ، والرجل القبر . وعن الحسن : رقية العين هذه الآية :

(٣) (لما سمعوا) القرآن (ويقولون) حسدا على ما أوتيت من النبوة: (إنه لمجنون) إن محمدا (لمجنون) حيرة في أمره وتنفيرا عنه ، (وما) القرآن (إلا ذكر) وعظ (للعالمين) للمجن والانس . يعنى أنهم جتنوه لأجل القرآن . وما القرآن إلا مرعظة للعالمين . فكيف يجتن من جاء بمثله ؟ وقيل (لما سمعوا الذكر) أى ذكره عليه السلام (وما هو) أى محمد عليه السلام (إلا ذكر) شرف (للعالمين) فكيف ينسب إليه الجنون ؟ والله أعلم .

## سورة الحاقة مكية

إحدى وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ<sup>(١)</sup> مَا الْحَاقَّةُ<sup>(٢)</sup> وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ<sup>(٣)</sup> كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ<sup>(٤)</sup>  
بِالْقَارِعَةِ<sup>(٥)</sup> فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ<sup>(٦)</sup> وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ

(١) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها . من حق يحق بالكسر أى وجب .

(٢) مبتدأ وخبر . وهما خبر الحاقة . والأصل ( الحاقة ) ما هي ؟ أى أى شىء هي ؟ تفخيا لشأنها وتعظيما لحوها . أى حقها أن يستفهم عنها لعظمتها . فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التحويل .

(٣) وأى شىء أعلمك ( ما الحاقة )؟ يعنى أنك لا علم لك بكنمها ومدى عظمتها لأنها من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين . (وما) رفع بالابتداء . و (أدراك) الخبر . والجملته بعده فى موضع نصب لأنها مفعول ثان لأدرى .

(٤) أى بالحاقة . فوضعت القارعة موضعها لأنها من أسماء القيامة . وسميت بها لأنها تفرع الناس بالأفراع والأهوال .

(٥) لما ذكرها ونغمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب ، تذكيرا لأهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم : ( فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة . واختلف فيها . فقيل الرجفة . وقيل الصيحة . وقيل الطاغية مصدر كالعافية . أى بطغيانهم . ولكن هذا لا يطابق قوله (وأما عاد فأهلكوا بريح) أى بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور " .

صَرَّصِرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُجَّازٌ نَحْلٌ خَاوِيَةٌ ۖ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۖ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۖ فَفَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ۖ

(١) شديدة الصوت . من الصرة الصيحة . أو باردة من الصر كأتها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها .

(٢) شديد العصف . أو عنت على خزائنها فلم يضبطوها بإذن الله ، غضبا على أعداء الله .

(٣) سألها ( عليهم سبع ليال وثمانية أيام ) . وكان ابتداء العذاب يوم الأربعاء آخر الشهر إلى الأربعاء الأخرى .

(٤) أى متابعة لا تنقطع . جمع حاسم كشهود . تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكى على الداء مرة بعد أخرى حتى ينحسم . وجاز أن يكون مصدرا . أى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا .

(٥) (فترى) أيها المخاطب (القوم فيها) في مهايتها أو في الليالي والأيام (صرعى) - حال جمع صريع - (كأنهم) - حال أخرى - (أعجاز) أصول (نحل) جمع نخلة (خاوية) ساقطة أو بالية .

(٦) (من) نفس (باقية) . أو (من) بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان .

(٧) (ومن) تقدمه من الأئم . (ومن قبله) بصرى - وعلى . أى ومن عنده من أتباعه .

(٨) قرى قوم لوط فهي انتفكت أى انقلبت بهم .

(٩) بالخطأ أو بالفعلة . أو بالأفعال ذات الخطأ العظيم .

(١٠) (ففعصوا) أى قوم لوط (رسول ربهم) لوطا (فاخذهم أخذة رابية) شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح .

إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً  
 وَتَعِيهَا أذُنٌ وَعَيْةٌ ﴿٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿٣﴾  
 وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ  
 الْوَاقِعَةُ ﴿٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿٦﴾ وَالْمَلِكُ  
 عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿٧﴾

(١) (لما) ارتفع وقت الطوفان على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا (حملناكم) أي آباءكم (في الجارية) في سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) - أي الفعلة . وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين - (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) وتحفظها (أذن) - بضم الذال ، غير نافع - (واعية) حافظة لما تسمع . قال قتادة : وهي أذن عقلت عن الله وانصتت بما سمعت .

(٢) (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة) - هي النفخة الأولى . ويموت عندها الناس . والثانية يبعثون عندها - (وحملت الأرض والجبال) رفعتا عن موضعهما (فدككا دكة واحدة) دقنا وكسرتنا ، أي ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيبا وهبَاء منبثا ، (فيومئذ) حينئذ (وقعت الواقعة) نزلت النازلة . وهي القيامة . وجواب (إذا) ، (وقعت) ، و (يومئذ) بدل من (إذا) .

(٣) فتحت أبوابا (فهى يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة (والملك) - للجنس بمعنى الجمع . وهو أعم من الملائكة - (على أرجائها) جوانبها . واحدا رجا مقصور . لأنها إذا انشقت وهى مسكن الملائكة فيلجئون إلى أطرافها .

(٤) (ويحمل عرش ربك) فوق الملك الذين على أرجائها (يومئذ ثمانية) منهم . واليوم تحمله أربعة . وزيدت أربعة أخرى يوم القيامة . وعن الضحاك ثمانية صفوف . وقيل ثمانية أصناف .

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ  
 كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَٰؤُمٌ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهٗ ﴿٢﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي  
 مُلْتَقٍ حِسَابِيَهٗ ﴿٤﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٥﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٦﴾

(١) (تعرضون) للحساب والسؤال - شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعترف أحواله -  
 (لا تخفى منكم خافية) سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا. وبالياء كوفي غير عاصم. وفي الحديث  
 "يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات . فأما عرضتان بفدال ومعاذير . وأما الثالثة  
 فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه يمينه ، والهالك كتابه بشماله" .

(٢) (فأما) - تفصيل للعرض - (من أوتي كتابه يمينه فيقول) سرورا به لما يرى فيه  
 من الخيرات ، خطابا لجماعته: (هاؤم) اسم للفعل. أي خذوا (اقرأوا كتابه). تقديره (هاؤم)  
 كتابي (اقرأوا كتابه) خذف الأول لدلالة الثاني عليه . والعامل في (كتابيه) اقرءوا عند  
 البصريين . لأنهم يعملون الأقرب . والهاء في (كتابيه) و (حسابيه) و (ماليه) و (سلطانيه)  
 للسكت . وحقها أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل. وقد استحسب إيثار الوقف إيثارا  
 لثباتها لثبوتها في المصحف .

(٣) علمت . وإنما أجرى الظن مجرى العلم ، لأن الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات  
 والأحكام ، ولأن ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر . وهي تفضي  
 إلى الظنون بفاز إطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه .

(٤) معانٍ حسابي .

(٥) ذات رضا يرضى بها صاحبها . كلابن .

(٦) ربيعة المكان . أو ربيعة الدرجات . أو ربيعة المباني والقصور . وهو خبر بعد خبر .



قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ <sup>(١)</sup> كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ  
 الْخَالِيَةِ <sup>(٢)</sup> وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ  
 كِتَابِيَةَ <sup>(٣)</sup> وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيَةَ <sup>(٤)</sup> يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ <sup>(٥)</sup>  
 مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ <sup>(٦)</sup> هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ <sup>(٧)</sup> خَذُوهُ فَعُغْلُوهُ <sup>(٨)</sup> ثُمَّ  
 الْجَحِيمَ صَلُّوهُ <sup>(٩)</sup> ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ <sup>(١٠)</sup>

(١) ثمارها قريبة من صريدها ينالها القائم والقاعد والمتكئ .

(٢) يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئاً) أكلوا وشربوا هنيئاً لا مكروه فيهما ولا أذى .  
 أو هنتم هنيئاً — على المصدر — (بما أسلفتم) بما قدمتم من الأعمال الصالحة (في الأيام  
 الخالية) الماضية من أيام الدنيا . وعن ابن عباس : هي في الصائمين . أى كلوا واشربوا  
 بدل ما أمسكتكم عن الأكل والشرب لوجه الله .

(٣) (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) لما يرى فيه من الفضائح (ولم أدر ما حسابيه)  
 أى ياليتنى لم أعلم ما حسابى (ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) أى القاطعة  
 لأمرى . فلم أبعث بعدها ، ولم ألق ما ألقى . (ما أغنى عنى مالى) أى لم ينفعنى ما جمعتة فى الدنيا .  
 ف (ما) نفى والمفعول محذوف أى شيئاً . (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس  
 وبقيت فقيراً ذليلاً . وعن ابن عباس رضى الله عنهما . ضلت عنى حجيتى . أى بطلت حجيتى  
 التى كنت أحتج بها فى الدنيا .

(٤) فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خذوه فغلوه) أى اجمعوا يديه إلى عنقه (ثم الجحيم  
 صلوه) أى أدخلوه — يعنى ثم لا تصلوه إلا الجحيم ، وهى النار العظمى . أو نصب الجحيم  
 بفعل يفسره (صلوه) — (ثم فى سلسلة ذرعها) طولها (سبعون ذراعاً) — بذراع الملك ،  
 عن ابن جريج . وقيل لا يعرف قدرها إلا الله — (فاسلكوه) فادخلوه . والمعنى فى تقديم السلسلة  
 على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التوصية .

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٢﴾  
 فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٤﴾ لَا يَأْكُلُهُمْ  
 إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٦﴾ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ﴿٧﴾

(١) تعليل . كأنه قيل : ماله يعدب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بأنه (كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) على بذل طعام المسكين . وفيه إشارة إلى أنه كان لا يؤمن بالبعث . لأن الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وإنما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الآخرة فإذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يجعله على إطعامهم . أى أنه مع كفره لا يحترق غيره على إطعام المحتاجين . وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لأنه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ، ولأنه ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض إذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق . وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين ، ويقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان فخلع نصفها بهذا . وهذه الآيات ناطقة على أن المؤمنين يرحمون جميعا ، والكافرين لا يرحمون . لأنه قسم الخلق نصفين بفعل صنفا منهم أهل اليمين ووصفهم بالإيمان فحسب بقوله (أنى ظننت أنى ملاق حسابيه) ، وصنفا منهم أهل الشمال ووصفهم بالكفر بقوله (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) . وجاز أن الذى يعاقب من المؤمنين إنما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه يمينه .

(٢) قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه .

(٣) غسل أهل النار . فعلى من الغسل . والنون زائدة . وأريد به هنا ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم .

(٤) الكافرون أصحاب الخطايا . وخطئ الرجل إذا تعمد الذنب .

(٥) (فلا أقسم بما تبصرون) من الأجسام والأرض والسماء (وما لا تبصرون) من الملائكة والأرواح . فالخاصل أنه أقسم بجميع الأشياء .

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٢﴾  
 وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ ﴿٣﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾  
 وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٥﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٦﴾  
 ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٧﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٨﴾

(١) أى إن القرآن ( لقول رسول كريم ) أى محمد صلى الله عليه وسلم أو جبريل عليه السلام . أى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله ( وما هو بقول شاعر ) كما تدعون ( قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن ) كما تقولون ( قليلا ما تدكرون ) . وبالياء فيهما مكى وشامى ويعقوب وسهل . وبخفيف الذال كوفى غير أبى بكر . والقلة فى معنى العدم . يقال هذه أرض قلما تنبت . أى لا تنبت أصلا . والمعنى لا تؤمنون ولا تدكرون البتة .

(٢) هو (تنزيل) . بيانا لأنه قول رسول نزل عليه ( من رب العالمين ) .

(٣) ولو ادعى علينا شيئا لم نقله ( لأخذنا منه باليمين ) لقتلناه صبورا كما يفعل الملوكة بمن يتكذب عليهم معاملة بالسخط والانتقام . فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول . وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته . وخص ايمين لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب فى فناه أخذ بيساره . وإذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف — وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف — أخذ بيمينه . ومعنى ( لأخذنا منه باليمين ) لأخذنا بيمينه . وكذا ( ثم لقطعنا منه الوتين ) لقطعنا وتينه . وهو نياط القلب إذا قطع مات صاحبه .

(٤) الخطاب للناس أو للمسلمين . ( من ) زائدة . ( عنه ) عن قتل محمد . وجمع ( حاجزين ) وإن كان وصف ( أحد ) لأنه فى معنى الجماعة . ومنه قوله تعالى ( لا تفرق بين أحد من رسله ) .

وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ لِحَسْرَةٌ  
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٤﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥﴾

(١) وإِنَّ الْقُرْآنَ (لتذكرة) لعظة (للمتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وإنه) وإِنَّ الْقُرْآنَ  
(لحسرة على الكافرين) به المكذبين له إذا رأوا ثواب المصدقين به (وإنه) وإِنَّ الْقُرْآنَ  
(لحق اليقين) لعين اليقين ومحض اليقين .

(٢) (فسبح) الله بذكر اسمه (العظيم) وهو قوله سبحانه الله .

## سورة المعارج مكية

وهي أربع وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ <sup>(٢)</sup> لِلْكَافِرِينَ <sup>(٣)</sup> لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ <sup>(٤)</sup>  
 مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ <sup>(٥)</sup> تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ  
 كَانَ مِقْدَارُهُ <sup>(٦)</sup> نَحْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ

(١) هو النضر بن الحرث . قال ( إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ) . أو هو النبي صلى الله عليه وسلم . دعا بتزول العذاب عليهم . (سأل) بغير همز ، مدني وشامي . وهو من السؤال أيضا إلا أنه خفف بالتلين . و (سائل) مهموز إجماعا .

(٢) لما ضمن سأل معنى دعا عدى تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه . ومنه قوله تعالى ( يدعون فيها بكل فاكهة ) .

(٣) صفة لعذاب . أى (بعذاب واقع) كائن (للكافرين) .

(٤) (ليس) لذلك العذاب (دافع) راد . (من الله) متصل بواقع . أى واقع من عنده . أو بدافع . أى ليس له دافع من جهته تعالى إذا جاء وقته .

(٥) أى مصاعد السماء للملائكة . جمع معرج وهو موضع العروج .

(٦) وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال (تعرج) تصعد — وبالياء على — (الملائكة والروح) — أى جبريل عليه السلام . خصه بالذكر بعد العموم لفضله

فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا <sup>(١)</sup> إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا <sup>(٢)</sup> وَنَرَاهُ قَرِيبًا <sup>(٣)</sup> يَوْمَ تَكُونُ  
السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ <sup>(٤)</sup> وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ <sup>(٥)</sup> وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا <sup>(٦)</sup>

وشرفه . أو خلقهم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة علينا . أو أرواح المؤمنين عند الموت - (إليه) إلى عرشه ومهبط أمره (في يوم) - من صلاة (تعرج) - (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سنى الدنيا لو صعد فيه غير الملك . أو من صلاة (واقع) . أى يقع (في يوم) طويل مقداره خمسون ألف سنة من سديكم . وهو يوم القيامة . فإما أن يكون استطالة له لشدة على الكفار أو لأنه على الحقيقة كذلك . فقد قيل : فيه خمسون موطنًا كل موطن ألف سنة . وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر .

(١) بلا جزع ولا شكوى . متعلق بـ (سأل سائل) لأن استعجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي . وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه .

(٢) إن الكفار (يرونه) أى العذاب أو يوم القيامة (بعيداً) مستحيلاً (وزراه قريباً) كأننا لا محالة . فالمراد بالبعيد البعيد من الإمكان ، وبالقريب القريب منه .

(٣) نصب بـ (قريباً) . أى يمكن فى ذلك اليوم . أو هو بدل عن (فى يوم) فيمن علقه بـ (واقع) .

(٤) كدردى الزيت أو كالفضة المذابة فى تلونها .

(٥) كالصوف المصبوغ ألواناً . لأن الجبال (جدد بيض وحمرة مختلف ألوانها وغرايب سود) فإذا بست وطيرت فى الجحوش أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح .

(٦) (ولا يسأل) قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه . وعن البرى والبرجمى بضم الياء .

أى (ولا يسأل) قريب عن قريب . أى لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه .

يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَهُمُ الْيَوْمِ الَّذِي يَصْعَقُونَ فِيهِ الْمَأْتِمُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ يُرَوِّقُونَ حَافِئَهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَكْفِرُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي كُرْهُنَّاهُ وَلِأُولَئِكَ هِيَ الصَّاعِقَةُ الَّتِي كَانَتْ تُرْمَىٰ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَلظَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ

(١) صفة . أى (حميا) مبصرين معرفين إياهم . أو مستأنف . كأنه لما قال (ولا يسأل حميم حميا) قيل لعله لا يبصره فقيل (يبصرونهم) ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم . والواو ضمير الحميم الأول . و(هم) ضمير الحميم الثاني . أى يبصر الأحماء الأحماء . فلا يخفون عليهم . وإنما جمع الضميران وهما للحميمين لأن فعلا يقع موقع الجمع .

(٢) يتنمى المشرك . وهو مستأنف . أو حال من الضمير المرفوع أو المنصوب من (يبصرونهم) .

(٣) (يومئذ) بالفتح مدنى وعلى على البناء ، للإضافة إلى غير متمكن . (وصاحبتة) وزوجته . (وفصيلته) وعشيرته الأذنين (التي تؤويه) تضمه انتماء إليها . وبغير همز يزيد . (ومن في الأرض جميعا) من الناس . (ثم ينجيهِ) الافتداء . عطف على (يفتدى) .

(٤) ردع للجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيهِ من العذاب .

(٥) إن النار — ودل ذكر العذاب عليها . أو هو ضمير مبهم ترجع عنه الخبر . أو ضمير القصة — (لظى) علم للنار .

(٦) (نزاعة) حفص والمفضل ، على الحال المؤكدة . أو على الاختصاص ، للتحويل . وغيرهما بالرفع ، خبر بعد خبر لأن . أو على هي (نزاعة للشوى) لأطراف الإنسان كاليدن والرجلين . أو جمع شواة . وهي جلدة الرأس تزعها نزا فتفرقها ثم تعود إلى ما كانت .

تَدْعُوا مِنْ أَدْبَرٍ وَتَوَلَّيْ ۖ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۖ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۖ<sup>(٣)</sup>  
 الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۖ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ<sup>(٤)</sup>  
 مَّعْلُومٌ ۖ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>

(١) (تدعو) بأسمائهم يا كافر يا منافق إلى إلى . أو تهلك . من قولهم دعاك الله أى أهلكك .  
 أو لما كان مصيره إليها جعلت كأنها دعته .

(٢) (من أدبر) عن الحق (وتولّى) عن الطاعة (و جمع) المال (فأوعى) بجعله في وعاء  
 ولم يؤذ حق الله منه .

(٣) (إن الإنسان) - أريد به الجنس ليصح استثناء المصلين منه - (خلق هلوعا) . عن  
 ابن عباس رضى الله عنهما تفسيره ما بعده (إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا) . والهلوع  
 سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير . وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر  
 ثعلبا عن الهلع ، فقال قد فسره الله تعالى . ولا يكون تفسير أرين من تفسيره . وهو الذى إذا  
 ناله شر أظهر شدة الجزع ، وإذا ناله خير ينجل به ومنعه الناس . وهذا طبعه . وهو  
 مأمور بخالفة طبعه ، وموافقة شرعه . والشر الضر والفقر ، والخير السعة والغنى أو المرض  
 والصحة .

(٤) أى (على) صلواتهم الخمس (دائمون) أى يحافظون عليها في مواقيتها ، عن ابن مسعود  
 رضى الله عنه .

(٥) يعنى الزكاة لأنها مقدرة معلومة . أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤتيها  
 في أوقات معلومة (للسائل) الذى يسأل (والمحروم) الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا  
 فيحرم .

(٦) أى يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة .



وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿١﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ  
 مَأْمُونٍ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٣﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ  
 أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٤﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ وِرَاءَ ذَلِكَ  
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٦﴾  
 وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٨﴾

(١) (مشفقون) خائفون . واعترض بقوله ( إن عذاب ربهم غير مأمن ) بالهمز سوى  
 أبي عمرو . أى لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمنه ، وينبغي أن يكون  
 مترجحا بين الخوف والرجاء .

(٢) (إلا على) نسائهم (أو مملكت أيمانهم) أى إيمانهم (فإنهم غير ملومين) على ترك  
 الحفظ .

(٣) (فن) طلب منكها (وراء ذلك) أى غير الزوجات والمملوكات (فأولئك هم العادون)  
 المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام . وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم  
 والاستمناء بالكف .

(٤) (والذين هم لأمانتهم) — مكي . وهى تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد —  
 (وعهدهم) أى عهودهم — ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والأيمان — (راعون) حافظون  
 غير خائنين ولا ناقضين . وقيل الأمانات ما تدل عليه العقول ، والعهد ما أتى به الرسول .

(٥) (والذين هم بشهادتهم) — سهل . وبالألف ، حفص ويعقوب — (قائمون) يقيمونها  
 عند الحكم بلا ميل إلى قريب وشريف ، وترجيح للقوى على الضعيف ، إظهارا للصلاية  
 فى الدين ، ورغبة فى إحياء حقوق المسلمين .

(٦) كثر ذكر الصلاة لبيان أنها أهم . أولأن أحدهما للفرائض ، والأخرى للنوافل .  
 وقيل الدوام عليها الاستكثار منها ، والحفاظة عليها ألا تضيع عن مواقيتها . أو الدوام عليها  
 أدائها فى أوقاتها ، والحفاظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها .

أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ<sup>(١)</sup> قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ<sup>(٢)</sup>  
 عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ<sup>(٣)</sup> أَيَطْمَعُ كُلُّ آمِرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ  
 نَعِيمٍ<sup>(٤)</sup> كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ<sup>(٥)</sup> فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ  
 وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ<sup>(٦)</sup> عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ<sup>(٧)</sup>

(١) أصحاب هذه الصفات (في جنّات مكرمون) . هما خبران .

(٢) كتب مفصّولا أتباعا لمصحف عثمان رضي الله عنه .

(٣) (قبلك) — نحوك — معمول (مهطعين) مسرعين . حال من (الذين كفروا) . (عن  
 اليمين وعن الشمال) عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزير) حال . أى فرقاقتي .  
 جمع عزة . وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعترى إلى غير من تعترى إليه الأخرى فهم مفترقون .  
 كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ، وفرقا فرقا ، يستمعون  
 ويستمزجون بكلامه ، ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنا قبلهم . فترات .

(٤) (أن يدخل) — بضم الياء وفتح الحاء سوى المفضل — (جنة نعيم) كالمؤمنين .

(٥) ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة .

(٦) أى من النطفة المدرة . ولذلك أبهم إشعارا بأنه منصب يستحيا من ذكره . فمن  
 أين يتشرفون ويدعون التقدّم ويقولون لندخل الجنة قبلهم ؟ أو معناه (إنّا خلقناهم) من  
 نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم . ومن حكمتنا ألا يدخل أحد الجنة إلا بالإيمان . فلم يطمع أن  
 يدخلها من لا إيمان له ؟ .

(٧) (فلا أقسم برّب) مطالع الشمس ومغارها (إنّا لقادرون على أن نبذل خيرا منهم)

على أن نهلكهم ونأتى بخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) بعاجزين .

فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿١٠﴾ يَوْمَ  
يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿١١﴾ خَاشِعَةً  
أَبْصَارَهُمْ تَرَهَقَهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٢﴾

(١٠) فدع المكذبين (يحضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي  
يوعدون) فيه العذاب (يوم) - بدل من (يومهم) - (يخرجون) - بفتح الياء وضم الراء سوى  
الأعشى - (من الأجداث) القبور (سراعا) - جمع سريع . حال . أى إلى الداعي - (كانهم)  
- حال - (إلى نصب) - شامى وحفص وسهل . (نصب) المفضل . (نصب) غيرهم .  
وهو كل ما نصب وعبد من دون الله - (يوفضون) يسرعون .

(١٢) (خاشعة) حال من ضمير (يخرجون) . أى ذليلة (أبصارهم) يعنى لا يرفعونها لذلتهم  
(ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان . (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) فى الدنيا وهم يكذبون به .

## سورة نوح عليه السلام مكية

وهي ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا<sup>(١)</sup> إِلَىٰ قَوْمِهِ<sup>(٢)</sup> أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ<sup>(٣)</sup> قَالَ يَنْقُومِ<sup>(٤)</sup> إِلَيَّ لَكُمْ نَذِيرٌ<sup>(٥)</sup> مَبِينٌ<sup>(٦)</sup> إِنَّ آعْبُدُوا اللَّهَ  
وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا<sup>(٧)</sup> يَغْفِرَ لَكُمْ<sup>(٨)</sup> مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْتِحْرِكُمْ<sup>(٨)</sup> إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى

(١) قيل معناه بالسريانية الساكن .

(٢) خوف . أصله بأن أنذر . فحذف الجاء وأوصل الفعل ومحله عند الخليل جرة ، وعند غيره نصب . أو (أن) مفسرة بمعنى أى لأن في الإرسال معنى القول .

(٣) عذاب الآخرة أو الطوفان .

(٤) أضافهم إلى نفسه إظهاراً للشفقة .

(٥) مخوف (مبين) أي بين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها .

(٦) وحدوه . و (أن) هذه نحو (أن أنذر) في الوجهين .

(٧) واحذروا عصيانه (وأطيعوا) فيما أمركم به وأنها كم عنه . وإيما أضافه إلى نفسه لأن الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة .

(٨) (يفقر لكم) جواب الأمر . (من ذنوبكم) للبيان كقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) أو للتبويض لأن ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الإسلام كالفصاح وغيره . كذا في شرح التأويلات . (ويؤتحركم إلى أجل مسمى) وهو وقت موتكم .

إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ <sup>(١)</sup> قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا <sup>(٢)</sup> فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا <sup>(٣)</sup> وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيَتَغَفَّرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصَبَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا <sup>(٤)</sup> ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا <sup>(٥)</sup> ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا <sup>(٦)</sup>

(١) (إنّ الموت) إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون). أى (لو كنتم تعلمون) ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم ، لا تتم . قيل إن الله تعالى قضى مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة ، وإن لم يؤمنوا أهلكهم على رأس تسعائة . ف قيل لهم : آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى . أى تبلغوا ألف سنة . ثم أخبر أن الأجل إذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت . وقيل إنهم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاك من قومهم بإيمانهم وإجاباتهم لنوح عليه السلام . فكانت عليه السلام آمنهم من ذلك ووعدهم أنهم بإيمانهم يبقون إلى الأجل الذى ضرب لهم لو لم يؤمنوا . أى أنكم إن أسلمتم بقيتم إلى أجل مسمى آمنين من هدوكم .

(٢) (دعوت قومي) دأباً بلا فتور (فلم يزدكم دعائى إلا فراراً) عن طاعتك . ونسب ذلك إلى دعائه لحصوله عنده ، وإن لم يكن الدعاء سبباً للفرار فى الحقيقة . وهو كقولهم (وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم) والقرآن لا يكون سبباً لزيادة الرجس . وكان الرجل يذهب بابنه إلى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يفترق فإن أبى قد وصانى به .

(٣) (كلما دعوتهم) إلى الإيمان بك (لتغفر لهم) أى ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب (جعلوا أصصبهم فى آذانهم) سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامى (واستعشوا ثيابهم) وتغطوا بثيابهم لئلا يبصرونى كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم فى دين الله (وأصروا) وأقاموا على كفرهم (واستكبروا استكباراً) وتعظّموا عن إجابتى . وذكر المصدر دليل على

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا <sup>(٢)</sup> يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا <sup>(٣)</sup>  
وَيُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا <sup>(٣)</sup>

فرط استجبارهم (ثم أتى دعوتهم جهارا) مصدر في موضع الحال . أى مجاهرا . أو مصدر (دعوتهم) كقعد القرفصاء لأن الجهار أحد نوعى الدعاء . يعنى أظهرت لهم الدعوة فى المحافل (ثم أتى أعلنت لهم وأسرت لهم أسرا) أى خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر . فالحاصل أنه دعاهم ليلا ونهارا فى السر ، ثم دعاهم جهارا ، ثم دعاهم فى السر والعلن ، وهكذا يفعل الأمر بالمعروف : يتدبى بالأهون ثم بالأشد فالأشد . فافتتح بالمناصحة فى السر . فلما لم يقبلوا تبنى بالمجاهرة . فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان . و (ثم) تدل على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار . والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما .

(١) (استغفروا ربكم) من الشرك . لأن الاستغفار طلب المغفرة . فإن كان المستغفر

كافرا فهو من الكفر . وإن كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب .

(٢) لم يزل غفارا لذنوب من ينيب إليه .

(٣) (يرسل) المطر (عليكم مدرارا) كثيرة الدورور — ومفعال يستوى فيه المذكر والمؤنث —

(ويمدكم بأموال وبنين) يزدكم أموالا وبنين (ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم أنهارا) جارية لمزارعكم وبساتينكم . وكانوا يحبون الأموال والأولاد فحزوا بهذا على الإيمان . وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأقم أرحام نسائهم أربعين سنة أو سبعين . فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ، ورفع عنهم ما كانوا فيه . وعن عمر رضى الله عنه أنه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار . فقيل له ما رأيناك استسقيت . فقال لقد استسقيت يجادج السماء التى يستزل بها المطر . شبه عمر الاستغفار بالأنواء الصادقة التى لا تخطئ . وقرأ الآيات . وعن الحسن أن رجلا شكأ إليه الجذب . فقال استغفر الله . وشكأ إليه آخر الفقير ، وآخر قلة الذسل ، وآخر قلة ريع أرضه ، فأمرهم كلهم بالاستغفار . فقال له الربيع بن صبيح : أتاك رجال يشكون أبوابا ، فأمرتهم كلهم بالاستغفار . فتلا الآيات .

مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۖ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۗ (١)  
 اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۗ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۗ (٢)  
 وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۗ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۗ (٣)

(١) (مالكم) لا تخافون (لله) عظمة، عن الأخفش. قال: والرجاء هنا الخوف. لأن مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس. والوقار العظمة. أو لا تأملون له توقيرا أى تعظيما. والمعنى مالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب (وقد خلقكم أطوارا) في موضع الحال. أى مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للإيمان به. لأنه (خلقكم أطوارا) أى تارات وكرات: خلقكم أولا نطفة، ثم خلقكم علقا، ثم خلقكم مضغا، ثم خلقكم عظاما ولحما.

(٢) نبيهم أولا على النظر في أنفسهم لأنها أقرب، ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضا على بعض.

(٣) (فيهن) أى فى السموات. وهو فى السماء الدنيا. لأن بين السموات ملابسة من حيث إنها طباق. بخلاف أن يقال فيهن كذا، وإن لم يكن فى جميعهن، كما يقال فى المدينة كذا، وهو فى بعض نواحيها. وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم "إن الشمس والقمر وجوههما مما يلى السموات وظهورهما مما يلى الأرض". فيكون نور القمر يحيط بجميع السموات لأنها لطيفة لا تحجب نوره.

(٤) مصباحا يبصر أهل الدنيا فى ضوءها كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبطاره. وضوء الشمس أقوى من نور القمر. وأجمعوا على أن الشمس فى السماء الرابعة.

(٥) (والله) أنشأكم. استعير الإنبات للإنباء. (نباتا) فنبتم نباتا (ثم) يعيدكم فيها) بعد الموت (ويخرجكم) يوم القيامة (إخراجا) أكده بالمصدر. أى أى لإخراج.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١﴾ لِيَتَسَلَّكُوا مِنْهَا سُبُلًا فَجَاجًا ﴿١﴾  
 قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي أَعْتَصَمْتُ عَصِيَّتِي وَأَتَّبَعْتُ مَنِ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ  
 إِلَّا خَسَارًا ﴿٢﴾ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا كُبْرًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ  
 وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٥﴾

(١) (والله جعل لكم الأرض) مبسوطه (لتسلكوا منها) لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه . (سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة أو مختلفة .

(٢) (عصوني) فيما أمرتهم به من الإيمان والاستغفار (اتبعوا) أي السفلة والفقراء (من لم يزد ماله وولده) أي الرؤساء وأصحاب الأموال والأولاد . (وولده) مكى وعراقى غير حاصم . وهو جمع ولد ، كأسد وأسد — (إلا خسارا) في الآخرة .

(٣) معطوف على (لم يزد) . وجمع الضمير وهو راجع إلى (من) لأنه في معنى الجمع . والمساكرون هم الرؤساء . ومكرهم احتيالهم في الدين ، وكيدهم لنوح ، وتخريش الناس على أداء ، وصدّهم عن الميل إليه .

(٤) عظيما . وهو أكبر من الكبار . وقرئ به . وهو أكبر من الكبير .

(٥) (وقالوا) أي الرؤساء لسفلتهم (لا تذرنا آلهتكم) على العموم أي عبادتها (ولا تذرنا ودا) — بفتح الواو وضمها . وهو قراءة نافع . لغتان . صنم على صورة رجل — (ولا سواعا) — هو على صورة امرأة — (ولا يغوث) — هو على صورة أسد — (ويعوق) — هو على صورة فرس . وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل إن كانا عربيين ، وللتعريف والعجمة إن كانا أعجميين — (ونسرا) هو على صورة نسر . أي هذه الأصنام الخمسة على الخصوص . وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم . فخصوها بعد العموم . وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب . فكان ود لكلب ، وسواع لهمدان ، ويغوث لمذحج ، ويعوق لمراد ، ونسر لمير . وقيل هي أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى العبادة . فلما طال الزمان قال لهم إبليس إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم .



وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا <sup>(١)</sup> وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا <sup>(٢)</sup> مِمَّا خَطَبْتَهُمْ  
 أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا <sup>(٣)</sup> فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا <sup>(٤)</sup>  
 وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا <sup>(٥)</sup>  
 إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فٰجِرًا كَفَّارًا <sup>(٦)</sup>

(١) (وقد أضلوا) أى الأصنام كقوله (إنهم أضلن كثيرا من الناس) . أو الرؤساء .

(٢) عطف على (رب إنهم عصوني) على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد (قال) وبعد الواو النائية عنه . ومعناه (قال نوح رب إنهم عصوني) (و) قال (لا تزد الظالمين) — أى قال هذين القولين . وهما فى محل النصب لأنهما مفعولا (قال) — (إلا ضللا) هلاكا . كقوله (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) .

(٣) (مما خطاياهم) — أبو عمرو . أى ذنوبهم — (أغرقوا) بالطوفان (فأدخلوا نارا) عظيمة . وتقدير (مما خطيئاتهم) لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان ، وإدخالهم فى النيران ، إلا من أجل خطيئاتهم . وأكّد هذا المعنى بزيادة (ما) . وكفى بها مزجحة لمرتكب الخطايا . فإت كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كبراهن . والفاء فى (فأدخلوا) للإيذان بأنهم عذبوا بالإحراق عقيب الإغراق . فيكون دليلا على إثبات عذاب القبر .

(٤) (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله .

(٥) أى أحدا يدور فى الأرض . وهو فيعال من الدور . وهو من الأسماء المستعملة فى النفى العام .

(٦) (إن تذرهم) ولا تهلكهم (يضلوا عبادك) يدعوهم إلى الضلال (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) إلا من إذا بلغ فجر وكفر . وإنما قال ذلك لأن الله تعالى أخبره بقوله (لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) .

رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ <sup>(٢)</sup>  
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا <sup>(٣)</sup>

(١) وكانا مسلمين . واسم أبيه ملك . واسم أمه شمخاء . وقيل هما آدم وحواء . وقري (ولولدي) يريد ساما وحاما .

(٢) (ولمن دخل) منزلي أو مسجدي أو سفيتي (مؤمنا) لأنه علم أن من دخل بيته مؤمنا لا يعود إلى الكفر (وللؤمنين والمؤمنات) إلى يوم القيامة . خص أولا من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات .

(٣) أي (ولا تزد) الكافرين (إلا تبارا) هلاكوا فأهلكوا . قال ابن عباس رضي الله عنهما : دعا نوح عليه السلام بدعوتين إحداهما للمؤمنين بالمغفرة ، وأخرى على الكافرين بالتبار . وقد أجيبت دعوته في حق الكفار بالتبار . فاستحال ألا تستجاب دعوته في حق المؤمنين . واختلف في صبيانهم حين أغرقوا . فقيل أعقم الله أرحام نساءهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا . وقيل : علم الله براءتهم فأهلكوا بغير عذاب . والله أعلم . .

لم يسم صباك  
صبيانهم لم يسمهم الله أرحام نساءهم ولم يدرهم

## سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا <sup>(١)</sup>

(١) (قل) يا محمد لا تمتك (أوحى إلى أنه) أن الأمر والشأن . أجمعوا على فتح (أنه) لأنه فاعل (أوحى)، و (أن لو استقاموا. وأن المساجد) للعطف على (أنه استمع) فإن مخففة من الثقيلة ، و (أن قد أبلغوا) لتعدى يعلم إليها ، وأعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو (فإن له نار جهنم . وقالوا إنا سمعنا) لأنه مبتدأ محكي بعد القول . واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من (أنه تعالى جد ربنا) إلى (وأنا منا المسامون) ففتحها شامى وكوفى غير أبى بكر ، عطفا على (أنه استمع) أو على محل الجواز والمجورور في (أمتا به) تقديره صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا (وأنه كان يقول سفينا) إلى آخرها . وكسرها غيرهم عطفا على (إنا سمعنا) وهم يقفون على آخر الآيات .

(٢) (استمع نفر) جماعة من الثلاثة إلى العشرة (من الجن) جن نصيبين (فقالوا) لقومهم حين رجعوا إليهم من استماع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر: (إنا سمعنا قرآنا عجبا) عجيبا بديعا مبينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه. والعجب ما يكون خارجا عن العادة . وهو مصدر وضع موضع العجيب .

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا <sup>(١)</sup> وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ  
 رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا <sup>(٢)</sup> وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ  
 شَطَطًا <sup>(٣)</sup> وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا <sup>(٤)</sup>  
 وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا <sup>(٥)</sup>

(١) يدعو إلى الصواب ، أو إلى التوحيد والإيمان (فآمننا به) بالقرآن . ولما كان  
 الإيمان به إيماناً بالله وبوحدانيته وبرأيه من الشرك ، قالوا (ولن نشرك بربنا أحداً) من  
 خلقه . وجاز أن يكون الضمير في (به) لله تعالى لأن قوله (بربنا) يفسره .

(٢) عظامته . يقال جد فلان في عيني أي عظم . ومنه قول عمر أو أنس : كان الرجل إذا  
 قرأ البقرة وآل عمران جد فينا . أي عظم في عيوننا .

(٣) (ما اتخذ) زوجة (ولا ولداً) كما يقول كفار الجن والإنس .

(٤) (وأنه كان يقول) جاهلنا أو إبليس — إذ ليس فوقه سفيه — (على الله شططاً) كفراً  
 لبعده عن الصواب . من شطت الدار ، أي بعدت . أو قولاً يجوز فيه عن الحق . وهو نسبة  
 الصاحبة والولد إليه . والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره .

(٥) قولاً (كذباً) أو مكذوباً فيه . أو نصب على المصدر إذ الكذب نوع من القول أي  
 كان في ظننا أن أحداً لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد إليه . فكأن نصبتهم فيما أضافوا  
 إليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم .

(٦) كان الرجل من العرب إذا نزل يخوف من الأرض قال أعوذ بسيد هذا الوادي  
 من سفهاء قومه — يريد كبير الجن — فقال (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من  
 الجن فزادوهم) أي زاد الإنس الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) طغياناً وسفهاً وكبراً بأن قالوا  
 مسدنا الجن والإنس أو فزاد الجن الإنس (رهقا) لما استعاذتهم بهم . وأصل الرهق  
 خشيان المحذور .

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا <sup>(١)</sup> وَأَنَا لَمَسْنَا  
 السَّمَاءَ <sup>(٢)</sup> فَوَجَدْنَاهَا مِائَتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَابًا <sup>(٣)</sup> وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا  
 مَقْعِدَ لِّلسَّمْعِ <sup>(٤)</sup> فَمَن يَسْمَعِ <sup>(٥)</sup> الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا <sup>(٦)</sup> وَأَنَا  
 لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا <sup>(٦)</sup>

(١) وأن الجن (ظنوا كما ظننتم) ي أهل مكة (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت .  
 أى أن الجن كانوا ينكرون البعث كما تكلمتم ثم بسماع القرآن اهتدوا وأقروا بالبعث . فهلأ  
 أقررتم كما أقروا !

(٢) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها . واللس المش . فاستعير للطلب لأن الماش  
 طالب متعترف .

(٣) جمعا أقوياء من الملائكة يحرسون . جمع حارس . ونصب على التمييز . وقيل الحرس  
 اسم مفرد فى معنى الحراس ، كالخدم فى معنى الخدام ، ولذا وصف بشديد . ولو نظر إلى  
 معناه لقبيل شدادا .

(٤) جمع شهاب أى كواكب مضيفة .

(٥) (وأنا كنا نقعد) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع أخبار السماء .  
 يعنى كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فمن يستمع) يرد الاستماع  
 بعد المبعث (يجد له) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا يعنى الراصد . أى يجد  
 شهابا راصدا له ولأجله . أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم .  
 وهم الملائكة الذين يرجونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع . والجمهور على أن ذلك لم يكن  
 قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل كان الرجم فى الجاهلية . ولكن الشياطين كانت  
 تسترق السمع فى بعض الأوقات فمتعوا من الاستراق أصلا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) (أ) عذاب (أريد بمن فى الأرض) بعدم استراق السمع (أم أراد بهم ربهم رشدا)

خيروا ورحمة .

وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرَأَ بَقِيَّةٌ قَدِيدًا <sup>(٢)</sup> وَأَنَا  
 ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا <sup>(٤)</sup> وَأَنَا لَمَّا  
 سَمِعْنَا الْهُدَىءَ آمَنَّا بِهِءَ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِءَ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا  
 رَهَقًا <sup>(٥)</sup> وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ  
 تَحَرَّوْا رَشَدًا <sup>(٧)</sup> وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا <sup>(٨)</sup>

(١) (وأنا منّا) الأبرار المتقون (ومنّا) قوم (دون ذلك) خذف الموصوف . وهم  
 المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه . أو أرادوا غير الصالحين .

(٢) بيان للقسمة المذكورة أى كما ذوى مذاهب متفرقة أو أديان مختلفة . والقدر  
 جمع قذّة وهى القطعة من قددت السير أى قطعته .

(٣) أيقنّا (أن لن نعجز الله) لن نفوته (فى الأرض) حال . أى لن نعجزه كائنين  
 (فى الأرض) أينما تكّما فيها .

(٤) مصدر فى موضع الحال . أى (ولن نعجزه) هار بين منها إلى السماء .

وهذه صفة الجنّ وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم .

(٥) (لما سمعنا) القرآن (آمنّا به) بالقرآن أو بالله (فمن يؤمن بربه فـ) هو (لا يخاف)  
 — مبتدأ وخبر — (بخسا) نقصا من ثوابه (ولا رهقا) أى ولا ترهقه ذلّة . من قوله (وترهقهم  
 ذلّة) ، قوله (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلّة) . وفيه دليل على أنّ العمل ليس من الإيمان .

(٦) (منّا) المؤمنون (ومنّا القاسطون) الكافرون الجائرّون عن طريق الحقّ . قسط  
 جار . وأقسط عدل .

(٧) طلبوا هدى . والتحرّى طلب الأخرى أى الأولى .

(٨) (فكانوا) فى علم الله (لجهنّم حطبا) وقودا . وفيه دليل على أنّ الجنّ الكافر يعدّب  
 فى النار . ويتوقف فى كيفية ثوابهم .

وَأَلْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١﴾ لِنَفْتِنِهِمْ فِيهِ وَمَنْ  
يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا  
مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿٤﴾

(١) (أن) مخففة من الثقيلة . يعنى وأنه . وهى من جملة الموحى . أى أوحى إلى أن الشأن (لو استقاموا) أى القاسطون (على الطريقة) طريقة الإسلام (لأسقيناهم ماء غدقا) كثيرا . والمعنى لوسعنا عليهم الرزق — وذكر الماء الغدق لأنه سبب سعة الرزق — (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه .

(٢) (ومن يعرض عن) القرآن أو التوحيد أو العبادة (يسلكه) — بالياء عراقى غير أبى بكر — يدخله (عذابا صعدا) شاقا . مصدر صعدا يقال صعدا صعدا وصعودا . فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه . ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعدنى شيء ما تصعدتنى خطبة النكاح . أى ما شق على .

(٣) من جملة الموحى . أى أوحى إلى (أن المساجد) أى البيوت المبنية للصلاة فيها (لله) . وقيل معناه : (و) (لأن المساجد لله فلا تدعوا) على أن اللام متعلقة بلا تدعوا . أى (فلا تدعوا مع الله أحدا) فى المساجد لأنها خالصة لله وعبادته . وقيل المساجد أعضاء السجود وهى الجبهة واليدان والركبتان والقدمان .

(٤) (لما قام) حمد عليه السلام إلى الصلاة . وتقديره (و) أوحى إلى (أنه لما قام عبد الله يدعوه) يعبدوه ويقرأ القرآن — ولم يقل نبي الله أو رسول الله لأنه من أحب الأسماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأنه لما كان واقعا فى كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه جرى به على ما يقتضيه التواضع ، أولأن عبادة عبد الله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبدا — (كادوا) (يكونون عليه لبدا) جماعات — جمع لبدة — تعجبا مما رأوا من عبادته ، واقتداء أصحابه به ، وإعجابا بما تلاه من القرآن . لأنهم رأوا ما لم يروا مثله .

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا <sup>(١)</sup> قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ  
 لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا <sup>(٢)</sup> قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ <sup>(٣)</sup>  
 وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا <sup>(٤)</sup> إِلَّا بَلَاغًا <sup>(٥)</sup> مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ <sup>(٦)</sup>

(١) (قل إنما أدعوا ربِّي) وحده - (قال) غير عاصم وحمة - (ولا أشرك به أحدا)

في العبادة . فلم تتعجبون وتردحون على ؟

(٢) (قل إنني لا أملك لكم) مضرة (ولا رشدا) نفعاً . أو أراد بالضرّ النفي - بدليل قراءة

أبي - (غياً ولا رشداً) . يعني لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم . لأن الضارّ والنافع هو الله .

(٣) لن يدفع عني عذابه أحد إن عصيته كقول صالح عليه السلام (فمن ينصرنى من الله

إن عصيته) .

(٤) ملتجأ .

(٥) استثناء من (لا أملك) . أى (لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) - (إلا بلاغاً من الله) .

و (قل إنني لن يجيرني) اعتراض لنا كيد نفى الاستطاعة من نفسه وبيان عجزه . وقيل (بلاغاً)

بدل من (ملتجداً) . أى (لن أجد من دونه) منجى (إلا) أن أبلغ عنه ما أرسلني به . يعنى

لا ينبغي إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به فإن ذلك ينبغي . وقال الفراء هذا شرط وجزاء

وليس باستثناء . وإن منفصلة من لا وتقديره إن لا أبلغ بلاغاً . أى إن لم أبلغ لم أجد من دونه

ملتجأ ولا مجيراً كقولك إن لا قياماً ففعوداً . والبلاغ في هذه الوجوه بمعنى التبليغ .

و (من) ليست بصلة للتبليغ . لأنه يقال بلغ عنه . إنما هى بمنزلة (من) فى (براءة من

الله) أى (بلاغاً) كأننا (من الله) .

(٦) عطف على (بلاغاً) . كأنه قيل (لا أملك لكم) إلا التبليغ والرسالات . أى إلا أن أبلغ

عن الله فأقول قال الله كذا ناسباً لقوله إليه ، وأن أبلغ رسالته التى أرسلني بها بلا زيادة ونقصان .



وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا <sup>(١)</sup>  
 حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أضعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً <sup>(٢)</sup>  
 قُلْ إِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمداً <sup>(٣)</sup> عَالِمُ  
 الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا <sup>(٤)</sup> إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ

(١) (ومن يعص الله ورسوله) في ترك القبول لما أنزل على الرسول - لأنه ذكر على أثر تبليغ الرسالة - (فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً). وحد في قوله (له) وجمع في (خالدين) للفظ (من) ومعناه .

(٢) يتعلق بمخدوف دلت عليه الحال . كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه (حتى إذا رأوا ما يوعدون) من العذاب (فيسألون) عند حلول العذاب بهم (من أضعف ناصراً وأقل عدداً) أم أم المؤمنون. أى الكافر لا ناصر له يومئذ، والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبيأؤه .  
 (٣) ما أدري (أقرب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربي) - وفتح الياء بحجازي وأبو عمرو - (أمداً) غاية بعيدة . يعنى أنكم تعدون قطعاً . ولكن لا أدري أهو حال أم مؤجل .

(٤) (عالم) خبر مبتدأ . أى هو (عالم الغيب فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه أحداً) من خلقه (إلا من ارتضى من رسول) إلا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون إخباره عن الغيب معجزة له . فإنه يطلع على غيبه ما شاء . و (من رسول) بيان لمن ارتضى . والولى إذا أخبر بشيء فظهر فهو غير جازم عليه . ولكنه أخبر ببناء على رؤياه أو بالفراصة . على أن كل كرامة للولى فهى معجزة للرسول . وذكر فى التأويلات : قال بعضهم فى هذه الآية دلالة تكذيب المنجمة . وليس كذلك فإن فيهم من يصدق خبره . وكذلك المتطية يعرفون طبائع النبات . وذا لا يعرف بالتأمل . فعلم بأنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقى علمه فى الخلق .

فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا <sup>(١)</sup> لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا  
رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا <sup>(٢)</sup>

(١) يدخل (من بين يديه) يدى الرسول (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة  
يحفظونه من الشياطين ويعصونه من وساوسهم وتحاليلهم حتى يبلغ الوحى .

(٢) (ليعلم) الله (أن قد أبلغوا) أى الرسل (رسالات ربهم) كاملة بلا زيادة  
ولا نقصان إلى المرسل إليهم . أى ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك  
قبل وجوده أنه يوجد . وحّد الضمير فى (من بين يديه) للفظ (من) ، وجمع فى (أبلغوا)  
لمعناه

(٣) (وأحاط) الله (بما لديهم) بما عند الرسل من العلم (وأحصى كل شىء عددا)  
من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار . فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحىه  
وكلامه ؟ و (عددا) حال . أى وعلم كل شىء معدودا محصورا . أو مصدر فى معنى إحصاء .  
والله أعلم

## سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكة

وهي تسع عشرة آية بصرية وثمان عشرة شامخة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ ۖ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ  
 قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ أَنْ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾

(١) أي المترقل . وهو الذي ترتقل في ثيابه . أي تلفف بها . بادغام التاء في الزاي . وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائمًا بالليل مترقلًا في ثيابه . فأمر بالقيام للصلاة بقوله (قم الليل إلا قليلا نصفه) — بدل من (الليل) . و (إلا قليلا) استثناء من قوله نصفه — تقديره (قم) نصف الليل (إلا قليلا) من نصف الليل (أو انقص) من النصف — بضم الواو، غير عاصم وحمة — (قليلًا) إلى الثلث (أو زد عليه) على النصف إلى الثلثين. والمراد التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت، وبين أن يختار أحد الأمرين . وهما النقصان من النصف والزيادة عليه. وإن جعلت (نصفه) بدلًا من (قليلًا) كان تخيرًا بين ثلاثة أشياء بين قيام نصف الليل تمامًا وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه. وإنما وصف النصف بالقلية بالنسبة إلى الكل. وإلا فإطلاق لفظ القليل ينطلق على مادون النصف. ولهذا قلنا إذا قرأت فلان عليه ألف درهم إلا قليلا أنه يلزمه أكثر من نصف الألف .

(٢) بين وفصل . من النغر المرتل أي المفاج الأسنان. وكلام رتل بالتحريك. أي مرتل. ونغر رتل أيضا إذا كان مستوى البنيان . أو اقرأ على تودة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف وإشباع الحركات .

(٣) هو تأكيد في إيجاب الأمر به وأنه لا بد منه للقارئ .

لوجه يكون أنه قليل  
 مستثنى من الليل  
 بدل من الليل والليل  
 على نية لخص ليلته  
 فلهذا المراد من نصفه  
 الليل أو رطله أو أن  
 نلته والمراد بالتحريك  
 هذه التسمية وهو الوجه  
 في رتل بالاداء  
 ونحوها من نصفه  
 بدل من الليل والليل  
 استثنى من نصفه  
 رتل من نصفه  
 الالف من نصفه  
 أو نصفه  
 الالف من نصفه  
 الالف من نصفه  
 الالف من نصفه  
 الالف من نصفه

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا <sup>(١)</sup> إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ <sup>(٢)</sup>  
 قِيلًا <sup>(٤)</sup> إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا <sup>(٥)</sup> وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ <sup>(٦)</sup>  
<sup>(٧)</sup>

(١) سنزل عليك (قولا ثقيلا) أى القرآن لما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين . أو (ثقيلا) على المنافقين . أو كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف .

(٢) بالهمز سوى ورش . قيام الليل ، عن ابن مسعود رضى الله عنه . فهو مصدر من نشأ إذا قام ونهض ، على فاعلة كالعافية . أو العبادة التي تنشأ بالليل أى تحدث . أو ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة فساعة . وكان زينا العابدين رضى الله عنه يصلى بين العشاءين ويقول : هذه ناشئة الليل .

(٣) (وِطَاءً) وفاقا ، شامى وأبو عمرو . أى يواطىء فيها قلب القائم لسانه . وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية ، لانقطاع رؤية الخلائق . غيرهما (وطأ) أى أثقل ، على المصلى من صلاة النهار لطرد النوم في وقته ، من قوله صلى الله عليه وسلم "اللهم اشدد وطأتك على مضر" .

(٤) وأشد مقالا وأثبت قراءة لهدو الأصوات وانقطاع الحركات .

(٥) (إن لك في النهار) تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواذلك ، ففترغ نفسك في الليل لعبادة ربك . أو فراغا طويلا لنومك وراحتك .

(٦) ودم على ذكره في الليل والنهار . وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم .

(٧) انقطع إلى عبادته عن كل شيء ، والتبتل الانقطاع إلى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره . وقيل روض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله .

تَبْتِيلًا <sup>(١)</sup> رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ <sup>(٢)</sup> وَكِيلًا <sup>(٣)</sup> وَأَصْبِرْ  
عَلَى مَا يَقُولُونَ <sup>(٤)</sup> وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا <sup>(٥)</sup> وَذَرْنِي <sup>(٦)</sup> وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ  
قَلِيلًا <sup>(٧)</sup> إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا <sup>(٨)</sup> وَجَحِيمًا <sup>(٩)</sup> وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ <sup>(١٠)</sup> وَعَذَابًا أَلِيمًا <sup>(١١)</sup>

(١) في اختلاف المصدر زيادة تأكيد . أى بتلك الله . فتبتل بتبتيلا . أو جمع به مراعاة لحق الفواصل .

(٢) (رب) بالرفع . أى هو (رب) . أو مبتدأ خبره (لا إله إلا هو) . وبالجز شامى وكوفى غير حفص ، بدل من (ربك) . وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم بإضمار حرف القسم نحو والله لأفعلن . وجوابه (لا إله إلا هو) كقولك والله لا أحد فى الدار إلا زيد .

(٣) ولياً وكفيلاً بما وعدك من النصر . أو إذا علمت أنه ملك المشرق والمغرب وأن لا إله إلا هو (فاتخذ) كافياً لأموالك . وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد أن عرفت فى تفويض الأمور إلى الواحد القهار إذ لا عذر لك فى الانتظار بعد الإقرار .

(٤) (واصبر على ما يقولون) فى من الصحابة والولد ، وفك من الساحر والشاعر .

(٥) جانهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة . وقيل هو منسوخ بآية القتال .

(٦) أى كلهم إلى فانا كافيتهم . (والمكذبين) — رؤساء قريش — مفعول معه . أو عطف على (ذرى) أى دعنى وليأهم . (أولى النعمة) التنعم . وبالكسر الإنعام . وبالضم المسرة . (ومهلهم) إمهالا (قليلاً) إلى يوم بدر أو إلى يوم القيامة .

(٧) (إن لديننا) للكافرين فى الآخرة (أنكالا) قيوداً ثقلاً — جمع نكل — (وجحيماً) ناراً محرقة (وطعاماً ذا غصة) أى الذى ينشب فى الحلق فلا ينساغ . يعنى الضريع والزقوم (وعذاباً أليماً) يخلص وجعه إلى القلب . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق . وعن الحسن أنه أمسى صائماً فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه . ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه . وكذلك الليلة الثالثة . فأخبر ثابت البنانى وغيره بقاءوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق .

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا<sup>(١)</sup>  
 إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
 رَسُولًا<sup>(٢)</sup> فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِئْسَ<sup>(٣)</sup> فَكِيفَ  
 تَتَّقُونَ<sup>(٤)</sup> إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا<sup>(٥)</sup> السَّمَاءُ مَنفُطْرٌ بِهِ

(١) (يوم) منصوب بما في (لدينا) من معنى الفعل. أى استقرت للكفار (لدينا) كذا وكذا (يوم ترجف الأرض والجبال) أى تمترت حركة شديدة (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا - من كثب الشيء إذا جمعه. كأنه فعيل بمعنى مفعول - (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه .

(٢) (إننا أرسلنا إليكم) ي أهل مكة (رسولا) يعنى محمدا عليه السلام (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) أى ذلك الرسول - إذ النكرة إذا أعيدت معرفة كان الثانى حين الأول - (فأخذناه أخذا وبئسا) شديدا غليظا . وإتما خص موسى وفرعون لأن خبرهما كان منتشرا بين أهل مكة لأنهم كانوا جيران اليهود .

(٣) (يومًا) مفعول (تتقون) . أى (فكيف تتقون) عذاب يوم كذا (إن كفرتم) ؟ . أو ظرف . أى (فكيف) لكم التقوى فى يوم القيامة (إن كفرتم) فى الدنيا ؟ أو منصوب به (كفرتم) على تأويل مجدم . أى كيف (تتقون) الله وتحشونه إن مجدمت يوم القيامة والجزاء ؟ لأن تقوى الله خوف عقابه .

(٤) (يجعل الولدان) - صفة لـ (يومًا) . والعائد محذوف أى فيه - (شيبا) من هوله وشدةه . وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك . وهو جمع أشيب . وقيل هو على التمثيل للتحويل . يقال لليوم الشديد : يوم يشيب نواصى الأطفال .

(٥) وصف لليوم بالشدّة أيضا . أى (السماء) على عظمتها وإحكامها تنفطر به ، أى تنشق ، فما ظنك بغيرها من الخلائق ؟ والتذكير على تأويل السماء بالسقف . أو (السماء) شىء (منفطر) . وقوله (به) أى بيوم القيامة . يعنى أنها تنفطر لشدّة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشىء بما يفطر به .

كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا <sup>(١)</sup> إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا <sup>(٢)</sup> إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ <sup>(٣)</sup> وَثُلُثَهُ <sup>(٤)</sup> وَطَائِفَةٌ <sup>(٥)</sup> مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>

(١) (كان وعده) — المصدر مضاف إلى المفعول، وهو اليوم؛ أو إلى الفاعل، وهو الله عز وجل — (مفعولا) كأننا .

(٢) (إن هذه) الآيات الناطقة بالوعيد (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أي فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا إلى الله بالتقوى والحشية .

(٣) (تقوم) أقل — فاستعير الأدنى وهو الأقرب للأقل . لأن المسافة بين الشئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز ، وإذا بعدت كثر ذلك — (من ثلثي الليل) بضم اللام سوى هشام .

(٤) منصوبان — عطف على (أدنى) — مكى وكوفى . ومن جرهما عطف على (ثلثي) .

(٥) (وطائفة) — عطف على الضمير في (تقوم) وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل — (من الذين معك) . أي ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك .

(٦) أي ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما إلا الله وحده . وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيًا عليه (يقدر) هو الدال على أنه مختص بالتقدير . ثم لآتهم قاموا حتى انتفخت أقدامهم . فنزل (علم أن لن تحصوه) لن تطبيقوا قيامه على هذه المقادير إلا بسدة ومشقة وفي ذلك حرج .

(٧) تخفف عليكم وأسقط عنكم فرض قيام الليل .

فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضِيٌّ وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ  
 فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا<sup>(١)</sup>  
 مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup>

(١) (فأقراءوا) — في الصلاة . والأمر للوجوب . أو في غيرها . والأمر للندب —  
 (ما تيسر) عليكم (من القرآن) . روى أبو حنيفة عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال "من  
 قرأ مائة آية في ليلة لم يكتب من الغافلين . ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين" . وقيل  
 أراد بالقرآن الصلاة لأنه بعض أركانها . أى فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل .  
 وهذا ناسخ للأول . ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس . ثم بين الحكمة في النسخ وهى تعذر القيام  
 على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال (علم أن سيكون منكم) — أى أنه . مخففة من  
 الثقيلة . والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها — (مرضى) فيشق عليهم قيام الليل  
 (وأخرون يضربون في الأرض) يسافرون (يتبتغون) — حال من ضمير (يضربون) —  
 (من فضل الله) رزقه بالتجارة أو طلب العلم (وأخرون يقاتلون في سبيل الله) . سوى بين  
 المجاهد والمكتسب ، لأن كسب الحلال جهاد . قال ابن مسعود رضى الله عنه "أبما رجل جاب  
 شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء" .  
 وقال ابن عمر رضى الله عنهما "ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلى من  
 أن أموت بين شعبي رحل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله" .

(٢) كرر الأمر بالتيسير لشدة احتياطهم .

(٣) (وأقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة (وأقرضوا الله) — بالنوافل .  
 والقرض لغة القطع . فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه إلى غيره . وكذا المتصدق  
 يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى . وإبما أضافه إلى نفسه لئلا يمين على الفقير فيما  
 يتصدق به عليه . وهذا لأن الفقير معاون له في تلك القرية فلا يكون له عليه منة بل المنة  
 للفقير عليه — (قرضا حسنا) من الحلال بالإخلاص .



وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا  
وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(١) (تجدوه) أى ثوابه - وهو جزاء الشرط - (عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم .  
فالمفعول الثانى لتجدوه (خيرا) و (هو) فصل . وجاز وإن لم يقع بين معرفتين لأن "أفعل  
من" أشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف .

(٢) وأجزل ثوابا .

(٣) (واستغفروا لله) من السيئات والتقصير فى الحسنات (إن الله غفور) يستر على أهل  
الذنب والتقصير (رحيم) يخفف عن أهل الجهد والتوفير . وهو على ما يشاء قدير . والله أعلم .

## سورة المدثر صلى الله عليه وسلم مكية

وهي ست وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾

(١) روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله . فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئا . فنظرت إلى فوق . فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض " — يعني الملك الذي ناداه — " فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني " فدثرته خديجة . بجاء جبريل وقرأ (يا أيها المدثر) أى المتلفف بئابه — من الدثار . وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار . والشعار الثوب الذى يلى الجسد . وأصله المتدثر . فادغم — (قم) من مضجعك . أو (قم) قيام عزم وتصميم (فأنذر) فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا . أو فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد . وقيل سمع من قريش ما كرهه فاعتم فنغطى بشوبه مفكرا كما يفعل المغموم . فقيل له يا أيها الصارف أذى الكفار ، عن نفسك بالدثار ، قم فاشتغل بالإنذار ، وإن آذاك الفجار .

(٢) واختص ربك بالتكبير . وهو التعظيم . أى لا يكبر فى عينك غيره ، وقل عند ما يعررك من غير الله : الله أكبر . وروى أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الله أكبر" فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي . وقد يحمل على تكبير الصلاة . ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره .

وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ<sup>(١)</sup> وَالرَّجْزَ فَاهْجَرُ<sup>(٢)</sup> وَلَا تَمَنَّ<sup>(٣)</sup> تَسْتَكْثِرُ<sup>(٤)</sup>  
 وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ<sup>(٥)</sup> فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ<sup>(٦)</sup> فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ  
 عَسِيرٌ<sup>(٧)</sup> عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ<sup>(٦)</sup> ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ

(١) (وتيابك فطهر) بالماء عن النجاسة لأن الصلاة لاتصح إلا بها. وهي الأولى في غير الصلاة. أو فقصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذبول. إذ لا يؤمن معه إصابة النجاسة. أو طهر نفسك مما يستقدر من الأفعال. يقال فلان طاهر الثياب إذا وصفوه بالنقاء من المعاييب ، وفلان دنس الثياب للغادر. ولأق من طهر باطنه يطهر ظاهره .

(٢) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص. وغيرهم بالكسر. العذاب. والمراد ما يؤدي إليه.

(٣) أي اثبت على هجره لأنه كان بريئا منه .

(٤) بالرفع. وهو منصوب المحل على الحال. أي لاتنط. مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا. أو طالبا أكثر مما أعطيت فإنك مأمور بأجل الأخلاق وأشرف الآداب. وهو من من عليه إذا أنعم عليه. وقرأ الحسن (تستكثر) بالسكون جوابا للنهي .

(٥) ولوجه الله فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيهِ وكل مصبور عليه ومصبور عنه .

(٦) (فإذا) نفخ في الصور—وهي النفخة الأولى. وقيل الثانية—(فذلك)— إشارة إلى وقت النقر. وهو مبتدأ—(يومئذ)— مرفوع المحل بدل من ذلك—(يوم عسير) خبر. كأنه قيل فيوم القدر يوم عسير. والفاء في (فإذا) للتسبيح وفي (فذلك) للجزاء. كأنه قيل اصبر على أذاهم. فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه. والعامل في (فإذا) مادّل عليه الجزاء. أي (فإذا نقر في الناقور) عسر الأمر (على الكافرين). وأكده بقوله (غير يسير) ليؤذن بأنه يسير على المؤمنين. أو (عسير) لا يرجي أن يرجع يسيرا كما يرجي تيسير العسير من أمور الدنيا .

(٧) أي كله إلى. يعني الوليد بن المغيرة. وكان يلقب في قومه بالوحيد. (ومن خلقت) معطوف ، أو مضمول معه .

وَحِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۞ وَبَنِينَ شُهُودًا ۞  
 وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۞ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۞ كَلَّا إِنَّهُ  
 كَانَ لِأَيْتِنَا عَنِيدًا ۞ سَارَهُقُهُ صَعُودًا ۞ إِنَّهُ فَكَّرَ  
 وَقَدَّرَ ۞ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞

(١) (وحيدا) حال من الياء في (ذرنى). أى ذرنى وحدى معه فأتى أكفيك أمره. أو من  
 التاء في ( خلقت ) أى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد . أو من الهاء المحذوفة ، أو من  
 ( من ) أى خلقته منفردا بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه ( وجعلت له مالا ممدودا )  
 مبسوطا كثيرا . أو ممدودا بالثناء . وكان له الزرع والضرع والتجارة . وعن مجاهد كان له مائة  
 ألف دينار . وعنه أن له أرضا بالطائف لا ينقطع ثمرها ( وبنين شهودا ) حضورا معه  
 بمكة لغناهم عن السفر . وكانوا عشرة أسلم منهم خالد وهشام وعمارة ( ومهدت له تمهيدا )  
 وبسطت له الجاه والرياسة فآتت عليه نعمتى الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا .  
 (٢) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجو أن أزيد فى ماله وولده من غير شكر . وقال  
 الحسن ( أن أزيد ) أن أدخله الجنة فأوتيه مالا وولدا كما قال ( لأوتين مالا وولدا ) .  
 (٣) ردع له وقطع لرجائه . أى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم . فلم  
 يزل بعد نزول الآية فى نقصان من المال والجاه حتى هلك .

(٤) (إنه كان) للقرآن (عنيذا) معاندا جاحدا . وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن  
 قائلا قال لم لا يزداد؟ ف قيل إنه جحد آيات المنعم وكفر بذلك نعمته . والكافر لا يستحق المزيد .  
 (٥) ساعشيه ( صعودا ) عقبة شاققة المصعد . وفى الحديث الصعود جبل من نار يصعد  
 فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا .

(٦) تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر والذل ، بعد الغنى والعز ، لعناده ؛ ويعاقبه  
 فى الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن سحرا . يعنى (إنه فكر) ماذا  
 يقول فى القرآن ( وقدر ) فى نفسه ما يقوله وهياه ( فقتل ) لعن ( كيف قدر ) تعجيب من  
 تقديره ( ثم قتل كيف قدر ) كثر للتأكيد . و ( ثم ) يشعر بأن الدعاء الثانى أبلغ من الأول .

ثُمَّ نَظَرَ ﴿١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٣﴾ فَقَالَ إِنِّ  
هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٥﴾ سَأَصْلِيهِ  
سَقْرٌ ﴿٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٨﴾

(١) (ثمّ نظر) في وجوه الناس ، أو فيما قدر (ثمّ عبس) قطب وجهه (وبسر) زاد في التقبّض والكلوخ (ثمّ أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه أو عن مقامه وفي مقاله . و (ثمّ نظر) عطف على (فكر وقدر) والدعاء اعتراض بينهما . وإيراد (ثمّ) في المعطوفات لبيان أن بين الأفعال المعطوفة تراخيا .

(٢) (فقال) ما (هذا إلا سحر يؤثر) يروى عن السحرة (إن هذا إلا قول البشر) . روى أن الوليد قال لبني مخزوم : " والله لقد سمعت من عهد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن . إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو وما يعلى " . فقالت قريش " صبا والله الوليد " . فقال أبو جهل - وهو ابن أخيه - " أنا أكفيكوه " . فقعد إليه حزينا وكتبه بما أحماه . فقام الوليد فاتاهم . فقال " تزعمون أن محمدا مجنون . فهل رأيتوه يخفق ؟ وتقولون إنّه كاهن . فهل رأيتوه قط يتكهن ؟ وتزعمون أنّه شاعر . فهل رأيتوه يتعاطى شعرا قط ؟ وتزعمون أنّه كذاب . فهل جرّتم عليه شيئا من الكذب ؟ " فقالوا في كلّ ذلك " اللهم لا " . ثمّ قالوا " فما هو ؟ " ففكر فقال " ما هو إلا ساحر . أما رأيتوه يفتق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ؟ وما الذي يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيامة وأهل بابل " . فارتجّ النادى فرحا وتفرّقا متعجّبين منه . وذكر الفاء دليل على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبّث . ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لأنّ الثانية جرت مجرى التوكيد للأولى .

(٣) سأدخله . بدل من (سأرهقه صعودا) .

(٤) علم لجهنم . ولم ينصرف للتعريف والتأنيث .

(٥) تهويل لشأنها .

(٦) أى هي (لا تبق) لحما (ولا تذر) عظما . أو (لا تبق) شيئا يبقى فيها إلا أهلكته

(ولا تذر) هـ هالكابل يهود كما كان .

لَوْاحَةٍ لِلْبَشْرِ (١) عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ (٢) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً  
 وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ (٣) الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
 وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ  
 وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا (٤)

(١) خبر مبتدأ محذوف . أى هى (لواحة للبشر) جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد . أى  
 مسودة للجلود ومحرفة لها .

(٢) على سقر ، أى على أمرها (تسعة عشر) ملكا . عند الجمهور . وقيل : صنفا من  
 الملائكة . وقيل : صنفا . وقيل : نقيبا .

(٣) أى (وما جعلنا) خزنتها (إلا ملائكة) لأنهم خلاف جنس المعذنين فلا تأخذهم  
 الرأفة والرفقة لأنهم أشد الخلق بأسا . فللواحد منهم قوة التحليل . (وما جعلنا عِدَّتَهُمْ)  
 تسعة عشر (إلا فتنة) أى ابتلاء واختبارا (للذين كفروا) ، حتى قال أبو جهل لما نزلت  
 (عليها تسعة عشر) : — ”ما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحدا منهم وأتم الدم ؟!“ .  
 فقال أبو الأشد — وكان شديد البطش : ”أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أتم اثنين“ .  
 فترأت (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون .

وقالوا فى تخصيص الخزانة بهذا العدد ، مع أنه لا يطلب فى الأعداد العلى : — إن ستة منهم  
 يقودون الكفرة إلى النار ، وستة يسوقونهم ، وستة يضر بونهم بمقامع الحديد ، والآخرون خازن جهنم .  
 وهو مالك . وهو الأكبر . وقيل : فى سقر تسعة عشر دركا . وقد سلط على كل درك ملك وقيل  
 يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب . وعلى كل لون ملك موكل . وقيل : إن جهنم تحفظ  
 بما تحفظ به الأرض من الجبال . وهى تسعة عشر . وإن كان أصلها مائة وتسعين إلا أن غيرها  
 يشعب عنها .

(٤) (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لأن عِدَّتَهُمْ تسعة عشر فى الكتابين . فإذا سمعوا بمثلها  
 فى القرآن أيقنوا أنه منزل من الله (ويزداد الذين آمنوا) بمحمد — وهو عطف على (ليستيقن) —  
 (إيمانا) لتصديقهم بذلك ، كما صدقوا سائر ما أنزل . أو يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب

كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ<sup>(١)</sup> وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ<sup>(٢)</sup>

أولئك (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) هذا عطف أيضا. وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الإيمان. إذ الاستيقان وازدياد الإيمان دالآن على انتفاء الارتياب، ثم عطف على (ليستيقن) أيضا (وليقول الذين في قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون) المشركون. فإن قلت النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية. قلت معناه (وليقول المنافقون) الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة (والكافرون) بمكة: — (ماذا أراد الله بهذا مثلا)؟ وهذا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب. وذا لا يخالف كون السورة مكية. وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين. و (مثلا) تمييز لهذا، أو حال منه، كقوله (هذه ناقة الله لكم آية). ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة، وأن مثله حقيق بأن تسير به الركان سيرها بالأمثال سمي مثلا. والمعنى أى شيء أراد الله بهذا العدد العجيب؟ وأى معنى أراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لاعشرين؟ وغرضهم إنكاره أصلا، وأنه ليس من عند الله، وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص.

(١) الكاف نصب. و (ذلك) إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى. أى مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى — يعنى إضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة في ذلك — (يضل الله من يشاء) من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشاء) وهو الذى علم منه اختيار الهدى. وفيه دليل خلق الأفعال ووصف الله بالهداية والإضلال.

(٢) لما قال أبو جهل لعنه الله أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر، نزل (وما يعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (إلا هو) فلا يعز عليه تميم الخزنة عشرين. ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها.

(٣) متصل بوصف سقر. و (هى) ضميرها أى (وما) سقر وصفتها (إلا ذكرى للبشر) أى تذكرة للبشر. أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها.

كَلَّا وَالْقَمَرَ<sup>(١)</sup> وَاللَّيْلَ إِذْ أَدْبَرَ<sup>(٢)</sup> وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ<sup>(٣)</sup> إِنَّهَا لِأَحَدَى  
 الْكُبْرَى<sup>(٤)</sup> نَذِيرًا لِلْبَشَرِ<sup>(٥)</sup> لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ<sup>(٦)</sup> أَوْ يَتَأَخَّرَ<sup>(٧)</sup>  
 كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً<sup>(٨)</sup> إِلَّا الصَّحْبَ الْيَمِينِ<sup>(٩)</sup> فِي جَنَّتِ<sup>(١٠)</sup>

(١) إنكار - بعد أن جعلها ذكري - أن تكون لهم ذكري لأنهم لا يتذكرون .

(٢) والقمر) - أقسم به لعظم منافعه - (والليل إذ أدبر) - نافع وحفص وحزمة ويعقوب  
 وخلف وغيرهم (إذا دبر) ودبر بمعنى أدبر . ومعناها وتى ذهب . وقيل (أدبر) وتى ومضى ،  
 و(دبر) جاء بعد النهار - (والصبح إذا أسفر) أضاء . وجواب القسم (إنها) إن سقر (لأحدى الكبرى)  
 هي جمع الكبرى أي (لأحدى) البلايا أو الدواهي (الكبرى) . ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن  
 واحدة في العظم لانظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال . وهي إحدى النساء .

(٣) (نذيرا) تمييز من (أحدى) . أي (إنها لأحدى) الدواهي إنذارا . كقولك  
 هي إحدى النساء عفافا . وأبدل من (للشعر) ، (لمن شاء منكم) - بإعادة الجاز -  
 (أن يتقدم) إلى الخير (أو يتأخر) عنه . وعن الزجاج إلى ما أمر وعما نهى .

(٤) هي ليست بتأنيث رهين في قوله (كل امرئ بما كسب رهين) لتأنيث النفس .  
 لأنه لو قصدت الصفة ل قيل رهين . لأن فعلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث . وإنما  
 هي اسم بمعنى الرهن كالشئمة بمعنى الشتم كأنه قيل (كل نفس بما كسبت) رهن . والمعنى (كل  
 نفس) رهن بكسبها عند الله خير مذكور .

(٥) أي أطفال المسلمين لأنهم لا أعمال لهم يرهنون بها . أو إلام المسلمين لأنهم فتكوا  
 رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق .

(٦) أي هم (في جنت) لا يكتنه وصفها .



يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٣﴾  
 قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿٥﴾ وَكُنَّا  
 نَحْوُضٌ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٦﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٧﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا  
 الْيَقِينَ ﴿٨﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ  
 مُعْرِضِينَ ﴿١٠﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿١١﴾ فَفَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿١٢﴾

(١) يسأل بعضهم بعضا عنهم . أو يتساءلون غيرهم عنهم .

(٢) (ما) أدخلكم فيها . ولا يقال لا يطابق قوله (ما سلككم) — وهو سؤال للمجرمين — قوله (يتساءلون عن المجرمين) وهو سؤال عنهم ، وإنما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون للمجرمين ما سلككم ، لأن (ما سلككم) ليس ببيان للتساؤل عنهم . وإنما هو حكاية قول المسئولين عنهم . لأن المسئولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم (ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين) . إلا أنه اختصر كما هو نهج القرآن . وقيل (عن) زائدة .

(٣) (قالوا لم نك من المصلين) أى لم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطعم المسكين) كما يطعم المسلمون (وكنا نحوض مع الخائضين) الخوض الشروع في الباطل ، أى تقول الباطل والزور في آيات الله (وكنا نكذب بيوم الدين) الحساب والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعاة الشافعين) من الملائكة والنبين والصالحين لأنها للؤمنين دون الكافرين . وفيه دليل ثبوت الشفاعاة للؤمنين . في الحديث "إن من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر" .

(٤) (فما لهم عن) التذكير وهو العظة أى القرآن (معرضين) مولين . حال من الضمير نحو مالك قائما .

(٥) (كانهم حمير) — أى حمير الوحش . حال من الضمير في (معرضين) — (مستنفرة) شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها — ويفتح الفاء مدنى وشامى أى استنفرتها خيرها — (فرت من قسورة) حال . وقد معها مقدرة . والقسورة الرماة أو الأسد . فعولة من الفسر . وهو القهر والغلبة . شبهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بجمر جدت في نفارها .

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً ۖ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ  
 الْآخِرَةَ ۚ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ۚ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ وَمَا يُذَكِّرُونَ  
 إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ

(١) (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى) قراطيس تنشر وتقرأ. وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن تبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان تؤمر فيها باتباعك. ونحوه قوله (لنؤمن لربك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه). وقيل: قالوا إن كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار.

(٢) (كلّا) ردع لهم عن تلك الإرادة وزجر عن اقتراح الآيات. ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف.

(٣) ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة. وقال إن القرآن (تذكرة) بليغة كافية.

(٤) أى (فمن شاء) أن يذكره ولا ينسأه فعل فإن نفع ذلك عائد إليه.

(٥) وبالثناء نافع ويعقوب.

(٦) إلا وقت مشيئة الله أو إلا بمشيئة الله.

(٧) فى الحديث (هو أهل) أن يتقى (وأهل) أن يغفر لمن اتقاه والله أعلم.

## سورة القيامة مكية

وهي أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ أَيَحْسَبُ  
الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۖ

(١) (لا أقسم بيوم القيامة) أى أقسم ، عن ابن عباس . و (لا) صلة كقوله  
(لئلا يعلم) وقوله

\* فى بئرٍ لا حورٍ سرى وما شعر \* وكقوله .

تذكرت ليلي فاعتزنى صبابة - وكاد ضمير القلب لا يتقطع

وعليه الجمهور . وعن الفراء (لا) ردّ لإنكار المشركين البعث كأنه قيل : ليس الأمر كما  
تزعمون ثم قيل : أقسم بيوم القيامة . وقيل أصله (لأقسم) كقراءة ابن كثير ، على أن اللام  
للابتداء ، و (أقسم) خبر مبتدأ محذوف . أى لأننا أقسم . ويقويه أنه فى الإمام بغير الألف .  
ثم أشبع فظهر من الإشباع ألف . وهذا اللام يصحبه نون التأكيد فى الأغلب وقد يفارقه .  
(ولا أقسم بالنفس اللوامة) الجمهور على أنه قسم آخر . وعن الحسن : أقسم بيوم القيامة  
ولم يقسم بالنفس اللوامة . فهى صفة ذم ، وعلى القسم صفة مدح . أى النفس المتقية التى  
تلوم على التقصير فى التقوى . وقيل هى نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التى خرجت به من  
إلحنة . وجواب القسم محذوف . أى لتبعثن . دليله (أيحسب الإنسان) أى الكافر المنكر  
للبعث (أن لن نجتمع عظامه) بعد تفرقها ورجوعها رفاتا مختلطا بالتراب .

بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوِّىَ بَنَانَهُ <sup>(١)</sup> ﴿١﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ <sup>(٢)</sup>  
 أَمَامَهُ <sup>(٣)</sup> ﴿٢﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ <sup>(٤)</sup> ﴿٣﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ <sup>(٥)</sup> وَخَسَفَ  
 الْقَمَرُ <sup>(٦)</sup> وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ <sup>(٧)</sup> يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ  
 أَيْنَ الْمَفْزُؤُ <sup>(٨)</sup> ﴿٤﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ <sup>(٩)</sup> إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ <sup>(١٠)</sup> ﴿٥﴾

(١) (بلى) أوجبت ما بعد النفي . أى (بلى) نجعلها (قادرين) حال من الضمير في نجع .  
 أى نجعلها (قادرين) على جمعها وإعادتها كما كانت . أو (قادرين على أن نسوى) أصابعه  
 كما كانت في الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها . فكيف بكبار العظام ؟

(٢) عطف على (أيحسب) فيجوز أن يكون مثله استفهاما .

(٣) ليدوم على بخوره فيما يستقبله من الزمان .

(٤) (يسأل) متى (يوم القيامة) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة .

(٥) (فإذا برق البصر) تحير فزعا — وبفتح الراء مدنى . شخص — (وخسف القمر) وذهب  
 ضوؤه أو غاب — من قوله (خسفنا به) . وقرأ أبو حيوة بضم الحاء — (وجمع الشمس والقمر)  
 أى جمع بينهما في الطلوع من المغرب . أو جمعا في ذهاب الضوء . أو يجمعان فيقذفان في البحر  
 فيكون نار الله الكبرى (يقول الإنسان) الكافر أو المؤمن أيضا من الهول (يومئذ أين المفزئ)  
 هو مصدر . أى الفرار من النار . وقرأ الحسن بكسر الفاء . وهو يحتمل المصدر والمكان .

(٦) (كلأ) ردع عن طلب المفتر (لا وزر) لا ملجأ . (إلى ربك) خاصة (يومئذ المستقر)  
 مستقر العباد . أو موضع قرارهم من جنة أو نار ، مفروض ذلك لمشيئته ، من شاء أدخله  
 الجنة ، ومن شاء أدخله النار .

يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ<sup>(١)</sup> بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ  
 بَصِيرَةٌ<sup>(٢)</sup> وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ<sup>(٣)</sup> لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ<sup>(٤)</sup>  
 إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ<sup>(٥)</sup> فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ<sup>(٦)</sup> ثُمَّ إِنَّ  
 عَلَيْنَا بَيَانَهُ<sup>(٧)</sup> كَلَّا بَلِ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ<sup>(٨)</sup> وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ<sup>(٩)</sup>

(١) يخبر (بما قدم) من عمل عمله (وأخر) ما لم يعمله .

(٢) شاهد . والهاء للبالغة كعلامة . أو أنه لأنه أراد به جوارحه إذ جوارحه تشهد عليه .  
 أو هو حجة على نفسه . والبصيرة الحجية . قال الله تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم) . وتقول لغيرك  
 أنت حجة على نفسك وبصيرة . رفع بالابتداء وخبره (على نفسه) تقدم عليه . والجملة خبر  
 (الإنسان) كقولك زيد على رأسه عمامة . والبصيرة على هذا يجوز أن يكون الملك الموكل عليه .  
 (٣) أرخى ستوره . والمعذار الستر . وقيل ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه . فعليه من  
 يكذب عذره . والمعاذير ليس يجمع معذرة لأن جمعها معاذير . بل هي اسم جمع لها . ونحوه  
 المناكير في المنكر .

(٤) (لا تحرك) بالقرآن (لسانك لتعجل به) بالقرآن . وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ <sup>إلى</sup> <sup>الضم</sup>  
 في القراءة قبل فراغ جبريل كراهة أن يتفقت منه . فقيل له (لا تحرك) لسانك بقراءة الوحي  
 ما دام جبريل يقرأ (لتعجل به) لتأخذه على عجلة ؛ ولئلا يتفقت منك . ثم علل النهي عن  
 العجلة بقوله (إن علينا جمعه) في صدرك (وقرآنه) وإثبات قراءته في لسانك . والقرآن القراءة .  
 ونحوه : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه) .

(٥) أي (إذا) قرأه عليك جبريل — بفعل قراءة جبريل قراءته — (فاتبع قرآنه) أي قراءته  
 عليك (ثم إن علينا بيانه) إذا أشكل عليك شيء من معانيه .

(٦) ردع عن إنكار البعث . أو ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجلة وإنكار  
 لها عليه . وأكده بقوله (بل تحبون العاجلة) كأنه قيل بل أتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل  
 وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ، ومن ثم (تحبون العاجلة) الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة)  
 الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها . والقراءة فيهما بالتاء ، مدني وكوفي .

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢﴾ وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ  
بَاسِرَةٌ ﴿٣﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٤﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٥﴾  
وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٦﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٧﴾ وَالَّتِلْفَتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿٨﴾

(١) (وجوه) هي وجوه المؤمنين (يومئذ ناضرة) حسنة ناعمة (إلى ربها ناظرة) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة. وحمل النظر على الانتظار لأمر ربها أو لتوابه، لا يصح. لأنه يقال نظرت فيه أي تفكرت. ونظرت انتظرته. ولا يعنى بلإ إلا بمعنى الرؤية. مع أنه لا يليق الانتظار في دار القرار.

(٢) كالحلة شديدة العبوسة وهي وجوه الكفار.

(٣) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو في شدته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر.

(٤) ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة. كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين.

(٥) أي الروح. وجاز وإن لم يجر لها ذكر، لأن الآية تدل عليها.

(٦) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال. جمع ترقوة.

(٧) يقف حفص على (من) وقيفة. أي قال حاضر والمختضر بعضهم لبعض: أيكم يرقيه ممّا به؟ من الرقية، من حدّ ضرب. أو هو من كلام الملائكة أيكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ من الرقى، من حدّ علم.

(٨) أيقن المختضر (أنه الفراق) أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة.

(٩) التوت ساقاه عند موته. وعن سعيد بن المسيّب هما ساقاه حين تلقّان في أكفانه. وقيل شدّة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة، على أن الساق مثل في الشدّة. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: هما هتان هم الأهل والولد، وهم القدوم على الواحد الصمد.

إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ <sup>(١)</sup> فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى <sup>(٢)</sup> وَلَكِنْ كَذَّبَ  
 وَتَوَلَّى <sup>(٣)</sup> ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى <sup>(٤)</sup> أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ <sup>(٥)</sup> ثُمَّ أَوْلَىٰ  
 لَكَ فَأَوْلَىٰ <sup>(٦)</sup> أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى <sup>(٧)</sup> أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِّنْ  
 مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ <sup>(٨)</sup> ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً نَّخْلًا فَفَسَوَّىٰ <sup>(٩)</sup> فَعَمَلٌ مِنَ الزَّوْجَيْنِ  
 الذَّكَرِ وَالْأُنثَىٰ <sup>(١٠)</sup> أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ <sup>(١١)</sup>

(١) هو مصدر ساقه . أى مساق العباد إلى حيث أمر الله إما إلى الجنة أو إلى النار .

(٢) ( فلا صدق ) بالرسول والقرآن ( ولا صلى ) الإنسان - فى قوله ( أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْعَ عِظَامَهُ ) - ( ولكن كذب ) بالقرآن ( وتولى ) عن الإيمان . أو ( فلا صدق ) ماله يعنى فلا زكاه .

(٣) يتبختر . وأصله يتطط . أى يتمدد . لأن المتبختر يمد خطاه . فأبدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة .

(٤) بمعنى ويل لك . وهو دعاء عليه بأن يلبه ما يكره ، كرر لنا كيد . كأنه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك . وقيل ويل لك يوم الموت ، وويل لك فى القبر ، وويل لك حين البعث ، وويل لك فى النار .

(٥) ( أَيْحَسِبُ ) الكافر ( أن يترك ) مهملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى ؟

(٦) بالياء ، ابن عامر وحفص . أى يراق المنى فى الرحم . وبالتاء يعود إلى النطفة .

(٧) أى صار المنى قطعة دم جامد بعد أربعين يوماً .

(٨) ( فخلق ) الله منه بشراً سوياً ( بفعل منه ) من الإنسان ( الزوجين الذكر والأنثى ) أو من المنى الصنفين . ( أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ) أليس الفعل لهذه الأشياء بقادر على الإعادة ؟ وكان صلى الله عليه وسلم إذا قرأها يقول "سبحانك ، بلى" . والله أعلم .

## سورة الإنسان مكّية

وهي إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَدَّ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا  
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴿٢﴾ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٣﴾

(١) قد مضى (على الإنسان) آدم عليه السلام (حين من الدهر) أربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه (لم يكن شيئا مذكورا) لم يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به. لأنه كان طينا يمز به الزمان. ولو كان غير موجود لم يوصف بأنه قد أتى عليه حين من الدهر. ومحل (لم يكن شيئا مذكورا) النصب على الحال من (الإنسان). أى أتى عليه (حين من الدهر) غير مذكور. (إنّا خلقنا الإنسان) أى ولد آدم — وقيل الأول ولد آدم أيضا. و (حين من الدهر) على هذا مدة لبثه فى بطن أمه إلى أن صار شيئا مذكورا بين الناس — (من نطفة أمشاج) نعت أو بدل منها. أى (من نطفة) قد امتزج فيها المساءن. ومشجه ومزجه بمعنى. و (نطفة أمشاج) كبرمة أعشار. فهو لفظ مفرد غير جمع. ولذا وقع صفة للفردي.

(٢) حال أى خلقناه مبتلين. أى مردين ابتلاءه بالأمر والنهى له.

(٣) ذا سمع و بصر.



إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ (١) إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٢) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا  
وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٣) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٤)  
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٥) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ (٥)

(١) يَبَيِّنُ لَهُ طَرِيقَ الْهُدَى بِأَدَلَّةِ الْعَقْلِ وَالسَّمْعِ .

(٢) (إِذَا شَاكَرًا) مُؤْمِنًا (وَإِذَا كَفُورًا) كَافِرًا، حَالَانِ مِنَ الْهَاءِ فِي (هُدَيْنَاهُ) . أَيْ إِنْ شَكَرَ وَكَفَرَ فَقَدْ هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ فِي الْحَالَيْنِ . أَوْ مِنَ (السَّبِيلِ) أَيْ عَرَفْنَاهُ السَّبِيلَ (إِذَا) سَبِيلًا (شَاكَرًا وَإِذَا) سَبِيلًا (كَفُورًا) . وَوَصَفَ السَّبِيلَ بِالشُّكْرِ وَالْكَفْرِ بِمَجَازٍ .

(٣) لَمَّا ذَكَرَ الْفَرِيقَيْنِ أَتْبَعَهُمَا مَا أَعَدَّ لَهُمَا فَقَالَ : (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا) - جَمْعُ سَلَاسِلَةٍ . بَغَيْرِ تَنْوِينٍ ، حَفْصٌ وَمَكِّيٌّ وَأَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةٌ . (و) بِهِ لِيُنَاسِبَ (أَغْلَالًا وَسَعِيرًا) إِذْ يَجُوزُ صَرْفُ غَيْرِ الْمُنْصَرَفِ لِلتَّنَاسُبِ ، غَيْرُهُمْ - (وَإِذَا كَفُورًا) جَمْعُ غُلٍّ (وَسَعِيرًا) نَارًا مُوقَدَةٌ . وَقَالَ : (إِنَّ الْأَبْرَارَ) - جَمْعُ بَرٍّ أَوْ بَارٍ كَرَبٍّ وَأَرْبَابٍ وَشَاهِدٍ وَأَشْهَادٍ . وَهَمَّ الصَّادِقُونَ فِي الْإِيمَانِ ، أَوِ الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ النَّفْسَ وَلَا يَضْمُرُونَ الشَّرَّ - (يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ) نَحْمَرُ - فَتَنْفَسُ النَّحْمَرُ تَسْمَى كَأْسًا . وَقِيلَ الْكَأْسُ الزَّبَاجَةُ إِذَا كَانَ فِيهَا نَحْمَرٌ - (كَانَ مِزَاجُهَا) مَا تَمِزُجُ بِهِ (كَافُورًا) مَاءٌ كَافُورٌ . وَهُوَ اسْمُ عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ مَاؤُهَا فِي بَيَاضِ الْكَافُورِ وَرَأْمَحَتِهِ وَبَرْدِهِ (عَيْنًا) بَدَلٌ مِنْهُ (يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) أَيْ مِنْهَا أَوْ الْبَاءُ زَائِدَةٌ أَوْ هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى أَيْ يَلْتَذُّ بِهَا أَوْ يَرُوي بِهَا . وَإِنَّمَا قَالَ أَوْلَا بِمَحْرَفٍ (مِنْ) وَثَانِيًا بِمَحْرَفِ الْبَاءِ لِأَنَّ الْكَأْسَ مَبْتَدَأُ شَرْبِهِمْ وَأَوَّلُ غَايَتِهِ . وَأَمَّا الْعَيْنُ فِيهَا يَمِزُجُونَ شَرْبَهُمْ فَكَأَنَّهُ قِيلَ يَشْرَبُ عِبَادُ اللَّهِ بِهَا النَّحْمَرَ .

(٤) يَجْرُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ (تَفْجِيرًا) سَهْلًا لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ .

(٥) (يُوفُونَ) بِمَا أَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ . وَهُوَ جَوَابٌ مَنْ عَمِيَ أَنْ يَقُولَ مَا لَهُمْ رِزْقُونَ ذَلِكَ ؟ وَالْوَفَاءُ بِالنَّذْرِ مِبَالِغَةٌ فِي وَصْفِهِمْ بِالتَّوْفَرُّقِ عَلَى أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ لِأَنَّ مَنْ وَفَى بِمَا أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ لَوْجَهُ اللَّهُ كَانَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَوْفَى .

وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا <sup>(١)</sup> وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ  
 مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا <sup>(٢)</sup> إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرُؤُوفِهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ  
 جَزَاءً وَلَا شُكُورًا <sup>(٣)</sup> إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِرًا <sup>(٤)</sup>  
 فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا <sup>(٥)</sup> وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا  
 جَنَّةً وَحَرِيرًا <sup>(٥)</sup>

(١) (كان شره) شدائده (مستطيرا) منتشرا ، من استطار الفجر .

(٢) أى (ويطعمون الطعام على) حب الطعام من الاشتهاء والحاجة إليه أو على حب  
 الله (مسكينا) فقيرا عاجزا عن الاكتساب (ويتيمًا) صغيرا لا أب له (وأسييرا) مأسورا  
 مملوكا أو غيره . ثم عللوا إطعامهم فقالوا (إنما نطعمكم لوجه الله) أى لطلب ثوابه — أو هو  
 بيان من الله عز وجل عما فى ضمائرهم لأن الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم وإن لم يقولوا شيئا —  
 (لا نزيد منكم جزاء) هدية على ذلك (ولا شكورا) ثناء . وهو مصدر كالشكر .

(٣) أى إننا لا نزيد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة . أو (إننا  
 نخاف من ربنا) فتصدق لوجهه حتى نأمن من ذلك الخوف .

(٤) وصف اليوم بصفة أهله من الأشقياء نحو نهارك صائم . والقمطير الشديد العبوس  
 الذى يجمع ما بين عينيه .

نزلت فى عليّ وناطمة ونضّة جارية لهما : لما مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما  
 نذروا صوم ثلاثة أيام . فاستقرض عليّ رضى الله عنه من يهودى ثلاثة أصبوع من الشعير  
 فطحنت فاطمة رضى الله عنها كل يوم صاعا وخبزت فأثروا بذلك ثلاث عشايا على أنفسهم  
 مسكينا ویتيمًا وأسييرا ولم يذوقوا إلا المساء فى وقت الإفطار .

(٥) صانهم من شدائده (ولقاهم) أعطاهم بدل عبوس الفجار (نصرة) حسنا فى الوجوه  
 (وسرورا) فرحا فى القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على الإيثار (جنة) بستانا فيه  
 ما كل هنىء (وحريرا) ملبسا بهيا .

مَتَكِينٍ فِيهَا عَلَى الْأَرْآءِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا <sup>(١)</sup>  
 وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا <sup>(٢)</sup> وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا <sup>(٣)</sup> وَيُطَافُ  
 عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ <sup>(٤)</sup> مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا <sup>(٥)</sup> قَوَارِيرًا مِنْ  
 فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا <sup>(٥)</sup>

(١) (متكئين) - حال من هم في (جزاهم) - (فيها) في الجنة (على الأرائك) الأسرة - جمع الأريكة - (لا يرون) - حال من الضمير المرفوع في (متكئين) - غير راين (فيها) في الجنة (شمسا ولا زمهريرا) لأنه لا شمس فيها ولا زمهرير. فظلها دائم وهو أؤها معتدل لاحت شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي. وفي الحديث هواء الجنة يسبح لاحت ولا قز. فالزمهرير البرد الشديد. وقيل القمر. أي الجنة مضيئة لا يحتاج فيها إلى شمس وقمر.

(٢) قريبة منهم ظلال أشجارها. عطفت على (جنة). أي (و) جنة أخرى (دانية عليهم ظلها). كأنهم وعدوا بجناتين لأنهم وصفوا بالخوف - بقوله (إنا نخاف من ربنا) - (ولن خاف مقام ربنا جنتان).

(٣) سخرت للقائم والقاعد والمتكئ. وهو حال من (دانية) أي تدنو ظلها عليهم في حال تذليل قطفها عليهم. أو معطوفة عليها أي (ودانية عليهم ظلها) ومذلة (قطفها) ثمارها. جمع قطف.

(٤) أي يدير عليهم خدمهم كئوس الشراب. والآنية جمع إناء وهو وعاء الماء.

(٥) (وأكواب) أي من فضة - جمع كوب. وهو إبريق لا عروة له - (كانت قوارير) - كان تامة - أي كؤنث ف (كانت قوارير) بتكوين الله. نصب على الحال - (قوارير من فضة) أي مخلوقة من فضة فهي جامعة لبياض الفضة وحسنها، وصفاء القوارير وشفيقها، حيث يرى ما فيها من الشراب من خارجها. قال ابن عباس رضي الله عنهما قوارير كل أرض من تربتها. وأرض الجنة فضة. قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالتنوين فيهما، وحمة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما، وابن كثير بتنوين الأقر. والتنوين

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۖ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا <sup>(١)</sup>  
 وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّثُورًا <sup>(٢)</sup> وَإِذَا  
 رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ <sup>(٤)</sup>  
<sup>(٥)</sup>

في الأول لتناسب الآي المتقدمة والمتأخرة ، وفي الثاني لإتباعه الأول. والوقف على الأول قد قيل . ولا يوثق به لأن الثاني بدل من الأول . (قدروها تقديرا) صفة (لقوارير من فضة) أي أهل الجنة قدروها على أشكال مخصوصة بغضات كما قدروها تكريمة لهم أو السقاة جعلوها على قدر رى شارها . فهي اللذ لهم وأخف عليهم . وعن مجاهد لا تفيض ولا تفيض .

(١) (ويسقون) أي الأبرار (فيها) في الجنة (كأسا) حمرا (كان مزاجها زنجبيلًا عينا) - بدل من (زنجبيلًا) - (فيها) في الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلًا) . سميت العين (زنجبيلًا) لطمع الزنجبيل فيها ، والعرب تستلذّه وتستطيبه ؛ و (سلسبيلًا) لسلاسة انحدارها في الخلق وسهولة مساعها . قال أبو عبيدة ماء سلسبيل أي عذب طيب .

(٢) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين . أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لأهل الجنة .  
 (٣) لا يموتون (إذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وصفاء ألوانهم وابتنائهم في مجالسهم (لؤلؤا مثورا) . وتخصيص المشور لأنه أزين في النظر من المنظوم .

(٤) (ثم) ظرف . أي في الجنة . وليس لرأيت مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع في كل مرثى . تقديره (وإذا) اكتسبت الرؤية في الجنة (رأيت نعيا) كثيرا (وملكا كبيرا) واسعا . يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه . وقيل ملك لا يعقبه هلك . أو لهم فيها ما يشاءون أو تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون في الدخول عليهم .

(٥) (عليهم) بالنصب على أنه حال من الضمير في (يطوف عليهم) . أي (يطوف عليهم ولدان) عاليًا للطوف عليهم (ثياب) . وبالسكون ، مدنى وحزمة ، على أنه مبتدأ خبره (ثياب سندس) . أي ما يعلوهم من ملابسهم (ثياب سندس) رقيق الديباج (خضر) جمع أخضر (وإستبرق) غليظ . برفعهما ؛ حملا على الثياب ، نافع وحفص . ويجزهما ؛ حمزة وعلى ، حملا على (سندس) . ورفع الأول وجرّ الثاني أو عكسه ، غيرهم .

وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٣﴾ إِنَّ هَذَا  
 كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٤﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ  
 تَنْزِيلًا ﴿٥﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٥﴾

(١) (وحلوا) - عطف على (ويطوف) - (أساور من فضة). وفي سورة الملائكة (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا). قال ابن المسيب "لا أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة واحدة من فضة وأخرى من ذهب وأخرى من لؤلؤ".

(٢) أضيف إليه تعالى للتشريف والتخصيص. وقيل إن الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال أخذنا من الوسائط. فإذا هم بكاسات تلاق أفواههم بغير أكف من غيب إلى عبد.

(٣) ليس برجس نخمر الدنيا. لأن كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم. أولآته لم يعصر فتمسه الأيدي الوضرة وتدوسه الأقدام الدنسة.

(٤) يقال لأهل الجنة (إن هذا) النعيم (كان لكم جزاء) لأعمالكم (وكان سعيكم مشكورا) محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلم للسكين واليتيم والأسير (لا تريد منكم جزاء ولا شكورا).

(٥) تكرير الضمير بعد إيقاعه اسما لإن، تأكيد على تأكيد معنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر في نفس النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفترقا إلا حكمة وصوابا. ومن الحكمة الأمر بالمصابرة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الأذية وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة (ولا تطع منهم) من الكفرة للضجر من تأخير الظفر (آثما) را جبا لما هو آثم داعيا لك إليه (أو كفورا) فاعلا لما هو كفر داعيا لك إليه. لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل ما هو آثم أو كفر أو غير آثم ولا كفر. فنهى أن يساعدهم على الأولين دون الثالث. وقيل الآثم عتبة، لأنه كان ركبا للآثم والفسوق، والكفور الوليد، لأنه كان غالبا في الكفر والجحود. والظاهر أن المراد كل آثم وكافر. أي لا تطع أحدهما وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومفترقا. ولو كان بالواو لخاز أن يطع أحدهما لأن الواو للجمع فيكون منها عن طاعتهما معا لا عن طاعة أحدهما. وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعا أنهى. وقيل (أو) بمعنى ولا. أي ولا تطع آثما ولا كفورا.

وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٣﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٦﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧﴾

(١) صل له (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل صلاة العشاءين (وسبحه ليلا طويلا) أى تهجد له هنريعا طويلا من الليل ثلثه أو نصفه أو ثلثه .

(٢) (إن هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يوثرونها على الآخرة (ويذرون وراءهم) قذاهم أو خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا لا يعثون به . وهو يوم القيامة . لأن شدائده تنقل على الكفار .

(٣) (وشددنا) أحكنا (أسرهم) خلقهم ، عن ابن عباس رضى الله عنهما والقرآن .

(٤) أى (إذا شئنا) إهلاكم أهلكتهم و (بدلنا أمثالهم) فى الحلقة من بطيح .

(٥) (إن هذه) السورة (تذكرة) عظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) بالتقرب إليه بالطاعة (وأتباع رسوله) (وماتشاهون) اتخذ السبيل إلى الله - وبالباء ، مكى وشامى وأبو عمرو - (إلا أن يشاء الله) . محله النصب على الظرف أى إلا وقت مشيئة الله . وإنما يشاء الله ذلك من علم منه اختياره ذلك . وقيل هو لعموم المشيئة فى الطاعة والعصيان والكفر والإيمان فىكون حجة لنا على المعتزلة .

(٦) (إن الله كان عليما) بما يكون منهم من الأحوال ، (حكيا) مصيبا فى الأقوال والأفعال ، (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (فى رحمته) جنته لأنها برحمته تنال . وهو حجة على المعتزلة لأنهم يقولون قد شاء أن يدخل كلاً فى رحمته لأنه شاء إيمان الكل . والله تعالى أخبر أنه يدخل من يشاء فى رحمته وهو الذى علم منه أنه يختار الهدى . (والظالمين) الكافرين - لأنهم وضعوا العبادة فى غير موضعها - نصب بفعل مضمر يفسره (أعد لهم عذابا أليما) ، نحو أوعد وكافأ .

## سورة المرسلات مكية

وهي خمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرِاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾  
فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾

(١) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره، فعصفن في مضيتهن، و بطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجوز عند انحطاطهن بالوحى، أو نشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين، ففرقن بين الحق والباطل، فالقن (ذكرا) إلى الأنبياء عليهم السلام (عذرا) للتحقين (أو نُذرا) للبطلين. أو أقسم بريح عذاب أرسلهن، فعصفن، و بريح رحمة نشرن السحاب في الجوز، ففرقن بينه - كقوله (ويجعله كسفا) - فألقين (ذكرا) إما (عذرا) للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها، وإما (نذرا) للذين لا يشكرون وينسبون ذلك إلى الأنواء. وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السبيبية. (عرفا) حال. أى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا. أو مفعول له. أى أرسلن للإحسان والمعروف. و (عصفا) و (نشرا) مصدران. (أو نُذرا) أبو عمرو وكوفي غير أبي بكر وحماد. والعذر والنذر مصدران من عذر إذا محا الإساءة ومن أنذر إذا خوف، على فُعل كالكفر والشكر. وانتصاهما على البديل من (ذكرا)؛ أو على المفعول له.

إِتْمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعٌ<sup>(١)</sup> فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ<sup>(٢)</sup> وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ<sup>(٣)</sup>  
 وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفتْ<sup>(٤)</sup> وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ<sup>(٥)</sup> لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ<sup>(٦)</sup>  
 لِيَوْمِ الْفَصْلِ<sup>(٧)</sup> وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ<sup>(٨)</sup> وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ  
 لِلْمُكَذِّبِينَ<sup>(٩)</sup> أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ<sup>(١٠)</sup> ثُمَّ نَبْعُهُمُ الْآخِرِينَ<sup>(١١)</sup>

(١) إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة (لواقع) لكائن نازل لا ريب فيه . وهو جواب القسم . ولا وقف الى هنا لوصل الجواب بالقسم .

(٢) بحيث أو ذهب بنورها . وجواب (فإذا) محذوف . والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه . و (النجوم) فاعل فعل يفسره (طمست) .

(٣) فتحت فكانت أبوابا .

(٤) قلعت من أما كنها .

(٥) أى (وقئت) كقراءة أبي عمرو . أبدلت الهمزة من الواو . ومعنى توقيت الرسل تبين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أمهم .

(٦) أخرت وأمهلت . وفيه تعظيم لليوم ، وتعجيب من هوله . والتأجيل من الأجل ، كالتوقيت من الوقت .

(٧) بيان ليوم التأجيل . وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق .

(٨) تعجب آخر وتعظيم لأمره .

(٩) (ويل) مبتدأ — وإن كان نكرة . لأنه في أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للدعوى عليه . ونحوه (سلام عليكم) — (يومئذ) ظرفه (للمكذبين) بذلك اليوم ، خبره .

(١٠) الأمم الخالية المكذبة .

(١١) مستأنف بهدوقف . وهو وعيد لأهل مكة . أى (ثم) ففعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين . لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم .



كَذَلِكَ نَفْعُ الْبِغْمِ بِالْمَجْرِمِينَ <sup>(١)</sup> وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ <sup>(٢)</sup> أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ  
 مَهِينٍ <sup>(٣)</sup> فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ <sup>(٤)</sup> إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ <sup>(٥)</sup> فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ  
 الْقَادِرُونَ <sup>(٦)</sup> وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ <sup>(٧)</sup> أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا <sup>(٨)</sup>  
 أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا <sup>(٩)</sup> وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً  
 فُرَاتًا <sup>(١٠)</sup> وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ <sup>(١١)</sup> أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ <sup>(١٢)</sup>

(١) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفع بالمجرمين) بكل من أجرم .

(٢) للمكذبين (بما أوعدنا .

(٣) (ألم نخلقكم من ماء) حقير وهو النطفة (بجعلناه) أى الماء (في قرار مكين) مقتز  
 يتمكن فيه . وهو الرحم . ومحل (إلى قدر معلوم) الحال أى مؤثرا إلى مقدار من الوقت (معلوم)  
 قد علمه الله وحكم به . وهو تسعة أشهر أو ما فوقها أو ما دونها .

(٤) (فقدرنا) ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن . أو (فقدرنا) على ذلك  
 (فنعم القادرون) عليه نحن . والأول أحق لقراءة نافع وعلى بالتشديد ، ولقوله (من نطفة  
 خلقه فقدره) .

(٥) للمكذبين (بنعمة الفطرة .

(٦) (كفاتا) من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه . وهو اسم ما يكفت ، كقولهم الضمام لما  
 يضم . وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنه قيل كافنة (أحياء وأمواتا) . أو بفعل مضمرب يدل  
 عليه (كفاتا) وهو تكفت . أى تكفت (أحياء) على ظهرها (وأمواتا) في بطنها . والتشكيك فيهما  
 للتفخيم . أى تكفت (أحياء) لا يعدون (وأمواتا) لا يحصرون .

(٧) (وجعلنا فيها) جبالا ثوابت (شامخات) عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل  
 يومئذ للمكذبين) بهذه النعمة .

(٨) أى يقال للكافرين يوم القيامة سيروا إلى النار التى كنتم بها تكذبون .

أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ <sup>(٣)</sup> لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ <sup>(٤)</sup>  
 اللَّهَبِ <sup>(٤)</sup> إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ <sup>(٥)</sup> كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفْرٌ <sup>(٥)</sup>  
 وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ <sup>(٦)</sup> هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ <sup>(٧)</sup>

(١) تكرير للتوكيد .

(٢) دخان جهنم .

(٣) يتشعب لعظمه ثلاث شعب . وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق .

(٤) ( لا ظليل ) نعت ( ظل ) . أى لا مظل من حرّ ذلك اليوم وحرّ النار ( ولا يغني )  
 فى محل الجزر . أى وغير مغن لهم ( من ) حرّ ( اللهب ) شيئاً .

(٥) أى النار ( ترمي بشرر ) هو ما تطاير من النار ( كالقصر ) فى العظم . وقيل هو الغليظ  
 من الشجر . الواحدة قصره . ( كأنه جملة ) كوفى غير أبى بكر . جمع حمل . ( جمالات ) غيرهم .  
 جمع الجمع . ( صفر ) جمع أصفر . أى سود تضرب إلى الصفرة . وشبه الشرر بالقصر ، لعظمه  
 وارتفاعه ، وبالجمال للعظم والطول واللون .

(٦) ( ويل يومئذ للمكذبين ) بأن هذه صفتها .

(٧) وقرئ بنصب اليوم . أى ( هذا ) الذى قصص عليكم واقع يومئذ . وسئل ابن عباس  
 رضى الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله ( ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ) فقال  
 فى ذلك اليوم مواقف : فى بعضها ينتصمون ، وفى بعضها لا ينطقون . أو ( لا ينطقون )  
 بما يفهمهم . فجعل نطقهم كلاً نطق .

وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ <sup>(١)</sup> وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ <sup>(٢)</sup> هَذَا يَوْمُ  
 الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ <sup>(٣)</sup> فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونَ <sup>(٤)</sup>  
 وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ <sup>(٥)</sup> إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ <sup>(٦)</sup>  
 وَفَوَاحِشٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ <sup>(٧)</sup> كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(٨)</sup>  
 إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ <sup>(٩)</sup> وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ <sup>(١٠)</sup> كَلُوا  
 وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ <sup>(١١)</sup> وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ <sup>(١٢)</sup>

(١) (ولا يؤذن لهم) في الاعتذار (فيعتدرون) عطف على (يؤذن) منخرط في سلك  
 النفي أى لا يكون لهم إذن واعتذار .

(٢) (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم .

(٣) (هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل والمحسن والمسيء بالجزاء . (جمعناكم) يامكذبي  
 محمد (والأولى) والمكذبين قلمكم . (فإن كان لكم كيد) حيلة في دفع العذاب (فكيدون)  
 فاحتالوا علىّ بتخليص أنفسكم من العذاب . والكيد متعدّ تقول كدت فلانا إذا احتلت عليه .  
 (٤) (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث .

(٥) (إن المتقين) من عذاب الله (في ظلال) جمع ظلّ (وعيون) جارية في الجنة  
 (وفواحيش مما يشتهون) أى لذیذة مشتهاة . (كلوا واشربوا) - في موضع الحال من ضمير (المتقين)  
 في الظرف الذى هو (في ظلال) . أى هم مستترون (في ظلال) مقولا لهم ذلك - (هنيا بما  
 كنتم تعملون) في الدنيا (إننا كذلك نجزي المحسنين) فأحسنوا تجزوا بهذا .  
 (٦) (ويل يومئذ للمكذبين) بالجنة .

(٧) (كلوا وتمتعوا) - كلام مستأنف خطاب للمكذبين في الدنيا على وجه التهديد كقوله  
 (اعملوا ما شئتم) - (قليلًا) لأن متاع الدنيا قليل (إنكم مجرمون) كافرون . أى أت كل مجرم  
 يأكل ويتمتع أياما قلائل ثم يبقى في الهلاك الدائم .  
 (٨) (ويل يومئذ للمكذبين) بالنعيم .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ<sup>(١)</sup> وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ<sup>(٢)</sup>  
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ<sup>(٣)</sup>

(١) (وإذا قيل لهم) اخشعوا لله وتواضعوا إليه بقبول وحيه وأتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصترون على استكبارهم . أو (إذا قيل لهم) صلوا لا يصلون .

(٢) (ويل يومئذ للمكذبين) بالأمر والنهي .

(٣) (فبأي حديث) بعد القرآن (يؤمنون)؟ أي إن لم يؤمنوا بالقرآن مع أنه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأي كتاب بعده يؤمنون؟ والله أعلم .



## سورة النبا مكية

وهي أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾  
 كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ ﴿٦﴾

(١) أصله (عن ما). وقرئ بها. ثم أدغمت النون في الميم فصار (عما) وقرئ بها. ثم حذفت الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال في الاستفهام. وعليه الاستعمال الكثير. وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية.

(٢) يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا. أو يسألون غيرهم من المؤمنين. والضمير لأهل مكة. كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء. (عن النبا العظيم) أي البعث. وهو بيان للشأن المفعم. وتقديره (عم يتساءلون)؟ يتساءلون (عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون) فمنهم من يقطع بإنكاره ومنهم من يشك. وقيل الضمير للمسلمين والكافرين. وكانوا جميعا يتساءلون عنه. فالمسلم يسأل ليزداد خشية، والكافر يسأل استهزاء.

(٣) ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزوا.

(٤) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عيانا أن ما يتساءلون عنه حق.

(٥) كثر الردع للتشديد. و(ثم) يشعر بأن الثاني أبلغ من الأول وأشد.

(٦) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة؟ فلم تنكروا قدرته على البعث وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات؟ أو قيل لهم لم فعل هذه الأشياء والحكيم لا يفعل عبثا وإنكار البعث يؤدي إلى أنه عابث في كل ما فعل؟

مَهْلِدًا ۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۞ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۞ وَجَعَلْنَا  
نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۞  
وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۞ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ۞ وَأَنْزَلْنَا  
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۞ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۞  
وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۞ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۞ يَوْمَ يُنْفَخُ

(١) ( ألم نجعل الأرض ) فراشا فرشناها لكم حتى سكتموها ، ( والجبال أوتادا )  
للأرض لثلاثميد بكم ، ( وخلقناكم أزواجا ) ذكرا وأنثى ( وجعلنا نومكم سباتا ) قطعاً لأعمالكم ،  
وراحة لأبدانكم — والسبت القطع — ( وجعلنا الليل لباسا ) سترًا يستتركم عن العيون  
إذا أردتم إخفاء مالاتحبون الاطلاع عليه ، ( وجعلنا النهار معاشا ) وقت معاش تتقبلون  
في حوائجكم ومكاسبكم ، ( وبيننا فوقكم سبعا ) سبع سموات ( شدادا ) جمع شديدة .  
أى محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان ، أو غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام  
( وجعلنا سراجا وهاجا ) مضيئا وقادا . أى جامعا للنور والحرارة . والمراد الشمس ( وأنزلنا من  
المعصرات ) أى السحاب إذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر — ومنه أعصرت  
الحرارية إذا دنت أن تفيض . أو الرياح لأنها تنشئ السحاب وتدرّ أخلافه فيصح أن تجعل مبدأ  
للإنزال . وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب — ( ماء ثجاجا )  
منصباً بكثرة ( لنخرج به ) بالماء ( حباً ) كالبر والشعير ( ونباتا ) وكلاً ( وجات ) بساين ( ألفافا )  
ملتفة الأشجار . واحدها لف بكذع وأجداع ، أو ليف كشريف وأشراف . أو لا واحده  
كأوزاع . أو هى جمع الجمع . فهى جمع لف . واللف جمع لقاء وهى شجرة مجتمعة . ولا وقف  
من ( ألم نجعل ) إلى ( ألفافا ) . والوقف الضرورى على ( أوتادا ) و ( معاشا ) .

(٢) ( إن يوم الفصل ) بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل ( كان ميقاتا ) وقتا محدودا  
ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميعادا للثواب والعقاب .

(٣) بدل من ( يوم الفصل ) أو عطف بيان .

فِي الصُّورِ فَتَاتُونَ أَفْوَاجًا <sup>(٢)</sup> وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ <sup>(٣)</sup> فَكَانَتْ أَبْوَابًا <sup>(٤)</sup> وَسُيِّرَتِ  
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا <sup>(٥)</sup> إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا <sup>(٦)</sup> لِلطَّاغِينَ  
 مَثَابًا <sup>(٦)</sup> لِّبَشِيرِينَ فِيهَا أَحْقَابًا <sup>(٦)</sup> لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا <sup>(٦)</sup>  
 إِلَّا حَمِيمًا <sup>(٦)</sup> وَغَسَّاقًا <sup>(٦)</sup>

(١) في القرن .

(٢) حال . أى جماعات مختلفة . أو أمم كل أمة مع رسولها .

(٣) خفيف ، كوفي . أى شقت لتزول الملائكة .

(٤) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج .

(٥) (وسيرت الجبال) عن وجه الأرض (فكانت سرايا) أى هباء تخيل الشمس أنه ماء .

(٦) (إن جهنم كانت) طريقا عليه ممر الخلق — فالؤمن يمر عليها والكافر يدخلها .

وقيل المرصاد الحد الذى يكون فيه الرصد . أى هى حد الطاغين الذى يرصدون فيه للعذاب ،

وهى مأبهم . أو هى مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم

عليها — للكافرين مرجعا (لابئين) ما كئين — حال مقدرة من الضمير فى (لطاغين) . حمزة : —

(لبئين) . واللبيث أقوى . إذ اللبث من وجد منه اللبث وإن قل ، واللبيث من شأنه اللبث والمقام

فى المكان — (فيها) فى جهنم (أحقابا) — ظرف جمع حُقب . وهو الدهر . ولم يرد به عدد محصور . بل

الأبد كلما مضى حُقب تبعه آخر إلى غير نهاية . ولا يستعمل الحقب والحقة إلا إذا أريد تنابع

الأزمنة وتواليها . وقيل الحقب ثمانون سنة . وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب (\*)

بعد عشرين سنة (لابئين فيها أحقابا) — (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أى غير ذائقين . حال من

ضمير (لابئين) . فإذا انقضت هذه الأحقاب التى عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا بأحقاب

آخر فيها عذاب آخر . وهى أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها . وقيل هو من حقب عامنا

إذا قل مطره وخيره ، وحقب فلان إذا أخطأه الرزق ، فهو حقب وجمعه أحقاب . فينصب

(\*) قوله فأجاب الخ يتدبر .

بِجَزَاءٍ وِفَاقًا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۖ ﴿١﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
 كَذِبًا ۖ ﴿٢﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كَعَلْبًا ۖ ﴿٣﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ  
 إِلَّا عَذَابًا ۖ ﴿٤﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ ﴿٥﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ ﴿٦﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ ﴿٧﴾  
 وَكَأْسًا دِهَاقًا ۖ ﴿٨﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ۖ ﴿٩﴾

حالا عنهم . أى لابئين فيها حقيين جهدين ، و ( لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ) تفسيره .  
 وقوله ( إلا حميا وغساقا ) استثناء منقطع أى ( لا يذوقون ) فى جهنم أو فى الأحقاب ( بردا )  
 روجا ينفس عنهم حر النار - أو نوما . ومنه منع البرد البرد - ( ولا شرابا ) يسكن عطشهم ،  
 ولكن يذوقون فيها ( حميا ) ماء حازا يحرق ما يأتى عليه ( وغساقا ) ماء يسيل من صديدهم .  
 وبالتشديد كوفى غير أبى بكر .

(١) جوز و ( جزاء و فاقا ) موافقا لأعمالهم . مصدر بمعنى الصفة أو ذا وفاق . ثم استأنف معللا  
 فقال ( إنهم كانوا لا يرجون حسابا ) لا يخافون محاسبة الله أيامهم . أو لم يؤمنوا بالبعث فيرجوا حسابا .  
 (٢) تكذبا . وفعال فى باب فعل كلفه فاش .

(٣) ( وكل ) نصب بمضمرة يفسره ( أحصيناه كتابا ) مكتوبا فى اللوح . حال ،  
 أو مصدر فى موضع إحصاء . أو أحصينا فى معنى كتبنا . لأن الإحصاء يكون بالكتابة غالبا .  
 وهذه الآية اعتراض لأن قوله ( فذوقوا ) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات .  
 أى ( فذوقوا ) جزاءكم - والالتفات شاهد على شدة الغضب - ( فان تزيدكم إلا عذابا ) .  
 فى الحديث هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار .

(٤) ( مفازا ) مفعول من الفوز يصلح مصدرا ، أى نجاته من كل مكروه ، وظفرا بكل  
 محبوب . ويصلح للكان ، وهو الجنة . ثم أبدل منه بدل البعض من الكل فقال ( حدائق )  
 بساتين فيها أنواع الشجر المثمر - جمع حديقة - ( وأعنابا ) كروما - عطف على ( حدائق ) -  
 ( وكواعب ) نواهد ( أتربا ) لدات مستويات فى السن ( وكأسا دهاقا ) مملوءة ( لا يسمعون  
 فيها ) فى الجنة - حال من ضمير خبر ( إن ) - ( لغوا ) باطلا ( ولا كذابا ) الكسأى خفيف  
 بمعنى مكاذبة . أى لا يكذب بعضهم بعضا أولا يكاذبه .



جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا  
الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا <sup>(٧)</sup>  
لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup> ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ

(١) (جزاء) مصدر. أى جزاهم (جزاء من ربك) .

(٢) مصدر أو بدل من (جزاء) .

(٣) صفة . يعنى كافيا . أو على حسب أعمالهم .

(٤) (ربّ — — الرحمن) بجزهها، ابن عامر وعاصم، بدلا من (ربك) . ومن رفعهما  
فـ(ربّ) خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره (الرحمن) . أو (الرحمن) صفته و(لا يملكون)  
خبر. أو هما خبران . والضمير في (لا يملكون) لأهل السموات والأرض ، وفي (منه خطابا)  
لله تعالى. أى لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى إلا بإذنه. أو لا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى  
خوفا .

(٥) (يوم) إن جعلته ظرفا لـ(لا يملكون) لا تقف على (خطابا) وإن جعلته ظرفا  
لـ(لا يتكلمون) تقف .

(٦) جبريل ، عند الجمهور . وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا  
أعظم منه .

(٧) حال أى مصطفين .

(٨) (لا يتكلمون) أى الخلائق ثم خوفا (إلا من أذن له الرحمن) فى الكلام أو الشفاعة  
(وقال صوابا) حقا بأن قال المشفوع له لا إله إلا الله فى الدنيا . أو لا يؤذن إلا لمن يتكلم  
بالصواب فى أمر الشفاعة .

(٩) الثابت وقوعه .

فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا <sup>(١)</sup> ﴿١﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ <sup>(٢)</sup>  
الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلِيَّتَنِي كُنْتُ تُرَابًا <sup>(٤)</sup> ﴿٢﴾

(١) (فمن شاء اتخذ إلى ربه) مرجعا بالعمل الصالح .

(٢) (إنا أنذرناكم) أيها الكفار (عذابا قريبا) في الآخرة لأن ما هو آت قريب .

(٣) (يوم ينظر) الكافر - لقوله (إنا أنذرناكم عذابا قريبا) - (ما قدمت يداه) من الشر - لقوله (وذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم) وتخصيص الأيدي لأن أكثر الأعمال تقع بها، وإن احتمل ألا يكون للأيدي مدخل فيما ارتكب من الآثام - (ويقول الكافر) وضع الظاهر موضع المضمرة لزيادة الذم . أو (المرء) عام . وخص منه الكافر . و (ما قدمت يداه) ما عمل من خير وشر . أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده . وما قدم من خير . و (ما) استفهامية منصوبة بـ (قدمت) أي (ينظر) أي شيء (قدمت يداه)؟ أو موصولة منصوبة بـ (ينظر) يقال نظرته يعني نظرت إليه . والراجع من الصلة محذوف أي (ما قدمت) هـ .

(٤) (يا ليتني كنت ترابا) في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف . أو (ليتني كنت ترابا) في هذا اليوم فلم أبعث . وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجهنم من القرناء . ثم يرده ترابا فيؤد الكافر حاله . وقيل الكافر إبليس يمتنى أن يكون كآدم مخلوقا من التراب إيثاب نواب أولاده المؤمنين . والله أعلم .

## سورة النازعات مكية

وهي ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّبْرَعَاتِ غَرَقًا ۝ وَالنَّشِيطَاتِ تَسَاطًا ۝ وَالسَّيْحَاتِ سَبْحًا ۝  
فَالسَّيْقَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ۝<sup>(١)</sup>

(١) لا وقف إلى هنا . ولزم هنا لأنه لو وصل لصار (يوم) ظرف (المدبرات) وقد انقضى تدبير الملائكة في ذلك اليوم . أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد (غرقا) أي إغراقا في النزاع — أي نزعها من أفاصي الأجساد من أناملها ومواضع أظفارها — وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها — من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها — وبالطوائف التي تسبح في مضيها — أي تسرع — فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر (أمرا) من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم . أو بخيل الغزاة التي تنزع في أعتها نزعا تفرق فيه الأئنة لطول أعناقها لأنها عراب ، والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب — من قولك نور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد — والتي تسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر . وإستناد التدبير إليها لأنها من أسبابه . أو بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب — وإغراقها في النزاع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب — والتي تخرج من برج إلى برج ، والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب . وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن ، لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة .

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۖ  
 أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۖ يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَرَدُّدُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۖ أَيْدَا كَمَا عَظَمًا  
 نَخْرَةً ۖ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۖ فَيَأْتِيهَا هِيَ زَبْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ

(١) (يوم) تتحرك (الراجفة) حركة شديدة - والرجف شدة الحركة. (الراجفة) النفخة الأولى. وصفت بما يحدث بحدوثها لأنها تضطرب بها الأرض حتى يموت كل من عليها - (تبعها) - حال عن (الراجفة) - (الرادفة) النفخة الثانية لأنها تردف الأولى. وبينهما أربعون سنة والأولى تيمت الخلق، والثانية تحييمهم. (قلوب) قلوب منكرو البعث (يومئذ واجفة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب. وانتصاب (يوم ترجف) بما دل عليه (قلوب يومئذ واجفة) أي (يوم ترجف) وجفت القلوب. وارتفاع (قلوب) بالابتداء. و(واجفة) صفتها. (أبصارها)، أي أبصار أصحابها (خاشعة) ذليلة لول ما ترى، خبرها.

(٢) (يقولون) أي منكرو البعث في الدنيا، استهزاء وإنكاراً للبعث : - (أئنا لمرددون في الحافرة) استفهام بمعنى الإنكار. أي أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر، فنعود أحياء كما كنا؟ والحافرة الحالة الأولى. يقال لمن كان في أمر نخرج منه ثم عاد إليه : - رجع إلى حافرته. أي إلى حالته الأولى. ويقال النقد عند الحافرة. أي عند الحالة الأولى. وهي الصفة. أنكروا البعث ثم زادوا استبعاداً فقالوا (أئنا كَمَا عَظَمًا نَخْرَةً) بالية. (ناخرة) كوفي غير حفص وفعل أبلغ من فاعل. يقال نخر العظم فهو نخر وناخر. والمعنى أنرد إلى الحياة بعد أن صرنا عظاماً بالية؟ و (إذا) منصوب بمحذوف وهو نبعث.

(٣) (قالوا) أي منكرو البعث : - (تلك) رجعتنا (إذا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ) رجعة ذات خسران أو خاسر أصحابها. والمعنى أنها إن صحمت وبعثنا فنحن إذا خاسرون لتكديبتنا بها. وهذا استهزاء منهم.

(٤) متعلق بمحذوف. أي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فإنها سهلة هينة في قدرته فما هي إلا صيحة واحدة. يريد النفخة الثانية. من قولهم زجر البعير إذا صاح عليه.

فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١﴾ هَلْ أَتَتْكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٢﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ  
بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤﴾ فَقُلْ  
هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴿٥﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿٦﴾  
فَأَرِنَهُ آيَةَ الْكُبْرَى ﴿٧﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٨﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿٩﴾

(١) (فإذا هم) أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا في جوفها . وقيل الساهرة أرض بعينها بالشام إلى جنب بيت المقدس . أو أرض مكة . أو جهنم .

(٢) استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع والتشريف للمخاطب به .

(٣) حين ( ناداه ربه بالواد المقدس ) المبارك المطهر ( طوى ) اسمه .

(٤) على إرادة القول .

(٥) تجاوز الحد في الكفر والفساد .

(٦) ( هل لك ) ميل ( إلى أن ) تتطهر من الشرك والعصيان ، بالطاعة والإيمان ؟  
وبتشديد الزاى مجازى . ( وأهديك إلى ربك ) وأرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه  
( فتخشى ) . لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة . قال الله تعالى ( لئن لم يخشى الله من عباده العلماء )  
أى العلماء به . وعن بعض الحكماء " اعرف الله . فمن عرف الله ، لم يقدر أن يعصيه طرفة عين " .  
فالخشية ملاك الأمر . من خشى الله أتى منه كل خير ، ومن أمن اجترأ على كل شر . ومنه  
الحديث " من خاف أدبج ، ومن أدبج بلغ المنزل " . بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض ،  
كما يقول الرجل لضيفه : هل لك أن تنزل بنا ؟ وأردفه الكلام الرقيق ، ليستدعيه باللطف  
في القول ، ويستنزه بالمداراة عن عتوه ، كما أمر بذلك في قوله تعالى ( فقولا له قولا لينا ) .

(٧) أى فذهب فأرى موسى فرعون العصا — أو العصا واليد البيضاء . لأنهما في حكم  
آية واحدة — ( فكذب ) فرعون : موسى والآية الكبرى ، وسماهما ساحرا وسحرا ( وعصى ) الله  
تعالى ( ثم أدبر ) تولى عن موسى ( يسعى ) يجتهد في مكائده . أو لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا  
يسرع في مشيته وكان طياشا خفيفا .

فَحَشِرَ فَنَادَى ﴿١﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿١﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ  
وَالأُولَى ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ ءَأَن تَمَّ أَشَدُّ خَلْقًا  
أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٤﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴿٥﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ  
ضُحَاهَا ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٧﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا  
وَمَرَعَهَا ﴿٨﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٩﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ ﴿١٠﴾

(١) فجوع السحرة وجنده (فنادى) في المقام الذي اجتمعوا فيه معه (فقال أنا ربكم  
الأعلى) لا رب فوق. وكانت لهم أصنام يعبدونها.

(٢) عاقبه الله عقوبة (الآخرة والأولى). والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم.  
ونصبه على المصدر. لأن أخذ بمعنى نكل. كأنه قيل نكل الله به (نكال الآخرة) أى الإحراق  
(والأولى) أى الإغراق. أو (نكال) كلمته (الآخرة) — وهى (أنا ربكم الأعلى) —  
(والأولى) وهى (ما علمت لكم من إله غيرى) وبينهما أربعون سنة، أو ثلاثون أو عشرون.  
(٣) (إن في ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله.

(٤) (أأنتم) يامتكرو البعث (أشد خلقا) أصعب خلقا وإنشاء (أم السماء)؟ مبتدأ محذوف  
الخبر. أى (أم السماء) أشد خلقا. ثم بين كيف خلقها فقال: (بناها) أى الله. ثم بين البناء فقال:  
(رفع سمكها) أعلى سقفها. وقيل جعل مقدار ذهابها فى سميت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام  
(فسواها) فعدّها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وأغطش ليلها) أظلمه (وأخرج ضحاها)  
أبرز ضوء شمسها. وأضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلمتها، والشمس سراجها.  
(٥) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بالفى عام.

(٦) فسر البسط فقال: (أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلاًها.  
ولذا لم يدخل العاطف على (أخرج). أو (أخرج) حال بإضمار قد.

(٧) (والجبال أرساها) أثبتها. وانتصاب (الأرض) و (الجبال) بإضمار دحا وأرسي  
على شريطة التفسير.

(٨) فعل ذلك تمّيعا (لكم ولأنعامكم).

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (١) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ (٢)  
 مَا سَعَىٰ (٣) وَبُرَزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ (٥)  
 وَءَاثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٦) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ  
 خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٨) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ  
 الْمَأْوَىٰ (٩) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا (١٠)

(١) الداهية العظمى التي تطعم على الدواهي، أى تسلو وتغلب. وهى النفخة الثانية، أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

(٢) بدل من (إذا جاءت). أى إذا رأى أعماله مدقونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيتها.

(٣) مصدرية أى سعى. أو موصولة.

(٤) وأظهرت لكل راء لظهورها ظهوراً بيناً.

(٥) (فأما) — جواب (فإذا). أى إذا (جاءت الطامة)، فإن الأمر كذلك — (من طغى) جاوز الحد فكفر (وآثر الحياة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فإن الجحيم هى المأوى) المرجع. أى مأواه والألف واللام بدل من الإضافة. وهذا عند الكوفيين. وعند سيبويه وعند البصريين (هى المأوى) له.

(٦) أى (من) علم أن له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (ونهى النفس) الأقامة بالسوء (عن الهوى) المؤذى. أى زجرها عن اتباع الشهوات — وقيل هو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها. والهوى ميل النفس إلى شهواتها — (فإن الجنة هى المأوى) أى المرجع.

(٧) متى إرساؤها أى إقامتها. يعنى متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ؟

فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ۖ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ۖ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ  
 مَنْ يَحْشَاهَا ۗ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۚ

(١) في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به ؟ أي ما أنت من ذكراها لهم وتبين وقتها في شيء . كقولك ليس فلان من العلم في شيء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت . فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها . أي أنهم يسألونك عنها فلجرحك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها . (إلى ربك منتهاهما) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره . أو (فيم) إنكار لسؤالهم عنها . أي (فيم) هذا السؤال ؟ ثم قال (أنت من ذكراها) أي إرسالك وأنت آخر الأنبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها . ولا يبعد أن يوقف على هذا على (فيم) . وقيل (فيم أنت من ذكراها) متصل بالسؤال . أي (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) ويقولون أين أنت من ذكراها ؟ ثم استأنف فقال (إلى ربك منتهاهما) .

(٢) أي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة . وإنما بعثت لتنذر من أهواها من يخاف شداؤها .  
 (منذر) منون ، يزيد وعباس .

(٣) (كانهم يوم يرونها) أي الساعة (لم يلبثوا) في الدنيا (إلا عشية أو ضحاها) أي ضحى العشي . استقلوا مدة لبثهم في الدنيا لما عاينوا من الهول . كقوله (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) وقوله (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) . وإنما صحت إضافة الضحى إلى العشي للابسة بينهما لاجتماعهما في نهار واحد . والمراد أن مدة لبثهم لم تبلغ يوما كاملا . ولكن أحد طرفي النهار عشيته أو ضحاها . والله أعلم .



## سورة عبس مكية

وهي اثنتان وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿١﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ﴿١﴾  
 أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٢﴾

(١) (عبس) كلح أى النبي صلى الله عليه وسلم (وتولى) أعرض (أن جاءه) لأن جاءه — ومحلّه نصب لأنه مفعول له . والعامل فيه (عبس) أو (تولى) على اختلاف المذهبين — (الأعمى) عبد الله بن أم مكتوم . وأم مكتوم أم أبيه . وأبوه شريح بن مالك . أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو أشراف قريش إلى الإسلام . فقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله . وكرر ذلك ، وهو لا يعلم تشاغله بالقوم . ففكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه ، وعبس وأعرض عنه . فترلت . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعدها ، ويقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ، واستخلفه على المدينة مرتين .

(٢) وأى شيء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى ؟ (لعله يزكى) لعل الأعمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل . وأصله يتركى فأدغمت التاء فى الزاى . وكذا (أو يذكّر) يتعظ (فتنفعه) — نصبه حاصم غير الأعمى ، جوابا للعل . وغيره رفعه عطفا على (يذكّر) — (الذكري) ذكراك أى موعظتك أى إنك لا تدري ما هو مترقب منه من ترك أو تذكّر . ولو دريت لما فرط ذلك منك .

أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى ﴿١﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٢﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا  
 يَزْكَى ﴿٣﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٤﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ  
 تَلَهَّى ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿٧﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٨﴾ فِي صُحُفٍ  
 مُكَرَّمَةٍ ﴿٩﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٠﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١١﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٢﴾

(١) أى من كان غنياً بالمال (فأنت له تصدى) تتعرض بالإقبال عليه حرصاً على  
 إيمانه — (تصدى) بإدغام التاء في الصاد، مجازى — (وما عليك ألا يزكى) وليس عليك  
 بأس فى ألا يتركى بالإسلام . إن عليك إلا البلاغ .

(٢) (وأما من جاءك) يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) الله ، أو الكفار أى أذاهم  
 فى إتيانك ، أو الكبوة كمادة العميان (فأنت عنه تلهى) تشاغل . وأصله تلهى . وروى أنه  
 ما عبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى . وروى أن الفقراء فى مجلس الشورى  
 كانوا أمراء .

(٣) ردع . أى لا تعد إلى مثله .

(٤) إن السورة أو الآيات (تذكرة) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها .

(٥) (فمن شاء) أن يذكره (ذكره) وذكر الضمير لأن التذكرة فى معنى الذكر والوعظ .  
 والمعنى فمن شاء الذكر ألهمه الله تعالى إياه .

(٦) (فى صحف) صفة لتذكرة . أى أنها مثبتة فى صحف منسوخة من اللوح . أو خبر مبتدأ  
 محذوف . أى هى (فى صحف) عند الله (مرفوعة) فى السماء ، أو مرفوعة القدر والمنزلة  
 (مطهرة) عن مس غير الملائكة ، أو عما ليس من كلام الله تعالى (بأيدى سفرة) كتبة —  
 جمع سافر أى الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح — (كرام) على الله أو عن المعاصى (بررة)  
 أتقياء جمع باز .

قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ <sup>(١)</sup> (٢) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (٤) (٣)  
 نَظْفَةً خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (٥) (٦) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ (٧) (٨) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٩) (١٠)  
 الْإِنْسَانَ إِلَىٰ طَعَامِهِ (١١) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (١٢)

(١) لعن الكافر ، أو هو أمية ، أو عتبة ( ما أكفره ) استفهام توبيخ . أى أى شئء حمله على الكفر ؟ أو هو تعجب . أى ما أشد كفره .

(٢) ( من أى شئء ) حقيق ( خلقه ) ؟ وهو استفهام ، ومعناه التقرير . ثم بين ذلك الشئء فقال ( من نظفة خلقه فقدره ) على ما يشاء من خلقه .

(٣) نصب السبيل بإضمار يسر . أى ثم سهل له سبيل الخروج من بطن أمه . أو بين له سبيل الخير والشر .

(٤) جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له . قبر الميت ، دفنه . وأقره الميت ، أمره بأن يقبره ومكثه منه .

(٥) أحياء بعد موته .

(٦) ردع للإنسان عن الكفر .

(٧) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الإيمان .

(٨) لما عدد النعم في نفسه من ابتداء حدوثه إلى أن انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال ( فلينظر الإنسان إلى طعامه ) الذى يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره .

(٩) بالفتح ، كوفى ، على أنه بدل اشتغال من الطعام . وبالكسر ، على الاستئناف ، غيرهم .

(١٠) يعنى المطر من السحاب .

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۖ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۖ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۖ  
 وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۖ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۖ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۖ مَتَّعَلِكُمْ  
 وَلَا نَعْمَلِكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ  
 وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۖ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۖ لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ  
 يُغْنِيهِ ۖ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۖ وَوَجْهُهُ  
 يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۖ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ ۖ

(١) (ثم شققنا الأرض شقاً) بالنبات (فأنبتنا فيها حباً) كالأبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وعنبا) ثمرة الكرم - أى الطعام والفاكهة - (وقضبا) رطبة - سمي بمصدر قضبه أى قطعه، لأنه يقضب مرة بعد مرة - (وزيتونا ونخلاً وحدائق غلباً) بساين (غلباً) غلاظ الأشجار - جمع غلباء - (وفاكهة) لكم (وأباً) مرعى لدوابكم (متاعاً) مصدر. أى منفعة (لكم ولأنعامكم).

(٢) (فإذا جاءت الصاحة) صيحة القيامة لأنها تصعخ الأذان أى تضيئها. وجوابه محذوف لظهوره. (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) لتبعات بينه وبينهم، أو لاشتغاله بنفسه (وصاحبته) وزوجته (وبنيه). بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أحب. قيل أول من يفر من أخيه هابيل، ومن أبويه إبراهيم، ومن صاحبه نوح ولوط، ومن ابنه نوح. (لكل امرئ منهم يومئذ شأن) فى نفسه (يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به ويشغله عن غيره.

(٣) مضئئة، من قيام الليل، أو من آثار الضوء.

(٤) أى أصحاب هذه الوجوه - وهم المؤمنون - ضاحكون مسرورون.

(٥) (عليها) غبار

(٦) يعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه.

(٧) أهل هذه الحالة (هم الكفرة) فى حقوق الله (الفجرة) فى حقوق العباد. ولما

جمعوا الفجور إلى الكفر، جمع إلى سواد وجوههم الغبرة. والله أعلم.

## سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ <sup>(١)</sup> وَإِذَا النُّجُومُ أَنْكَدَتْ <sup>(٢)</sup> وَإِذَا الْجِبَالُ <sup>(٣)</sup>  
 سُيِّرَتْ <sup>(٤)</sup> وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ <sup>(٥)</sup> وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ <sup>(٦)</sup>

(١) ذهب بضوئها . من كوّرت العمامة إذا لفتتها . أى يلقى ضوءها لفا  
 فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق . وارتفاع الشمس بالفاعلية . ورافعها فعل مضممر يفسره  
 (كوّرت) لأن إذا يطاب الفعل لما فيه من معنى الشرط .

(٢) تساقطت .

(٣) سيّرت) عن وجه الأرض وأبعدت . أو (سيّرت) في الجوّ تسيير السحاب .

(٤) جمع عشراء . وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر . ثم هو اسمها إلى أن تضع  
 لتنام السنة .

(٥) أهملت . عطّلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم ، وكانوا يحبسونها إذا بلغت هذه الحالة  
 لعزتها عندهم ويعطّلون مادونها . (عطّلت) بالتخفيف ، عن اليزيدى .

(٦) جمعت من كلّ ناحية . قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص . فإذا  
 قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبنى آدم كالطاوس ونحوه . وعن ابن عباس  
 رضى الله عنهما "حشرها موتها" . يقال إذا أبجحت السنة بالناس وأموالهم : حشرتهم السنة .

وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ <sup>(١)</sup> وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ <sup>(٢)</sup> وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ <sup>(٣)</sup>  
 سُئِلَتْ <sup>(٤)</sup> بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ <sup>(٥)</sup> وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ <sup>(٦)</sup> وَإِذَا السَّمَاءُ  
 كُشِطَتْ <sup>(٧)</sup> وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ <sup>(٨)</sup> وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ <sup>(٩)</sup>

(١) (سُجِّرَتْ) مكي وبصري. من سجر التنوير إذا ملأه بالخطب. أي ملئت وبخر بعضها إلى بعض حتى تعود بجرا واحدا. وقيل ملئت زيارنا لتعذيب أهل النار.

(٢) قرنت كل نفس بشكلها: الصالح مع الصالح في الجنة، والطالح مع الطالح في النار. أو قرنت الأرواح بالأجساد. أو بكتبها وأعمالها. أو نفوس المؤمنين بالحوار العين، ونفوس الكافرين بالشياطين.

(٣) المدفونة حية. وكانت العرب تئد البنات خشية الإهلاك، وخوف الاسترقاق.  
 (٤) (سئلت) سؤال تلطّف، لتقول "بلا ذنب قتلت"، أو لندلّ على قاتلها. أو هو توخي لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله (أأنت قلت للناس) الآية.

(٥) وبالتشديد يزيد. وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون، وعلى أن التعذيب لا يكون بلا ذنب.

(٦) (نشرت) فتحت. وبالتخفيف مدني وشامي وعاصم وسهل ويعقوب. والمراد صحف الأعمال. تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب. ويجوز أن يراد (نشرت) بين أصحابها. أي فرق بينهم.

(٧) قال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف

(٨) (سُعِّرَتْ) أوقدت ايقادا شديدا، وبالتشديد، شامي ومدني وعاصم غير حماد ويحيى، للبالغة.

(٩) (أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد). فهذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا والباقية في الآخرة، ولا وقف مطلقا من أول السورة إلى (ما أحضرت) لأن عامل النصب في (إذا الشمس) وفيما عطف عليه، جوابها وهو (علمت نفس) أي كل نفس. ولضرورة انقطاع النفس على كل آية جوز الوقف.

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ<sup>(١)</sup> ﴿١﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِاللَّخْنَسِ ﴿٢﴾ الْجَوَّارِ الْكُنَّسِ ﴿٣﴾  
 وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿٤﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿٥﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ  
 كَرِيمٍ ﴿٦﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٧﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٨﴾  
 وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿١٠﴾

(١) من خير وشر .

(٢) (فلا أقسم) — لا زائدة — (باللخنس) بالرواجع — بينما ترى النجم في آخر البرج إذ كثر  
 راجعا إلى أوله — (الجوار) السيارة (الكنس) الغيب — من كدس الوحش إذا دخل كئاسه .  
 قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجرى مع الشمس والقمر ،  
 وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس . فنفوسها رجوعها . وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس .  
 وقيل هي جميع الكواكب — (والليل إذا عسس) ، أقبل بظلامه ، أو أدبر ، فهو من  
 الأضداد (والصبح إذا تنفس) امتد ضوءه . ولما كان إقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم ،  
 جعل ذلك نفسا له مجازا . وجواب القسم (إنه) أي القرآن (لقول رسول) — أي جبريل  
 عليه السلام . وإثما أضيف القرآن إليه لأنه هو الذي نزل به — (كريم) عند ربه (ذو قوة)  
 قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف (عند ذي العرش) عند الله (مكين) ذي جاه  
 ومنزلة — ولما كانت حال المكانة على حسب حال المكين ، قال (عند ذي العرش) ليدل على  
 عظم منزلته ومكانته — (مطاع ثم) أي في السموات يطيعه من فيها — أو عند ذي العرش أي  
 عند الله : يطيعه ملائكته المقربون يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه — (أمين) على الوحي  
 (وما صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تزعم الكفرة . وهو عطف على  
 جواب القسم .

(٣) رأى محمد جبريل عليهما السلام على صورته .

(٤) بمطلع الشمس .

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ <sup>(١)</sup> وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ <sup>(٢)</sup> فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ <sup>(٣)</sup> إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ <sup>(٤)</sup> لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ <sup>(٥)</sup> وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ <sup>(٥)</sup>

(١) (وما) محمد على الوحي بخيل . من الضنّ وهو البخل . أى لا يخجل بالوحي كما يخجل الكهان رغبة فى الخلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيئا ممّاعلم . (بظنين) مكى وأبو عمرو وعلى . أى بمتهم فينتص شيئا ممّ أوحى إليه أو يزيد فيه . من الظنّة . وهى التهمة .

(٢) (وما) القرآن (بقول شيطان رجيم) طريد . وهو كقوله (وما تنزلت به الشياطين) أى ليس هو بقول بعض المستترقة للسمع و بوحيمهم إلى أوليائهم من الكهنة .

(٣) استضلال لهم كما يقال لتارك الحادة اعتسافا أو ذهابا فى بُنيات الطريق : أين تذهب ؟ مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل . وقال الزجاج . معناه فأى طريق تسلكون أين من هذه الطريقة التى بينت لكم ؟ وقال الجنيّد : (أين تذهبون) عنّا وإن من شئ إلا عندنا ؟ .

(٤) ما القرآن إلا عظة للخلق (لمن شاء منكم) — بدل من العالمين — (أن يستقيم) . أى القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة . يعنى أن الذين شاءوا الاستقامة بالدخول فى الإسلام هم المتفعون بالذكر . فكأنه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا .

(٥) (وما تشاءون) الاستقامة (إلا أن يشاء الله رب العالمين) مالك الخلق أجمعين .



## سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ  
فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا  
الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾

(١) (إذا السماء) انشقت (وإذا الكواكب) تساقطت (وإذا البحار) فتح بعضها إلى بعض وصارت البحار بمحرا واحدا (وإذا القبور) بحت وأخرج مواها . وجواب إذا (علمت نفس) أى كل نفس برة وفاجرة (ما قدمت) ما عملت من طاعة (وأخرت) وتركت فلم تعمل ، أو (ما قدمت) من الصدقات (و) (أخرت) من الميراث .

(٢) قيل الخطاب لمنكري البعث .

(٣) أى شئ خدعك حتى ضيعت ما وجب عليك مع كرم ربك حيث أنعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل ؟ وعنه عليه السلام حين تلاها : "غزه جهله" . وعن عمر رضى الله عنه : "غزه حقه" . وعن الحسن : "غزه شيطانه" . وعن الفضيل : "لو خوطبت أقول غزنى ستورك المرخاة" . وعن يحيى بن معاذ . "أقول غزنى برك بى سالفاً وأنفا" .

(٤) جعلك مستوى الخلق سالم الأعضاء .

(٥) (فعدلك) فصيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود . أو جعلك معتدلاً الخلق تمشى قائماً لا كالبهائم . وبالتخفيف كوفى . وهو بمعنى المشدّد . أى عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت . فكنت معتدلاً الحلقة متناسباً .

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۖ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۗ وَإِنَّ  
عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۗ إِنَّ الْآبَرَارَ  
لَنِي نَعِيمٍ ۖ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَنِي جَحِيمٍ ۖ يَصَلُونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ۗ وَمَا هُمْ  
عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۗ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ  
مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۗ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۗ

(١) (ما) مزيد للتوكيد . أى (ركبك) فى أى صورة اقتضتها مشيئته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر . ولم تعطف هذه الجملة كما عطف ما قبلها لأنها بيان لـ (عدلك) . والجاز يتعلق بـ (ركبك) على معنى وضعك فى بعض الصور وممكنك فيها . أو بخذوف . أى (ركبك) حاصلًا فى بعض الصور .

(٢) ردع عن الغفلة عن الله تعالى .

(٣) (بل تكذبون بالدين) أصلا . وهو الجزء أودين الإسلام . فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وإن عليكم لحافظين) أعمالكم وأقوالكم من الملائكة (كراما كاتبين) . يعنى أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجاوزوا بها (يعلمون ما تفعلون) لا يخفى عليهم شئ من أعمالكم . وفى تعظيم الكتابة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الأمور . وفيه إنذار وتهويل للجرمين ولطف للمتقين . وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين .

(٤) (إن المؤمنين) (لنفي نعيم) الجنة (وإن الكفار) (لنفي النار) (يصلونها يوم الدين) يدخلونها يوم الجزاء (وما هم عنها بغائبين) أى لا يخرجون منها كقوله تعالى (وما هم بخارجين منها) . ثم عظم شأن يوم القيامة فقال : (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين) فكرر للتأكيد والتهويل . وبينه بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه . وإتسا تملك الشفاعة بالإذن . (يوم) بالرفع مكى وبصرى . أى هو (يوم) أو بدل من (يوم الدين) . ومن نصب فبإضمار اذكر أو بإضمار يداونون لأن الدين يدل عليه .

(٥) أى لا أمر إلا الله تعالى وحده فهو القاضى فيه دون غيره .

## سورة المطففين

مختلف فيها : وهي ست وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾  
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

(١) (ويل) مبتدأ خبره (للمطففين) (للمطففين) الذين يخسون حقوق الناس في الكيل والوزن (الذين إذا اكالموا على الناس يستوفون) أي إذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وأفية تامة . ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل (على) مكان من للدلالة على ذلك . ويجوز أن يتعلق (على) بـ (يستوفون) . ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الاختصاص أي يستوفون على الناس خاصة . وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لأنه حق عليه . فإذا قال اكملت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك . وإذا قال اكملت منك فكأنه قال استوفيت منك . وإنما لم يقل أو اتزنوا كما قيل (أو وزنوهم) اكتفاء . ويحتمل أن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل لئلا يتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعدعون ويحتالون في الملاء . وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لئلا يتمكنهم من البخس في النوعين .

(٢) والضمير المنصوب راجع إلى الناس . أي كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل .

(٣) ينقصون . يقال خسر الميزان وأخسره .

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينٍ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ ﴿٥﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٦﴾

(١) يعنى يوم القيامة . أدخل همزة الاستفهام على لا النافية توخيها . وليست ( ألا ) هذه للتنبيه . وفيه إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجترار على التطفيف . كأنهم لا يخطر عليهم ولا يخطر عليهم ولا يخطر عليهم أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة . ولو ظنوا أنهم يبعثون ما تقصوا في الكيل والوزن . وعن عبد الملك بن مروان أنت أعرابياً قال له " لقد سمعت ما قال الله في المطففين " ، أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به ، " فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن " ؟

(٢) نصب بمبعوثون .

(٣) لأمره وجزائه . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قرأ هذه السورة . فلما بلغ هنا بكى نحياً وامتنع من قراءة ما بعده .

(٤) ( كَلَّا ) ردع وتنبيه . أى ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ، ونبههم على أنه مما يجب أن يتأب عنه ويندم عليه . ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم ، فقال ( إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ ) صحائف أعمالهم ( لَفِي سَجِّينٍ ) وما أدراك ما سَجِّينٌ كتاب مرقوم . فإن قلت قد أخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بأنه في سَجِّينٍ وفسر سَجِّيناً بكتاب مرقوم . فكأنه قيل إن كتابهم في كتاب مرقوم ، فما معناه ؟ قلت سَجِّينٌ كتاب جامع هو ديوان الشرِّ دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس . وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة ، أو معلَّم يعلم من رآه أنه لا خير فيه ، من رقم الثياب علامتها . والمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان . وسُمِّي سَجِّيناً فعلاً من السجج وهو الحبس والتضييق ، لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم ، أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم ، وهو مسكن إبليس وذريته . وهو اسم علم منقول من وصف كاتم ، منصرف لوجود سبب واحد وهو العلامية فحسب .

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢﴾  
 وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿٣﴾ إِذَا نُتِىَ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ  
 أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥﴾  
 كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿٦﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

(١) (ويل) يوم يخرج المكتوب (للكاذبين الذين يكذبون بيوم الدين) الجزء والحساب. (وما يكذب) بذلك اليوم (إلا كل) مجاوز للحد مكتسب للإثم (إذا نتى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الأولين) أى أحاديث المتقدمين. وقال الزجاج (أساطير) أباطيل واحدا أسطورة مثل أحداثثة وأحاديث.

(٢) ردع للمعتدى الأثيم عن هذا القول.

(٣) نفى لما قالوا. ويقف حفص على (بل) وقينة.

(٤) غطاها كسبهم. أى غلب على قلوبهم حتى غمرها (ما كانوا يكسبون) من المعاصى. وعن الحسن: الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب. وعن الضحاك: الرين موت القلب. وعن أبى سليمان: الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما إدمان الصوم. فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الإدام.

(٥) ردع عن الكسب الرائن على القلب.

(٦) (إنهم عن) رؤية (ربهم يومئذ لمحجوبون) لمنوعون. والمجب المنع. قال الزجاج فى الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم وإلا لا يكون التخصيص مفيدا. وقال الحسين ابن الفضل: كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده، حجبهم فى العقبى عن رؤيته. وقال مالك ابن أنس رحمه الله: لما حجب أعداءه فلم يروه، تجلّى لأوليائه حتى رأوه. وقيل: (عن) كرامة (ربهم) لأنهم فى الدنيا لم يشكروا نعمه، فينسوا فى الآخرة عن كرامته مجازاة. والأوّل أصح لأن الرؤية أقوى الكرامات، فالجب عنها دليل المجب عن غيرها.

(٧) (ثم إنهم) بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار.

ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ <sup>(١)</sup> كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي <sup>(٢)</sup>  
 عَلَيِّينَ <sup>(٤)</sup> وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ <sup>(٥)</sup> كِتَابٌ مُرْقُومٌ <sup>(٦)</sup> يُشْهَدُهُ <sup>(٧)</sup>  
 الْمُقَرَّبُونَ <sup>(٨)</sup> إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ <sup>(٩)</sup> عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ <sup>(١٠)</sup>  
 تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ <sup>(١١)</sup> يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ <sup>(١٢)</sup>

(١) أى (هذا) العذاب هو (الذى كنتم) تكذبون به في الدنيا وتتكفرون وقوعه .

(٢) ردع عن التكذيب .

(٣) ما كتب من أعمالهم . والأبرار المطيعون الذين لا يطففون ويؤمنون بالبعث لأنه ذكر في مقابلة (الفجار) وبين الفجار بأنهم المكذبون بيوم الدين . وعن الحسن : البر الذي لا يؤذى الذر .

(٤) هو علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلاح الثقلين . منقول من جمع على فعيل من العلو . سمي به لأنه سبب الارتفاع إلى أعلى الدرجات في الجنة . أولآته مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماً له .

(٥) ما الذى أعلمك يا محمد (ما عليون) أى شىء هو ؟

(٦) تحضره الملائكة . قيل يشهد عمل الأبرار مقربو كل سماء إذا رفع .

(٧) تنعم في الجنان .

(٨) الأسرّة في المجال .

(٩) (ينظرون) إلى كرامة الله ونعمه وإلى أعدائهم كيف يعذبون .

(١٠) بهجة التنعم وطراوته .

(١١) شراب خالص لا غش فيه .

مَخْتُومٌ <sup>(١)</sup> خِتَامُهُ مِسْكٌ <sup>(٢)</sup> وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ <sup>(٣)</sup>  
 وَمِرَاجُهُ <sup>(٤)</sup> مِنْ تَسْنِيمٍ <sup>(٥)</sup> عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا <sup>(٦)</sup> الْمُقَرَّبُونَ <sup>(٧)</sup> إِنَّ الَّذِينَ  
 أَجْرَمُوا <sup>(٨)</sup> كَانُوا مِنَ الَّذِينَ <sup>(٩)</sup> ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ <sup>(١٠)</sup> وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ  
 يَتَغَامَزُونَ <sup>(١١)</sup> وَإِذَا انْقَلَبُوا <sup>(١٢)</sup> إِلَىٰ أَهْلِهِمْ <sup>(١٣)</sup> انْقَلَبُوا <sup>(١٤)</sup> فَكِهِينَ <sup>(١٥)</sup>

(١) تختم أوانيه بمسك بدل الطين الذي يختم به الشراب في الدنيا. أمر الله تعالى بالختم عليه إكراماً لأصحابه. أو (ختامه مسك) مقطعه رائحة مسك. أى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه. (خاتمه) على.

(٢) (وفي) الرحيق أو النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون. وذا إنما يكون بالمسارعة إلى الخيرات، والانتفاء عن السيئات.

(٣) وميراج الرحيق (من تسنيم) هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم — الذى هو مصدر ستمه إذا رفعه — لأنها أرفع شراب في الجنة. أو لأنها تأتيهم من فوق وتنصب في أوانيهم.

(٤) حال أو نصب على المدح.

(٥) أى (يشرب) منها (المقربون). عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم: يشربها المقربون صرفاً وتمزج لأصحاب اليمين.

(٦) (إن الذين) كفروا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) في الدنيا استهزاء بهم.

(٧) يشير بعضهم إلى بعض بالعين طعنا فيهم وعباء لهم. قيل جاء على رضى الله عنه في نفر من المساميين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا أترون هذا الأصلاح؟ فزلت قبل أن يصل على إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٨) أى إذا رجع الكفار إلى منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخرية منهم. وقرأ غير حفص (فاكهين) أى فرحين.

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءَ لَضَالُّونَ <sup>(١)</sup> وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ  
 حَافِظِينَ <sup>(٢)</sup> فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ <sup>(٣)</sup>  
 عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ <sup>(٤)</sup> هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ <sup>(٥)</sup>

(١) (وإذا) رأى الكافرون المؤمنين (قالوا إن هؤلاء لضالون) أى خدع مجد هؤلاء  
 فضلوا وتركوا اللذات ، لما يرجونه فى الآخرة من الكرامات . فقد تركوا الحقيقة بالخيال ،  
 وهذا هو عين الضلال .

(٢) (وما) أرسل الكفار على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون  
 أعمالهم . بل أمروا بإصلاح أنفسهم . فاشتغلهم بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم وتسفيه أحوالهم .

(٣) أى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) كما ضحكوا منهم هنا مجازاة .

(٤) حال . أى (يضحكون) منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان والصغار ، بعد  
 العزة والاستكبار ، وهم (على الأرائك) آمنون . وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم  
 هلموا إلى الجنة فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم .

(٥) هل جوزوا بسخرتهم بالمؤمنين فى الدنيا إذا فعل بهم ما ذكر ؟ والله أعلم .



٥

## سورة الانشقاق مكية

وهي خمس وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾  
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ ﴿٦﴾

(١) (إذا السماء) تصدعت وتشققت (وأذنت لربها) سمعت وأطاعت وأجابت ربها إلى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحققت) وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله إذ هي مصنوعة مر بوجه الله تعالى (وإذا الأرض مدت) بسطت وسويت باندكاجها وكل أمت فيها (وألقت ما فيها) ورمت ما في جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو - يقال تكرم الكريم إذا بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه - (وأذنت لربها) في إلقاء ما في بطنها وتخليها (وحققت) وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع. وحذف جواب (إذا) ليذهب المقدر كل مذهب، أو اكتفاء بما علم بمثله من سورتي التكوير والانفطار، أو جوابه ما دل عليه (فلاقيه). أي (إذا السماء انشقت) لاقى الإنسان كدحه.

(٢) خطاب للجنس.

إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلِّقِيهِ ۖ ﴿١١﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿١٢﴾  
 فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ ﴿١٣﴾ وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴿١٤﴾  
 وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ ﴿١٥﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ وَيَصْلَىٰ ۖ ﴿١٦﴾  
 سَعِيرًا ۖ ﴿١٧﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يُحُورَ ۖ ﴿١٩﴾

(١١) (إنك) جاهد (إلى) لقاء (ربك) وهو الموت وما بعده من الحال المثلثة باللقاء .  
 وضيمير (فمُلِّقِيهِ) للكدح وهو جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها . والمراد جزاء  
 الكدح إن خيرا بخير وإن شراً فشر . وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح . يدل عليه  
 قوله (فأما من أوتي كتابه) أي كتاب عمله (بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا  
 هينا وهو أن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيئات . وفي الحديث ” من  
 يحاسب يعذب “ فإين قوله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا)؟ قال ” ذلكم العرض . من نوقش  
 في الحساب عذب “ .

(١٢) (وينقلب) إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين ، أو إلى فريق المؤمنين ، أو (إلى أهله)  
 في الجنة من الحور العين (مسرورا) فرحا .

(١٣) قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره .

(١٤) يقول ياثبورا . والثبور الهلاك .

(١٥) (ويصلى) — عراقى غير على — (سعيرا) أى ويدخل جهنم .

(١٦) (إنه كان) في الدنيا (في أهله) معهم (مسرورا) بالكفر يضحك ممن آمن  
 بالبعث . قيل : — ” كان لنفسه متابعا ، وفي مراتع هواه راتعا “ .

(١٧) (إنه ظن أن لن) يرجع إلى ربه تكذيبا بالبعث . قال ابن عباس رضى الله عنهما  
 ما عرفت تفسيره حتى سمعت أعرابية تقول لبنتها ” حورى “ أى ارجعى .

بَلَىٰ إِنْ رَبُّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا <sup>(١)</sup> فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ <sup>(٢)</sup> وَاللَّيْلِ  
 وَمَا وَسَقَ <sup>(٣)</sup> وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ <sup>(٤)</sup> لَتَرَ كَيْنَ طَبَقًا عَن طَبِقٍ <sup>(٥)</sup>  
 فَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ <sup>(٦)</sup> وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ <sup>(٧)</sup>  
 بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ <sup>(٨)</sup> وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ <sup>(٩)</sup>

(١) (بلى) إيجاب لما بعد النفي في (لن يحور). أى (بلى) ليحورن (إن ربّه كان به) وبأعماله (بصيرا) لا يخفى عليه . فلا بد أن يرجعه ويحازيه عليها .

(٢) فأقسم بالبياض بعد الحمرة أو الحمرة (والليل وما وسق) جمع وضمّ - والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم . أو ما عمل فيه من التهجّد وغيره - (والقمر إذا اتسق) اجتمع وتمّ بدرا - افعل من الوسق - (لتر كين) أيها الناس على إرادة الجنس (طبقا عن طبق) حالا بعد حال كلّ واحدة مطابقة لأختها في الشدّة والهول . والطبق ما طابق غيره . يقال ما هذا طبق لذا أى لا يطابقه . ومنه قيل للغطاء الطبق . ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة . من قولهم هو على طبقات . أى (لتر كين) أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدّة بعضها أرفع من بعض . وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها . ومحلّ (عن طبق) نصب على أنّه صفة ل(طبقا) أى (طبقا) مجاوزا لطبق . أو حال من الضمير في (لتر كين) أى (لتر كين طبقا) مجاوزين لطبق . وقال مكحول في كلّ عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه . ويفتح الباء مكّي وعلى حمزة . والخطاب له عليه السلام . أى (طبقا) من طباق السماء بعد (طبق) أى في المعراج .

(٣) (فما لهم) في ألا يؤمنوا .

(٤) لا يخضعون .

(٥) (بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث والقرآن (والله أعلم بما يوعون) بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم . أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويتنحرون لأنفسهم من أنواع العذاب .

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ <sup>(١)</sup> إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ <sup>(٢)</sup>  
 غَيْرُ مَمْنُونٍ <sup>(٣)</sup>

(١) أخبرهم خبراً يظهر أثره على بشرتهم .

(٢) استثناء منقطع .

(٣) أي غير ممنوع أو غير منقوص والله أعلم .

## سورة البروج مكية

وهي اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾  
 قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ ﴿٤﴾

(١) (والسما ذات البروج) — هي البروج الاثنا عشر . وقيل النجوم . أو عظام الكواكب — ( واليوم الموعود ) يوم القيامة ( وشاهد ) في ذلك اليوم ( ومشهود ) فيه . والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم ، وبالمشهود فيه ما في ذلك اليوم من عجائبه . وطريق تنكيرهما إما ما في قوله ( علمت نفس ما أحضرت ) كأنه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود . وإما للإبهام في الوصف كأنه قيل ( وشاهد ومشهود ) لا يكتنه وصفهما . وقد كثرت أقاويل المفسرين فيهما . فقيل محمد ويوم القيامة . أو عيسى وأخته لقوله ( وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ) . أو أمة محمد وسائر الأمم . أو الحجر الأسود والحجيج . أو الأيام والليالي وبنو آدم ، للحديث " ما من يوم إلا وينادي أنا يوم جديد ، وعلى ما يفعل في شهيد . فاغتنمني ، ولو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة " . أو الحفظة وبنو آدم . أو الله تعالى والخلق لقوله تعالى ( وكفى بالله شهيدا ) . أو الأنبياء ومحمد عليهم السلام . وجواب القسم محذوف يدل عليه ( قتل أصحاب الأخدود ) أي لعن . كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونون — يعني كفار قريش — كما لعن أصحاب الأخدود . وهو جمع خذ أي شق عظيم في الأرض . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لبعض الملوك ساحر . فلما كبرضم إليه غلاما ليعلمه السحر . وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه . فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس . فأخذ حجرا فقال . " اللهم إن كان الراهب

النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٢) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قَعُودٌ (٤) وَهُمْ عَلَى  
مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٥)

أحبّ إليك من الساحر فاقتلها“ فقتلها . فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمة والأبرص . وعمى  
جلس للملك فأبراه . فأبصره الملك فسأله ”من ردّ عليك بصرك ؟“ . فقال ”ربّي“ فغضب .  
فعدّبه فدلّ على الغلام فعدّبه فدلّ على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقدّ بالمنشار . وأبى  
الغلام فذهب به إلى جبل لي طرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا . فذهب به إلى  
قرقور فلججوا به ليعرقوه فدعا فانكأفات بهم السفينة فغرقوا ونجا . فقال للملك : ”لست بقاتلي  
حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله ربّ  
الغلام ثم ترميني به“ . فرماه فوق في صدغه فوضع يده عليه فمات . فقال الناس ”آمنّا ربّ الغلام“  
فقيل للملك ”نزل بك ما كنت تحذره“ . فخذ أخذودا وملاها نارا فن لم يرجع عن دينه طرحه  
فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها فقال ”يا أمّاه اصبري فإنك على الحق“  
فألقي الصبي وأمه فيها .

(١) بدل اشتمال من (الأخذود)

(٢) وصف لها بأنها عظيمة لها ما يرتفع به لها من الحطب الكثير وأبدان الناس .

(٣) ظرف ل (قتل) أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها .

(٤) أي (إذ) الكفار على ما يدنو منها من حافات الأخدود . جلوس على الكراسي .

(٥) أي (و) الكفار (على ما يفعلون بالمؤمنين) من الإحراق (شهود) يشهد بعضهم  
لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفترط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب .

وفيه حثّ للمؤمنين على الصبر وتمهل أذى أهل مكّة .

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ الَّذِي  
 لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
 فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ  
 وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ  
 جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿٥﴾

(١) وما عابوا (منهم) وما أنكروا إلا الإيمان كقوله :

\* ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم \*

وقوله :

ما نقموا من بني أمية إلا \* لا أنهم يجهلون إن غضبوا

وقرئ (نقموا) بالكسر . والفصيح هو الفتح .

(٢) ذكر الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه ،  
 حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه ( الذي له ملك السموات والأرض )  
 فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له ، تقريرا لأن ما نقموا منهم هو الحق الذي  
 لا ينقمه إلا مبطل ، وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم .

(٣) وعيد لهم . يعني أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه .

(٤) يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة ، وبالذين آمنوا المطروحين  
 في الأخدود . والمعنى ( إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ) عذبوهم بالنار وأحرقوهم ( ثم لم )  
 يرجعوا عن كفرهم ( فلهم ) في الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) في الدنيا  
 لما روى أن النار اقلبت عليهم فأحرقتهم . ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أي بلوهم  
 بالأذى على العموم ، والمؤمنين المفتونين ، وأن للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم وفتنتهم .

(٥) أي الذين صبروا على تعذيب الأخدود . أو هو عام .

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ <sup>(١)</sup> إِنَّهُ هُوَ يَبْدِي وَيُعِيدُ <sup>(٢)</sup> وَهُوَ  
 الْغَفُورُ <sup>(٣)</sup> الْوَدُودُ <sup>(٤)</sup> ذُو الْعَرْشِ <sup>(٥)</sup> الْمَجِيدُ <sup>(٦)</sup> فَعَالٌ <sup>(٧)</sup> لِّمَا يُرِيدُ <sup>(٧)</sup>  
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ <sup>(٨)</sup> فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ <sup>(٩)</sup> بَلِ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ <sup>(١٠)</sup> وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ <sup>(١١)</sup>

(١) البطش الأخذ بالعنف . فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم . والمراد أخذ الظلمة والجسارة بالعذاب والانتقام .

(٢) أى يخلفهم ابتداء ثم يعيدهم بعد أن صيرهم ترابا . دلّ باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه . أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم لبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة .

(٣) الساتر لليوب العافى عن الذنوب .

(٤) المحب لأوليائه . وقيل الفاعل لأهل الطاعة ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا .

(٥) خالقه ومالكه .

(٦) وبالجزءية على أنه صفة للعرش . ومجد الله عظمته . ومجد العرش علوه وعظمه .

(٧) (فعال) - خبر مبتدأ محذوف - (لما يريد) تكوينه . فيكون فيه دلالة خلق

أفعال العباد .

(٨) أى قد (أتاك) خبر الجموع الطاغية فى الأمم الخالية (فرعون و ثمود) بدل من الجنود .

وأراد بفرعون إتياء وآله . والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم .

(بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون بالجنود لانخفاء حال

الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا (والله من ورائهم محيط) أى عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم

لا يعجزونه . والإحاطة بهم من ورائهم مثل . لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت الشيء المحيط به .



بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢﴾

(١) (بل) هذا الذي كذبوا به (قرآن مجيد) شريف على الطبقة في الكتب وفي نظمه وإعجازه ليس كما يزعمون أنه مفترى وأنه أساطير الأولين (في لوح محفوظ) من وصول الشياطين . (محفوظ) نافع صفة للقرآن. أي من التغيير والتبديل . واللوح عند الحسن شيء يلوح لللائكة فيقرءونه . وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، قلمه نور ، وكل شيء فيه مسطور . مقاتل : هو على يمين العرش . وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله في حجر ملك كريم . والله أعلم .

## سورة الطارق مكية

وهي سبع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝  
 إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝<sup>(١)</sup>

(١) عظم قدر السماء في عين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فأقسم بها وبالطارق . والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يريج بها لعظم منفعتها . ثم فسره بالنجم الثاقب أي المضيء كأنه يثقب الظلام فينفذ فيه . ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال لآتي ليلا طارق . أو لأنه يطرق الجحى أي يصكّه . وجواب القسم (إن كل نفس لما عليها حافظ) . (لما) إن كانت مشددة بمعنى إلا كقراءة عاصم وحزمة وابن عامر فتكون (إن) نافية أي ما (كل نفس) إلا (عليها حافظ) . وإن كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون (إن) مخففة من الثبيلة . أي (إن كل نفس) لعلها (حافظ) يحفظها من الآفات أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها فإذا استوفى ذلك مات . وقيل هو كاتب الأعمال . فما زائدة . واللام فارقة بين النافية والخفيفة . و(حافظ) مبتدأ و(عليها) الخبر . والجمله خبر (كل) وأيتهما كانت فهي مما يتلق به القسم .

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿١﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٢﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ  
 الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٣﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٤﴾ يَوْمَ تُبْلَى  
 السَّرَائِرُ ﴿٥﴾ قَالَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿٧﴾

(١) لما ذكر أن على كل نفس حافظا أمره بالنظر في أول أمره ليعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يملئ على حافظه إلا ما يسره في عاقبته . (وتم خلق) استفهام — أى من أى شيء خلق ؟ — جوابه (خلق من ماء دافق) . والدفق صب فيه دفع والدفق في الحقيقة لصاحبه . والإسناد إلى الماء مجاز . وعن بعض أهل اللغة دفقت الماء دفقا صببته . ودفق الماء بنفسه أى انصب . ولم يقل من مائين لامتراجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه .

(٢) من بين صلب الرجل وترائب المرأة . وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة . وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة .

(٣) إن الخالق ، لدلالة (خلق) عليه . ومعناه إن الذى خلق الإنسان ابتداء من نقطة (على رجعه) على إعادته خصوصا (لقادر) لبيت القدرة لا يعجز عنه كقوله "إني لفقير" أى لبيت الفقر . ونصب (يوم تبلى) — أى تكشف — برجعه أو بمضمحل عليه قوله (رجعه) . أى يبعثه (يوم تبلى السرائر) ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وما أخفى من الأعمال .

(٤) (فما) للإنسان (من قوة) فى نفسه على دفع ما حل به (ولا ناصر) يعينه ويدفع عنه .

(٥) أى المطر . وسبى به لعوده كل حين .

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ <sup>(١)</sup> إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ <sup>(٢)</sup> وَمَا هُوَ بِأَلْهَزَلٍ <sup>(٣)</sup>  
 إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا <sup>(٤)</sup> وَأَكِيدُ كَيْدًا <sup>(٥)</sup> فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ <sup>(٦)</sup>  
 أَمْهَلُهُمْ <sup>(٧)</sup> رَوِيدًا <sup>(٨)</sup>

(١) هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات .

(٢) إن القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل)  
 باللعب والباطل . يعنى أنه جد كلفه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا فى الصدور  
 معظما فى القلوب يرتفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفككه بمزاح .

(٣) يعنى مشركى مكة .

(٤) يعملون المكائد فى إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق .

(٥) وأجازيهم جزاء كيدهم باستدراجي لهم من حيث لا يعلمون . فسمى جزاء الكيد كيدا  
 كما سمي جزاء الاعتداء والسبئية اعتداء وسبئية وإن لم يكن اعتداء وسبئية . ولا يجوز إطلاق هذا  
 الوصف على الله تعالى إلا على وجه الجزاء كقوله (نسوا الله فأنسىهم) (يخادعون الله وهو  
 خادعهم) (الله يستهزئ بهم) .

(٦) أى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به .

(٧) أنظرهم . فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التأكيد والتصبير .

(٨) مهلا يسيرا . ولا يتكلم بها إلا مصغرة . وهى من رادت الريح تروى رودا تحركت  
 حركة ضعيفة .

## سورة الأعلى مكية

وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَسِيحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ  
فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَنْجَرَ الْمَرَئِيَّ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾  
﴿٦﴾

(١) نزه ذاته عما لا يليق به - والاسم صلة - وذلك كأن يفسر (الأعلى) بمعنى العلو الذي هو القهر والافتقار لا بمعنى العلو في المكان . وقيل " قل سبحان ربي الأعلى " .  
وفي الحديث لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها في سجودكم .

(٢) أى ( خلق ) كل شيء ( فسوى ) خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على إحكام واتساق ، دلالة على أنه صادر عن عالم حكيم . أو سواه على ما فيه منفعة ومصلحة .

(٣) أى ( قدر ) لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعزفه وجه الانتفاع به . أو ( فهدى ) وأضل . ولكن حذف وأضل اكتفاء بقوله ( يضل من يشاء ويهدى من يشاء ) . ( قدر ) على .

(٤) أنبت ما ترعاه الدواب .

(٥) يابسها هشيما .

(٦) أسود . فـ ( أحوى ) صفة لـ ( غثاء ) .

سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ۖ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ  
 وَمَا يَخْفَى ۖ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۖ فَذِكْرٌ وَإِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى ۖ  
 سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْتَى ۖ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۖ

(١) ستعلمك القرآن حتى لا تنساه (إلا ما شاء الله) أن ينسخه . وهذا بشارة من الله لنبية أن يحفظ عليه الوحي حتى لا ينفلت منه شيء إلا ما شاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمة وتلاوته . وسأل ابن كيسان النحوي جنيدا عنه فقال ( فلا تنسى ) العمل به فقال مثلك يصدر . وقيل قوله ( فلا تنسى ) على النهي . والألف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا . أى فلا تغفل قراءته وتكريره فتلساه ( إلا ما شاء الله ) أن ينسيكه برفع تلاوته .

(٢) أى إنك تجهر بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك إلى الجهر . أو ما تقرأ فى نفسك مخافة النسيان . أو يعلم ما أسررت وما أطلت من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم .

(٣) معطوف على ( سنقرئك ) وقوله ( لأنه يعلم الجهر وما يخفى ) اعتراض . ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل . يعنى حفظ الوحي . وقيل للشيعة السمحة التي هي أيسر الشرائع أو نوفقك لعمل الجنة .

(٤) عطف بالقرآن .

(٥) جواب ( إن ) مدلول قوله ( فذكر ) . قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم . وقيل هو أمر بالتذكير على الإطلاق كقوله ( فذكر إنما أنت مذكر ) غير مشروط بالنفع .

(٦) سيتعظ ويقبل التذكرة ( من يخشى ) الله وسوء العاقبة ( ويتجنبها ) ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها ( الأشقى ) الكافر أو الذى هو أشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله . قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة .

الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ۖ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ قَدْ  
 أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۖ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ  
 الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۖ  
 صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۖ

(١) (الذي) يدخل نار جهنم - والصغرى نار الدنيا - (ثم لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة يتلذذ بها . وقيل بـ (ثم) لأن الترجيح بين الحياة والموت أفضح من الصلوى . فهو متراح عنه في مراتب الشدة .

(٢) نال الفوز (من تزكى) تطهر من الشرك ، أو تطهر للصلاة ، أو أذى الزكاة . تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة .

(٣) وكبر للافتتاح (فصلى) الخمس . وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح ، وعلى أنها ليست من الصلاة ، لأن الصلاة عطف عليها ، وهو يقتضى المغايرة ؛ وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل . وعن ابن عباس رضى الله عنهما " ذكر معاده ووقوفه بين يدي ربه فصلى له " . عن الضحاك " (وذكر اسم ربه) في طريق المصلى (فصلى) صلاة العيد " .

(٤) (بل تؤثرون الحياة الدنيا) على الآخرة فلا تفعلون ما به تفعلون . والمخاطب به الكافرون . دليله قراءة أبي عمرو (يؤثرون) بالياء .

(٥) أفضل في نفسها وأدوم .

(٦) (هذا) إشارة إلى قوله (قد أفلح) إلى (أبقى) . أى أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف . أو إلى ما في السورة كلها . وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة لأنه جعله مذكورا في تلك الصحف مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة .

(٧) بدل من (الصحف الأولى) . وفي الأثر . وفي صحف إبراهيم " ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسان عارفا بزمانه مقبلا على شأنه " .

## سورة الغاشية مكية

وهي ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ <sup>(٢)</sup> وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ <sup>(١)</sup>  
 عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ <sup>(١)</sup> تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً <sup>(٢)</sup> تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ <sup>(٣)</sup>  
 لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ <sup>(٣)</sup>

(١) بمعنى قد .

(٢) الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها . يعني القيامة . وقيل النار . من قوله (وتغشى وجوههم النار) .

(٣) أي وجوه الكفار— وأما خص الوجه لأن الحزن والسرور إذا استحكما في المرء أثرا في الوجه— (يومئذ) يوم إذ غشيت (خاشعة) ذليلة لما اصرى أصحابها من الخزي والهوان (عاملة ناصبة) تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرّها السلاسل والأغلال وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حذور منها . وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة . وقيل هم أصحاب الصوامع . ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب ، والتمجد الواصب . (تصلى نارا حامية) تدخل نارا قد أحميت مددا طويلة فلا حر يعدل حرها . (تسقى من عين آنية) . من عين ماء قد انتهى حرها . والتأنيث



لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (١) وَوَجْهُ يَوْمٍ ذُنُوبِهِ كَمِثْلِ نَاعِمَةٍ (٢) لَا تَسْمَعُ فِيهَا (٣) لِسْعَةَ رَاضِيَةٍ (٤) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٥) لَا تَسْمَعُ فِيهَا (٦) لَغِيَةً (٦) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (٧) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (٨) مَرْفُوعَةٌ (٩)

في هذه الصفات والأفعال وراجع الى الوجوه . والمراد أصحابها بدليل قوله ( ليس لهم طعام إلا من ضريع ) وهو نبت يقال له الشبرق . فإذا يبس فهو ضريع . وهو سم قاتل . والعذاب ألوان والمعدَّبون طبقات . فمنهم أكلة الزقوم . ومنهم أكلة الغسلين . ومنهم أكلة الضريع . فلا تناقض بين هذه الآية وبين قوله ( ولا طعام إلا من غسلين ) .

(١) ( لا يسمن ) - مجرور المحل لأنه وصف ( ضريع ) - ( ولا يغني من جوع ) .  
أى منفعتا الغذاء متفتيتان عنه . وهما إمالة الجوع وإفادة السمن في البدن .

(٢) وصف وجوه المؤمنين . ولم يقل ووجوه لأن الكلام الأول قد طال وانقطع .

(٣) متنعمة في لين العيش .

(٤) رضيت بعملها وطاعتها لمآرات ما آذاهم إليه من الكرامة والثواب .

(٥) من علو المكان أو المقدار .

(٦) ( لا تسمع ) يا مخاطب أو الوجوه ( فيها لاغية ) أى لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو . لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم . ( لا تسمع فيها لاغية ) مكى وأبو عمرو . ( لا تسمع فيها لاغية ) نافع .

(٧) أى عيون كثيرة كقوله ( علمت نفس ) .

(٨) جمع سرير .

(٩) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم .

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ <sup>(٢)</sup> وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ <sup>(٣)</sup> وَزُرَابِي مَبْثُوثَةٌ <sup>(٤)</sup> وَأَفْلا <sup>(٥)</sup>  
 يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ <sup>(٦)</sup> وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ <sup>(٦)</sup>  
 وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ <sup>(٦)</sup> وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ <sup>(٦)</sup>

(١) جمع كوب . وهو القدح . وقيل آنية لا عروة لها .

(٢) (موضوعة) بين أيديهم ليتلذذوا بها بالنظر إليها . أو موضوعة على حافات العيون  
 معدة للشرب .

(٣) وسائد (مصفوفة) بعضها إلى جنب بعض مساند ومطارج أيما أراد أن يجلس جالس على  
 مسورة واستند إلى الأخرى .

(٤) وبسط عراض فاخرة . جمع زُرْبِيَّة .

(٥) مبسوطة أو مفترقة في المجالس .

(٦) لما أنزل الله تعالى هذه الآيات في صفة الجنة وفسر النبي عليه السلام بأن ارتفاع  
 السرير يكون مائة فرسخ ، والأكواب الموضوعة لا تدخل في حساب الخلق لكثرتها ،  
 وطول المنارِق كذا ، وعرض الزرابي كذا ، أنكر الكفار وقالوا " كيف يصعد على هذا  
 السرير ، وكيف تكثر الأكواب هذه الكثرة ، وطول المنارِق هذا الطول ، وبسط الزرابي  
 هذا الانبساط ، ولم نشاهد ذلك في الدنيا ؟ " فقال الله تعالى ( أفلا ينظرون إلى الإبل  
 كيف خلقت ) طويلاً ثم تبرك حتى تركب أو يحمل عليها ثم تقوم . فكذا السرير يطأ طئاً للأمن  
 كما يطأ طئاً للإبل ، ( وإلى السماء كيف رفعت ) رفعا بعيد المدى بلا إمساك وعمد ، ثم نجومها تكثر  
 هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق فكذلك الأكواب ، ( وإلى الجبال كيف نصبت ) نصبا  
 ثابتاً فهي راسخة لا تميل مع طولها فكذا المنارِق ، ( وإلى الأرض كيف سطحت ) سطحتها  
 بتمهيد وتوطئة فهي كلها بساط واحد تنبسط من الأفق إلى الأفق فكذا الزرابي . ويجوز  
 أن يكون المعنى ( أفلا ينظرون إلى ) هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا  
 اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقاءه . وتخصيص هذه

فَذَكِّرْ إِمَّا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٣﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى  
 وَكَفَرَ ﴿٤﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٥﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٦﴾  
 ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٦﴾

الأربعة باعتبار أن هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال . والمرء إمّا يستدل بما  
 تكثر مشاهدته له . والعرب تكون في البوادي ونظرهم فيها إلى السماء والأرض والجبال .  
 والإبل أعز أموالهم ، وهم لها أكثر استعمالاً منهم لسائر الحيوانات ، لأنها تجمع جميع  
 المسارب المطلوبة من الحيوان وهي الذسل والدرّ والحمل والركوب والأكل بخلاف غيرها ،  
 ولأن خلقها أعجب من غيرها : فإنه ينخرها منقادة لكل من اقتادها بازقتها لا تعاز ضعيفا  
 ولا تمناع صغيرا ، وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار ، وجعلها بحيث تبرك حتى تمحل  
 عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وتجرها إلى البلاد الشاحطة . وصبرها على احتمال العطش حتى  
 إن ظمأها ليرتفع إلى العشر فصاعدا ، وجعلها ترعى كل نابت في البرارى مما لا يرعاه سائر البهائم .

(١) فذكرهم بالأدلة ليتفكروا فيها .

(٢) ليس عليك إلا التبليغ .

(٣) بمسلط . كقوله (وما أنت عليهم بجبار) . (بمصيطر) مدني وبصري وعلّ وعاصم .

(٤) الاستثناء منقطع . أى لست بمستول عليهم . ولكن من تولى منهم وكفر بالله فإن الله  
 الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الأكبر . وهو عذاب جهنم . وقيل هو استثناء من قوله  
 (فذكر) . أى (فذكر) — — — (إلا من) انقطع طمعك من إيمانه و (تولى) فاستحق (العذاب  
 الأكبر) . وما بينهما اعتراض .

(٥) رجوعهم . وفائدة تقديم الظرف الشديد في الوعيد وأنه إياهم ليس إلا إلى الجبار  
 المقتدر على الانتقام .

(٦) ثم إن علينا حسابهم) فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها جزاء أمثالهم . و (على) لتأكيد  
 الوعيد لا للوجوب . إذ لا يجب على الله شيء .

## سورة الفجر مكية

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ (١) وَلَيْلٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرٍ (٤) إِذَا يَسْرٍ (٥)

(١) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله (والصبح إذا أسفر). أو بصلاة الفجر.

(٢) عشر ذى الحجة. أو العشر الأول من المحرم. أو الآخر من رمضان. وإنما نكرت لزيادة فضيلتها.

(٣) شفع كل الأشياء ووترها. أو شفع هذه الليالي ووترها. أو شفع الصلاة ووترها. أو يوم النحر لأنه اليوم العاشر ويوم عرفة لأنه اليوم التاسع. أو الخلق والخالق. (والوتر) حمزة وعلى. وفتح الواو غيرهما وهما لغتان. فالفتح مجازي. والكسر تميمي.

(٤) بعد ما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال (والليل). قيل أريد به ليلة القدر.

(٥) (إذا) يمضي. وياء (يسر) تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة. وسأل واحدا لأخفش عن سقوط الياء. فقال لا حتى تخدمني سنة. فسأله بعد سنة فقال "الليل لا يسرى، إنما يسرى فيه. فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة". وقيل معنى (يسرى) يسرى فيه كما يقال ليل نائم أي ينام فيه.

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ<sup>(١)</sup> أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ  
بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ<sup>(٢)</sup>

(١) أى (هل) فيما أقسمت به من هذه الأشياء (قسم) أى مقسم به (لذى) عقل؟ سُمي به لأنه يحجر عن التفات فيما لا ينبغي كما سُمي عقلاً ونهية لأنه يعقل وينهى. يريد هل تحقق عنده أن تعظم هذه الأشياء بالإقسام بها؟ أو (هل في) إقسامى بها إقسام (لذى حجر)؟ أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه؟ أو (هل في) القسم بهذه الأشياء (قسم) مقنع (لذى) عقل ولب؟ والمقسم عليه محذوف. وهو قوله ليعذبن. يدل عليه قوله (ألم تر) إلى قوله (فصب عليهم ربك سوط عذاب).

(٢) ذكر تعذيب الأمم التي كذبت الرسل فقال (ألم) تعلم يا محمد علما يوازي العيان في الإيقان؟ وهو استفهام تقرير. قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، عاد. كما يقال لبني هاشم. ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى — والإرم تسمية لهم باسم جدتهم — ولمن بعدهم عاد الأخيرة. فإرم عطف بيان لعاد وإيدان أنهم عاد الأولى القديمة. وقيل إرم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها. ويدل عليه قراءة ابن الزبير (بعاد إرم) على الإضافة. وتقديره بعاد أهل إرم كقوله (واسأل القرية). ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضاً للتعريف والتأنيث. و (ذات العمد) إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قنودهم بالأعمدة. وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين. وروى أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد. فلما وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبني مثلها فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلثمائة سنة. وكان عمره تسعمائة سنة. وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت. وفيها أصناف الأشجار والأنهار. ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته. فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا. وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه بما تم. وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه. فبعث إلى كعب فسأله فقال هى إرم ذات العمد. وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال. يخرج في طلب إبل له. ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل.

الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ <sup>(١)</sup> وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>  
 وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ <sup>(٤)</sup> الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ <sup>(٥)</sup> فَأَكْثَرُوا فِيهَا  
 الْفَسَادَ <sup>(٦)</sup> فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ <sup>(٧)</sup> إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ <sup>(٨)</sup>

(١) أى مثل عاد فى قوتهم وطول قامتهم . كان طول الرجل منهم أربعائة ذراع . أو لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا .

(٢) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا . قيل أول من نحت الجبال والصخور تمود . وبنوا ألفا وسبعائة مدينة كلها من الحجارة .

(٣) بوادى القرى .

(٤) أى ذى الجنود الكثيرة . وكانت لهم مضارب كثيرة يضر بونها إذا نزلوا . وقيل كان له أوتاد يعذب الناس بها كما فعل بأسية .

(٥) فى محل نصب على الذم . أو الرفع على هم (الذين) . أو الجز على وصف المذكورين عاد وتمود وفرعون .

(٦) تجاوزوا الحد (فى البلاد فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والقتل والظلم .

(٧) مجاز عن إيقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه . إذ الصب يشعر بالدوام ، والسوط بزيادة الإيلام . أى عذبوا عذابا مؤلما دائما .

(٨) هو المكان الذى يترقب فيه الرصد . مفعال من رصده . وهذا مثل لإرصاده العباد وأنهم لا يفوتونه وأنه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه إن خيرا نخير وإن شرا فشر .

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١﴾  
 وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿٢﴾  
 كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٣﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٤﴾

(١) (فقدّر عليه رزقه) ضيق عليه وجعله بمقدار بلغته. (فقدّر) شامخ ويزيد. أى الواجب لمن ربه بالمرصاد أن يسعى للعاقبة ولا تهمة العاجلة. وهو قد عكس. فإنه إذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال "ربي أكرمني" أى فضّلني بما أعطاني. فيرى الإكرام في كثرة الحظ من الدنيا. وإذا امتحنه بالفقر فقدّر عليه رزقه ليصبر قال "ربي أهانني" فيرى الهوان في قلة الحظ من الدنيا لأنه لا تهمة إلا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها. فردّ عليه زعمه بقوله (كلّا) أى ليس الإكرام والإهانة في كثرة المال وقلته. بل الإكرام في توفيق الطاعة، والإهانة في الخذلان. وقوله تعالى (فيقول) خبر المبتدأ الذى هو (الإنسان) ودخول الفاء لما في (أما) من معنى الشرط. والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير. كأنه قيل. (فأما الإنسان) فقائل ربي أكرمني وقت الابتلاء. وكذا (فيقول) الثانى خبر لمبتدأ تقديره (وأما) هو (إذا ما ابتلاه) ربه. وسمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لأن كل واحد منهما اختبار للعبد. فإذا بسط له فقد اختبر حاله أي شكر أم يكفر. وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أي صبر أم يجزع. ونحوه قوله تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة). وإنما أنكر قوله "ربي أكرمني" مع أنه أثبتته بقوله (فأكرمه) لأنه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبتته وهو قصده أن الله أعطاه ما أعطاه إكراماً له لاستحقاقه كقوله (إنما أوتيته على علم عندى) وإنما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه. (ربي) حجازى وأبو عمرو.

(٢) أى بل هناك شر من هذا القول. وهو أن الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدّون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالمبرة وحض أهله على طعام المسكين.

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١١﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿١٢﴾  
 كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿١٣﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا  
 صَفًّا ﴿١٤﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ  
 وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿١٥﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿١٦﴾

(١١) أى (وتأكلون) الميراث، (أكلًا لَمًّا) ذالماً - وهو الجمع بين الحلال والحرام. وكانوا لا يوزنون النساء ولا الصبيان وياكلون تراثهم مع تراثهم - (وتحبون المال) - يقال حبه وأحبه بمعنى - (حبا جما) كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق. (يكرمون ولا يحضون وياكلون ويحبون) بصرى

(١٢) (كَلَّا) ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعالهم. ثم أتى بالوعيد وذكر تحسّرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال: (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ) إِذَا زَلَزِلَتْ (دَكًّا دَكًّا) دَكًّا بَعْدَ دَكِّ أَيْ كَرَّرَ عَلَيْهَا الدَّكَّ حَتَّى عَادَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا (وَجَاءَ رَبُّكَ) - تمثيل لظهور آيات اقتداره، وتبين آثار قهره وسلطانه. فإن واحدا من الملوك إِذَا حَضَرَ بِنَفْسِهِ ظَهَرَ بِحَضْرِهِ مِنْ آثَارِ الْهَيْبَةِ مَا لَا يَظْهَرُ بِحَضْرِهِ عَسَاكِرُهُ وَخَوَاصُّهُ. وعن ابن عباس "أمره وقضاؤه" - (والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) أى ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محذقين بالحق والإنس (وجيء يومئذ بجهنم) - قيل إنها برزت لأهلها كقوله (وبرزت الجحيم للغاوين) وقيل هو مجرى على حقيقته. ففي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجزونها - (يومئذ يتذکر الإنسان) أى يتعظ (وأنى له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى ؟ (يقول ياليتنى قدمت لحياتي) هذه. وهى حياة الآخرة. أى ياليتنى قدمت الأعمال الصالحة فى الحياة الغانية لحياتى الباقية.



فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۖ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدًا ۖ يَا أَيَّتُهَا  
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ۖ فَأَدْخُلِي  
فِي عِبَادِي ۖ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ۖ

(١) أى لا يتولى عذاب الله أحد لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم (ولا يوثق) بالسلاسل والأغلال (وثاقه أحد). قال صاحب الكشاف "لا يعذب أحد أحدًا كعذاب الله ولا يوثق أحد أحدًا كوثاق الله". (لا يعذب ولا يوثق) على. وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورجع إليها أبو عمرو في آخر عمره. والضمير يرجع إلى الإنسان الموصوف وهو الكافر. وقيل هو أبى ابن خلف. أى (لا يعذب) أحد مثل عذابه (ولا يوثق) بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده. ثم يقول الله تعالى للمؤمن ما كراما له كما كلم موسى عليه السلام أو يكون على لسان ملك (يا أيها النفس المطمئنة) الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن. وهى النفس المؤمنة. أو المطمئنة إلى الحق التي سكنها نالج اليقين فلا يخالجهما شك. ويشهد للتفسير الأول قراءة أبى (يا أيها النفس الآمنة المطمئنة) — وإنما يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة — (ارجعى إلى) موعد (ربك) أو ثواب ربك (راضية) من الله بما أوتيت (مرضية) عند الله بما عملت (فادخلى فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين فانتظمى فى سلكهم (وادخلى جنتى) معهم. وقال أبو عبيدة أى مع عبادى أو بين عبادى أى خواصى كما قال (وادخلى برحمتك فى عبادك الصالحين). وقيل النفس الروح. ومعناه (فادخلى فى) أجساد (عبادى) كقراءة عبد الله بن مسعود (فى جسد عبدى). ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل فى نعشه. فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها. قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب. وقيل فى خبيب الذى صلبه أهل مكة. وقيل هى عاقبة فى المؤمنين إذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

## سورة البلد مكية

وهي عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ ﴿٣﴾

(١) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الانسان خلق مغمورا في مكابد المشاق .  
 واعرّض بين القسم والمقسم عليه بقوله ( وأنت حلّ بهذا البلد ) أى ومن المكابدة أن مثلك  
 على عظم حرمتك يستحلّ بهذا البلد يعنى مكة كما يستحلّ الصيد في غير الحرم . عن شرحبيل  
 يحرّمون أن يقتلوا بها صيدا ويستحلّون إخراجك وقتلك . وفيه تثبيت لرسول الله وبعث على  
 احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته . أو سلى رسول الله بالقسم ببلده  
 على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد . واعرّض بأن وعده فتح مكة تنجيا للتسليّة والتنفيس  
 عنه فقال ( وأنت حلّ بهذا البلد ) أى ( وأنت حلّ ) به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من  
 القتل والأسر . وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة وأحلّها له وما فتحت على أحد قبله ولا  
 أحلت له فأحلّ ماشاء وحرّم ماشاء : قتل ابن خَطَل وهو متعلّق بأستار الكعبة ، ومقيس بن  
 صَبَّابة وغيرهما . وحرّم دار أبي سفيان ونظير قوله ( وأنت حلّ ) في الاستقبال قوله ( إنك  
 ميت وإنهم ميتون ) . وكفالك دليلا على أنه للاستقبال أن السورة مكية بالاتفاق . وأين الهجرة  
 من وقت نزولها ؟ فما بال الفتح ؟

(٢) هما آدم وولده . أو كلّ والد وولده . أو إبراهيم وولده . (وما) بمعنى من أو بمعنى الذى .

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ <sup>(١)</sup> أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ <sup>(٢)</sup> يَقُولُ  
 أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا <sup>(١)</sup> أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ <sup>(٢)</sup> أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ <sup>(٣)</sup>  
 وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ <sup>(٣)</sup> وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ <sup>(٣)</sup> فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ <sup>(٣)</sup> وَمَا  
 أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ <sup>(٣)</sup> فَكُّ رَقَبَةٍ <sup>(٣)</sup> أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ <sup>(٣)</sup>  
 يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ <sup>(٣)</sup> أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ <sup>(٣)</sup> ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا <sup>(٣)</sup>

(١) جواب القسم .

(٢) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة . وعن ذى النون "لم يزل مربوطا بجبل  
 القضاء مدعوا إلى الاتجار والانتهاة" .

(٣) الضمير لبعض صنديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم  
 ما يكابد . ثم قيل هو أبو الأشد . وقيل الوليد بن المغيرة . والمعنى أيقظ هذا الصنديد القوي  
 في قومه المتضعف للؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه . ثم ذكر ما يقوله في ذلك  
 اليوم وأنه (يقول أهلكت ما لا لبدا) أى كثيرا . جمع لبدة . وهو ما تلبد أى كثر واجتمع .  
 يريد كثرة ما أنفق فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالي . (أيحسب أن لم يره أحد) حين  
 كان ينفق ما ينفق رياء وافتخارا . يعنى أن الله تعالى كان يراه وكان عليه رقبيا . ثم ذكر نعمه  
 عليه فقال (لم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يعبر به عما فى ضميره (وشفتين)  
 يستر بهما ثغره ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ (وهديناه النجدين)  
 طريق الخير والشر المفضيين إلى الجنة والنار . وقيل النجدين . (فلا اقتحم العقبة وما أدراك  
 ما العقبة فك رقة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة) ثم كان  
 من الذين آمنوا) يعنى فلم يشكر تلك الأيادى والنعم بالأعمال الصالحة من فك الرقاب أو إطعام  
 اليتامى والمساكين ثم بالإيمان الذى هو أصل كل طاعة وأساس كل خير . بل غمط النعم  
 وكفر بالنعم . والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه مرضى نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبدا

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ <sup>(١)</sup> أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ <sup>(٢)</sup>  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّأْتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ <sup>(٣)</sup>

في الرياء والفخار . وقلمّا تستعمل لامع الماضي إلا مكزّرة . وإتما لم تركز في الكلام الأوضح لأنه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه أعاد "لا" ثلاث مرّات وتقديره فلا فك رقبة ولا أطم مسكينا ولا آمن والاقترام الدخول والمجازرة بشدة ومشقة والفحمة الشدة . بفعل الصالحة عقبة وعمها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس . وعن الحسن "عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان" . والمراد بقوله ( ما العقبة ) ما اقتحامها ومعناه أنك لم تدركه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله . وفك الرقبة تخلصها من الرق والإعانة في مال الكتابة ( فك رقبة أو أطم ) مكى وأبو عمرو وعلى ، على الإبدال من ( اقتحم العقبة ) . وقوله ( وما أدراك ما العقبة ) اعتراض غيرهم ( فك رقبة أو إطعام ) على اقتحامها ( فك رقبة أو إطعام ) والمسغبة الحجارة . والمقربة القرابة . والمتربة الفقر مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب — يقال فلان قرابتى وذو مقربتى — وترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون مأواه المزابل . ووصف اليوم بذى مسغبة كقولهم هم ناصب أى ذو نصب ومعنى ( ثم كان من الذين آمنوا ) أى داوم على الإيمان . وقيل ( ثم ) بمعنى الواو . وقيل إتما جاء ثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت . إذ الإيمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به .

<sup>(١)</sup> ( وتواصوا بالصبر ) عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التى يتلى بها المؤمن ( وتواصوا )  
بالتراحم فيما بينهم .

<sup>(٢)</sup> أى الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة . ( والذين كفروا بآياتنا ) بالقرآن  
أو بدلائلنا ( هم أصحاب المشأمة ) أصحاب الشمال . والميمنة والمشأمة اليمين والشمال . أو اليمين  
والشؤم . أى الميامين على أنفسهم والمشائم عليهم .

<sup>(٣)</sup> وبالهمزة أبو عمرو وحمة وحفص . أى مطبقة . من أوصدت الباب وأصدته إذا  
أطبقتة وأغلقتة والله أعلم .

## سورة الشمس مكية

وهي خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا <sup>(١)</sup> وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا <sup>(٢)</sup> وَالنَّهَارِ إِذَا جَاءَهَا <sup>(٣)</sup>  
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا <sup>(٤)</sup> وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا <sup>(٥)</sup> وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا <sup>(٥)</sup>  
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا <sup>(٥)</sup>

(١) وضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها .

(٢) تبعها في الضياء والنور . وذلك في النصف الأول من الشهر يخلف القمر الشمس في النور .

(٣) جلى الشمس وأظهرها للرائين . وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه . لأن الشمس تتجلى في ذلك الوقت تمام الانجلاء . وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وإنما لم يجر لها ذكر كقوله ( ما ترك على ظهرها من دابة ) .

(٤) يستر الشمس فتظلم الآفاق .

(٥) ( ما ) مصدرية - في ( والسما والارض وما طحاها ونفس وما سواها ) أى وبنائها وطحوها أى بسطها وتسوية خلقها فى أحسن صورة - عند البعض . وليس بالوجه لقوله ( فآلهما ) لما فيه من فساد النظم . والوجه أن تكون موصولة وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل ( والسما ) والقادر العظيم الذى بناها ( ونفس ) والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها . وإنما نكرت النفس لأنه أراد نفسا خاصة من بين النفوس وهى

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا <sup>(١)</sup> قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا <sup>(٢)</sup> وَقَدْ خَابَ  
مَن دَسَّاهَا <sup>(٣)</sup>

نفس آدم . كأنه قال وواحدة من النفوس . أو أراد كل نفس . والتنكير للتكثير كما في ( علمت نفس ) .

والواو الأولى في نحو هذا للقسم بالاتفاق . وكذا الثانية عند البعض . وعند الخليل الثانية للعطف . لأن إدخال القسم على القسم قبل تمام الأول لا يجوز . ألا ترى أنك لو جعلت موضعها كلمة النفاء أو ثم لكان المعنى على حاله . وهما حرفا عطف . فكذا الواو . ومن قال إنها للقسم احتج بأنها لو كانت للعطف لكان عطفها على عاملين لأن قوله ( والليل ) — مثلا — مجرور بواو القسم . و ( إذا يغشى ) منصوب بالفعل المقدر الذي هو أقسم . فلو جعلت الواو في ( والنهار إذا تجلّى ) للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جراً ، و ( إذا تجلّى ) معطوفا على ( إذا يغشى ) نصبا . فصار كقولك إن في الدار زيدا والمجرة عمرا . وأجيب بأن واو القسم تنزل منزلة الباء والفعل حتى لم يبرز الفعل معها . فصارت كأنها العاملة نصبا وجرأ ، وصارت كعامل واحد له عملان . وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معه وليه بعاطف واحد بالاتفاق . نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدًا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما . فكذا هنا .

(١) فأعلمها طاعتها ومعصيتها أفهمها أن أحدهما حسن والآخر قبيح .

(٢) ( قد أفلح ) — جواب القسم . والتقدير لقد أفلح . قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام . وقيل الجواب محذوف . وهو الأظهر تقديره ليدمد من الله عليهم — أى على أهل مكة — لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمد على ثمود لأنهم كذبوا صالحا . وأما ( قد أفلح ) فكلام تابع لقوله ( فألهمها فجورها وتقواها ) على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء . — ( من زكّاها ) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية . ( وقد خاب من دسّاها ) أغواها الله . قال عكرمة " أفلحت نفس زكّاها الله . وخابت نفس أغواها الله " . ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد . والتدسية النقص والإخفاء بالفجور . وأصل دسّى دسّس . والياء بدل من السين المكررة .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا <sup>(١)</sup> إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا <sup>(٢)</sup> فَقَالَ لَهُمْ  
 رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا <sup>(٣)</sup> فَكَذَّبُوهُ <sup>(٤)</sup> فَعَقَرُوهَا <sup>(٥)</sup> فَدمدمَ عَلَيْهِمْ <sup>(٦)</sup>  
 رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ <sup>(٧)</sup> فَسَوَّاهَا <sup>(٨)</sup> وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا <sup>(٩)</sup>

(١) بطغيانها إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم .

(٢) حين قام بعقر الناقة (أشقاها) أشقى ثمود قدار بن سالف وكان أشقر أزرق قصيرا .  
 و (إذ) منصوب بـ (كذبت) أو بالطغوى .

(٣) صالح عليه السلام .

(٤) نصب على التحذير . أى احذروا عقرها (وسقياها) ؛ كقوله الأسد الأسد .

(٥) (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا .

(٦) أى الناقة أسند الفعل إليهم وإن كان العاقر واحدا ، لقوله (فنادوا صاحبهم  
 فتعاطى فعقر) ، لرضاهم به .

(٧) أهلكتهم هلاك استئصال .

(٨) بسبب ذنوبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة .

(٩) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم .

(١٠) ولا يخاف الله عاقبة هذه النملة . أى فعل ذلك غير خائف أن تلحقه تبعه من أحد

كما يخاف من يعاقب من الملوك لأنه فعل في ملكه وملكه (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) .  
 (فلا يخاف) مدنى وشامى .

## سورة الليل مكية

وهي إحدى وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى <sup>(١)</sup> وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى <sup>(٢)</sup> وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى <sup>(٣)</sup>  
 إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى <sup>(٤)</sup> فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى <sup>(٥)</sup> وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى <sup>(٦)</sup>  
 فَسَنِيَسِرُهُ لِلْيَسْرَى <sup>(٧)</sup> وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى <sup>(٨)</sup> وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى <sup>(٩)</sup>  
 فَسَنِيَسِرُهُ لِلْعُسْرَى <sup>(١٠)</sup>

(١) المغشى إما الشمس من قوله (والليل إذا يغشاها)، أو النهار من قوله (يغشى الليل النهار)، أو كل شيء يواريه بظلامه من قوله (إذا وقب).

(٢) ظهر بزوال ظلمة الليل.

(٣) والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد.

(٤) جواب القسم. إن عملكم لختلف. وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره.

(٥) (فأما من أعطى) حقوق ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو بالثوبة الحسنى وهي الجنة أو بالكلمة الحسنى وهي لا إله إلا الله (فسنيسره لليسرى) فسنيتمه للخلّة اليسرى وهي العمل بما يرضاه ربه. (وأما من بخل) بماله (واستغنى) عن ربه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بالإسلام أو الجنة (فسنيسره للعسرى) للخلّة المؤدية إلى النار فتكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشد. أو سبى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبتها العسر. أو أراد بهما طريق الجنة والنار.



وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى<sup>(١)</sup> ﴿١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ  
وَالْأُولَىٰ ﴿٣﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ ﴿٥﴾ الَّذِي  
كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَىٰ ﴿٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿٨﴾

(١) ولم ينفعه ماله إذا هلك. و (تردى) تفعل من الردى وهو الهلاك. أو (تردى) في القبر  
أو في قعر جهنم أى سقط.

(٢) (إن علينا) الإرشاد إلى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وإن لنا للآخرة والأولى)  
فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى. أو أنهما لنا فن طلبهما من غيرنا  
فقد أخطأ الطريق.

(٣) خوفكم (نارا) تتلهب لا يدخلها الخلود فيها (إلا) الكافر (الذى كذب) الرسل  
وأعرض عن الإيمان وسبعد منها المؤمن (الذى يؤتى ماله) للفقراء (يتزكى) من الزكاة. أى  
يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة. أو يتفعل من الزكاة. و (يتزكى)  
إن جعلته بدلا من (يؤتى) فلا محل له لأنه داخل فى حكم الصلاة. والصلوات لا محل لها.  
وإن جعلته حالا من الضمير فى (يؤتى) فحله النصب. قال أبو عبيدة (الأشقى) بمعنى الشقى  
وهو الكافر. و (الأتقى) بمعنى التقى وهو المؤمن لأنه لا يختص بالصلى الأشقياء، ولا  
بالنجاة أتقى الأتقياء. وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارا مخصوصة بالأشقى فما تصنع بقوله  
(وسيجنبها الأتقى) لأن التقى يمتنع تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة. وقيل الآية  
واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ فى صفتيهما  
فقبل الأشقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق إلا له، وقيل الأتقى وجعل مختصا بالنجاة  
كأن الجنة لم تخلق إلا له. وقيل هما أبو جهل وأبو بكر. وفيه بطلان زعم المرجئة لأنهم يقولون  
لا يدخل النار إلا كافر.

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا أَتْبَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ<sup>(١)</sup>  
 الْأَعْلَى<sup>(٢)</sup> وَلَسَوْفَ يَرْضَى<sup>(٣)</sup>

(١) أى (وما لأحد) عند الله نعمة يجازيه بها إلا أن يفعل فعلا يتغى به وجه ربه فيجازيه عليه .

(٢) هو الرفيع بسلطانه المنيع في شأنه وبرهانه . ولم يرد به العلو من حيث المكان . فذا آية الخدنان .

(٣) موعد بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه . وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام (ولسوف يعطيك ربك فترضى) .

## سورة الضحى مكيّة

وهى إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَاللَّائِحَةَ ﴿٤﴾ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٥﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٦﴾

(١) (الضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس . وإنما خص وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سحجدا . أو النهار كله لمقابته بالليل في قوله (والليل إذا سجي) سكن . والمراد سكون الناس والأصوات فيه . وجواب القسم ( ما ودّعك ربك وما قلى ) ما تركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك . والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودّعك مفارقا فقد بالغ في تركك . روى أن الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما . فقال المشركون إن محمدا ودّعه ربه وقلاه . فنزلت . وحذف الضمير من ( قلى ) كحذفه من الذكارات في قوله ( والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ) يريد والذاكراته . ونحوه ( فمأوى . فهدى . فأغنى ) . وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف . ( وللآخرة خير لك من الأولى ) أى ما أعد الله لك في الآخرة من المقام المحمود ، والحوض المورود ، والخير الموعود ، خير مما أعجبك في الدنيا . وقيل وجه اتصاله بما قبله أنه لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أنت الله مواصلك بالوحي إليك وأنت حبيب الله ،

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى <sup>(١)</sup> وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى <sup>(٢)</sup>

ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ، أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك لتقدمه نبي الأندياء وشهادة أمته على الأمم وغير ذلك . (ولسوف يعطيك ربك) في الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فترضى) . ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم إذا لا أرضى قط وأحد من أمتي في النار .

واللام الداخلة على (سوف) لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة . والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ونحوه (لأقسم) فيمن قرأ كذلك لأن المعنى لأننا أقسم . وهذا لأنها إذا كانت لام قسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد . فيتعين أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل إلا على المبتدأ والخبر . فلا بد من تقديره مبتدأ وخبر كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف . وذكر صاحب الكشاف هي لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لأن النون إنما تدخل ليؤذن أن اللام لام القسم لا لام الابتداء . وقد علم أنه ليس للابتداء لدخولها على (سوف) لأن لام الابتداء لا تدخل على سوف . وذكر أن الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير يؤذن بأن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر .

(١) عَدَّدَ عَلَيْهِ نِعْمَهُ مِنْ أَوَّلِ حَالِهِ لِيُقَيِّسَ الْمُرْتَقِبَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ لَسَلَا يَتَوَقَّعُ إِلَّا الْحَسَنِيَّ وَزِيَادَةَ الْخَيْرِ وَلَا يَضِيقُ صَدْرُهُ وَلَا يَقْلُّ صَبْرُهُ فَقَالَ : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا) وهو من الوجود الذي بمعنى العلم . والمنصوبان مفعولاه . والمعنى ألم تكن يتيما حين مات أبواك فآواك إلى عمك أبي طالب وضمك إليه حتى كفلك ورباك .

(٢) أي (وجدك) غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وما طريقه السمع (فهدي) فعترفك الشرائع والقرآن . وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب فردّه إلى القافلة . ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع في غي . فقد كاتب عليه الصلاة والسلام من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصوما من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان .

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿١﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٢﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ  
فَلَا تَنْهَرْ ﴿٣﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿٤﴾

(١) (ووجدك) فقيرا فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم .

(٢) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه .

(٣) فلا تزجره . فأبذل قليلا أو ردّ جميلا . وعن السدى المراد طالب العلم إذا جاءك

فلا تنهره .

(٤) أى حدّث بالنبوة التى آتاك الله . وهى أجل النعم . والصحيح أنها نعم جميع نعم الله

عليه . ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع . والله أعلم .

## سورة ألم نشرح مكية

وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ <sup>(١)</sup> وَوَضَعْنَا عَنكَ <sup>(٢)</sup> وِزْرَكَ <sup>(٣)</sup> الَّذِي أَنْقَضَ  
ظَهْرَكَ <sup>(٤)</sup> وَرَفَعْنَا لَكَ <sup>(٤)</sup> ذِكْرَكَ <sup>(٤)</sup>

(١) استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا لك صدرك . ولذا عطف عليه ( وضعنا ) اعتبارا للمعنى . أى فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين . فأزلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون مع العمى والجهل . وعن الحسن " ملئ حكمة وعالما " .

(٢) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها . وقيل هو زلة لا تعرف بعينها . وهى ترك الأفضل مع إتيان الفاضل . والأنبياء يعاتبون بمثالها . ووضعناه عنه أن غفر له . والوزر الحمل الثقيل .

(٣) أنقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض .

(٤) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والأذان والإقامة والخطب والتشهد وفى غير موضع من القرآن ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . ومن يطع الله ورسوله . والله ورسوله أحق أن يرضوه ) وفى تسميته رسول الله ونبي الله . ومنه ذكره فى كتب الأولين .

وفائدة ( لك ) ما عرف فى طريقة الإبهام والإيضاح لأنه يفهم بقوله ( ألم نشرح لك ) أن تم مشروحاته أوضح بقوله ( صدرك ) ما علم مبهما ، وكذلك ( لك ذكرك ) و ( عنك ووزرك ) .

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ  
فَأَنْصَبْ ﴿٢﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٣﴾

(١) أى (فإن مع) الشدة التى أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين (يسرا) بإظهارى إياك عليهم حتى تغلبهم . وقيل كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله . فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم . ثم قال (إن مع العسر يسرا) كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيئس من فضل الله (فإن مع العسر) الذى أتم فيه (يسرا) . وجرى بلفظ (مع) لغاية مقارنة اليسر العسر زيادة فى التسلية ولتقوية القلوب . وإنما قال عليه الصلاة والسلام عند نزولها "لن يغلب عسر يسرين" ، لأن العسر أعيد معرّفا فكان واحدا . لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى . واليسر أعيد نكرة . والنكرة إذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الأولى . فصار المعنى (إن مع العسر) يسرين . قال أبو معاذ يقال إن مع الأمير غلاما إن مع الأمير غلاما . فالأمير واحد ومعه غلامان . وإذا قال إن مع أمير غلاما وإن مع الأمير الغلام ، فالأمير واحد والغلام واحد . وإذا قيل إن مع أمير غلاما وإن مع أمير غلاما ، فهما أميران وغلامان . كذا فى شرح التأويلات .

(٢) أى إذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد فى عبادة الرب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما (فإذا فرغت) من صلاتك فاجتهد فى الدعاء . واختلف أنه قبل السلام أو بعده . ووجه الاتصال بما قبله أنه لما عدّد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلى وقتا من أوقاته منها . فإذا فرغ من عبادة ذنبا بأخرى .

(٣) واجعل رغبتك إليه خصوصا ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .

## سورة والتين ومكة

وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾

(١) أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة . روى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه ” كلوا . فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه . لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من البقرس “ وقال : ” نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة “ وقال ” هي سواكي وسواك الأنبياء قبل “ . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ” هوتينكم هذا وزيتونكم هذا “ وقيل هما جبلان بالشام منبتاهما . ( وطور سينين ) أضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة ونحو سينون بيرون في جواز الإعراب بالواو والياء ، والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب . ( وهذا البلد ) يعنى مكة ( الأمين ) ، من أمن الرجل أمانة فهو أمين . وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه . ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والأولياء . فنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه . والطور المسكان الذى نودى منه موسى . ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ، ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم أجمعين . أو الأؤلان قسم بمهبط الوحى على عيسى ، والثالث على موسى ، والرابع على محمد عليه الصلاة والسلام . وجواب



إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿١﴾ فَمَا  
يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٢﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٣﴾

القسم (لقد خلقنا الإنسان) - وهو جنس - ( في أحسن تقويم ) في أحسن تعديل لشكله وصورته  
وتسوية أعضائه ( ثم رددناه أسفل سافلين ) أى ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك  
الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفلى خلقا وتركيبا . يعنى أفتيح من قبح  
صورة . وهم أصحاب النار . أو أسفل من سفلى من أهل الدرجات . أو ( ثم رددناه ) بعد ذلك  
التقويم والتحسين ( أسفل ) من سفلى فى حسن الصورة والشكل حيث نكسناه فى خلقه فقوس  
ظهره بعد اعتداله ، وبيض شعره بعد سواده ، وتشتت جلده ، وكل سمعه وبصره ، وتغير  
كل شىء منه . فشيء دليف ، وصوته خفات ، وقوته ضعف ، وشهامته خرف .

(١) دخل الفاء هنا دون سورة الانشاق للجمع بين اللغتين . والاستثناء على الأول متصل ،  
وعلى الثانى منقطع . أى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع  
على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة .

(٢) الخطاب للإنسان على طريقة الالتفات . أى فاسبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع ،  
والبرهان الساطع ، بالجزاء . والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة ، وتقويمه بشرا سوياً ، وتدرجه  
فى مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوى ، ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر ، لا ترى دليلاً أوضح  
منه على قدرة الخالق ، وأت من قدر على خلق الإنسان على هذا كله لم يعجز عن إعادته . فاسبب  
تكذيبك بالجزاء؟ أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . أى فمن ينسبك إلى الكذب بعد هذا الدليل؟  
فما يعنى من .

(٣) وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله . وهو من الحكم والقضاء . والله أعلم .

## سورة العلق مكية

وهي تسع عشرة آية

عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت . والجمهور على أن الفاتحة أول ما نزل ثم  
سورة القلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَلَمْ يَكُنْ أَقْرَأَ  
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

(١) محل ( باسم ربك ) النصب على الحال . أى ( اقرأ ) مفتتحا ( باسم ربك ) كأنه قيل قل  
بسم الله ثم اقرأ . ولم يذكر لخلق مفعولا لأن ( الذى ) حصل منه الخلق واستأثر به  
لاخالق سواه . أو تقديره خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض  
المخلوقات بتقديره أولى من بعض . وقوله ( خلق الإنسان ) تخصيص للإنسان بالذكر من بين  
ما يتناوله الخلق اشرفه . ولأن التنزيل إليه . ويجوز أن يراد ( الذى خلق ) الإنسان . إلا  
أنه ذكر مبهما . ثم مفسرا تفخيا لخلقه ودلالة على عجيبة فطرته .

(٢) إنما جمع ولم يقل من علقه لأن الإنسان فى معنى الجمع .

(٣) ( وربك الأكرم ) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كريم . ينعم على عباده  
الذم ، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمة . وكأنه ليس وراء  
التكريم بإفادة الفوائد العامية تكريم حيث قال ( الذى علم ) الكتابة ( بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم )

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَرِيمٌ ﴿١﴾  
 أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٢﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ  
 أَلُّجَعِ ﴿٣﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٤﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿٥﴾ أَرَأَيْتَ  
 إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿٦﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿٧﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ  
 كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٨﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿٩﴾

فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ،  
 ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة . ومادونت العلوم ، ولا قيدت الحكم ،  
 ولا ضبطت أخبار الأولين ، ولا كتب الله المتزلة ، إلا بالكتابة . ولولا هي لما استقامت  
 أمور الدين والدنيا . ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به .  
 (١) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه ، وإن لم يذكر ، لدلالة الكلام عليه .

(٢) نزلت في أبي جهل إلى آخر السورة .

(٣) أن رأى نفسه . يقال في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني . ومعنى الرؤية العلم . ولو  
 كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين .  
 (٤) هو المفعول الثاني .

(٥) تهديد للإنسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات . و (الرجعى) مصدر بمعنى  
 الرجوع . أى إن رجوعك إلى ربك فيجازيك على طغيانك .

(٦) أى (أرأيت) أبا جهل (الذى ينهى) محمدا عن الصلاة (إن كان) ذلك الناهى على طريقة  
 سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله ، أو كان أمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان  
 كما يعتقد ، (أرأيت إن) كان ذلك الناهى مكذبا بالحق متواليا عنه كما نقول نحن (ألم يعلم  
 بأن الله يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله . وهذا وعيد .  
 وقوله (الذى ينهى) مع الجملة الشرطية مفعولا (أرأيت) . وجواب الشرط محذوف تقديره  
 (إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى) ألم يعلم بأن الله يرى . وإنما حذف لدلالة ذكره  
 في جواب الشرط الثاني . وهذا كقوله إن أكرمك أكرمني . و (أرأيت) الثانية مكررة زائدة  
 للتوكيد .

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ <sup>(١)</sup> نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ <sup>(٢)</sup>  
 فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ <sup>(٣)</sup> سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ <sup>(٤)</sup> كَلَّا لَا تَطْعَهُ وَآتِجِدُ <sup>(٥)</sup> وَأَقْتَرِبُ <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>

(١) (كَلَّا) ردع لأبي جهل عن نبيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الأصنام . ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لناخذن بناصيته ولنسحبته بها إلى النار . والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة . وكتبها في المصحف بالألف على حكم الوقف . واكتفى بلام العهد عن الإضافة للعلم بأنها ناصية المذكور .

(٢) (ناصية) بدل من الناصية . وإنما وصفت بالكذب والخطأ بقوله (كاذبة خاطئة) على الإسناد المجازي . وهما لصاحبها حقيقة . وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ .

(٣) النادى المجلس الذى يجتمع فيه القوم . والمراد أهل النادى . روى أن أبا جهل مر بالنبي عليه السلام وهو يصلى فقال ألم أنك ؟ فأغظله رسول الله عليه السلام . فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا ؟ فزل . والزبانية لغة الشرط . الواحد زبانية . من الزب . وهو الدفع . والمراد ملائكة العذاب . وعنه عليه السلام "لودعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا" .  
 (٤) ردع لأبي جهل .

(٥) أى أثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله (فلا تطع المكذبين) .

(٦) ودم على سجودك . يريد الصلاة .

(٧) وتقرب إلى ربك بالسجود . فإن أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد . كما الحديث والله أعلم .

## سورة القدر مكية

وقيل مدنية وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ <sup>(١)</sup> وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿١﴾  
 لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ <sup>(٢)</sup> ﴿٢﴾

(١) عظم القرآن حيث أسند إنزاله إليه دون غيره . وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه . ورفع مقدار الوقت الذي أنزله فيه . روى أنه أنزل جملة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا . ثم كان ينزله جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة . ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها . والقدر بمعنى التقدير . أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي . وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان . كما روى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن زُرَّانِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ كَانَ يَحْلِفُ عَلَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَنَّهَا لَيْلَةُ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ . وعليه الجمهور . ولعل الداعي إلى إخفائها أن يجي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها . وهذا إخفاء الصلاة الوسطى ، واسمه الأعظم ، وساعة الإجابة في الجمعة ، ورضاه في الطاعات ، وغضبه في المعاصي . وفي الحديث " من أدركها يقول اللهم إنك عفوّ تحبّ العفو فاعف عني " .

(٢) أي لم تبلغ درايته غاية فضلها . ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر . وسبب ارتفاع فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح ، وفصل كل أمر حكيم . وذكر في تخصيص هذه المدة أنّ النبي عليه الصلاة والسلام ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر . فعجب المؤمنون من ذلك وتفاصرت إليهم أعمالهم . فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي .

تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ <sup>(١)</sup> سَلَامٌ  
 هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>

(١) تنزل الملائكة إلى السماء الدنيا أو إلى الأرض (والروح) - جبريل، أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة. أو الرحمة - (فيها بإذن ربهم من كل أمر) أي تنزل (من) أجل (كل أمر) قضاء الله لتلك السنة إلى قابل. وعليه وقف.

(٢) ما هي إلا سلامة. خبر ومبتدأ. أي لا يقدّر الله فيها إلا السلامة والخير. ويقضى في غيرها بلاء وسلامة. أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسمعون على المؤمنين. قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سألوا عليه في تلك الليلة. وقد حرم من السلام الذين كفروا.

(٣) أي إلى وقت طلوع الفجر. بكسر اللام حمزة وعلى وخلف. والله أعلم.

## سورة البينة

مختلف فيها . وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى نَأْتِيَهُمُ  
 الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۖ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۖ (١)  
 وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۖ (٢)

(١) (لم يكن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى  
 — وأهل الرجل أخص الناس به وأهل الإسلام من يدين به — (والمشركين) عبدة الأصنام  
 (منفكين) منفصلين عن الكفر — وحذف لأن صلة الذين تدل عليه — (حتى تأتيهم البينة)  
 الحجة الواضحة. والمراد محمد صلى الله عليه وسلم. يقول: لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله  
 عليه وسلم. فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض.

(٢) أى محمد عليه السلام. وهو بدل من البينة.

(٣) يقرأ عليهم قراطيس (مطهرة) من الباطل.

(٤) فى الصحف مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق والعدل.

(٥) فمنهم من أنكر نبوته بغيا وحسدا. ومنهم من آمن. وإنما أفرد أهل الكتاب بعد ما جمع  
 أولا بينهم وبين المشركين لأنهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم. فإذا وصفوا بالتفرق عنه  
 كان من لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف.

وَمَا أَمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا  
 الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ  
 هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ  
 الْبَرِيَّةِ ﴿٣﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٤﴾

(١) (وما أمروا) (يعنى فى التوراة والإنجيل) (إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) من غير  
 شرك ونفاق (حنفاء) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان الباطلة (ويقوموا الصلاة ويؤتوا  
 الزكاة وذلك دين القيمة) أى دين الملة القيمة .

(٢) نافع يهزهما . والقراء على التخفيف . والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه  
 ورفض الأصل . وقوله (خير البرية) يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لأن البرية  
 الخلق . واشتقاقها من برا الله الخلق . وقيل اشتقاقها من البرا . وهو التراب . ولو كان  
 كذلك لما قرءوا البرية بالهمز . كذا قال الزجاج .  
 (٣) إقامة .

(٤) (رضى الله عنهم) بقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بشواهاها . (ذلك) الرضا (لمن خشى  
 ربه) . والله أعلم .



## سورة الزلزلة

مختلف فيها . وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝  
 وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآءَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُهَا ۝<sup>(١)</sup>

(١) أى (إذا) حرّكت (الأرض زلزالها) الشديد الذى ليس بعده زلزال -  
 وقرئ بفتح الزاى . فالمكسور مصدر . والمفتوح اسم - (وأخرجت الأرض أثقالها)  
 كنوزها وموتاهها - جمع ثقل وهو متاع البيت . جعل ما فى جوفها من الدفائن أثقالا لها -  
 (وقال الإنسان ما هآءا) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها - وذلك عند  
 النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاهها أحياء ، فيقولون ذلك لما يهرهم من الأمر الفظيع  
 كما يقولون (من بعثنا من مرقدنا) . وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث .  
 فأما المؤمن فيقول (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) - (يومئذ) بدل من (إذا) .  
 وناصبها (تحدث) . أى (تحدث) الخلق (أخبارها) لحذف أول المفعولين لأن المقصود  
 ذكر تحديدها الأخبار لا ذكر الخلق . قيل ينطقها الله وتخبّر بما عمل عليها من خير وشر .  
 وفى الحديث "تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها" .

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا <sup>(١)</sup> ﴿١﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا <sup>(٢)</sup> لِيُرَوْا  
 أَعْمَالَهُمْ <sup>(٣)</sup> ﴿٢﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ <sup>(٤)</sup> ﴿٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ  
 ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ <sup>(٥)</sup> ﴿٤﴾

(١) أى (تحدث أخبارها) بسبب إحياء ربك (لها) أى إليها وأمره إياها بالتحديث .

(٢) يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف (أشتاتا) بيض الوجوه آمنين ،  
 وسود الوجوه فزعين . أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار .

(٣) أى جزاء أعمالهم .

(٤) نملة صغيرة .

(٥) تمييز .

(٦) أى ير جزاءه .

(٧) قيل هذا فى الكفار والأول فى المؤمنين . ويروى أن أعرابياً أحر (خبيراً به)

فقيل له قدمت وأخرت فقال .

خذا بطن هرشى أوقفها فإنه كلا جانبي هرشى لهن طريق

وروى أن جده الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقرئه . فقرأ عليه هذه الآية . فقال حسبي

حسبي . وهى أحكم آية . وسميت الجامعة . والله أعلم .

## سورة العاديات

مختلف فيها . وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾  
فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ  
لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾

(١) أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح - والضبح صوت أنفاسها إذا عدون .  
عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه حكاه فقال " أح أح " . وانتصاب (ضبحا) على  
يضبحن - (فالموريات) تورى نار الجاحب - وهى ما ينقذ من حوافرها - (قدحا)  
تادحات صاكت بحوافرها المجارة - والقدح الصك . والإبراء إخراج النار . تقول قدح  
وأورى وقدح فأصلده . وانتصب (قدحا) بما انتصب به (ضبحا) - (فالمغيرات) تغير على العدو  
في وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت (جمعا) من  
جموع الأعداء . ووسطه بمعنى توسطه . وقيل الضمير لمكان الغارة ، أو للعدو الذى دل عليه  
(والعاديات) . وعطف (فأثرن) على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لأن المعنى واللاتى  
عدون فأورين فأغررن فأثرن . وجواب القسم (إن الإنسان لربه لكنود) لكفور . أى إنّه  
لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران . وإن الإنسان على كنوده (لشاهد) . يشهد على  
نفسه . أو إن الله على كنوده لشاهد ، على سبيل الوعيد .

وَأِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿١﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٢﴾  
 وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿٣﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴿٤﴾

(١) (وإنه) لأجل حب المال لبخيل ممسك . أو إنه حب المال لقوى وهو حب عبادة الله ضعيف .

(٢) (أفلا يعلم) الإنسان (إذا بعث) بعث (ما في القبور) من الموتي - و (ما) بمعنى من - (وحصل ما في الصدور) ميز ما فيها من الخير والشر (إن ربهم بهم يومئذ خبير) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر ؟ وخص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم في جميع الأزمان لأن الجزاء يقع يومئذ . والله أعلم .

## سورة القارعة مكية

وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (١) وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا الْقَارِعَةُ (٢) يَوْمَ يَكُونُ  
النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٣) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٣)

(١) (القارعة) مبتدأ . و (ما) مبتدأ ثان . (القارعة) خبره . والجملة خبر المبتدأ الأول وكان حقه ما هي . وإنما كرر تفخيها لسانها .

(٢) أى أى شىء أعلمك ما هي ومن أين علمت ذلك .

(٣) (يوم) نصب بمضمر دلت عليه القارعة . أى تقرع (يوم يكون الناس كالفرش المبتوث) . شبههم بالفرش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطير إلى الداعى من كل جانب كما يتطير الفراش إلى النار . وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره . وشبهه الجبال بالعهن — وهو الصوف المصبغ ألوانا — لأنها ألوان (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها) ؛ وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها .

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿١﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ  
مَوَازِينُهُ ﴿٣﴾ فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٤﴾ وَمَا آدْرَبْتَ مَاهِيَةً ﴿٥﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿٦﴾

(١) (فأما من ثقلت موازينه) باتباعهم الحق - وهي جمع موزون . وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله . أو جمع ميزان . وثقلها رجحانها - (فهو في عيشة راضية) ذات رضا أو مرضية . (وأما من خفت موازينه) باتباعه الباطل فسكنه وماواه النار . وقيل للأوى أم على التشبيه . لأن الأم مأوى الولد ومفرغه .

(٢) الضمير يعود إلى هاوية . والهاء للسكت . ثم فسرها فقال ( نار حامية ) بلغت النهاية في الحرارة . والله أعلم .

## سورة التكاثر مكية

وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنَكُ الْتَكَثُرُ<sup>(١)</sup> حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ<sup>(٢)</sup> كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ<sup>(٣)</sup>  
 ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ<sup>(٤)</sup> كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ<sup>(٥)</sup> لَتَرَوُنَّ  
 الْجَحِيمَ<sup>(٦)</sup> ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ<sup>(٧)</sup> ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمَ<sup>(٨)</sup>  
<sup>(٩)</sup>

- (١) شغلكم التبارى فى الكثرة والتباهى بها فى الأموال والأولاد عن طاعة الله .
- (٢) حتى أدرككم الموت على تلك الحال أو حتى زرتهم المقابر وعدتكم من فى المقابر من موتاكم .
- (٣) ردع وتنبية على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع هممه ولا يهتم بدينه .
- (٤) (سوف تعلمون) عند الزرع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلاً سوف تعلمون) فى القبور .
- (٥) تكرير الردع للإنذار والتخويف .
- (٦) جواب (لو) محذوف . أى (لو تعلمون) ما بين أيديكم (علم اليقين) علم الأمر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونونه من الأمور لما أهلككم التكاثر أو لفعلتم ما لا يوصف . ولكنكم ضلال جهلة .
- (٧) هو جواب قسم محذوف . والقسم لتوكيد الوعيد . (لترون) بضم التاء شامى وعلى .
- (٨) كثره معطوفاً بـ "ثم" تغليظاً فى التهديد وزيادة فى التهويل . أو بالأول بالقلب والثانى بالعين .
- (٩) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته .
- (١٠) (ثم لتسألنَّ يومئذ عن) الأمن والصحة فىم أفنيتموها ، عن ابن مسعود رضى الله عنه . وقيل عن التمتع الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه . وعن الحسن "ما سوى كُنَّ يؤويه ، وأثواب تواريه ، وكسرة تقويه" . وقد روى مرفوعاً . والله أعلم .

## سورة العصر مكية

وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

(١) أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى (والصلاة الوسطى صلاة العصر) في مصحف حفصة. ولأن التكليف في أداؤها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعاشهم. أو أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيها من دلائل القدرة. أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب. وجواب القسم (إن الإنسان لفي خسر) أي جنس الإنسان لفي خسران من تجاراتهم (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا (وتواصوا بالحق) بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده. (وتواصوا) في الموضوعين فعل ماض معطوف على ماض قبله. والله أعلم.



## سورة الحمزة مكيّة

وهي تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ <sup>(٤)</sup> <sup>(٣)</sup> يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ  
 أَخْلَدَهُ <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ <sup>(٧)</sup> وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ <sup>(٨)</sup>

(١) (ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة) أي الذي يعيب الناس من خلفهم .

(٢) أي من يعيهم مواجهة . وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه . قيل نزلت في الأخنس بن شريق . وكانت عادته الغيبة والوقية . وقيل في أمية بن خلف . وقيل في الوليد . ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح .

(٣) بدل من كل . أو نصب على الذم .

(٤) (جمع) شامئ وحمزة وعلى مبالغة . وهو مطابق لقوله (وعدده) أي جعله عدة لحوادث الدهر .

(٥) أي تركه خالدا في الدنيا لا يموت . أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم . فأما المال فما أخلد أحدا فيه .

(٦) ردع له عن حساباته .

(٧) (لنبتذنت) الذي جمع (في) النار التي شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها .

(٨) تعجيب وتعظيم .

نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿١﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْعِدَةِ ﴿٢﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ  
مُؤَصَّدَةٌ ﴿٣﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾

(١) خبر مبتدأ محذوف . أى هى ( نار الله الموقدة ) نعمتها ( التى تطلع على الأفئدة )  
يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع أفئدتهم وهى أوساط القلوب .  
ولا شىء فى بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشد ألما منه بأذى أذى يمسّه . فكيف إذا  
أطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ؟ وقيل خص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والمعائد  
الفاصلة . ومعنى اطلاع النار عليها أنها تشتمل عليها .  
(٢) أى النار أو الحطمة .

(٣) مطبقة .

(٤) بضمين كوفى غير حفص . الباقون ( فى عمدة ) وهما لغتان فى جمع عماد كإهاب  
وأهب وحمار وحر .

(٥) أى تؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمدة استينافا فى استيناف .  
فى الحديث " المؤمن كئيس فطن ، وقاف متثبت لا يعجل ، عالم ورع . والمنافق همزة مازة  
حطمة كحاطب الليل لا يبالي من أين اكتسب وفيه أنفق " والله أعلم .

## سورة الفيل مكية

وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١)

(١) (كيف) في موضع نصب بـ(فعل) لا بد (ألم تر) لما في (كيف) من معنى الاستفهام. والجملة سدت مسد مفعولي (تر). وفي (ألم تر) تعجيب أي عجب الله نبيه من كفر العرب، وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله. والمعنى أنك رأيت آثار صنع الله بالحبشة وسمعت الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة.

(٢) روى أن أبرهة بن الصبّاح ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي، بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج. فخرج رجل من كنانة فقعدها فيها ليلا فخرقها فأغضبه ذلك. وقيل أوجت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها خلف ليهدمن الكعبة. فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود— وكان قويا عظيما— واثناعشر فيلا غيره. فلما جاء المغيس نرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع. فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل. وكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن هرول. فأرسل الله طيرا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحصاة. فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففتروا وهلكوا. وما مات أبرهة حتى انصدع صدره عن قلبه. وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يخلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه. وروى أن أبرهة أخذ

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ <sup>(١)</sup> وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ <sup>(٢)</sup>  
 تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ <sup>(٣)</sup> فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ <sup>(٤)</sup>

لعبد المطلب مائتي بعير نخرج إليه فيها. فعظم في عينه وكان رجلا جسيما وسيا. وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال. فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني. جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آباءك وشرفكم في قديم الدهر فأهلك عنه ذود أخذ لك. فقال أنا رب الإبل ولليبت رب سيحيمه.

(١) في تضليل وإبطال. يقال ضلّ كيده إذا جعله ضالاً ضائعاً. وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لأنه ضلّ ملك أبيه أي ضيعه. يعني أنهم كادوا البيت أولاً ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه. وكادوه ثانياً بمراد هدمه فضلل كيدهم بإرسال الطير عليهم.

(٢) حرائق الواحدة إبالة. قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا.

(٣) وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه (يرميهم) أي الله أو الطير. لأنه اسم جمع مذكّر. وإتما

يؤنث على المعنى.

(٤) هو معرب من "سك كل" وعليه الجمهور. أي الآجر.

(٥) زرع أكله الدود.

## سورة قريش مكية

وهي أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُرَيْشٍ

(١) متعلق بقوله (فليعبدوا). أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين. ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط. أي إنا نعم الله عليهم لا تحصى. فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة. أو بما قبله أي (جعلهم كصنف ما كقول لإيلاف قريش) يعني أن ذلك الإيلاف، لهذا الإيلاف. وهذا كالنضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصح إلا به. وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل. ويروى عن الكسائي ترك التسمية بينهما. والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحترمهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلا ييترئ أحد عليهم. وقيل المعنى اعجبوا (لإيلاف قريش). (لإيلاف قريش) شامئ أي لمؤالفة قريش. وقيل يقال ألفته ألفاً وإلافاً. وقريش ولد النضر بن كنانة. سموه بتصغير القرش. وهو دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن ولا تطاق إلا بالنار. والتصغير للتعظيم. فسّموه بذلك لشدةهم ومنعتهم تشبهاً بها. وقيل من القرش وهو الجمع والكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضرهم في البلاد.

إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿١﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾  
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٣﴾

(١) أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيها لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظيم  
النعمة فيه. ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولا به. وأراد رحلتى الشتاء والصيف. فأفردا من الإيلاف.  
وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء إلى اليمن، وفى الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون.  
وكانوا فى رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم.

(٢) التنكير فى (جوع) و(خوف) لشدةتهما. يعنى (أطعمهم) بالرحلتين (من جوع)  
شديد كانوا فيه قبلهما (وآمنهم من خوف) عظيم وهو خوف أصحاب القيل أو خوف  
التخطف من بلدهم ومسائرهم. وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام  
المحرقة (وآمنهم من) خوف الهذام فلا يصيبهم بلدهم. وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه  
السلام.

## سورة الماعون

مختلف فيها . وهي سبع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ  
عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ  
سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

(١) أى هل ( رأيت الذى يكذب ) بالجزاء من هو؟ إن لم تعرفه (فذلك) الذى يكذب بالجزاء هو (الذى يدع اليتيم) أى يدفعه دفعا عنيفا بجملة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة (ولا يبعث أهله على) بذل (طعام المسكين). جعل علم التكذيب بالجزاء، منع المعروف، والإقدام على إيذاء الضعيف. أى لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشى الله وعقابه ولم يقدم على ذلك. فحين أقدم عليه دل أنه مكذب بالجزاء. ثم وصل به قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) يعنى بهذا المنافقين. أى لا يصلونها صرا لأتهم لا يعتقدون وجوبها وصلونها علانية رياء. وقيل (فويل) للمنافقين (الذين) يدخلون أنفسهم فى جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وأنهم لا يريدون بها قربة إلى ربهم ولا تأدية لفرض. فهم يخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون، ويظهرون للناس أنهم يؤدون الفرائض، ويمنعون الزكاة

وما فيه منفعة. وعن أنس والحسن قالا "الحمد لله الذي قال (عن صلاتهم) ولم يقل في صلاتهم" لأن معنى "عن" أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها. وذلك فعل المنافقين. ومعنى "في" أن السهو يعترهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس. وذلك لا يخلو عنه مسلم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره. والمرأاة مفاعلة مع الإراءة لأن المرأى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به. ولا يكون الرجل مرأيا بإظهار الفرائض. فمن حقها الإعلان بها لقوله صلى الله عليه وسلم "ولا غمّة في فرائض الله". والإخفاء في التطوع أولى. فإن أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا. والمساءون الزكاة. وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما يتعاور في العادة بين الناس من القدر والدلو والمقدحة ونحوها. وعن عائشة رضى الله عنها الماء والنار والملح. والله أعلم.



## سورة الكوثر مكية

وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ<sup>(١)</sup> فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ<sup>(٢)</sup> إِنَّ شَانِئَكَ  
هُوَ الْأَبْتَرُ<sup>(٣)</sup>

(١) هو فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة . وقيل هو نهر في الجنة أحلى من العسل ، وأشدّ بياضا من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وألين من الزبد . حافاته الزبرجد ، وأوانيه من فضة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "هو الخير الكثير" . فقيل له إن ناسا يقولون هو نهر في الجنة ، فقال هو من الخير الكثير .

(٢) فاعبد ربك ، الذى أعزك بإعطائه وشرّفك وصانك من من الخلق ، مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله (وانحرو) لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفا لعبدة الأوثان فى النحر لها .

(٣) أى من أبغضك من قومك بخالفتك لهم (هو الأبر) المنقطع عن كل خير لا أنت . لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك . وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر . يبدأ بذكر الله ويتقّى بذكرك . ولك فى الآخرة مالا يدخل تحت الوصف . فمتلك لا يقال له أبر . إنما الأبر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة . قيل نزلت فى العاص بن وائل . سمّاه الأبر . والأبر الذى لا عقب له . وهو خبر إن . و (هو) فصل .

## سورة الكافرون مكية

وهي ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ <sup>(١)</sup> لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ  
 مَا أَعْبُدُ <sup>(٢)</sup> وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ <sup>(٣)</sup> وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ <sup>(٤)</sup>  
 لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٢﴾

(١) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون . روى أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد هم فاتبع ديننا وتبع دينك . تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة . فقال معاذ الله أن أشرك به غيره . قالوا : فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك . فنزلت . فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقرأها عليهم فأيسوا .

(٢) أى لست فى حالى هذه عابداً ( ما تعبدون ولا أتم عابدون ) الساعة ( ما أعبد ) يعنى الله ..

(٣) ولا أعبد فيما أستقبل من الزمان ( ما عبديتم ولا أتم ) فيما تستقبلون ( عابدون ما أعبد ) . وذكر بلفظ ( ما ) لأن المراد به الصفة أى لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق . أو ذكر بلفظ ( ما ) ليتقابل اللفظان . ولم يصح فى الأول ( من ) وصح فى الثانى ( ما ) بمعنى الذى .

(٤) لكم شرككم ولى توحيدى . وبفتح الياء نافع وحفص . وروى أن ابن مسعود رضى الله عنه دخل المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فقال له : نابذ يا ابن مسعود . فقرأ ( قل ) يأتيها الكافرون . ثم قال له فى الركعة الثانية : أخلص . فقرأ ( قل هو الله أحد ) . فلما سلم قال : يا ابن مسعود سل تجب والله أعلم .

## سورة النصر مدنية

وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ <sup>(٢)</sup> وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ <sup>(٣)</sup>  
أَفْوَاجًا <sup>(٤)</sup> فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا <sup>(٤)</sup>

(١) منصوب بسبح وهو لما يستقبل . والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة .  
وروى أنها نزلت في أيام التشريق بمبى في حجة الوداع .

(٢) النصر الإعانة والإظهار على العدو . والفتح فتح البلاد . والمعنى نصر رسول الله صلى  
الله عليه وسلم على العرب أو على قريش وفتح مكة ، أو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك  
عليهم .

(٣) هو حال من الناس على أت (رأيت) بمعنى أبصرت أو عرفت ، أو مفعول ثان على أنه  
بمعنى علمت .

(٤) (أفواجا) حال من فاعل (يدخلون) . وجواب إذا (فسبح) . أى (إذا جاء نصر الله) إيالك على  
من ناواك وفتح البلاد ورأيت أهل اليمن يدخلون في ملة الإسلام جماعات كثيرة بعد ما كانوا  
يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا له أو فصل  
له (واستغفره) تواضعا وهضما للنفس أودم على الاستغفار (إنه كان) ولم يزل (توآبا) التوآب  
الكثير القبول للتوبة ، وفي صفة العباد الكثير الفعل للتوبة . ويروى أت عمر رضى الله عنه  
لما سمعها بكى . وقال الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين .  
والله أعلم .

## سورة أبي لهب مكية

وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ <sup>(١)</sup> مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ <sup>(٢)</sup>

(١) التباب الهلاك . ومنه قولهم "أشابة أم تابة" أي هالكة من الهرم . والمعنى هلكت يدها — لأنه فيما يروى أخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم — (وتب) وهلك كله . أو جعلت يدها هالكيتين ، والمراد إهلاك جملته كقوله ( بما قدمت يداك ) ، ومعنى (وتب) وكان ذلك وحصل ، كقوله :

جزاني جزاه الله شرَّ جزائه \* جزاء الكلاب العاويات . وقد فعل وقد دلت عليه قراءة ابن مسعود رضى الله عنه (وقد تب). روى أنه لما نزل (وأندر عشيرتك الأقرين) رقى الصفا . وقال يا صباحاه . فاستجمع إليه الناس من كل أوب فقال عليه الصلاة والسلام : — يا بني عبد المطلب ! يا بني فهر ! إن أخبرتك أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدق؟ قالوا نعم . قال فإني نذير لكم بين يدي الساعة . فقال أبو لهب تبأ لك . ألهذا دعوتنا ؟ فنزلت . وإنما كناه والتكنية تكمة لاشتهاره بها دون الاسم أو لكرهه اسمه . فاسمه عبد العزى . أولأن ماله إلى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته (أبي لهب) مكى .

(٢) (ما) للنفى (وما كسب) مرفوع . وما موصولة أو مصدرية . أى ومكسوبه أو وكسبه . أى لم ينفعه ماله الذى ورثه من أبيه والذى كسبه بنفسه . أو ماله التالد والطارف . وعن ابن عباس رضى الله عنهما (ما كسب) ، ولده . وروى أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أئحى حقاً فأنا أفئدى منه نفسى بمالى وولدى .

سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٢) وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا  
حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)

(١) سيدخل. (سبب) البرجمي عن أبي بكر. والسبب للوعيد. أي هو كائن لا محالة وإن  
ترانى وقته.

(٢) توقد.

(٣) هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان.

(٤) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتبثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله  
عليه وسلم. وقيل كانت تمشى بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس. ونصب عاصم (حمالة  
الخطب) على الشتم. وأنا أحب هذه القراءة. وقد توسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل  
من أحب شتم أم جميل. وعلى هذا يسوغ الوقف على (امراته) لأنها عطف على الضمير  
في (سبب) أي سبب هو وامراته. والتقدير أعني (حمالة الخطب). والباقون بالرفع على  
أنها خبر (امراته)، وهي (حمالة).

(٥) حال أو خبر آخر. والمسد الذي فتل من الجبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد  
أو غيرها. والمعنى (في جيدها حبل) ممتا مسد من الجبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك  
وتربطها في جيدها كما يفعل الخطابون، تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الخطابات لتجزع  
من ذلك ويجزع بعلمها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة. والله أعلم.

## سورة الإخلاص

أربع آيات مكية عند الجمهور . وقيل مدنية عند أهل البصرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ<sup>(١)</sup>

(١) (هو) ضمير الشأن . و(الله أحد) هو الشأن . كقولك هو زيد منطلق . كأنه قيل : الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثاني له . ومحل (هو) الرفع على الابتداء . والخبر هو الجملة . ولا يحتاج إلى الراجع . لأنه في حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى . وذلك أن قوله (الله أحد) هو الشأن الذي (هو) عبارة عنه . وليس كذلك زيد أبوه منطلق فإن زيد والجملة يدلان على معنيين مختلفين . فلا بد مما يصل بينهما . عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قریش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعوننا إليه فزلت . يعني الذي سألتوني وصفه (هو الله) تعالى . وعلى هذا (أحد) خبر مبتدأ محذوف أي هو (أحد) . وهو بمعنى واحد . وأصله واحد . فقابت الواو همزة لوقوعها طرفا . والدليل على أنه واحد من جهة العقل أن الواحد إما أن يكون في تدبير العالم وتخليقه كافيا أو لا . فإن كان كافيا كان الآخر ضائعا غير محتاج إليه . وذلك نقص . والناقص لا يكون إلها . وإن لم يكن كافيا فهو ناقص . ولأن العقل يقتضى احتياج المفعول إلى فاعل والفاعل الواحد كاف . وما وراء الواحد فليس عدد أولى من عدد . فيفضى ذلك إلى وجود أعداد لا نهاية لها . وإذا محال . فالقول بوجود إلهين محال . ولأن أحدهما إما أن يقدر على أن يستر شيئا من أفعاله عن الآخر أو لا يقدر . فإن قدر لزم كون المستور عنه جاهلا . وإن لم يقدر لزم كونه عاجزا . ولأن لو فرضنا معدوما يمكن الوجود فإن لم يقدر واحد منهما على إيجاده كان كل واحد منهما عاجزا . والعاجز لا يكون إلها . وإن قدر أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون إلها . وإن قدرا جميعا فإما أن يوجد بالتعاون فيكون كل واحد منهما

اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ ۝ لَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝<sup>(٤)</sup>

محتاجا إلى إعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا . وإن قدر كل واحد منهما على إيجاداه بالاستقلال فإذا أوجده أحدهما فإما أن يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال . وإن لم يبق حينئذ يكون الأول مزبلا قدرة الثاني فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون إله . فإن قلت الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا . قلنا الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا . وأما الشريك فما نفذت قدرته . بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزا .

(١) هو فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده . وهو السيد المصمود إليه في الحوائج . والمعنى (هو الله) الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد لا شريك له . وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق . ولا يستغنون عنه وهو الغنى عنهم .

(٢) (لم يلد) لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا . وقد دل على هذا المعنى بقوله (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) .

(٣) لأن كل مولود محدث وجسم . وهو قديم لا أول لوجوده . إذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الوسطة بينهما . ولو كان حادثا لافتقر إلى محدث . وكذا الثاني والثالث . فيؤدى إلى التسلسل وهو باطل . وليس يحسم لأنه اسم للترتب . ولا يخلو حينئذ من أن يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء إله فيفسد القول به كما فسد بإلهين . أو غير متصف بها بل بأضدادها من سمات الحدوث وهو محال .

(٤) ولم يكافئه أحد أى لم يمانله .

سأله أن يصفه لم فأوحى إليه ما يحتوى على صفاته تعالى . فقوله (هو الله) إشارة إلى أنه خالق الأشياء وفاطرها . وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عالم لأن الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية إحكام وأتساق وانتظام . وفي ذلك وصفه بأنه حي لأن المتصف بالقدرة والعلم لا بد وأن يكون حيا . وفي ذلك وصفه بأنه سميع بصير مريد متكلم إلى غير ذلك

من صفات الكمال إذ لو لم يكن موصوفاً بها لكان موصوفاً بأضدادها وهي نقائص وذا من أمارات الحدوث . فيستحيل اتصاف القديم بها . وقوله ( أحد ) وصف بالوحدانية ونفى الشريك وبأنه المنفرد بإيجاد المعدومات والمتوحد بعلم الحقيقت . وقوله ( الصمد ) وصف بأنه ليس إلا محتاجاً إليه . وإذا لم يكن إلا محتاجاً إليه فهو غنى لا يحتاج إلى أحد . ويحتاج إليه كل أحد . وقوله ( لم يلد ) نفى للشبه والمجانسة . وقوله ( ولم يولد ) نفى للحدوث ووصف بالقدم والأولية . وقوله ( ولم يكن له كفواً أحد ) نفى أن يماثله شيء . ومن زعم أن نفى الكفاء وهو المثل في الماضي لا يدل على نفيه للمحال والكفار يدعون في الحال فقد تاه في غيبه . لأنه إذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة . إذ الحادث لا يكون كفواً للقديم . وحاصل كلام الكفرة يؤول إلى الإشراك والتشبيه والتعطيل . والسورة تدفع الكل كما قررنا .

واستحسن سيبويه تقديم الظرف إذا كان مستقراً أى خبراً ، لأنه لما كان محتاجاً إليه قدم ليعلم من أول الأمر أنه خبر لا فضلة ؛ وتأخيره إذا كان لغواً أى فضلة ، لأن التأخير مستحق للفضلات . وإنما قدم في الكلام الأفصح لأن الكلام سيق لنفى المكافأة عن ذات الباري سبحانه . وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الأهم تقديمه .

وكان أبو عمرو يستحب الوقف على ( أحد ) ولا يستحب الوصل . قال عبد الوارث على هذا أدركنا القراء . وإذا وصل تون وكسر أو حذف التنوين كقراءة ( عزير ابن الله ) . ( كفواً ) بسكون الفاء والهمزة ، حمزة وخلف ( كفواً ) مثقلة غير مهموزة ، حفص . الباقرن مثقلة مهموزة . وفي الحديث " من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن " لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته ، وعلى الأوامر والنواهي ، وعلى القصص والمواعظ . وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات . فقد تضمنت ثلث القرآن . وفيه دليل شرف علم التوحيد . وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم . ويتضح بضعته . ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته . وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه . فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله . اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العالمين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك . وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ ( قل هو الله أحد ) فقال " قد وجبت " فقيل يا رسول الله ما وجبت ؟ قال " وجبت له الجنة " .



## سورة الفلق

مختلف فيها . وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ  
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)

(١) أى الصبح أو الخلق أو هو واد في جهنم أو جب فيها .

(٢) أى النار والشيطان . و (ما) موصولة والعائد محذوف . أو مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق . وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه ( من شر ) بالتنوين . و ( ما ) على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجزر بدل من ( شر ) أى شر خلقه أى من خلق شر . أو زائدة .

(٣) الغاسق الليل إذا اعتكر ظلامه . ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء . وعن عائشة رضى الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأشار إلى القمر فقال : — ”تعوذى بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب “ . ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده .

(٤) النفثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقبن . والنفث النفخ مع ريق . وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في إنكار تحقق السحر وظهور أثره .

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ <sup>(١)</sup>

(١) أى إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه لأنه إذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده . بل هو الضار لنفسه لاغتماه بسرور غيره . وهو الأسف على الخير عند الغير . والاستعاذة من شر هذه الأشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق إشعار بأن شر هؤلاء أشد . وختم بالحسد ليعلم أنه شرها . وهو أول ذنب عصى الله به فى السماء من إبليس وفى الأرض من قابيل . وإنما عزف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لأن كل نقاثة شريرة . فلذا عرفت النقاثة ؛ ونكر فاسق لأن كل فاسق لا يكون فيه الشر . إنما يكون فى بعض دون بعض . وكذلك كل حاسد لا يضر . ورب حسد يكون محمودا كالحسد فى الخيرات . والله أعلم .

## سورة الناس

مختلف فيها . وهي ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ <sup>(١)</sup> مَلِكِ النَّاسِ <sup>(٢)</sup> إِلَهِ النَّاسِ <sup>(٣)</sup>

(١) أى مربيهم ومصالحهم .

(٢) مالكم ومدبر أمورهم .

(٣) معبودهم .

ولم يكتب بإظهار المضاف إليه مرة واحدة لأن قوله (ملك الناس إله الناس) عطف بيان (رب الناس) . لأنه يقال لغيره رب الناس وملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه . وعطف البيان للبيان فكان مظنة للإظهار دون الإضمار . وإنما أضيف الرب إلى الناس خاصة ، وإن كان رب كل مخلوق ، تشريفا لهم ، ولأن كل الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس . فكانه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم . وقيل أراد بالأول الأطفال ، ومعنى الربوبية يدل عليه ، والثانى الشباب ، ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه ، والثالث الشيوخ ، ولفظ الإله المنبئ عن العبادة يدل عليه ، والرابع الصالحين ، إذ الشيطان ولع بإغوائهم ، والخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه .

مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ  
النَّاسِ <sup>(٣)</sup> مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ <sup>(٤)</sup>

(١) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلال بمعنى الزلزلة . وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزلال . والمراد به الشيطان . سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لأنها شغله الذي هو عاكف عليه . أو أريد ذو الوسواس . والوسوسة الصوت الخفي .

(٢) الذي عادته أن يخنّس . منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات . لما روى عن سعيد بن جبير " إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان ووتى . وإذا غفل رجع ووسوس إليه " .

(٣) في محل الجز على الصفة . أو الرفع أو النصب على الشتم . وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على (الخنّاس) .

(٤) بيان للذي يوسوس على أت الشيطان ضربان جنّي وإنسى كما قال (شياطين الإنس والجنّ) وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الإنس ؟ روى أنه عليه السلام سحر فمرض . بغناه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه ما باله ؟ فقال طّب . قال ومن طّبه قال لبيد بن أعصم اليهودي . قال وبم طّبه ؟ قال بمشط ومشاطة في جفّ طلعة تحت راعوفة في بئر ذي أروان . فانتبه صلى الله عليه وسلم فبعث زيرا وعليا وعمارا رضي الله عنهم فترحوا ماء البئر وأخرجوا الجفّ فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر . فترلت هاتان السورتان فكلمها قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام عليه السلام عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نشط من عقال . وجعل جبريل يقول باسم الله أرقبك والله يشفيك من كلّ داء يؤذيك . ولهذا جوزوا الاسترقاء بما كان من تحاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فإنه لا يحلّ اعتقاده ولا اعتماد عليه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأقوالنا ومن شرّ ما عملنا وما لم نعمل ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأت عمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيّه أرسله ( بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله مصابيح الأنام وأصحابه مفاتيح دار السلام آمين .

بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِ قَدْ تَمَّ طَبْعُ الْمَجْلَدِ الثَّلَاثِ  
مِنْ "تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْجَلِيلِ الْمَسْمُوعِ (بِمَدَارِكِ التَّنْزِيلِ  
وَحَقَائِقِ التَّأْوِيلِ) تَأَلِيفِ الْإِمَامِ الْجَلِيلِ الْعَلَامَةِ  
أَبِي الْبَرَكَاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّسْفِيِّ"  
بِدَارِ الْمَطْبَعَةِ الْأَمِيرِيَّةِ بِبُولَاقِ مِصْرَ فِي الْيَوْمِ الْعِشْرِينَ  
مِنْ شَهْرِ رَجَبِ لِسَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةَ وَأَلْفَ  
مِنْ الْهَجْرَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلِ الصَّلَاةِ  
وَأَزْكَى التَّحِيَّةِ ، فِي عَهْدِ حَضْرَةِ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ  
الْمَلِكِ الصَّالِحِ "فَارُوقِ الْأَوَّلِ" مَلِكِ مِصْرَ  
حَفِظَهُ اللَّهُ وَأَدَامَهُ ، وَأَيْدِ مَلِكِهِ وَأَسْعَدَ أَيَّامَهُ ، وَأَعَزَّهُ بِه  
الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ مَا

مدير المطبعة الأميرية

محمد كبرى

التصنيف الأول

Handwritten text in Arabic script, consisting of approximately 10 lines. The text is very faint and difficult to decipher, but appears to be a list or a series of entries.

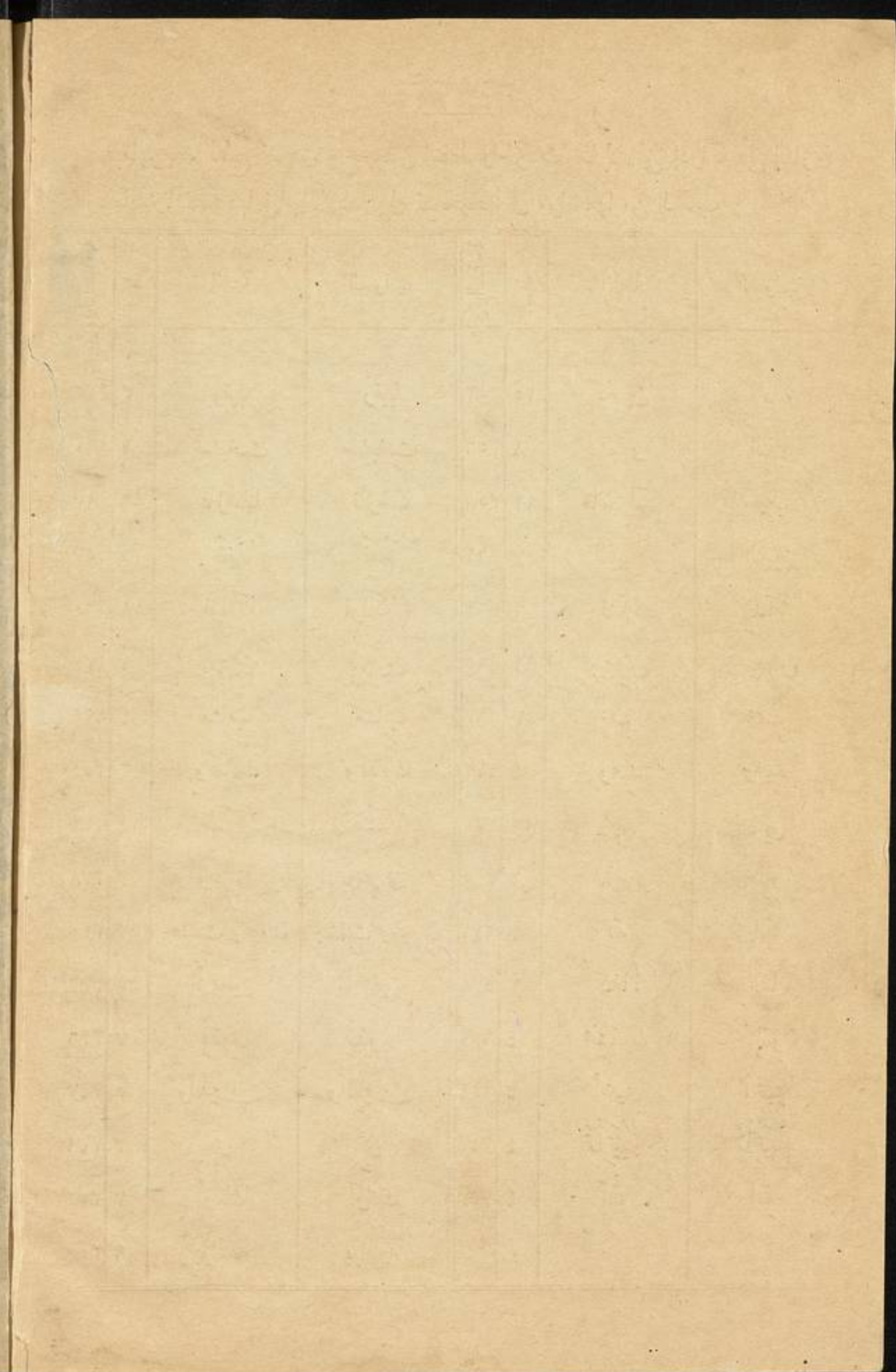
Handwritten signature or name in Arabic script, located at the bottom center of the page.

Handwritten mark or signature in the bottom left corner.

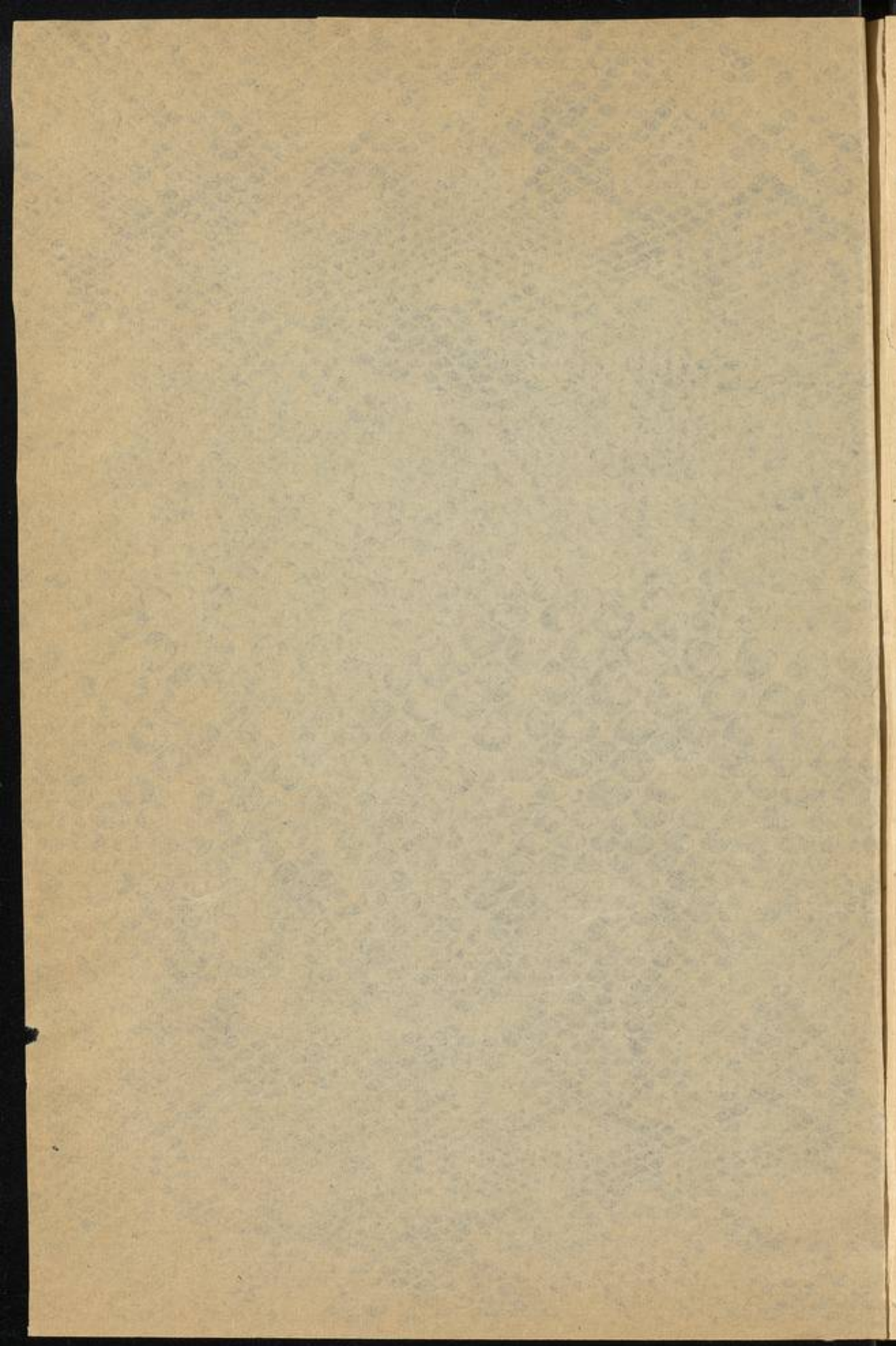
## تصويب

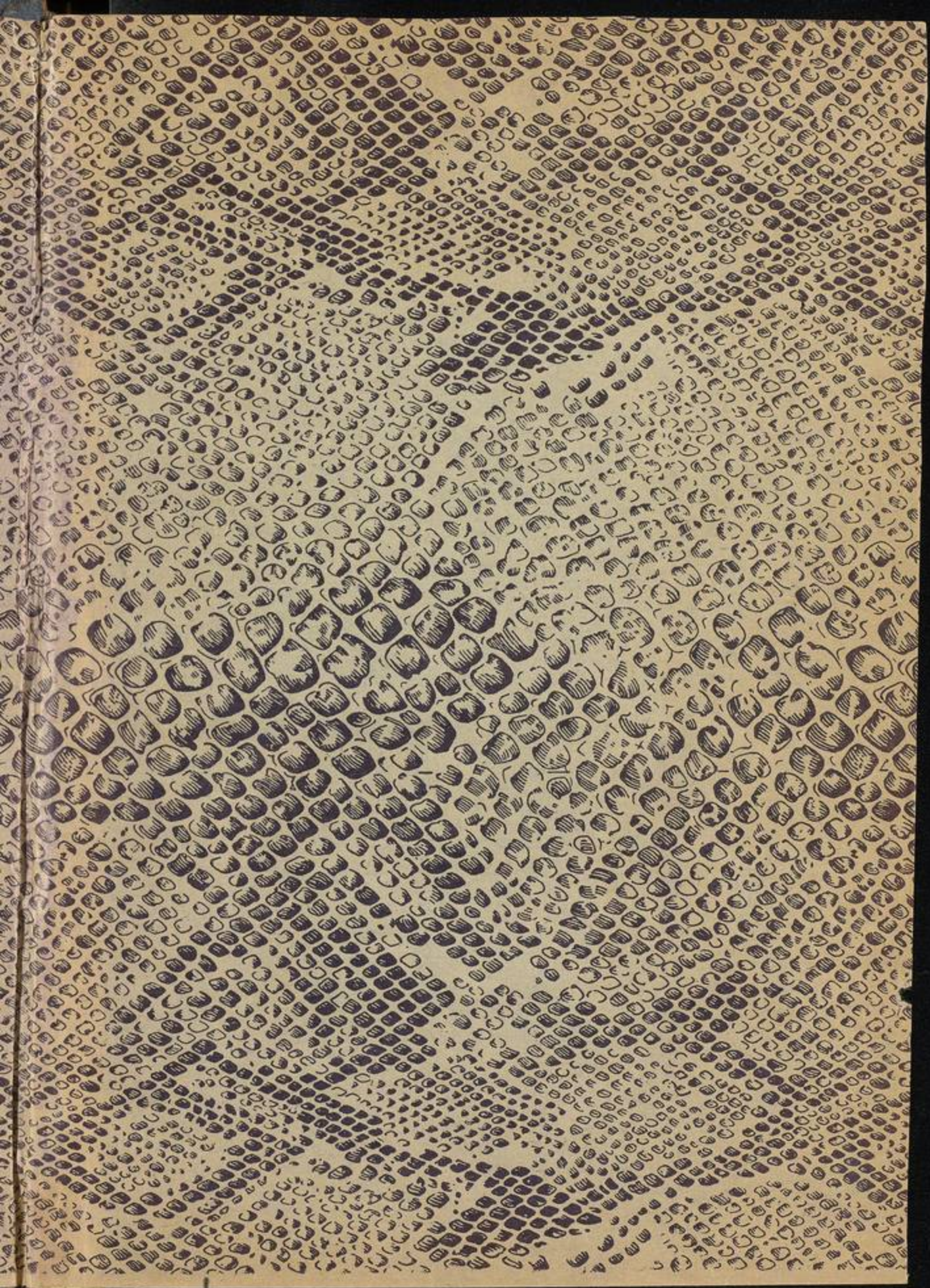
ظهر بعد الطبع عدم وضوح بعض النقط والحركات مما لا يخفى إدراكه على القارئ  
ولكنا آثرنا تصويبها فيما يلي لبيادر إلى تصحيحها في مواضعها من الكتاب :

الاصواب	الخطأ	٣٥٢	٣٥٣	الاصواب	الخطأ	٣٥٤	٣٥٥
كاملين	كامين	١٥	٣٥٢	رَقِيْبَا	رَقِيْبَا	٣	٧٥
النذر	الذّر	٨	٣٥٦	سَلَبْتِ	سَلَبْتِ	١	٩٠
ما حولكم (	ما حولكم	١١	٣٥٨	فَأَرْسَلْنَا	فَأَرْسَلْنَا	٢	٩٣
النبين	النبين	٧	٣٦١	نَعَمْ	نَعَمْ	١٦	١٥٧
فِدَاءً	فِدَاءً	١	٣٦٤	فَوَاكِهِ (	فَوَاكِهِ	١٨	١٦٠
ببعض	ببعض	١	٣٦٥	لِلجِبِينِ	لِلجِبِينِ	١	١٧٠
نحمر	نحمر	٣	٣٦٧	مَثَابِ	مَثَابِ	٤	١٩٩
وعيد	وعيد	٤	٤١٢	وَكذَلِكَ	وَكذَلِكَ	٢	٢٥١
يجي	يجي	١٥	٤٧٥	ظَنَكُمْ	ظَنَكُمْ	١٤	٢٧٢
للناس	للناس	٢	٤٨٥	وَعَرَبِي	وَعَرَبِي	٣	٢٧٨
الله	لله	٧	٦١١	جَنَّتِ وَعِيونِ	جَنَّتِ وَعِيونِ	٣	٣٣٠
كفأنا	كفأاً	٣	٦٣٥	أَجْمَعِينَ	أَجْمَعِينَ	٥	٣٣٢
مختلفون	مخْتَفُونِ	٤	٦٣٩	لِقَوْمِ	لِقَوْمِ	٧	٣٣٦
أخيه	أخيه	٣	٦٥٤	وَالَّذِينَ	وَالَّذِينَ	٥	٣٤٧
تأْتِيهِمْ	تَأْتِيهِمْ	٤	٧١٣	بِي	بِي	٣	٣٤٩
الله	الله	٤	٧٣٣	أَوْلَئِكَ	أَوْلَئِكَ	٧	٣٥٢
				بِوَالِدِيهِ	بِوَالِدِيهِ	٩	٣٥٢









COLUMBIA UNIVERSITY



0026814196

893.7K84

DN5

v. 3

DEC 14 1961

